# الإمبراطور الإله

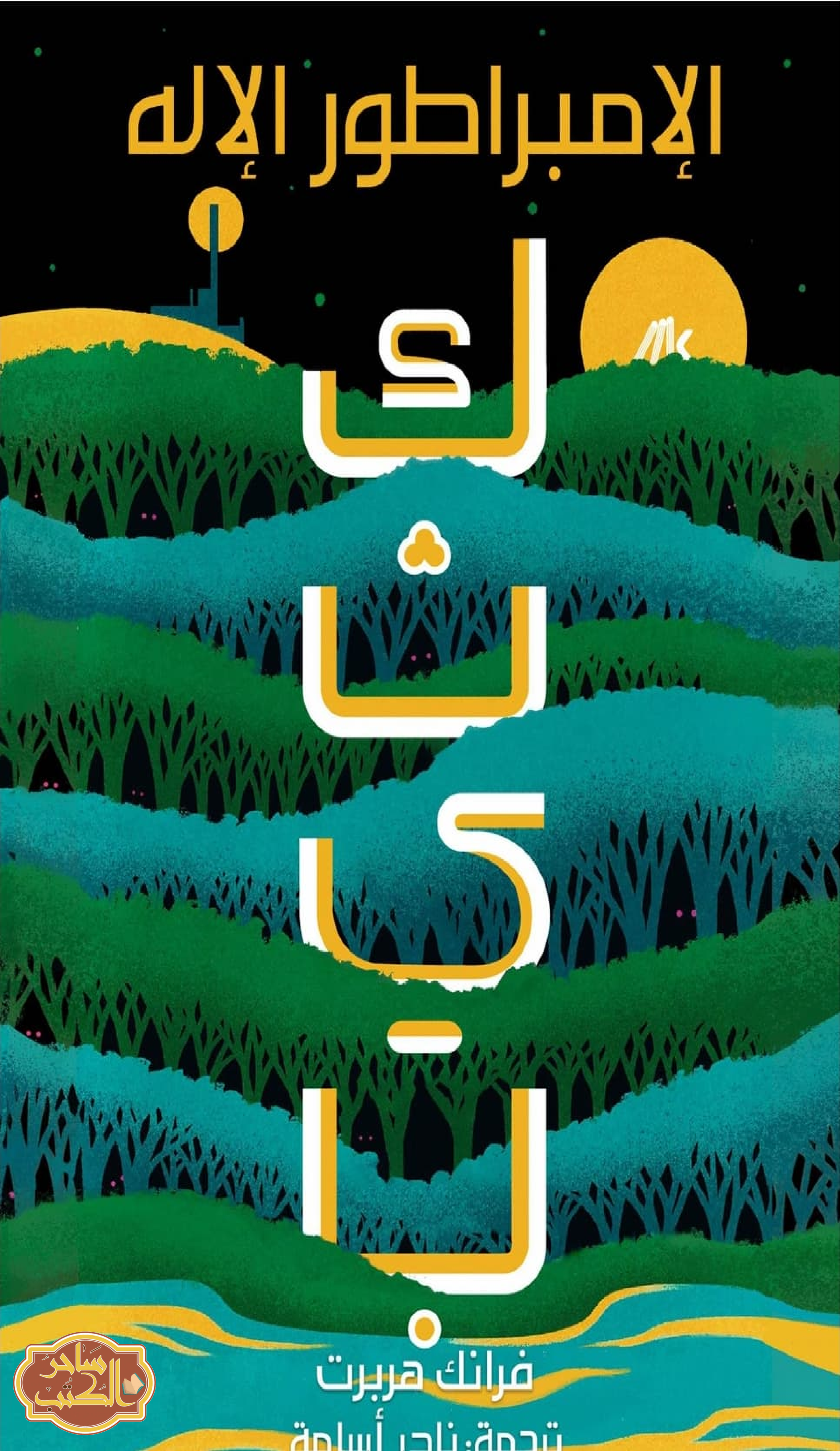

فرانك هربرت

ترجمة: ناجي أسامة

ساحر الكتب

T3634

الإمبراطور الإله:

كثيب

God Emperor of Dune

فرانك هربرت

Frank Herbert

ترجمة: نادر أسامة

دار كلمات للنشر والتوزيع

البريد الإلكتروني:

Dar_Kalemat@hotmail.com

الموقع الإلكتروني:

www. kalemat.com

Copyright © 1981 by Herbert Properties LLC

"Introduction" by Brian Herbert copyright © 2008 by DreamStar, Inc

جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو
أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل
من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

مكتبة الملك فهد الوطنية

رقم الإيداع: 1447/2943

ردمك: 978-603-93800-6-1

إلى بِجي رونتري

حُبًا وتقديرًا

وامتنانًا عميقًا

# توطِئةٌ لا بُدَّ منها
# (عن مسرد المصطلحات وأشياء أخرى)
# بقلم المُترجم

حين عُدتُ إلى ترجمةِ الجزءِ الرّابع من ملحمة «كتيب»، كنت أعرف أنني أخوض مغامرةً فريدةً من نوعها. أوّلًا، فأنا حين شرعتُ في ترجمة السّداسيّة، لم أكن أعلم أن ظروف الحياة ومُستجدّاتها ستحول دون استكمالها، ولم أتوقّع على الإطلاق أن تعود الظُّروف بعدها وتسمح لي بالعودة إليها. أمّا ثانيًا، فإن رواية «الإمبراطور الإله» ليست مُجرّد فصلٍ في ملحمة، بل هي منعطفٌ فلسفيٌ يتجاوز الأحداث والشّخصيات، ويغوص في تيه النّفس البشريّة ودروبها المتشعّبة. إنها محطّة يتوقّف عندها المرء للتأمّل والتفكير، وهي تفعل ذلك دون التّفريط في الإثارة، واللّهث وراء الأحداث المتلاحقة، التي تبدأ منذ المشهد الأوّل في الرّواية. لذا، حين أتت الفرصة، لم أقو على مقاومة إغراء نِداء النّدّاهة، وعُدتُ للارتماء في أحضان عالم «كتيب» من جديد بترجمة الجزء المُفضّل إليّ في السّلسلة كلها!

نعم، الجزء الأوّل قطعًا عملٌ كلاسيٌ مؤسّس قائم بذاته لم يقترب منه شيءٌ، لكن «الإمبراطور الإله» هو أحد أغرب الكتب التي قد تقرؤها في حياتك، وهو في الوقت نفسه أحد أروع الأعمال في أدب الخيال العلمي (على الأقل وفقًا لذائقتي). هنا، بلغ نثر فرانك هربرت الأدبي ذروته، بعد أن تحسّن باطّراد على مدار الكُتب الثّلاثة الأولى، وابتعد عمّا كان يُؤخذ عليه من رطانة سابقة أحيانًا. حتّى أفكاره الفلسفيّة عن الدّين والسّياسة والحُكم، التي ينطق بمعظمها

على لسان ليتو الثّاني، قد نضجت، واستدارت، وابتعدت تمامًا عن الشّطط. إن ليتو الثاني، الإمبراطور الإله، محور هذا الكتاب، بطغيانه وجبروته، برِقّته وعطفه، بآلامه وتضحيّته، بتناقضاته الظّاهرة وألوهيّته المزعومة، أراه أحدَ أفضل الشّخصيّات التي كُتِبت في ضرب الخيال العلمي، وأقربها إلى أبطال الإغريق. أحيانًا أشعر بأن فرانك هربرت ببلوغه هذا الكتاب قد بلغ نصيبه من الحكمة، إذ إن ثراء النّصّ وفلسفتَه العميقة لا يضاهيها إلّا شططه وأفكاره المجنونة، التي لن أدّعي أنها سهلة الهضم أبدًا. معظم الرّواية مسرود بأسلوبٍ حواريٍّ مسرحيٍّ، مع بعض كسر الرّوتين هنا وهناك، لذا النّبرة الشكسبيريّة عالية جدًّا في النّصّ، والصّوت القدري المُنذر يكاد يكون حاضرًا في كل صفحة تقريبًا، حتّى المفعم منها بالحركة، المحتدم بالأحداث.

***

الآن، لنتحدّث عن المسرد المرفق في نهاية هذا الكتاب. في الرّواية الأولى، «كثيب»، لم يبخل فرانك هربرت على قُرّائِه بإضافة مسرد للأسماء والمصطلحات الغريبة التي صاغها لعالمه المستقبلي المُعقّد المتشابك، لكنه ضنّ بمثل هذا المسرد في كل الأجزاء التي تلته. رُبّما يكون ذلك لركونه إلى أن القارئ صار يألف العالم جيّدًا ولم يعد يتحسّس خطاه فيه، ومن ثم لم يعد في حاجة إلى ما يُسهّل عليه الدّرب الطّويل، ورُبّما هو لم يشأ أن يُكرّر نفسه، منعًا للإملال، ورُبّما يكون الرّجُل قد تكاسل فحسب. أيًّا كان السّبب، فهو لم يكتب المسرد بقلمه.

بيد أن عالم «كتيب» لمن التشابك والتعقيد ما قد يؤدّي إلى اتّساع الهُوّة بينه وبين القارئ إن تُرك الأخير وحيدًا دون دليل. لذا، لم أجد مناصًا من الاستعانة بمجموعة المصادر المُتاحة، وأخذت على عاتقي مهمّة وضع مسرد كالذي أرفقه هربرت بكتابه الأوّل. فمع كل جزءٍ في هذه الملحمة تتجدّد التّحديات، لا على القارئ فحسب، بل على المترجم أيضًا. إذ في كل منعطف تكمن مفردةٌ جديدةٌ، ويربض تركيبٌ غير مألوف، وتنتظر لفظةٌ إمّا مُختلقة غريبة اللّفظ، وإمّا قديمة مهجورة. نبضٌ مبعثر هنا وهناك، يصعب استيضاحه من النّصّ وحده، ويحتاج إلى الإرشاد والأخذ باليد. كان لا بُدّ لي من بذل ذلك الجهد الإضافي في محاولةٍ متواضعةٍ منّي لأن أرسم للقارئ خريطةً صغيرةً تُنير له شيئًا من الطّريق الوعر. لم يكن هدفي الثّلقين أو تجاوز حدود مهنتي، بل التيسير على القارئ لا أكثر، الذي آمل أن يُسامحني على ما قد يكون سقط مني سهوًا وفاتني ذكره في المسرد. وإن كنت قد نجحت في إنارة زاويةٍ لقارئٍ، أو كشفت له غموضًا مُلبسًا يعكّر عليه صفو القراءة، فقد بلغتُ مقصِدي منه.

استعنت في وضع المسرد -كما في ترجمتي للكتاب الأوّل- بـ«موسوعة كتيب» التي نُشرت عام 1984، والتي جمعها البروفِسور الأمريكي ويليس إڤِرِت مَكنِلي وحرّرها مع اثنين وأربعين مساهمًا آخر، لترافق القارئ في رحلة قراءة السّلسلة. حظيت الموسوعة بمباركة فرانك هربرت الشّخصيّة، وصدّق عليها بنفسه، وكتب لها المُقدّمة أيضًا، التي أود أن أقتبس منها باجتزاء الآتي:

«يُعدُّ هذا العمل خلفيّةً غنيّةً (وتمهيدًا كذلك) لتاريخ أحداث «كتيب»، ويشمل مساراتٍ أكاديميةً فرعيّةً ثانويّةً وتعليقاتٍ جانبيةً

مُسلّيةً. لا شكّ أن بعض المساهمات والمدخلات هنا ستثير الجدل، لأنها تستند إلى مصادرَ قد تكون موضع شك... ومع ذلك، وبصفتي ‹المُعجب الأوّل› بعالم كثيب، فإنه لمن دواعي سروري أن أمنح هذه الموسوعة تصديقي ومباركتي، غير أني أحتفظ برأيي الشّخصي في بعض القضايا التي لا تزال قيد الاستكشاف مع تطوُّر أحداث السّلسلة». (نُشِرت الموسوعة وكتب لها فرانك هربرت المُقدّمة قبل الانتهاء من الكتاب السّادس والأخير في السلسلة، «بيت الأخويّة»).

لذا، ووفقًا لتصريح فرانك هربرت، فإن الموسوعة تُعدُّ مصدرًا يُلجأ إليه حين ينشأ أيُّ خلاف في تفاصيل العالم، على ما تحتويه هي نفسها أحيانًا من بعض التضارُب. من الطّريف كذلك أن الموسوعة تُقدّم نفسها بوصفها وثيقةً صادرةً من داخل عالم الرّوايات ذاته، لا جُهدًا موسوعيًا مستقلًا مرافقًا لها. فمن المفترض، في عالم «كثيب»، أن الموسوعة نُشرت عام 15540 من تقويم النّقابة، بإشراف المُحرّرة هادية بِنوتو (التي تظهر لأوّل مرّة في رواية «الإمبراطور الإله» مُعلّقةً على الأحداث). في الموسوعة، ستجد كثيرًا من التّفاصيل التي لم تَرِد في الرّوايات نفسها، منها شروحات علميّة معقّدة لكيفيّة عمل بعض الأجهزة، والتكنولوچيا المستخدمة، والأنظمة البيئيّة، وقوانين العالم، مع شرح مستفيض للعناصر الرّئيسة والفرعيّة، كمراكز القوى في الإمبراطوريّة، وتاريخ العالم، وأصول الجماعات، والأديان، والعادات، والكواكب، والملابس، والأطعمة، والمُفردات، إلخ. غير أن طبيعة الموسوعة المُختلقة، أي كونها نصًا مُتخيّلًا غير رسمي داخل ذلك العالم، إلى جانب إحجام فرانك هربرت عن التّصريح بموقفه من مسائل كثيرة ما زال يكتنفها

الغموض، جعلا من الموسوعة عملًا يحمل بين طيّاته تفاصيل تتعارض أحيانًا مع السّردِ المُعتمد لعالم «كثيب». ولهذا، فإن ما تتضمّنه من معلومات لا ينبغي التّعامل معه بوصفه «مرجعًا رسميًا»، بل يُستحسن قراءته بحذرٍ، باعتباره اجتهادًا تخيّليًا يُصيب ويُخطئ، وهذا ما وضعته نُصب عيني وأنا أستقي منها.

استعنت كذلك بعددٍ كبير من المصادر الأخرى، أبرزها: موسوعة Dune Wiki على الإنترنت، وقائمة مصطلحات «كثيب»، وعدد من المُقابلات التليفزيونيّة مع فرانك هربرت، وقراءات لمقاطع من الرّواية بصوته وبأصوات آخرين للوقوف على النُّطق السّليم الذي أراده للألفاظ والأسماء والمصطلحات التي صاغها. أمّا تفسيراتي للألفاظ العربيّة التي أوردها في النّصّ الإنجليزي، ومحاولة استبيان أصولها، وجميع التّفسيرات الأخرى التي ستقابلها في المسرد، فكلُّها اجتهادٌ شخصيٌ مني، قد يصيب وقد يخطئ.

وهو ما ينقلنا إلى النُّقطةِ التّالية.

استكمالًا للنهج الذي انتهجته في الكتاب الأوّل، وحتّى لا تضيع الكلمات العربيّة التي ضفّرها فرانك هربرت في ثنايا النّص الأصلي بين آلافٍ من الكلمات العربية الأخرى التي تُشكّل هذا النص المترجم الذي بين يديك -وهو ما قد يُفقدها شيئًا من نكهتها المُميّزة- فقد عُدتُ إلى حيلة وضع نجمةٍ صغيرةٍ على رأسِ أيّ كلمة عربية استخدمها المؤلّف عند ورودها لأوّل مرّة، من غير حاشية تُثقِل الهامش. فإذا ما صادفت هذه النّجوم المُبعثرة في أثناء القراءة، فاعلم أن الكلمة التي تقرؤها وردت في النّصّ الأصلي كما هي، أو

أنها تحريفٌ أعجميٌ لكلمة عربية فيه رُدّت إلى أصلها في التّرجمة. أنصحك آنذاك بالعودة إلى «مسرد المصطلحات المستخدمة في الإمبراطورية» الملحق بنهاية الكتاب واستشارته، لما في ذلك من إجلاء لأيّ غموضٍ في النّصّ، ومن تذوّقٍ للنُّطق الأعجمي المُعوّج للأسماء العربيّة، وما يحمله ذلك من مُتعة إضافية تُثري تجربة القِراءة وتزيد من انغماسك في أحداث الرّواية.

في النّهاية، آمل أن تكون الأخطاء الواردة في هذا الجزء أقل من سابقه، وأن تُتاح لي فرصة تنقيح الكتاب الأوّل من أيّ شوائب لاحظتها فيه بعد النّشر، وطرحه في طبعة مُنقّحة، وأن أكون قد وُفّقت في نقل هذا الجزء -الأقرب إلى قلبي في السُداسيّة- كما أراد له كاتبه أن يكون، وأن يُوفّق من سيتولّى مهمة ترجمة الجزأين الأخيرين في تلاشي جميع أخطائي، والبروع في كل ما قصّرت فيه. إذ حان وقت انتقالي إلى أراضٍ أخرى طال اشتياقي إليها... بقاعٍ أخرى، وأصقاعٍ بعيدة، لا تقل جمالًا وأهمّيّة عن عالم «كثيب» الحبيب.

سأكون في انتظاركم هناك.

نادر أسامة

# الإمبراطور الإله:

# كثيب

*مُقتطف من كلمة هادية* بِنوتو في إعلانها عن اكتشافات دار البلاط* على كوكب راكِس(1):*

ليس فقط من دواعي سروري أن أكون معكم هذا الصّباح لأُعلن خبر اكتشافنا هذا المستودع الرّائع الذي يضمُّ -من بين أمورٍ أخرى- مجموعةً هائلةً من المخطوطات المُدوّنة على ورقٍ بِلّوري رِديولي، لكنني أفخر كذلك بتقديم الأدِلّة التي تدعم صِحّة اكتشافاتنا وأصالتها، وأن أشرح إليكم الأسباب التي تدفعنا إلى الاعتقاد بأننا قد وضعنا أيدينا بالفعل على المذكّرات الأصليّة لليتو الثّاني، الإمبراطور الإله.

في البداية، اسمحوا لي بتذكيركم بالكنز التّاريخي الذي نعرفه جميعًا باسم «المُذكّرات المسروقة»؛ ذينك المُجلّدين العتيقين اللّذين ظلّا على مدى قرونٍ طويلة عظيمَي القيمة في مساعدتنا على فهم أسلافنا. كما تعلمون جميعًا، فإن نقابة الفضاء هي التي تمكّنت من فكّ رموز «المذكّرات المسروقة»، وقد استخدمنا طريقة «مِفتاح النّقابة» في ترجمة هذه المُجلّدات الأُخرى المُكتشفة حديثًا. لا أحد يستطيع إنكار عراقة «مفتاح النقابة»، وأنه الوسيلة الوحيدة المتاحة لترجمة هذه المُجلّدات.

ثانيًا، هذان المُجلّدان طُبِعا بآلة إيكسيّة(2) أصليّة عتيقة الطّراز، و«المذكّرات المسروقة» لا تدع مجالًا للشك في أن هذه بالفعل كانت الطّريقة التي استخدمها ليتو الثاني لتسجيل مُلاحظاته التّاريخيّة.

ثالثًا، لدينا ما نظن أنه يوازي في أهمّيّته الاكتشاف الفعلي، وهو المُستودع نفسه. إن مُستودع هذه المذكّرات -ولا شك- قطعة

أثريّة إيكسيّة بدائيّة الصُنع لكن مُدهشة التّصميم، ومن المؤكد أنها ستلقي ضوءًا جديدًا على الحقبة التّاريخيّة المعروفة بـ«الشّتات». كما هو متوقّع، كان المستودع مخفيًا، إذ طُمِر في أعماق أبعد بكثير ممّا توقّعناه من قراءتنا للأساطير واستماعنا إلى أخبار «التّاريخ الشّفهي». لم ينفكّ المخبأ عن إصدار الإشعاعات وامتصاصها لمُحاكاة سمات محيطه الطّبيعي، وهو تماهٍ ميكانيكيّ مألوفٌ لنا لا يثير الدّهشة في حدّ ذاتها. ما أذهلَ مُهندسينا هو الطّريقة التي أُنجز بها الأمر باستخدام أقدم الأساليب الميكانيكيّة وأكثرها بدائيّة.

أرى أن بعضكم متحمّس لهذا الأمر بالتّحديد مثلما تحمّسنا من قبلكم. نحن نظن أننا ننظر إلى أوّل «كُرة إيكسيّة» صُنعت على الإطلاق؛ «اللا غُرفة» الأصليّة التي تطوّرت منها كل الأجهزة والآلات الشّبيهة. إن لم تكن هي الأولى بالفعل، فنظن أنها على الأقلّ من الأوائل، وتعمل وفقًا لنفس المبادئ التي حكمَت الأولى.

اسمحوا لي بأن أُشبِعَ فضولَكم الواضح، بالتّأكيد على أننا سنأخذكم في جولةٍ في المُستودع بعد قليل. فقط نطلب منكم التزام الصّمت داخل المُستودع لأن مُهندسينا ومُختصّينا الآخرين ما زالوا يعملون في الدّاخل على فكّ الألغاز.

وهذا يقودني إلى النّقطة الرّابعة، التي قد تكون دُرّة تاج اكتشافاتنا. بمشاعر يصعُب وصفُها، أزُفُّ إليكم الآن نبأ اكتشافٍ آخر في هذا الموقع، ألا وهو تسجيلاتٌ صوتيّةٌ حقيقيّةٌ مكتوب أن ليتو الثّاني سجّلها بصوت أبيه، پول المؤدّب. نظرًا إلى وجود تسجيلات موثّقة للإمبراطور الإله في أرشيف البِني چيسيرِت بالفعل، فقد

أرسلنا عيّنةً من تسجيلاتنا إلى الأخويّة، كلها مُسجّلة على نظام «فُقّاعات مجهريّة» عتيق، مع طلب رسمي بأن يُقارِنّ بينها وبين ما تحت أيديهِنّ، وليس لدينا أدنى شك في أن النتيجة ستؤكّد صحّة التّسجيلات المُكتشفة.

الآن، تفضّلوا بتصفُّح المقتطفات المُترجمة التي وُزّعت عليكم عند دخولكم القاعة، واسمحوا لي بأن أستغلّ الفرصة وأعتذر عن ثِقَل وزنها، فقد سمعت بعضكم يمزح بشأن ذلك. لقد استخدمنا ورقًا عاديًا لسببٍ بسيطٍ، ألا وهو الاقتصاد. المُجلّدات الأصليّة منقوشة برموزٍ غاية في الصِّغر يتعيّن تكبيرها أضعافًا عِدّة قبل أن تتسنّى قراءتها. في الواقع، يتطلّب الأمر أكثر من أربعين مُجلّدًا من القطع التي بين أيديكم الآن فقط لإعادة طباعة مُحتويات إحدى البِلّورات الرّديوليّة الأصليّة.

هل مُشغّل آلة العرض جاهز للـ... أجل، شكرًا. نحن الآن نعرض عليكم جزءًا من ورقةٍ أصليّةٍ على الشّاشة إلى يساركم. هذا مُقتطف من الصّفحة الأولى في المُجلّد الأوّل، وترجمتُنا ظاهرةٌ على الشّاشات إلى اليمين. أودُّ أن ألفتَ انتباهكم إلى الأدلّة المُستمدّة من متن النّصّ، وزُخرُفِ الكلمات وزهوِها الشّعري، فضلًا عن المعنى المُستقى من التّرجمة. يشي الأسلوب بشخصيّةٍ مُتّسقةٍ يسهُل تمييزها. نحن نظن أن هذا الكلام لا يمكن إلّا أن يصدر عن شخص لديه دراية وخبرة مباشرة بـ«ذكريات الأسلاف»، شخصٍ يُجاهد لمشاركة تجربة معايشة الحيوات السّابقة الاستثنائيّة بطريقة يسهل أن يفهمها من لا يتمتّعون بتلك الموهبة.

تأمّلوا الآن معنى المحتوى الحقيقي. كل الدّلائل تتّفق مع ما أخبرنا به التّاريخ عن الشّخصِ الفذّ الذي نظن أنه الوحيد القادر على تأليف مثل هذا السّرد.

والآن لدينا مفاجأةٌ أخرى لكم. هذا الصّباح، سمحت لنفسي بدعوة الشّاعرة المعروفة، رِيبِث ڤريب، لتعتلي المنصّة وتقرأ مقطعًا قصيرًا من تَرجمتنا من تلك الصّفحة الأولى المعروضة أمامنا. لقد لاحظنا أن هذه الكلمات، حتّى بعد ترجمتها، تكتسب طابعًا مختلفًا عند قراءتها بصوتٍ عالٍ، ونحن نريد مشاركتكم هذا التميّز منقطع النّظير الذي لمسناه في هذه المُجلّدات.

سيّداتي وسادتي، رحّبوا معي برِيبِث ڤريب.

*من القراءة التي تَلَتها رِيبِث ڤريب:*

أُقسم لكم إني كتاب القدر ذاته.

الأسئلةُ أعدائي، إذ إن أسئلتي عاصفةٌ! تنتفض الأجوبة منها كسرب طيورٍ مذعور يحجب سماء ذكرياتي التي لا مناص منها. لا جواب واحدًا لها، لا جواب واحدًا يكفي.

أيْ ضياءٍ باهر يومض حين أخطو إلى أراضي ماضيّ الزّهيبة! أنا كِسرة من حجر صوّان مُهشّم داخل صندوق، الصندوق يدور ويهتز، فتتخبّطني عاصفةٌ من الألغاز. وحين يُفتح الصّندوق، أعود إلى هذا الوجود غريبًا في أرضٍ بُدائيّة.

ببطء (أقولُ ببطء) أتعلّمُ اسمي من جديد.

ولكن هذا ليس لداعي معرفة ذاتي!

هذا الشّخص الذي يحمل اسمي، هذا المدعو ليتو الذي هو ثاني من حمل هذا الاسم، يسمع في عقلهِ أصواتًا أخرى، أسماءً أخرى وأماكنَ أخرى. لكنني أعِدُكم (كما وُعِدتُ من قبلكم) بألّا أستجيبَ إلّا لاسم واحد لا غير. إذا قُلتم «ليتو»، سأُجيب. مُكابدتي هي ما تضمن ذلك، مُكابدتي وشيءٌ آخر:

أنني من يمسك بالخيوط!

كل الخيوط في قبضة يدي. ذَرني أتخيّل موضوعًا، لنقُل... *من ماتوا بحدِّ السّيف*... فيأتوني جميعًا مُضرّجين بدمائِهم، كل صورة غير منقوصة، كل أنين، كل عصرة ألم.

إن حدث أن فكّرت في *أفراح الأمومة*، تأتيني أسِرّة الولادة من كُلِّ فجٍ عميق. سلسال لا ينقطع من ابتسامات الأطفال وهديل الأجيال الجديدة. فيضٌ من خطوات الصّغار الأولى، وانتصارات الصّبا الأولى، يأتيني لأُقاسِمه مع من أريد، يتعثّر بعضها في بعضهم حتّى لا أعُود أرَى غير التّشابه والتّكرار.

أذكّر نفسي مُحذِّرًا: «لا تُفرّط في شيء».

من يستطيع أن ينكر قيمة مثل تلك الخبرات؟ قيمة التعلُّم الذي أرى بعدسته كل لحظة جديدة؟

هاهِ، لكن كل هذا ماضٍ.

ألا تفهمون؟

إنه مُجرّد ماضٍ!

«وُلِدتُ هذا الصّباح في يُرتةٍ(3) على حَوْف مرتعٍ للخيول، في أرض كوكبٍ لم يعد له وجود. غدًا، سأُولدُ شخصًا آخر، في مكانٍ آخر، لم أختره بعد. لكن يا لهذا الصّباح! وآهٍ من هذه الحياة! حين اعتادت عيناي الرُّؤية، نظرت إلى العشب الموطوء في ضوء الشّمس، ورأيت قومًا مُفعمين بالقوّة يسعون خلف طيّبات الحياة بهِمّةٍ ونشاط. وا حسرتاه، أين ذهب كل ذلك العنفوان؟».

- المذكّرات المسروقة

كان ثلاثة الرّاكضين باتّجاه الشّمال، تحت ظلال القمر في الغابة المُحرّمة، متباعدين بمسافة كيلومترٍ ونصف تقريبًا، وآخر راكض فيهم يسبق الذئاب المُلاحِقة له بأقل من مئة متر. كان لهاث الحيوانات ونباحها المحموم مسموعًا، كما هي العادة حين تكون فريستها على مرمى بصرها.

ببلوغ القمر الأوّل سمت الرّأس تقريبًا، استحقّت الغابة في إضاءةٍ واضحة. ومع أن هذه الرُّقعة من الأرض كانت بعيدة عن خط استواء كوكب أرّاكس، كان الجوُّ لا يزال دافئًا من حرارةِ النّهار الصّيفي.

حمل نسيم اللّيل القادم من الصّحراء الأخيرة، صحراء السّرير*، روائحَ صمغِ الأشجار وعطنَ الغِطاء الغضوي النّاضح من تحت الأقدام. وبين الحين والآخر، كانت تهُبُّ نسماتٌ من بحر كاينز الواقع خلف صحراء السّرير بين آثار أقدام الرّاكضين مُحمّلةً بفُوَاح الملح والأسماك.

من شخرية القدر، أن الرّاكض الأخير كان يحمل اسم غُلُط، الذي يعني في لسان الفرمِن «المتقاعس الحبيب». كان غُلُط قصير القامة

ويميل إلى السّمنة، ما زاد عليه عبء اتّباع حمية غذائيّة في أثناء التّدريب على هذه المجازفة. لكن حتّى بعد أن نقص وزنه خلال التّدريبات استعدادًا لهروبهم اليائس هذا، ظلّ وجهه مستديرًا، وما برِح الضّعف في عينيه البنّيتين الكبيرتين لما يعانيه من اكتناز اللّحم.

بوضوح، أدرك غُلُط أنه لن يقوَى على الرّكض لمسافة أطول. كان يلهث ويكِزُّ، ومن حينٍ إلى آخر يتعثّر. لكنه لم ينادِ رفاقه، إذ عَلِم أن ليس في استطاعتهم مساعدته. لقد أقسم جميعهم القسم نفسه وهم يعلمون جيّدًا أنهم مُجرّدون من أيّ دفاعات باستثناء المناقب القديمة، وقِيَم الفرمِن التي لم تتغيّر، على أن كلّ ما كانه الفرمِن يومًا صار الآن يحمل طابعًا متحفيًا؛ محض رواياتٍ منقولةٍ استحفظوها من الفرمِن الأثريّين.

كانت قِيَم الفرمِن هي ما أبقت غُلُط صامتًا مع إدراكه التّام أنه هالك لا محالة. كان في ذلك تمسّك رائعٌ بالشيم القديمة، لكنه مثير للشفقة، إذ لم يكن الرّاكضون لديهم سوى معرفةٍ نظريّةٍ بتلك الفضائل التي يتمسّكون بها؛ معرفةٍ تلقّفوها من الكُتب وأساطيرِ التّاريخِ الشّفهي.

ركضت الذّئاب الذّاليّة ركضًا محمومًا مقتربةً خلف غُلُط؛ أجسادٌ رماديّةٌ عملاقةٌ تكاد تبلغ أكتافُها قاماتِ الرّجال. ما برحت الذّئابُ تثب وتنبح بنبراتٍ مخنوقةٍ من فرط لهفتها، رافعةً رؤوسَها، مصوّبةً أعيُنَها على شبحِ طريدتِها التي يشي ضوءُ القمرِ بمكانِها.

تعثّر كاحل غُلُط الأيسر في أحد الجذور وكاد يسقط، لكن تعثُّره منحه طاقة إضافيّة. زاد الفتى من سرعته فجأةً، واكتسب عن

مُلاحقيه ما يُعادل طول ذئب تقريبًا. تحرّكت ذراعا غُلُط بقوة، وراح يَعبُّ الهواء عبًّا من فمِه المفتوح.

لم تُغيِّر الذِّئابُ الدّاليّة من وتيرتِها، ومرقت كأطيافٍ فِضِّيّةٍ مخترقةً روائحَ الغابةِ الخضراءِ القويّة. أدركتِ الحيواناتُ أنّها كسبت السّباقَ بالفعل، إذ كانت التّجربةُ مألوفةً لها.

تعثّر غُلُط مرّةً أخرى، لكنه استند إلى شجرةٍ، واستعاد توازنَه، وواصل هروبَه اللّاهثَ وساقاه ترتجفان اعتراضًا على ما يُحمِّلُها إيّاه من مشقّة. لم يتبقَّ في أطرافِه طاقةٌ تكفي لاندفاعةِ سرعةٍ أخرى.

تحرّكت أنثى ضخمة من الذِّئاب الدّاليّة إلى يسار غُلُط، ثم انحرفت إلى الدّاخل ووثبت معترضةً مساره. مزّقت الأنياب العملاقة لحم كتف غُلُط فمضى يترنّح من الصّدمة، لكنه لم يسقط. أُضيفت رائحة الدّم اللّاذعة إلى روائح الغابة. أنشب ذكرٌ أصغر أنيابه في فخذ غُلُط اليمنى، فسقط الفتى صارخًا في النّهاية. انقضّ القطيع المسعور عليه، فانقطع صراخه فجأةً انقطاعًا تامًّا.

لم تتوقّف الذِّئابُ الدّاليّةُ لالتهامِ فريستِها، بل استأنفت المطاردةَ من جديد. تشمّمت أنوفُها أديمَ الغابةِ والصّنانَ المحمولَ في تيّاراتِ الهواء، ملتقطةً آثارَ ذَفَرِ الإبطِ المنبعثِ من الزّاكضين الآخرين.

كان الزّاكضُ التّالي يُدعى قوتِج، وهو اسمٌ قديمٌ عالي القَدْرِ على أزّاكس، يعود إلى الزمنِ الذي عُرِفَ فيه الكوكبُ باسمِ كتيب. كان أحدُ أسلافِ قوتِج يخدم في سييتش تابر مشرفًا على مُقطّراتِ الموتى، لكن كان هذا منذ أكثر من ثلاثة آلافِ عامٍ، في ماضٍ لم يعُد كثيرون يؤمنون به. ركض قوتِج بخطواتٍ واسعةٍ بجسدِه الطّويلِ

النّحيلِ الذي بدا مناسبًا تمامًا لمثل هذا الجُهد، فيما تطاير خلفه شعرُه الأسودُ الطّويلُ النّابتُ من ملامحَ نسريّةٍ حادّةٍ. مثل رفاقِه، كان يرتدي بذلةَ ركضٍ سوداءَ قطنيّةً منسوجةً بإحكامٍ، كشفت عن حركةِ ردفَيه وفخذَيه النّحيلَتين، وإيقاعِ تنفُّسِه الثّابتِ العميقِ. وحدها وتيرته، التي تُعدُّ الآن بطيئة بشكلٍ ملحوظ عمّا اعتاده قوتِج، وشّت بحقيقة أن رُكبته اليُمنى أُصيبت في أثناء نزوله من المنحدرات الصّناعيّة التي تطوّق قلعة الإمبراطور الإله في صحراء السّرير.

سمع قوتِج صرخات غُلُط، والصّمت التّام المُفاجئ الذي تلاها، ثم تجدّد عواء المُطاردة من خلفه. حاول قوتِج ألّا يسمح لعقله بأن يخلق صورة لصديقٍ آخر تُمزّقه وحوش ليتو الحارسة، لكن مخيّلته مارست عليه ألاعيبها. لعن قوتِج الطّاغية في سرّه، لكنه لم يهدر أنفاسه للنطق بلعناته. ما زالت أمامه فرصة لبلوغ حرم نهر آيداهو والاحتماء به. كان قوتِج يعلم كيف يراه أصدقاؤه، بمن فيهم سيونا. لطالما اشتهرَ بأنه رشيدٌ. حتّى وهو طفل كان يدّخر طاقته إلى أن تأتي اللّحظة المناسبة، وينفق منها كما ينفق البخيل.

زاد قوتِج من سرعته على الرّغم من إصابة رُكبته. كان يعلم أن النّهر قريب، لكن إصابته كانت قد تخطّت مرحلة الألم وصارت عذابًا حارقًا انتشر في كامل ساقه وجانبه. كان يعلم حدود قدرته على التّحمُّل، ويعلم كذلك أن لا شك في أن سيونا على وشك الوصول إلى ضفّة النّهر. سيونا، العدّاءة الأسرع بينهم، التي تحمل المظروف المُغلق الذي يحوي الأغراض التي سرقوها من القلعة القابعة في السّرير. صبّ قوتِج كل أفكاره على هذا المظروف وهو يركض.

*اعتني به جيّدًا يا سيونا! استخدميه لتدميره!*

اخترق عويل الذّئاب الدّاليّة المُتلهّف عقل قوتِج. لقد باتت قريبةً جدًا، وأدرك أنه لن ينجو.

*لكن سيونا يجب أن تنجوا!*

غامر قوتِج بالنّظر خلفه ورأى أحد الذّئاب ينفصل ليحاصره من الجانب. انطبع نمط خطّة هجومها في عقله، وفي اللّحظة التي وثب فيها الذّئب وثب قوتِج، حائلًا بينه وبين القطيع بشجرةٍ، وانحنى لتفادي وثبة الذّئب المُجاور، ثم قبض بكلتا يديه إحدى قائمتيه الخلفيّتين، ودون توقُّف، دار بالذّئب الأسير في الهواء مُستخدمًا إيّاه كهرّاوة لبعثرة الآخرين. وحين وجد أن المخلوق ليس ثقيلًا كما توقّع، يكاد يطيع الحركة الجديدة، دار بهُرّاوته الحيّة في دوّامة درويشيّة مُسقطًا اثنين من مهاجميه أرضًا، لتصطدم جمجمة أحدهما بالآخر. لكنه لم ينجح في التّصدّي لكل الجهات، وفي النّهاية انقضّ عليه ذكرٌ ممشوق من الخلف، ورمى به إلى شجرة ففقد هرّاوته.

صرخ قوتِج بملء حنجرته: «اركضي!».

ضيّق عليه القطيعُ الخناقَ، فأنشب قوتِج أسنانه في حلق الذّئب الممشوق، وعضّ بكل ذرّة قوّة يائسة لا تزال فيه. انسكبت دماء الذّئب على وجه قوتِج فأعمته، فتدحرج دون أن يعرف إلى أين يذهب، وصارع ذئبًا آخر. فقد بعض القطيع صوابه وانخرط في شعارٍ وحشيٍّ، هاجمت فيه بعض الذّئاب الجرحى منها. لكن معظم القطيع لم يحد عن الفريسة، وراحت الأنيابُ تمزّق حلق قوتِج من كلا

الجانبين.

سيونا كذلك سمعت صُراخ غُلُط، ثم الصّمت المُطبِق الذي تلاه تجدُّد عواء القطيع في استئنافِه المطاردة. امتلأ صدر سيونا بغضبٍ عارم شعرت بأن أضلعها ستنفجر منه. لقد ضمّت غُلُط إلى هذه المُجازفة لقدراته التّحليليّة، ومَلَكَته في استيعاب الصُّورة الشّاملة من بضعة أجزاء فحسب. كان غُلُط هو من أخذ العدسة المُكبِّرة التى لا يتخلّى عنها من حقيبته وفَحَصَ المُجلّدين الغريبين اللذين عثروا عليهما مع مخطّطات القلعة.

لحظتها قال غُلُط: «أظن أنها كتابة مُشفَّرة».

عندها قال راضي، المسكين الذي كان أوّل من لقي حتفه من فريقهم: «لن نستطيع حمل الوزن الزّائد، تخلّص منهما».

فاعترض غُلُط: «لا أحد يتكبّد عناء إخفاء أغراض غير هامّة بهذه الطّريقة».

فانضم قوتِج إلى راضي قائلًا: «لقد جئنا للحصول على مخطّطات القلعة، وهي في حوزتنا. تلك الأشياء ثقيلة جدًّا».

لكن سيونا كانت في صفّ غُلُط: «سأحملها أنا». وبهذا انتهى الجدال.

*غُلُط المسكين.*

كانوا جميعهم يعرفون أنه العدّاءُ الأسوأ في الفريق، إذ كان بطيئًا في معظم الأمور، لكن لم يكن أحد يستطيع إنكار صفاء ذهنِه ورجاحةِ عقله.

*إنه جدير بالثّقة.*

أو كان جديرًا بالثّقة.

سيطرت سيونا على غضبِها واستخدمت طاقتها في زيادة سرعة عدوها. مرّت الأشجار من حولها بشرعة خاطفة في ضوء القمر. كانت قد دخلت في حالة نشوة الرّكض، ولم تعد تشعر إلّا بحركة جسدها، الذي راح يفعل من تلقاء نفسه ما ذرّب على فِعله.

كان الرّجال يرونها جميلةً في ركضها، وكانت تعلم ذلك. كان شعر سيونا الدّاكن الطّويل معقوصًا بإحكام لمنعه من التطاير مع الهواء في أثناء الرّكض، وقد اتّهمت قوتِج بالحمق حين رفض فعل المثل.

*أين قوتِج؟*

لم يكن شعرها كشعر قوتِج، بل كان بُنّيًا داكنًا يظنه الرّائي أحيانًا أسود، لكنه لم يكن أسود حقًّا، ولا يشبه شعر قوتِج في شيء.

وكعادة الصّفات الوراثيّة، شابهت ملامح سيونا ملامح أسلافها الذين رحلوا منذ زمن طويل. كان وجهها بيضاويًّا، وفمها كبيرًا، وعيناها يقظتين تعلوان أنفًا صغيرًا، وقد غدا جسدُها طويلًا ناحلًا، نحتته سنواتُ العدوّ الطويلة، غير أنه ما فتئ يرسل إشارات جنسيّة قويّة إلى الذُّكور من حولها.

*أين قوتِج؟*

لم تعُد تسمع أصوات قطيع الذّئاب، وقد ملأها ذلك بالذُّعر. هذا بالضّبط ما فعلته الذّئاب قبل أن تُجهِز على راضي، وتكرّر الأمر نفسه

حين اقتنصت سِتوسا.

لكن سيونا طمأنت نفسها بأن الصّمت قد يعني أمورًا أخرى. قوتِج أيضًا كان صموتًا... وقويًا، ولم يبد أن الإصابة تزعجه كثيرًا.

بدأت سيونا تشعر بألمٍ في صدرها هو إرهاصات اللُّهاث الآتي، اللهاث الذي تعرفه جيّدًا من كيلومترات التدريب الطّويلة. لم يزل العرق يتصبّب على جسدها تحت بذلة الرّكض السّوداء الرّقيقة التي ترتديها. كانت الحقيبة، بما تحويه من أشياء ثمينة، مُعلقةً على ظهرها ومعزولةً بعناية تحسّبًا لعبور النّهر المُقبِل، ووجدت سيونا نفسها تفكر في مخططات القلعة المطوية في داخلها.

*أين يُخفي ليتو مخزونه من الاسپايس؟*

لا بُدّ أنه في مكانٍ ما داخل القلعة. لا بُدّ! وفي صفحةٍ ما من تلك المُخطّطات سيعثرون على الدّليل. مِزاج الاسپايس الذي تتوق إليه النّقابة والبِني چيسيرِت وآخرون... يا له من جائزة تستحق المُخاطرة!

فضلًا عن ذينك المُجلّدين المُشفّرين. لقد كان قوتِج مُحقًّا في أمرٍ واحد. الورق البِلّوري الرِديولي ثقيل الوزن. لكنها شاركت غُلُط حماسته. شيءٌ ما ذو أهمّيّة مخفي بين خطوط الشيفرة تلك.

عادت سيونا تسمع أصوات مطاردة الذّئاب الملهوفة من الغابة خلفها.

*اركض يا قوتِج، اركض!*

الآن، أمامها مباشرةً عبر الأشجار، استطاعت رؤية الشّريط الواسع

الخالي من النّباتات المُحيط بنهر آيداهو، ولمحت انعكاس ضياء القمر على صفحة الماء خلف تلك الفُرجة.

*اركض يا قوتِج!*

تمنّت لو تسمع صوتًا من قوتِج، أيّ صوت، إذ لم يتبقَّ من الأحد عشر فردًا الذين شرعوا في الفرار ركضًا إلّا هما، بعد أن دفع تسعةٌ حياتهم ثمنًا لهذه المجازفة: راضي، وآلين، وغُلُط، وسَتوسا، وإنينِج، وغُنماو، وهوتشه، ومِمار، وعوالة.

فكّرت سيونا في أسمائهم، ومع كل اسمٍ دعت له بدُعاءٍ صامتٍ، مبتهلةً إلى الآلهة القديمة، لا إلى ليتو الطّاغية، وقد خصّت شَي هُولود بابتهالاتها.

*أبتهلُ إلى شَي هُولود، التي تعيش في الرّمال.*

فجأةً، خرجت من أسفل غِطاء الغابة الكثيف منطلقةً صوب شريط الأرض المُشذَّب على امتداد النّهر الذي يضيئه القمر. وراء تلك الضّفّة الضّيّقة المفروشة بالحصى، كانت المياه تناديها، والتمع الشّاطئ بوميضٍ فَضّيٍّ في تضادٍ مع مياه النّهر الزّيتيّة.

جاءت من خلف الأشجار صيحةٌ عاليةٌ كادت تجعلها تتعثّر. ميّزت صوت قوتِج الذي علا فوق صوت الذّئاب البرّيّة. لقد صرخ قوتِج -دون أن ينطق اسمها- بكلمةٍ واحدةٍ جليّةٍ تكفي عن ألف محادثة؛ رسالةٍ فاصلة بين الحياة والموت.

- «اركضي!».

بعد تلك الصّرخة، تحوّلت أصوات القطيع من النباح المسعور إلى

صخبٍ مُفزع، لكن لم يصدر عن قوتِج أيّ صوتٍ آخر. عَلِمت سيونا حينها فيما أنفق قوتِج طاقة حياته الأخيرة.

*في تأخير القطيع ليساعدني على الهرب.*

استجابةً لصرخة قوتِج، اندفعت سيونا إلى حافَة النّهر وغاصت برأسها أوّلًا في مياهه. كان للنهر برودةٌ مُجمّدةٌ بعد حرارةِ ركضها الطّويل. صعقها الماء للحظة، فتخبّطت مع التيّار نحو الضّفّة وهي تكافح لتسبح ولتلتقط أنفاسها. طفت الحقيبة الثّمينة خلف ظهرها وأخذت تخبط مؤخّرةً رأسها.

لم يكن نهر آيداهو عريضًا هنا، فلم يزد عرضه على خمسين مترًا، وكان يشكّل منحنًى لطيفًا تحيط به رُقعٌ رمليّةٌ وضِفافٌ جافّةٌ تغزوها الجذور والأعشاب وعيدان القصب السّميك. لم يطع الماء المسارات المستقيمة التي حاول مهندسو ليتو فرضها عليه وحصره فيها، وأبى إلّا أن يتدفّق تدفُّقًا طبيعيًا على طول مساره المتعرّج. اطمأنّت سيونا حيث كانت تعلم أن الذّئاب الدّاليّة مُهيّأة للتوقُّف عند حافَة الماء، حيث رُسمت حدود منطقة نفوذها بدقّة شديدة: النّهر من هذا الجانب، وجدار الصّحراء من الجانب الآخر. لكن حتّى مع علمها بذلك، واصلت سيونا سباحتها للأمتار القليلة الأخيرة تحت الماء تحسُّبًا، ثم صعدت إلى سطحِه في حماية ضِفّة منفصلة، قبل أن تلتفت وتنظر إلى الخلف.

وقف قطيع الذّئاب على طول الضّفّة، باستثناء واحد منها نزل إلى حافَة النهر. انحنى الذّئب إلى الأمام ولامست قدماه الأماميتان مجرى النّهر تقريبًا، ثم سمعته سيونا يئن.

كانت تدرك أن الذّئب رآها بلا شك، فالذّئاب الدّاليّة معروفة بحدّة البصر، إذ هجّن ليتو أسلاف حرّاس غابته بكلاب حادّة البصر(4) لتقوية أبصارها. تساءلت سيونا إن كانت الذّئاب ستعصي ما جُبلت عليه هذه المرّة أم لا. ففي النّهاية، هذه مفترسات تعتمد على أبصارها في الصّيد، وإذا غامر الذّئب الواقف على حافّة النّهر بالنزول إلى الماء، سيتبعه الجميع. حبست سيونا أنفاسها في ترقُّب، وشعرت بقبضة الإرهاق تستولي عليها. لقد قطعوا ما يقرب من ثلاثين كيلومترًا ركضًا، نصفُها الأخير والذّئابُ الدّاليّة تتقفّى آثارَهم من قُرب.

عوى الذّئب الواقف عند حافّة النهر مُجدّدًا ثم وثب خلفًا عائدًا إلى رفاقه. وباتّفاقٍ صامت، استدارت المجموعة وعادت أدراجها نحو الغابة.

كانت سيونا تعرف إلى أين ستعود، إذ كان مسموحًا للذّئاب الدّاليّة بافتراس أيّ طريدةٍ أسقطتها في الغابة المحرّمة. الجميع يعلم ذلك. هذا هو الغرض من طواف الذّئاب في الغابة: إنها حارسات السّرير.

همست سيونا: «ستدفع ثمن هذا غاليًا يا ليتو»، كان صوتها خفيضًا، كخرير الماء الهادئ على عيدان القصب خلفها. «ستدفع ثمن موت غُلُط وقوتِج وكل الآخرين. أُقسم إنك ستدفع الثّمن».

دفعت سيونا نفسها برفق وانسابت مع التّيار حتّى لامست قدماها طرف حافّة ضِفّة ضيّقة. ببطء، وبجسدٍ أنهكه التّعب، خرجت من الماء وتوقّفت للتحقُّق من أن محتويات حقيبتها المُحكمة ما زالت جافّة. كان الختم الواقي سليمًا لم يتلف. حدّقت سيونا هُنيهةً إليه

في ضوء القمر، ثم رفعت نظرها نحو جدار الغابة على الجانب الآخر من النّهر.

*يا لفداحة الثّمن المدفوع! عشرة أصدقاء أعزّاء.*

تلألأت عيناها بالدُّموع، لكنها كانت سليلة الفرمِن القدماء ودموعها عزيزة. كانت مُغامرة عبور النّهر، ثم اختراق الغابة في الوقت الذي كانت فيه دوريّات الذِّئاب تجوب الحدود الشّماليّة، فعبور صحراء السّرير الأخيرة، وتسلُّق أسوار القلعة... كل ذلك بدأ يتحوّل إلى ما يُشبه الحلم في ذهنها... حتّى الفرار من الذِّئاب الذي توقّعته، إذ كانت متأكّدة من حتميّة تقاطع طريق القطيع الحارس مع طريق الدُّخلاء، وأنه سيكون في انتظارهم... كل ذلك صار مُجرّد حُلم، صار ماضيًا.

*لقد هربت!*

أعادت حقيبتها بمظروفها المغلق إلى ظهرها وأحكمت ربطها.

*لقد اخترقت دفاعاتك يا ليتو.*

فكّرت سيونا بعدها في المُجلّدين الغامضين، وشعرت بيقين أن شيئًا مخفيًا في تلك السُّطور المُشفّرة سيمهد لها طريق الانتقام.

*سأقضي عليك يا ليتوا*

ولم تقل *سنقضي عليك!* إذ لم يكن هذا أسلوب سيونا. لسوف تفعلها بمفردها.

استدارت سيونا وأسرعت الخُطى نحو البساتين الواقعة خلف حافّة النّهر المُشذّبة. وفي أثناء مشيها، ما انفكّت تُكرّر قسمها،

مُضيفةً إليه صيغة فرمِنيّة قديمة تبدأ باسمها الكامل بصوتٍ عالٍ:

«أنا، سيونا بنت فؤاد السّيفي آتريديز(5)، من ألعنك يا ليتو. لسوف تدفع ثمن جرائمك كاملًا!».

*النّصّ التّالي من ترجمة هادية بِنوتو للمُجلّدات المكتشفة في دار البلاط:*

وُلِدتُ باسم ليتو آتريديز الثّاني منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قياسيّة، حسابًا من اللّحظة التي أُفكّر فيها بهذه الكلمات فتُطبع. أبي هو پول المؤدّب، وأُمّي هي خليلته الفرمِنيّة تشاني. جدّتي لأُمّي هي فراولة، خبيرة أعشاب بارزة بين الفرمِن. وجدّتي لأبي هي چيسيكا، نتاج مُخطّط استيلاد البِني چيسيرِت في بحثهم عن ذكر يتمتّع بنفس قدرات أُمّهات الأخويّة الموقّرات. جدّي لأُمّي هو لييت كاينز، عالم البيئة الكوكبي الذي نظّم عملية تحويل طبيعة كوكب أرّاكس البيئيّة. وجدّي لأبي هو آتريديز ذاته، سليل آل آتريوس، رجوعًا إلى الأصل اليوناني مباشرةً.

كفانا من هذه الأنساب!

لقي جدّي لأبي مصرعه مثلما لقي كثير من أبطال اليونان مصرعهم، محاولًا قتل عدوّه اللّدود، البارون ڤلاديمير هاركونن الرّاحل. كلاهما يرقد الآن غير مستريح في ذكريات الأسلاف التي تحيا في داخلي. حتّى روح أبي غير مرتاحة. لقد أقدمت على ما خشي أن يفعله، والآن على طيفه مُشاطرة العواقب.

الصّراط الذّهبي يقتضي ذلك. أسمعكم تسألون: وما الصّراط الذّهبي؟ إنه ببساطة المسار الذي فيه نجاة البشريّة، لا أكثر ولا أقل. نحن من نملك قدرة الاستبصار، نحن من نرى المهالك المتربّصة في الاحتمالات المستقبليّة القابعة أمام البشريّة، لطالما حملنا على عاتقنا تلك المسؤوليّة.

مسؤوليّة النّجاة.

أمّا شعوركم حيال الأمر -أفراحكم وأحزانكم التّافهة، بل حتّى آلامكم ونشواتكم- فنادرًا ما يشغلنا. حاز أبي تلك القدرة، وحُزتُها أقوى من بعده. بإمكاننا اختراق حُجُب الزّمن بنظراتنا بين الحين والآخر.

هذا الكوكب المدعو أزّاكس الذي منه أحكم إمبراطوريّتي مُتعدّدة المجرّات لم يعُد مثلما كان يُعرف باسم كثيب. في تلك الأيّام، كان الكوكب بكامله صحراء. أمّا الآن، فلم يبقَ من تلك الصّحراء العظيمة إلّا رُقعةٌ صغيرةٌ، سريري. لم تعُد ديدان الرمال العملاقة تجوب الكوكب بخُرْزيّة مُنتجةً مِزّاج الاسپايس. الاسپايس! لم يكن كثيب ليكون كوكبًا ذا أهمّية إلّا لكونه مصدر المِزّاج... كان المصدر الوحيد! ويا له من مادّة نفيسة! لم ينجح مُختبرٌ قط في استنساخ المِزّاج: إنه أثمن مادّة اكتشفها البشر على الإطلاق.

من دون المِزّاج الذي يُشعِلُ جذوةَ بصيرةِ ملّاحي النّقابةِ الخَطّيّة، سيقطعُ النّاش فراسخَ الفضاءِ الفلكيّةَ ببُطءِ السّلاحف. من دون المِزّاج، لن تؤتي مواهب نساء البِني چيسيرِت أُكُلها، ولن يبلغن مراتب عرّافات الحقيقة والأُمّهات الموقّرات. من دون خصائص المِزّاج المُعمّرة، سيعيش النّاس ويموتون وفقًا لمتوسّط الأعمار القديم: ما لا يزيد على مِئة عام أو نحو ذلك. الآن، كل ما تبقّى من اسپايس موجود بعضه في مخازن النّقابة والبِني چيسيرِت، وبعضه في عددٍ قليل من المخازن الصّغيرة التي تمتلكها ذيول العائلات الكبيرة، والباقي في مخزوني الهائل الذي يشتهونه جميعًا. هاهِ، لكم

يودُّون الإغارة عليّ ونهب مخزوني! لكنهم لا يجرؤون على ذلك، إذ يعرفون أنني سأدمّره بالكامل قبل أن تمسّه أيديهم.

كلّا، بل يأتون إليّ أذِلّة صاغرين يتسوّلون منّي المِزَاج، فأمنحه مُكافأةً، وأضِنُّ به عقابًا، ولكم يكرهون ذلك.

إنه شوكتي، هكذا أخبرهم. إنه هِبتي.

به أصنع السّلام. يعيش النّاس جميعًا في نعيم *سلام ليتو* لأكثر من ثلاثة آلاف عام: سكينة قَسريّة لم تعرفها البشريّة إلا لفترات وجيزة جدًا قبل صعودي إلى الحُكم. لئلّا تَنسوا، راجعوا ما كتبته عن *سلام ليتو* في هذه الدّفاتر، التي هي مُذكّراتي.

بدأت تدوين هذه الدّفاتر في السّنة الأولى من ولايتي، في مخاضِ مراحل تحوُّلي الأولى، حين كنت لا أزالُ بعد إنسانًا في المُجمل، بهيئة لا تزال بشريّة. جلد يرقات الرّمال الذي قبلته (ورفضه أبي من قبلي)، والذي منحني قوّةً مُضاعفةً هائلةً بالإضافة إلى مناعةٍ افتراضيّةٍ ضد الشّيخوخة ومحاولات الاغتيال التّقليديّة، هذا الجلد لا يزال يُغطّي هيئةً بشريّةً يمكن تمييزها: ساقين، وذراعين، ووجهٍ بشري محاط بطيّات ملفوفة من يرقات الرّمال.

هاهٍ لهذا الوجه القديم! ما زلت أحمله. إنه الأثر الوحيد الباقي من جلدي البشري الذي أعرضه للناس، أمّا باقي جسدي فمُغطّى بتلك الأجساد الدُّوديّة الصّغيرة المُقترن بعضها ببعض، والتي يمكن أن تتحوّل مستقبلًا إلى ديدان رمال عملاقة.

كما سيحدث... يومًا ما.

كثيرًا ما أُفكِّر في تحوُّلي الأخير، ذلك الذي سيكون أشبه بالموت. أعرف الكيفيّة التي سيأتي بها، لكنني لا أعرف اللّحظة أو الأطراف التي ستضطلع في الأمر. هذا هو الشّيء الوحيد الذي أعجز عن رؤيته. كل ما أعرفه يقينًا هو استمرار الصّراط الذّهبي من عدمه. وبينما أُفكِّر في هذه الكلمات فتُسجِّل، يستمرُّ الصّراط الذّهبي، ولهذا، على الأقل، أنا راضٍ.

لم أعد أشعر بأهداب يرقات الزّمال وهي تتغلغل في لحمي حابسةً ماء جسدي داخل أغشيتها المشيميّة. نحن جسدٌ واحد تقريبًا الآن؛ هي جبلتي، وأنا القوّة التي تُحرِّك «الكُلّ»... معظم الوقت.

في وقت تدوين هذا السّرد، يجوز قطعًا وصف هذا «الكُل» بأنه بالمُقزِّز. أنا ما يمكن أن يُطلق عليه طور دودي بُدائي. جسدي طوله سبعة أمتار، وقطره أكثر من مترين تقريبًا، ومُجزَّأ إلى فصوصٍ في معظمه، في حين ما يعتلي وجهي الآتريديزي أحد طرفيه بمحاذاة ارتفاع قامة رَجُلٍ، وأسفله مباشرةً تبرز ذراعاي ويداي (التي لا تزال ذات هيئة بشريّة في معظمها). تسأل عن ساقيّ وقدميّ؟ حسنٌ، لقد ضمرت تقريبًا وصارت محض زعانف ملتوية إلى الخلف باتّجاه امتداد جسدي. يبلغ كامل وزني نحو خمسة أطنان. أضيف كل هذه التّفاصيل لأنني أعلم أنها ستصبح ذات أهمّيّة تاريخيّة.

تسألون كيف أتنقّل بمثل هذا الوزن؟ أغلب الوقت على عربتي الملكيّة إيكسيّة الصُّنع. هل فاجأكم الأمر؟ لطالما كره النّاس الإيكسيّين وخشوهم أكثر من كرههم لي وخشيتهم منّي، فالشرُّ الذي تعرفه خيرٌ من شرٍّ تجهله. ومن يدري ما الذي قد يصنعه أو يخترعه

الإيكسيُون؟ من يدري؟

أنا قطعًا لا أعرف، أو على الأقل لا أعرف كل شيء.

لكنني أشعر بتعاطف مُعيّن مع الإيكسيّين. إنهم شديدو الإيمان بتكنولوچيّتهم، وعلمهم، وآلاتهم. ولأن كلانا يؤمن (بغض النّظر عمّا نؤمن به) فأنا والإيكسيُون يفهم أحدنا الآخر. إنهم يصنعون أجهزةً كثيرةً لي، ويظنّون أنهم بذلك يكسبون امتناني. هذه الكلمات التي تقرؤونها الآن طُبعِت بجهاز إيكسيّ، يُدعى المِفلاة. إذا أرسلت أفكاري بطريقة مُعيّنة، تبدأ المِفلاة عملها. كل ما عليّ هو التفكير بهذه الطريقة، فتُطبع الكلمات على ورقٍ بِلّوريٍّ رِديوليٍّ، سُمك الورقة منه جُزيء واحد فقط. أحيانًا آمر بطبع نُسخ على موادّ أقل استدامةً. مجلّدان من النّوع الأخير سرقتهما منّي سيونا.

آهٍ، أوليست عزيزتي سيونا آسرةً؟ مع إدراككم مدى أهمّيتها عندي، قد تتساءلون إن كنت سأدعها تموت حقًّا في الغابة. الموت حدثٌ شخصي جدًّا يخصُّ صاحبه، نادرًا ما أتدخّل فيه، وأبدًا لن أفعلها في حالةِ شخصٍ يجب اختباره، كما يتطلّب الأمر مع سيونا. سأتركها تموت في أيّ مرحلة إن كان هذا قدرها، فبعد كل شيء، بإمكاني تنشئة مرشّحٍ جديد في وقت قصير جدًّا من منظوري للزّمن.

إن سيونا تأسرني أنا نفسي. لقد راقبتها في الغابة، من خلال أجهزتي الإيكسيّة، مُتعجّبًا لماذا لم أتوقّع مثل هذه المُجازفة. لكن سيونا تظلُّ... مُجرّد مرشّحةٍ. لذا لم أحرّك ساكنًا لردع الذّئاب، سيكون من الخطأ إذا فعلت ذلك، فالذّئاب الدّاليّة ليست إلّا امتدادًا لغايتي، وغايتي أن أكون أعظم مفترس عرفه التّاريخ.

*يُنسب مصدر الحوار القصير التّالي إلى مخطوطة تُدعى «شُذفَة وِلبِك»، لمؤلّفتها ذائعة الصّيت سيونا آتريديز. طرفا الحوار هما سيونا نفسها ووالدها مُونِيو، الذي كان (كما تخبرنا جميع المصادر التّاريخيّة) قهرمان بلاط ليتو الثّاني ومساعده الرّئيس. يعود تاريخُ الحوار إلى وقتٍ كانت فيه سيونا لا تزال في سنّ المراهقة، حين زارها والدها في غرفتها في مدرسة «مُحاورات الأسماك» في أونْ، مدينة المهرجان، المركز السّكني الكبير على الكوكب الذي يُعرف الآن باسم راكِس. وفقًا لوثائق المخطوطة، فقد زار مُونِيو ابنته سِرًّا ليُحذِّرها من أنها معرّضة لخطر الموت.*

سيونا: كيف نجوتَ وأنتَ إلى جواره كل هذه السّنوات يا أبي؟ إنه يقتل المقرّبين منه. الجميع يعرف ذلك.

مُونِيو: لا، أنت مخطئة. إنه لا يقتل أحدًا.

سيونا: لا داعي للكذب بشأنه.

مُونِيو: أنا أعني ما أقول. ليتو لا يقتل أحدًا.

سيونا: كيف تفسّر الوفيات المعروفة إذًا؟

مُونِيو: الدُّودة هي التي تقتل. الدُّودة إلهة. ليتو يعيش في كنف إلهة، لكنه لا يقتل أحدًا.

سيونا: كيف تنجو أنت إذًا؟

مُونِيو: بإمكاني تمييز حضور الدُّودة، أراها في وجهه وفي حركاته، أعرف متى تستحوذ عليه شَي هُولود.

سيونا: ليتو ليس شَيْ هُولودا!

مُونِيو: هكذا كانوا يُسمُّون الدُّودة في أيّام الفرمِن.

سيونا: قرأت عن هذا، لكن ليتو ليس إله الصّحراء.

مُونِيو: صه أيّتُها الفتاة الحمقاء! أنت لا تعرفين شيئًا عن هذه الأمور.

سيونا: أعرف أنك جبان.

مُونِيو: يا لقِلّة ما تعرفين! أنت لم تقفي حيث وقفت وشاهدِتها في عينيه، وفي اختلاج يديه.

سيونا: ماذا تفعل حين تتملّكه الدُّودة؟

مُونِيو: أغادر.

سيونا: خيرًا تفعل. لقد قتل تسعةً من غيلان* دانكن آيداهو، نحن على يقين من ذلك.

مُونِيو: أقول لكِ إنه لا يقتل أحدًا!

سيونا: وما الفارق إن كان القاتل ليتو أم الدُّودة؟ إنهما جسدٌ واحدٌ الآن.

مُونِيو: لكنهما ذاتان منفصلتان، ليتو الإمبراطور، والدُّودة الإلهة.

سيونا: أنت مجنون!

مُونِيو: قد أكون كذلك، لكنني خادم الإله.

«أنا مُراقب البشر الأكثر شغفًا في التّاريخ. أراقبهم داخل ذاتي وخارجها. الماضي والحاضر يمكن أن يمتزجا في كياني بتجلّياتٍ غريبة تفرض نفسها عليّ. ومع استمرار التّحوّل في جسدي، تطرأ على حواسّي أمورٌ رائعة. أشعر كأنني أختبر كل شيءٍ عبر مقراب. أمتلك سمعًا وبصرًا فائقي الحِدّة، بالإضافة إلى حاسّةِ شمٍّ استثنائيّةٍ في التّمييز. بإمكاني اكتشاف وتحديد الفِرمونات بنسبة ثلاثة أجزاء في المليون. أعرف ذلك لأني جرّبت. لا أحد يستطيع إخفاء شيءٍ عن حواسّي. ما أستطيع اكتشافه من خلال حاسّة شمّي فحسب قد يرعبك. تخبرني فِرموناتك بما تفعل أو بما أنت مُهيّأ لفعله. وحدّث ولا حرج عن الإيماءات ووضعيّات الجسد. ذات مرّة، مكثتُ أحدّق نصف يومٍ إلى شيخٍ جالس على دكّة في أراكين. كان سليل النّائب* ستِلجار من الجيل الخامس ولم يكن حتّى يعلم ذلك. تفرّست في زاوية رقبته، وترهُّل الجلد أسفل ذقنه، وشفتيه المُشقّقتين، والرُّطوبة أسفل فتحتي أنفه، والمسام خلف أُذنيه، وخصلات الشّعر الرّمادي المتسلّلة من تحت غِطاء بذلة التّقطير العتيقة. لم يشعر ولو للحظة واحدة بأنه مُراقب. هاه! كان ستِلجار ليعرف ذلك بعد ثانية أو اثنتين. لكن هذا الشّيخ كان ينتظر فحسب، ينتظر شخصًا لم يأتِ قط. في النّهاية قام وسار مبتعدًا في ترنُّح. كان جسده متيبّسًا من طيلة الجلوس. علمت أنني لن أراه حيًّا مرّةً أخرى. كان على وشك الموت وقطعًا ماؤه سيُهدر. حسنٌ، لم يعُد ذلك أمرًا مُهمًّا هذه الأيّام».

- المذكّرات المسروقة

شعر ليتو بأن لا مكان في الكون يضاهي أهمّيّة هذا المكان؛ هنا

حيث ينتظر وصول نسخته الحاليّة من دانكن آيداهو. كان فضاءً شاسعًا وفقًا لمعظم المعايير البشريّة، وقلب شبكةٍ مُعقّدةٍ من السّراديب الممتدّة تحت قلعته. من هذه النّواة، تشعّبت حجراتٌ عديدة، بارتفاع ثلاثين مترًا وعرض عشرين مترًا، كأسلاك عجلة درّاجة. كانت عربته متمركزةً في قلب المحور في قاعةٍ دائريةٍ مُقبّبةٍ، يبلغ قطرها أربعمئة متر، ويصل ارتفاعها عند أعلى نقطة فوقه إلى مئة متر.

شعر ليتو بأن هذه الأبعاد تطمئنه.

كان الوقت في القلعة قد جاوز الظّهيرة بقليل، لكن الضّوء الوحيد في قاعته أتى من بعض كُرات الإنارة التي تطفو بعشوائيّة في الهواء، محمولةً بمضادّات الجاذبيّة، ومضبوطةً على وَهجٍ برتقالي خافت. لم يكن الضّوءُ يخترق الغرفَ المُمتدّةَ من حوله، لكن ذكريات ليتو حدّثته بمكان كل شيءٍ بدقّة: الماء، والعظام، وتراب أسلافه، ومرقد كل فردٍ من آل آتريديز عاش ومات منذ أيّام كثيب. جميعهم هنا، بالإضافة إلى حفنة من حاويات المِزّاج لخلق إيهامٍ بأن هذا هو كل مخزونه منه، في حال أن تفاقمت الأمور وبلغت مداها.

كان ليتو يعرف سبب قدوم دانكن. لقد عَلِم آيداهو أن بني تِليلاكس يصنعون دانكنًا آخر، غولًا آخر خُلِق حسب المواصفات التي أوصى بها الإمبراطور الإله. كان الدّانكن الحالي يخشى أن يُستبدل بعد نحو ستّين عامًا من الخدمة. مثل هذه الخوف هو ما كان يُذكِي روح التّآمر في غيلان دانكن، وبالتالي يقوّضها. كان أحد مندوبي النّقابة قد انتظر لقاء ليتو في وقتٍ سابق ليُحذّره من أن الإيكسيّين

قد سلّموا بُندقيّة ليزر إلى هذا الدّانكن.

ضحك ليتو. ما زالت النّقابة شديدة الحساسيّة تجاه أيّ شيءٍ يهدد إمداداتها الضّئيلة من الاسپايس. كانوا مذعورين من فكرة أن ليتو هو حلقة الوصل الأخيرة بديدان الرّمال التي أنتجت احتياطي المِزَاج الأصلي.

*إذا لقيت حتفي بعيدًا عن الماء، فسينعدم الاسپايس.. إلى الأبد!*

كان ذلك هو مصدر ذُعر النّقابة، وقد أكّد لهم مؤرّخوهم أن ليتو يجلس فوق أكبر مخزون من المِزَاج في الكون. هذه المعلومة جعلت النّقابة حليفًا موثوقًا به إلى حدٍّ كبير.

في أثناء انتظاره، مارس ليتو تمارين اليدين والأصابع التي ورثها من البِني چيسيرِت. كانت يداه مصدر فخره، إذ أسفل غشاء جلد اليرقات الرّمادي، كان قادرًا على استخدام أصابعه الطّويلة وإبهاميه المُقابلين كأيّ يدٍ بشريّة عاديّة. أمّا زعنفتاه عديمتا الفائدة اللتان كانتا في السّابق قدميه وساقيه فشكّلتا مصدرَ إزعاج له أكثر من كونهما سوءة. كان بإمكانه الزّحف والتدحرج وقذف جسده بسرعة مذهلة، لكنه كان يسقط أحيانًا على زعنفتيه، وهنا يشعر بالألم.

ما الذي يؤخّر دانكن؟

تخيّل ليتو الرّجل يقف متردّدًا، ينظر من النّافذة عبر أُفُقٍ صحراء السّرير المتموّج. الهواء يرقص من الحرارة اليوم. قبل أن يهبط إلى السّرداب، رأى ليتو سرابًا في الجنوب الغربي، إذ عكست مرآة الحرارة المتوهّجة صورة عبر الرّمال لرهطٍ من الفرمِن الأثريّين

يمشون بتثاقل حول سييتش متحفي في جولة إرشاديّة للسّيّاح.

كان الهواء في السّرداب باردًا دومًا، والإضاءة خافتةً دومًا، والأنفاق الممتدّة في كل اتّجاه فجواتٍ مظلمةً تصعد وتهبط بزوايا لطيفة لتسهيل حركة العربة الملكية. كانت بعض الأنفاق تمتدُّ كيلومتراتٍ عِدّة خلف جدران زائفة: ممرّات أنشأها ليتو بنفسه بأدواتٍ إيكسيّة الصُنع، متاهة من أنفاق التّغذية والسُبل السِرّيّة.

وفيما راح ليتو يُفكّر في اللّقاء القادم، بدأ شعورٌ بالقلق ينمو في نفسه. كان يرى في القلقِ شعورًا جذّابًا، ولطالما عُرِف بأنه يستمتع به. كان ليتو يعلم أنه صار مُولعًا بدانكن الحالي بعض الشّيء، وكان يحدوه أملٌ بأن الرّجل قد ينجو من اللّقاء القادم. أحيانًا كانوا ينجون. ثمّة احتمال ضئيل بأن يُشكّل دانكن تهديدًا مميتًا، لكن يجب ترك هذا الأمر، إن كان، للمصادفة. سبق أن حاول ليتو شرح هذا لأحد غيلان دانكن الأوائل... هنا في هذه الغُرفة.

وقتها قال ليتو: «تظن أنه من الغريب أنا أتحدّث أنا، بكل قدراتي، عن الحظّ والمصادفة».

كان الدّانكن غاضبًا: «أنت لا تترك شيئًا للمصادفة! أنا أعرفك!».

- «كم أنت ساذج. المصادفة طبيعة كوننا».

- «ليست المصادفة! بل الشّرّ، وأنت سيّدُ الشّرّ!».

- «ممتاز يا دانكن! الشّرّ هو غاية المتع. الطّرائق التي نتعامل بها مع الشّرّ هي ما نشحذ به إبداعنا».

- «أنت لم تعد إنسانًا!». لكم كان دانكن غاضبًا في ذلك اليوم.

شعر ليتو بأن اتّهامه له مُزعج، مُزعج كدخول حبّة رمل في عينك. لقد تمسّك ببقايا ذاته البشريّة القديمة بشراسة لا يمكن إنكارها، لكن الشّعور بالانزعاج كان هو أقرب شيءٍ إلى الغضب يمكن أن يصل إليه.

قال ليتو مُتّهمًا: «حياتك بدأت تتحوّل إلى شيءٍ مبتذل».

عندئذٍ أخرج دانكن عبوّة ناسفة صغيرة من بين طيّات ردائه الرسمي. يا للمفاجأة!

كان ليتو يُحِبُّ المفاجآت، حتّى السّيّئة منها.

*هذا شيء لم أتنبّأ به!* وقال ذلك لدانكن صراحةً، الذي للغرابة وقف حائرًا مُتردّدًا بعد أن طُلب منه اتّخاذ قرارٍ حاسم.

قال دانكن: «هذه العبوّة قد تقتلك».

- «للأسف يا دانكن، لن تتسبّب إلّا في إصابة طفيفة لا أكثر».

قال دانكن وقد بدأ صوته يتهدّج: «لكنك اعترفت أنك لم تتنبّأ بهذا».

- «دانكن، أيا دانكن، التنبّؤ المُطلق يعني الموت بالنسبة إليّ، والموت مُضجِرٌ إلى حدٍّ لا يُوصف».

في اللّحظة الأخيرة، حاول دانكن إلقاء العبوّة النّاسفة، لكن المادّة التي في داخلها كانت غير مستقرّة فانفجرت قبل أوانها ولقي دانكن حتفه. هاهِ، لا بأس، فلدى بني تِليلاكس واحدٌ آخر دائمًا في أحواض الاستنساخ الخاصّة بهم.

بدأت إحدى كُرات الإنارة الطافية فوق رأس ليتو تومض، فانتابه الحماس. إنها إشارة مُونِيوا! مُونِيو المخلص ينبّه إمبراطوره الإله بأن دانكن يهبط إلى السّرداب.

انفتح باب المصعد البشري بين ممرّين متشعّبين في القوس الشّمالية الغربية من المركز، وخرج منه دانكن في خطوات واسعة. كان يبدو ضئيلًا من تلك المسافة، لكن عيني ليتو استطاعتا تمييز أدقّ التّفاصيل: تجعُّد قماش زيّه الرّسمي الذي يشير إلى أن الرجل كان مُتّكئًا في مكانٍ ما، يستند بذقنه إلى يده. أجل، كان أثر يده ما زال مطبوعًا على ذقنه. أيضًا، سبقت دانكن رائحته. كان الرّجل ثملًا بالأدرينالين.

ظلّ ليتو صامتًا ودانكن يقترب، مراقبًا كل تفصيلة. ما زال دانكن يمشي بحيويّة الشّباب على سنوات خدمته الطّويلة. الفضل يعود إلى تناوله حدًّا أدنى من الاسپايس. كان الرّجلُ يرتدي الزّيّ الآتريديزي القديم الأسود، المُزيّن بشعار الصّقر الذّهبي على الصّدر الأيمن، في تصريحٍ فخور يقول: «أنا خادم الشّرف الآتريديزي القديم!». ما زال شعره لُبدة خروفٍ سوداء، وملامحه وعظام وجنتيه حادةً بارزةً، كأنما قُدّت من صخر.

فكّر ليتو: *التِليلاكسو يصنعون غيلانًا جيّدة.*

كان دانكن يحمل حقيبةً رفيعةً منسوجةً من أليافٍ بُنّيةٍ داكنة، وهي الحقيبة التي ظلّ يحملها لسنوات عديدة، والتي تحتوي عادةً على المواد التي يستند إليها في تقاريره، لكنها اليوم كانت منتفخةً بوزنٍ أكبر.

*بُندقيّة الليزر إيكسيّة الصُّنع.*

صبّ آيداهو اهتمامه على وجه ليتو وهو يقترب. ما زال وجهه يحمل السّمات الآتريديزية على نحوٍ يبعث على عدم الرّاحة. الملامح النّحيفة والعينان تامّتا الزُّرقة تُشعر مُضطرب النّفس كأنّها دخيلة على جسده. كان وجهه غائرًا متربّصًا في طيّات رماديّة من جلد يرقات الرمال يعلم آيداهو أنها قادرةٌ على تغطيته في رَدّةِ فعلٍ وقائيّة خاطفة: طرفةُ وجهٍ بدلًا من طرفةِ عين. كان وجهه ورديّ اللّون في إطاره الرّمادي، ولم يكن من السّهل تجاهل فكرة أنه يبدو فاحشًا. ملمحٌ من إنسانيّة ضائعة مُحاصر في جبلة غريبة.

لم يحاول آيداهو إخفاء نيّته الغاضبة وهو يتوقّف على بُعد ستّ خطوات فحسب من العربة الملكيّة، بل لم يأبه حتّى إن كان ليتو يعرف بأمر بُندقيّة الليزر أم لا. لشدّة ما انحرفت هذه الإمبراطوريّة عن القيم الآتريديزية القديمة، وصارت طغيانًا هائلًا معدوم الضّمير يسحق الأبرياء في طريقه. لا بُدّ من القضاء عليها!

قال آيداهو: «جئت لأُحدّثك عن سيونا وأمورٍ أخرى»، وحرّك حقيبته إلى وضعٍ يسهل معه سحب بُندقيّة اللّيزر منها.

قال ليتو: «حسنٌ جدًّا»، بصوتٍ يملؤهُ الملل.

- «سيونا هي الوحيدة التي نجحت في الهرب، لكن لا يزال لديها قاعدة من الرّفاق المتمردين».

- «تظن أنني لا أعرف ذلك!».

- «أعرف مقدار تسامُحك الخطر مع المتمرّدين! ما لا أعرفه هو

محتويات ذلك المظروف التي سرقته».

- «آه، هذا الأمر. لقد حازت كامل مخطّطات القلعة».

للحظة، عاد آيداهو قائدَ حرس ليتو، وأصابه هذا الخرق الأمني بصدمةٍ عميقة.

- «وتركتها تهرب بما سرقت؟».

- «كلّا، أنت من تركها تهرب».

بُهت آيداهو من هذا الاتّهام. وببطء، طفت شخصية المُغتال الدّفينة في داخله إلى السّطح واستعادت سيطرتها عليه.

سأل آيداهو: «أهذا كل ما حصلت عليه؟».

- «كان بين الخرائط دفتران، نسختان من مذكّراتي. لقد سرقتهما كذلك».

تفرّس آيداهو في ملامح وجه ليتو الجامدة: «ماذا يوجد في هذه الدّفاتر؟ أحيانًا تقول إنها مذكّرات، وأحيانًا تقول إنها تاريخ».

- «مزيج من الاثنين. بإمكانك حتّى أن تُسمّيها كتابًا مدرسيًّا».

- «هل أنت منزعج لكونها سرقت هذين المجلّدين؟».

أفرج ليتو عن ابتسامة خافتة، ففسّرها آيداهو على أنّها نفي.

سرى توتُّرٌ لحظيٌ في جسد ليتو حين مدّ آيداهو يده داخل الحقيبة الرّفيعة. هل ستخرج يده بالسّلاح أم بالتقارير؟ فعلى أن صميم جسده يتمتّع بمقاومة عالية للحرارة، كان ليتو يعلم أن بعض

أجزاء جسده غير منيعة أمام بنادق اللّيزر، لا سيّما وجهه.

أخرج آيداهو تقريرًا من الحقيبة، وقبل حتّى أن يبدأ قراءته، تبدّت الأمارات واضحةً لليتو. آيداهو لا يُقدّم معلومات، بل يبحث عن إجابات. إنه يبغي تسويغًا للخطّة التي عقد العزم عليها بالفعل.

قال آيداهو: «لقد اكتشفنا طائفة من غُبّاد عالية* على جيدي پرايم».

ظلّ ليتو صامتًا وآيداهو يسرد التّفاصيل. *يا للملل!*. ترك ليتو الحبل لأفكاره. لم يكن غُبّاد أخته من أبيه، الرّاحلة منذ زمنٍ طويل، إلّا مصدرَ تسليةٍ عارضةٍ هذه الأيّام. لكن غيلان دانكن، كما هو متوقّع، كانت ترى في مثل هذه الأنشطة نوعًا من التّهديد الخفي.

أنهى آيداهو قراءة تقريره. كان جواسيسه دقيقين، لا يمكن إنكار ذلك، دقيقين إلى درجة الضّجر.

قال ليتو: «هذا لا يعدو كونه إحياءً لأسطورةِ إيزيس. سيحظى كهنتي وكاهناتي ببعض المتعة في سحق هذه الطّائفة وأتباعها».

هزّ آيداهو رأسه كأنه يرُدُّ على صوتٍ في داخله.

قال: «البِني چيسيرِت على عِلمٍ بالطّائفة».

أخيرًا شيء أثار اهتمام ليتو.

فقال: «الأخويّة لم يسامحنني قط على حرمانهن من مُخطّطهن للاستيلاد الانتقائي».

- «ليس لذلك علاقة بالاستيلاد».

أخفى ليتو استمتاعه الطّفيف. لطالما كانت غيلان دانكن شديدة الحساسيّة فيما يتعلّق بموضوع الاستيلاد، مع أن بعضهم كان يُستخدم أحيانًا فحلًا للتكاثُر.

قال ليتو: «فهمت. حسنٌ، نساء البِني چيسيرِت يعانين ما هو أكثر من جنونٍ بسيط، لكن الجنونَ في حدّ ذاته مستودعٌ فوضويٌ من المفاجآت، وبعض المفاجآت قد تكون ذات قيمة».

- «لا أرى أيّ قيمة في ذلك».

سأله ليتو: «أتظن أن الأخويّة تقف وراء تلك الطّائفة؟».

- «أجل».

- «فَسّر».

- «الطائفة تتعبّد عند ضريح، يطلقون عليه ‹ضريح السّكّين العاجيّة›».

- «حقًّا؟».

- «وكبيرة الكاهنات تُسمّى ‹حارسة ضوء چيسيكا›. ألا يُوحي لك ذلك بأيّ شيء؟».

لم يحاول ليتو إخفاء استمتاعه بالأمر، وقال: «هذا جميل!».

- «ما الجميل في الأمر؟».

- «لقد وحّدوا جدّتي وخالتي في إلهةٍ واحدة».

هزّ آيداهو رأسه ببطء من جانب إلى آخر في عدم فهم.

سمح ليتو لنفسه بوقفةٍ داخليّةٍ قصيرة، أقصر من طَرفةِ عين. الجدّة الكامنة في داخله لم تكن ترتاح كثيرًا لتلك الطّائفة المزدهرة على جيدي پرايم، فتحتّم عليه أن يعزل ذاكرتها وهويّتها خلف جدارٍ.

سأل ليتو: «ما الغرض من هذه الطّائفة برأيك؟».

- «الأمر واضح. خلق دين منافس لتقويض نفوذك».

- «هذا تبسيط زائد. فمع جميع مثالب البِني چيسيرِت، هن لسن غبيّات».

انتظر آيداهو التّفسير.

قال ليتو: «إنهن يردن مزيدًا من الاسپايس! مزيدًا من الأُمّهات الموقّرات!».

- «لذا يحاولن إزعاجك حتّى ترشوهن؟».

- «يا لخيبة أملي فيك يا دانكن».

اكتفى آيداهو بالتّحديق إلى ليتو، الذي أطلق تنهيدة، وهي لفتة بشريّة دخيلة على هيئته الجديدة، تتطلّب مجهودًا لافتعالها. كانت غيلان الدّانكن أفطن في العادة، لكن ليتو افترض أن المؤامرة التي يُبطِنها هذا قد شوّشت نباهته.

قال ليتو: «لقد اخترن جيدي پرايم وطنًا لهن. بِمَ يوحي ذلك؟».

- «الكوكب كان معقل الهراكنة، لكن هذا تاريخٌ عتيقٌ».

- «أختك ماتت هناك، على يد الهراكنة. من الطّبيعي أن يكون الهراكنة وجيدي پرايم كيانًا واحدًا في رأسك. لماذا لم تذكر هذا في

وقت سابق؟».

- «لم أظن أنه أمرٌ مهمٌ».

زمّ ليتو شفتيه في خطٍّ رفيع. لقد انزعج دانكن من ذكر أُختِه. كان الرّجُل يعي أنه ليس سوى الحلقة الأحدث في سلسلة طويلة من الإحياءات الجسديّة، كل أفرادها منتجات أحواض الاستنساخ التِليلاكسويّة، منتجات مُستمدّة من الخلايا الأصلية ذاتها. لم يكن أمام دانكن مناص من ذكرياته التي أُحييت فيه، وكان يعي جيّدًا أن آل آتريديز أصحاب فضلٍ عليه، إذ أنقذوه من استعباد الهراكنة.

فكّر ليتو: *وبغضّ النّظر عمّا آلت إليه جبلتي، فأنا ما زلت آتريديزيًا.*

سأله آيداهو: «ما الذي تحاول قوله؟».

قرّر ليتو أن الأمر يتطلّب صيحة عالية: «الهراكنة كانوا من كانزي الاسپايس!».

نكص آيداهو على عقبيه خطوةً كاملةً.

واصل ليتو بصوتٍ خفيض: «على جيدي پرايم مخزون اسپايس غير مُكتشف، والأخويّة تحاول الوصول إليه مستخدمات حيلهن الدينية كغِطاء».

شعر آيداهو بالخزي، فبمُجرّد أن قيل الأمر، بدا واضحًا كالشّمس.

*لكني لم ألاحظه*، هكذا فكّر.

رجّته صيحة ليتو من الدّاخل وأعادته إلى دوره الأصلي: قائد الحرس الإمبراطوري. كان آيداهو يعلم كيف يُدار الاقتصاد في

الإمبراطورية، وهو اقتصاد مُبسّط إلى أقصى درجة: الفوائد غير مسموح بها، والدّفع نقدًا عند التّسليم. العملة الوحيدة المتداولة تحمل وجه ليتو الغائر المُقلنس بالجلد: وجه الإمبراطور الإله. لكن الاقتصاد بزمّتِه مبني على الاسپايس، وهي مادة قيمتها، على غلوّها، لا تنفك تزداد. كان بإمكان المرء أن يحمل في حقيبته اليدويّة ما يساوي ثمن كوكبٍ كامل.

*«تحكّموا في المحاكم وفي سك العملة، واتركوا الباقي للرعاع»*، هكذا فكّر ليتو. هذا قول الرّاحل چِكوب بروم(6)، وقد سمع ليتو الرّجل العجوز يقهقه داخله. *«لم تتغيّر الأمور كثيرًا يا چِكوب»*.

أخذ آيداهو نفسًا عميقًا وقال: «يجب إخطار ‹مكتب الإيمان› على الفور».

ظلّ ليتو على صمته.

عدّ آيداهو صمت ليتو إشارةً للاستمرار، فواصل تقريره، لكن ليتو لم يُعره إلّا شذرةً من وعيه، كأن نظام مُراقبة يُسجّل حركات وكلمات آيداهو بشكلٍ روتيني فحسب للتعليق عليها داخليًا:

*والآن* يريد أن يتحدّث عن التِليلاكسو.

*هذه منطقة خطرة عليك يا دانكن.*

لكنّ هذه الخاطرة فتحت أمام ليتو سبيلًا جديدًا للتأمّل.

*لا يزال التِليلاكسو الماكرون ينتجون غيلان دانكن من الخلايا الأصليّة المحفوظة. إنهم يأتون أمرًا محرّمًا دينيًا، وكلانا يعرف ذلك. أنا لا أسمح بالتلاعب بالچينات البشرية، لكن التِليلاكسو يعرفون كم*

أعتزُّ بتقليد الدّناكنة منصب قادة الحرس، ولا أظن أنهم يرتابون في قدر المتعة والتسلية التي يجلبها هذا الأمر إليّ. كم يسرُّني أن نهرًا يحمل اسم آيداهو يجري الآن حيث كان ينتصب جبلٌ شامخ. لم يعد الجبل موجودًا، إذ دككناه للحصول على المواد اللّازمة لبناء الجدران العالية التي تحيط بسريري.

بالطبع، يعلم التِليلاكسو أنني أستخدم الدّناكنة في مُخطّطي الخاص للاستيلاد. الدّناكنة يمثّلون قوة هجينة... بل ما هو أكثر من ذلك بكثير. كل نارٍ موقدة يجب أن يكون لها مُخمِّد.

كان في نيّتي تزويج هذا الدّانكن بسيونا، لكن رُبّما لم يعُد ذلك ممكنًا الآن.

هاه! ها هو ذا يقول إنه يريدني أن «أتّخذ إجراءات صارمة» ضد التِليلاكسو. لِمَ لا يسألني السّؤال مباشرة؟ «هل تستعد لاستبدالي؟».

لكم يغريني إخباره.

مرّةً أخرى، دسّ آيداهو يده في الحقيبة الرّفيعة، لكن مراقبة ليتو الباطنيّة لم تُفوّت شارِدة.

أهي بُندقيّة اللّيزر أم مزيدٌ من التقارير؟ إنها الأمر الثّاني.

ما زال الدّانكن حذرًا. إنه لا يريد التّأكُّد من أنني أجهل نيّاته فحسب، بل يريد مزيدًا من «الأدلة» على أنني لا أستحقُّ ولاءه. إنه يطيل في تردُّده. لطالما كان كذلك. لقد أخبرته أكثر من مرّة أنني لن أستخدم بصيرتي للتنبُّؤ بلحظة مماتي وخروجي من هذه الهيئة العتيقة. لكنه يشك. لطالما كان شكّاكًا.

هذه الحُجرة الغائرة كالكهف تبتلع صوته، ولولا حواسّي المُرهفة، لأخفت الرُّطوبة هنا رائحة مخاوفه الكيميائيّة عنّي. سأُخفِض صوته من وعيي المُباشر. لكم صار هذا الدّانكن مُملًا! إنه يعيد سرد التّاريخ، تاريخ تمرُّد سيونا، ولا شك في أنه سينهي هذا بعتابٍ شخصي فيه نُصح بخصوص هروبها الأخير.

إنه يقول: «هذا ليس بتمرُّدٍ عادي».

انتشلتني عبارته الأخيرة من خِضم أفكاري! أحمق. كل التمرُّدات عاديّة ومملّة في النّهاية. كلها نسخٌ من نمطٍ واحد، ويشبه أحدها الآخر. القوّة الدّافعة لها هي إدمان الأدرينالين، والرّغبة في السُّلطة. كل المتمرّدين أرستقراطيّون مُتخفُّون، لذا يسهُل عليّ استقطابهم.

لِمَ لا يستمع إليّ الدّناكنة مطلقًا حين أُخبرهم بهذا الأمر؟ لقد جادلت هذا الداكن في الأمر من قبل؛ كانت تلك إحدى أقدم المواجهات التي دارت بيننا هنا في السّرداب.

وقتها قال: «فنُّ الحُكم يتطلّب عدم تسليم زمام المُبادرة للعناصر المتطرّفة أبدًا».

يا له من متحذلق! المُتطرّفون يظهرون في كل جيل، ولا ينبغي لك أن تحاول منع ذلك. هذا ما عناه حين قال «تسليم زمام المُبادرة». إنه يريد أن يسحقهم، أن يقمعهم، أن يتحكّم بهم، أن يكبحهم. إنه المثال الحيّ على أن الفارق بين العقليّة البوليسيّة والعقليّة العسكريّة ضئيل.

أخبرته: «لا يُخشى جانب المتطرّفين إلّا حين تحاول قمعهم. عليك

أن تُظهر أنك ستستفيد من أفضل ما يقدّمونه».

- «إنهم خطرون. إنهم خطرون!». يظن أنه بالتكرار سوف يخلق حقيقةً ما.

ببطء، خطوةً بخطوة، أشرح له أسلوبي، فيُظهر لي سيماء الاستماع.

- «هنا يكمن ضعفهم يا دانكن. دائمًا ما يرى المتطرّفون الأمورَ بطريقة مُبسّطة تمامًا: أبيض وأسود، خير وشر، هم ونحن. وبتعاملهم مع المسائل المعقّدة بهذه الطّريقة، يفتحون الطّريق أمام الفوضى. فنُّ الحكم، كما سمّيته، هو التّحكُّم في الفوضى».

- «لا أحد يستطيع التّعامل مع كل مفاجأة».

- «مفاجأة؟ من تحدّث عن المفاجأة؟ الفوضى ليست بمفاجأة. إن لها خصائص يُمكن التنبُّؤ بها. إنها، على سبيل المثال، تقوّض النّظام وتحفّز القوى المتطرّفة على جانبي الصّراع».

- «أليس هذا ما يحاول المتطرّفون فعله؟ ألا يحاولون زعزعة الاستقرار كي تتسنّى لهم السّيطرة؟».

- «هذا ما يظنون أنهم يفعلون. لكنهم في الحقيقة يخلقون متطرّفين جُدد، راديكاليين جدد، ويواصلون العملية القديمة».

- «ماذا عن المتطرّف القادر على رؤية التّعقيدات ومهاجمتك من هذا المُنطلق؟».

- «هذا ليس بمتطرّف، بل منافس على الزّعامة».

- «لكن ماذا تفعل حياله؟».

- «إمّا أن تستميله، وإمّا أن تقتله. هكذا نشأ الصّراع على الزّعامة قديمًا، في أدنى مستوياته».

- «صحيح، لكن ماذا عن المُخلّصين المنتظرين، الرّموز المِسيانيّة؟».

- «مثل أبي؟».

لم يحب الدّانكن هذا السّؤال، إذ في قرارة نفسه يعلم أنني وأبي، بطريقة خاصّة جدًا، الشّيء نفسه. يعلم أنني أستطيع التّحدّث بصوت أبي وشخصيّته، وأن ذكرياته في داخلي دقيقة، لم تُحرّف، ولا يمكن تجاوزها.

في تردّدٍ قال: «حسنًا... إن رأيت ذلك».

- «دانكن، أنا كل هؤلاء وأعلمهم جيّدًا. ليس في التّاريخ متمرّدٌ غير أناني حقًّا، بل مُجرّد منافقين. والأمر سواء إن كانوا منافقين واعين لنفاقهم أم غير واعين».

أثار قولي هذا عشّ دبابير صغير بين ذكريات أسلافي. فبعضهم لم يتخلّ قط عن اعتقاده أنه الوحيد الذي يملك مفتاح حلّ جميع مشكلات البشريّة. حسنًا، في هذا الأمر، هم مثلي. بإمكاني التعاطف معهم حتّى وأنا أخبرهم أن فشلهم في مسعاهم دليلٌ في حدّ ذاته على إخفاقهم.

لكنني مُضطرّ إلى حجبهم عن ذهني، إذ لا جدوى من التّفكير فيهم. فهم الآن لا يعدون كونهم تذكيرات مؤلمة... كما هي حال هذا

*الدّانكن الذي يقف أمامي ببُندقيّته...*

*بحق الآلهة السُفليّة العظيمة! لقد باغتني في شرودي! ها هو ذا يحمل بُندقيّة اللّيزر في يده ويصوّبها إلى وجهي.*

- «أنت يا دانكن؟ أنت أيضًا خنتني؟».

*حتّى أنت يا بروتس؟*

اسْتنفِرت كل ذرّة في وعي ليتو. شعر بجسده يختلج، وصار لجسد الدُودة إرادة مُستقِلّة.

تكلّم آيداهو بنبرة ساخرة: «قُل لي يا ليتو: كم مرّة عليّ أن أسدّد دين الولاء؟».

ميّز ليتو تساؤله الآخر المُبطّن: «*كم واحدًا منّي أتيت به إلى الوجود؟*». لطالما أراد الدّناكنة معرفة هذا. كل دانكن سأل هذا السُؤال ولم ترضهم أيّ إجابة. كانوا في ريبةٍ من أمرهم.

سأل ليتو بصوت المؤدّب بأحزن نبرةٍ ممكنة: «ألا تشعر بالفخر بإعجابي بك يا دانكن؟ ألم تتساءل يومًا ما الذي يُميّزك في نظري ويجعلني أبتغي أن تكون رفيقي الدّائم عبر القرون؟».

- «بلى، لأنك تعرف أنني الأحمق الأكبر!».

- «دانكن!».

كان يُمكن الاعتماد دومًا على صوت المؤدّب الغاضب لتحطيم إرادة آيداهو. فمع أن آيداهو كان يعلم حقيقة أن ما من امرأة من البِني چيسيرِت أتقنت قوى الصّوت كما أتقنها ليتو، لم يكن في

مقدوره ألّا يقع تحت تأثير هذا الصّوت تحديدًا. ارتجفت بُندقيّة اللّيزر في يده.

وكان هذا كافيًا. اندفع ليتو متدحرجًا من العربة بسرعة خاطفة. لم يسبق لآيداهو أن رأى ليتو يغادر العربة بهذه الطّريقة، ولم يخطر بباله حتّى أن هذا ممكنًا. أمّا من جانب ليتو، فكانت ردّةُ الفعلِ تلك تتطلّب شرطين فحسب: تهديدًا حقيقيًا يمكن لجسم الدُّودة استشعاره، وإطلاقه العنان لذلك الجسم. أما الباقي فيحدث تلقائيًا، ولطالما أدهشت سرعة حدوث الأمر ليتو ذاته.

كانت بُندقيّة اللّيزر مصدر قلقه الرّئيس، فبإمكانها أن تؤذيه بشدة، لكن قِلّة من الناس كانوا يدركون قدرة جسد الدُّودة البدائي على التّعامل مع الحرارة.

صدم ليتو آيداهو في تدحرُجه، فانحرف شعاع البُندقيّة حين انطلق. اِلتوت إحدى الزُّعنفتين عديمتي الفائدة اللتين كانتا في السّابق ساقي وقدمي ليتو تحته، فأرسلت تيّار ألمٍ صَعق وعيه. للحظة، استحوذ الألم على كل حواسّه، لكن جسد الدُّودة كان مُطلق العنان وحُرًّا في التصرف، وقد أثارت ردود فعله تجاه الألم نوبة عنيفة من التقلُّب. سمع ليتو صوت العظام تتكسّر، وانزلقت بُندقيّة اللّيزر بعيدًا على أرضيّة السّرداب بعد رعشة تشنُّجيّة من يد آيداهو.

تدحرج ليتو مبتعدًا عن آيداهو، واستعد لشنّ هجومٍ جديد، لكن لم يكن لذلك حاجة. كانت الزُّعنفة المصابة ما زالت ترسل إشارات الألم، وشعر بأن طرف الزعنفة قد انثنى وقُطع. لكن جلد يرقات الرّمال كان قد سدّ الجرح بالفعل، وبالتدريج راح الألم يخفت ويستحيل إلى

نبضٍ مُمضٍّ قبيح.

اختلج جسد آيداهو. لا شك في أنه أُصيب إصاباتٍ مُميتة. كان من الواضح أن صدره تهشّم، وكان جليًا أنه يتعذّب وهو يلتقط أنفاسه، لكنه فتح عينيه وحدّق إلى ليتو.

فكّر ليتو: *يا للإصرار البادي في هاتين الهِبتين الفانيتين!*

شهق آيداهو هامسًا: «سيونا...».

ثم شاهد ليتو الحياة تغادر جسده في لحظتها.

فكّر ليتو: *حسنٌ، هذا مثير للاهتمام. أمن الممكن أن يكون هذا الدّانكن وسيونا... لا! لطالما أظهر هذا الدّانكن ازدراءً حقيقيًا ساخرًا لحماقات سيونا.*

عاد ليتو وتسلّق عربته الملكيّة. كانت منيّته وشيكةً هذه المرّة. لا شك في أن الدّانكن كان يصوّب إلى المخ. لطالما أدرك ليتو أن يديه وقدميه نقاط ضعفٍ فيه مُعرّضةً للخطر، لكنه لم يسمح لأحد بمعرفة أن ما كان دماغه في الماضي لم يعد مُرتبطًا بوجهه مباشرةً. لم يعُد حتّى دماغًا ذا أبعاد بشريّة، بل ينتشر في أورامٍ عُقديّة في جميع أنحاء جسده. لم يُخبر ليتو أحدًا بذلك إلا مُذكّراته.

«آهٍ لما رأيتُ من أراضٍ! ولما شَهدتُ من أقوام! آهٍ لترحال الفرمِن البعيد، وما تفرّع عنه، رجوعًا عبر متاهة الأساطير إلى تيرا(7). آهٍ لما تعلّمت من دروسٍ في الفلك والدّسائس، وفي الهجرات، وفي الفرار العشوائي، وفي الجري المُتعِب للأرجل والرّئات عبر ليالٍ لا حصر لها على ذرّات الغبار الكونيّة التي نُسمّيها عوالم، حيث استمتنا ونستميت في الدّفاع عن ممتلكاتنا الفانية. أقولها لكم، الجنس البشري أعجوبةٌ حقّةٌ، وذكرياتي لا تدع مجالًا للشكّ في ذلك».

- المذكّرات المسروقة

كانت المرأة الجالسة تعمل إلى مكتب الحائط الصّغير أكبر حجمًا من الكُرسيّ الضّيق الذي تجلس عليه. في الخارج، كان النهار قد انتصف، لكن لم يكن في هذه الغُرفة عديمة النّوافذ، الغُرفة المطمورة عميقًا أسفل مدينة أونْ، غير كُرة إنارة واحدة تطفو عاليًا في أحد أركانها، مضبوطةً على لونٍ أصفر دافئ، لكن الضّوء فشل في تبديد رماديّة أرجاء الغُرفة الصّغيرة. كانت الجدران والسّقف مُغطّاة بألواحٍ مستطيلة متطابقة من معدنٍ رماديٍّ باهت.

إلى جانب المكتب، لم يكن في الغُرفة سوى قطعة أثاث أخرى فحسب، وهي سرير نقّال ضيّق ذو حشية رقيقة مُغطّى ببطّانيّة رماديّة خالية من أيّ زخارف. كان من الواضح أن أيًا من قطعتي الأثاث لم تُصمّم لتناسب شاغلةَ الغُرفة.

كانت المرأة ترتدي منامةً زرقاء داكنةً من قطعة واحدة، شُدّ نسيجها بإحكام عند كتفيها العريضتين وهي منحنية على المكتب. أضاءت كُرة الإنارة شعرهَا الأشقرَ القصيرَ وجانبَ وجهِها الأيمن،

ما أبرز كُتلة فكّها المربّع، الذي راح يُتمتم بكلماتٍ صامتة فيما تنقر أصابعها الغليظة بحرص لوحة مفاتيح رقيقة على المكتب. كانت تتعامل مع الآلة باحترام بالغ، بدأ برهبة وتحوّل مع الوقت إلى إثارة عارمة، لكن طول الأُلفة مع الآلة لم يقضِ على أيٍّ من الشعورين.

وبينما هي تكتب، ظهرت الكلمات على شاشة مخفيّة داخل مستطيل الحائط الذي انكشف مع طيّ المكتب إلى الأسفل.

كتبت: «تُواصِل سيونا أفعالها التي تُنبئ بهجوم عنيف على شخصِك المقدّس. لا تزال سيونا عازمةً على هدفها المعلن دون تراجع. أخبرتني اليوم أنها ستعطي نُسخًا من الكتابين المسروقين إلى أطرافٍ لا يمكن الوثوق بولائها لك. المُستلمون المُشار إليهم هم البِني چيسيرِت والنّقابة والإيكسيين. تقول إن الكتابين يضُمّان كلمات جلالتك المُشفّرة، وهي بهذه الهديّة تطلب المساعدة في ترجمة كلماتك المقدّسة.

مولاي، لا أعلمُ أيّ وُحِيٍّ عُظمى قد تخفيها تلك الصّفحات، لكن إن كانت تحتوي على أيّ شيءٍ يُهدّد شخصك المقدّس، فأتوسل إليك أن تعفيني من نذر الطّاعة لسيونا الذي أخذته على نفسي. لا أفهم لِمَ جعلتني أتعهّد بهذا النّذر، لكنني أخشاه.

ما زلت أمَتك المخلصة، نائلة*».

أنّ الكرسي مع اتّكاء نائلة خلفًا وهي تُفكّر في كلماتها. غرقت الغُرفة في صمتٍ شبه تام بفضل العزل السّميك، ولم يُسمع فيها سوى أنفاس نائلة الخافتة ونبض الآلات البعيد الذي شعرت بذبذبته

في الأرضيّة أكثر ممّا سمعت موجاته في الهواء.

حدّقت نائلة إلى رسالتها الظّاهرة على الشّاشة. وبما أنها كانت موجّهة إلى عيني الإمبراطور الإله وحدهما، كانت تتطلّب ما هو أكثر من مُجرّد صدقٍ بالغ. كانت تتطلّب سلامة نيّة عميقة وجدتها نائلة مُرهقةً. في النهاية، أومأت نائلة وضغطت الزّر الذي سيشفّر الكلمات ويُعدّها للإرسال. خافضةً رأسها، دعت نائلة في صمتٍ قبل أن تُخفي المكتب داخل الجدار. كانت تعلم أن هذه الأفعال ستنقل الرّسالة، فقد زرع الإله ذاته جهازًا ماديًّا في رأسها، وحلّفها بالسِرّيّة، وحذّرها من أنه قد يأتي يومٌ يتحدّث فيه إليها عن طريق الشّيءِ الكامن في جمجمتها. لكنه لم يفعل ذلك قط. كانت تشكّ في أن الإيكسيّين هم من صنعوا الجهاز، إذ كان يحمل بعض بصماتهم. لكن الرّبّ نفسه هو من فعل بها ذلك، لذا لها أن تطمئن وأن تتجاهل الشّكّ الذي يراودها في احتماليّة أن يكون في الجهاز حاسوبٌ، أن يكون الجهازُ محظورًا بموجب المعاهدة الكُبرى.

«لا تصنعوا آلاتٍ تُحاكي العقلَ البشريّ».

ارتجفت نائلة من الفكرة. بعدها نهضت وحرّكت الكُرسيّ إلى مكانه المُعتاد جوار الفراش. كان جسدُها المفتول الثّقيل يَشدُّ الثّوب الأزرق الرّقيق، واتّسمت حركاتها بتأنٍّ ثابت، كحركة شخصٍ يتكيّف باستمرار مع قوّة بدنيّة كبيرة. استدارت عند السرير وفحصت المكان الذي كان فيه المكتب. لم يكن به الآن سوى لوحٍ رماديٍّ مستطيلٍ ككل الألواح الأخرى في الغُرفة. لا أثرَ لخيطٍ وبرٍ، ولا لشعرةٍ؛ لا شيءَ عالقٌ يكشف السّرّ الذي يخفيه اللّوح.

أخذت نائلة نفسًا شهيقًا عميقًا مُنعشًا وخرجت من باب الغُرفة الوحيد إلى ممرٍّ رماديٍّ تضيئه بخفوت كُراتُ إنارةٍ بيضاء متباعدة. كانت همهمة الآلات هنا أعلى. انعطفت نائلة يسارًا وبعد بضع دقائق كانت مع سيونا في غُرفة أكبر قليلًا، تتوسّطها طاولة زُثّبت عليها الأغراض المسروقة من القلعة. أضاءت كُرتا إنارة فضّيتان المشهدَ: سيونا جالسةً إلى الطّاولة، وإلى جانبها يقف مُساعد يُدعى توپري.

كانت نائلة تَكِنُّ إعجابًا حقودًا لسيونا، أمّا توپري فكان رجُلًا لا يستحق سوى البغض. كان بدينًا عصبيًا أخضر العينين جاحظهما، أفطس الأنف ذا شفتين رفيعتين فوق ذقنٍ غائر، يصرصر وهو يتحدّث.

- «تعالي وانظري يا نائلة! انظري ماذا وجدت سيونا مضغوطًا بين صفحات هذين الكتابين».

أوصدت نائلة باب الغُرفة الوحيد.

قالت نائلة: «أنت شخص ثرثار يا توپري، شخصٌ أهوج. ما أدراك إن كنت وحدي في الممرّ أم لا؟».

شحب لونُ توپري، واحتلّ وجهه عبوسٌ غاضِب.

قالت سيونا: «أخشى أنها مُحِقّة. ما الذي جعلك تظُنُّ أنني أريد لنائلة أن تعلم أمر اكتشافي؟».

- «أنت تأتمنينها على كل شيء!».

وجّهت سيونا انتباهها إلى نائلة، وسألتها: «أتعلمين لِمَ أثق بك يا نائلة؟». طُرِحَ السّؤال بنبرة محايدة خالية من المشاعر.

قمعت نائلة موجة خوفٍ مفاجئة اعترتها. هل اكتشفت سيونا سِرّها؟

*هل خذلت ربّي؟*

سألتها سيونا: «ألا تملكين ردًا على سؤالي؟».

أجابت نائلة بسؤالٍ: «وهل سبق أن أعطيتك سببًا لئلّا تثقي بي؟».

سألتها سيونا: «ليس هذا سببًا كافيًا للثّقة. لا وجود لشيء اسمه الكمال، لا في الإنسان ولا في الآلة».

- «لماذا إذًا تثقين بي؟».

- «لأن أقوالك تتّفق مع أفعالك دومًا، وتلك صفةٌ رائعة. على سبيل المثال، أنت لا تُحبّين توپري، ولا تحاولين إخفاء كراهيتك له على الإطلاق».

ألقت نائلة نظرةً على توپري، الذي تنحنح.

ثم قالت: «لأني لا أثق به».

تبادرت الكلمات إلى ذهن نائلة فلفظها فَمُها دون تفكير. فقط بعد أن نطقت بها أدركت منبع كراهيتها الحقيقي لتوپري: هذا رجُلٌ قد يخون أيّ شخصٍ لتحقيق مكسبٍ شخصيّ.

*هل اكتشف أمري؟*

بملامح ما زال يعتليها العبوس، قال توپري: «لن أقف هنا وأتقبّل إهاناتك»، ثم همّ بالمغادرة، لكن سيونا رفعت يدًا زاجرةً، فتوقّف

توپري متردّدًا.

قالت سيونا: «مع أننا نتفوّه بكلمات الفرمِن القديمة، ومع أننا أقسمنا على الولاء بعضنا إلى بعض، فليس هذا ما يبقينا متماسكين. كل شيء مَرَدّهُ الأداء. هذا كل ما أقيسه. أيفهم كلاكما ذلك؟».

أومأ توپري تلقائيًا، لكن نائلة هزّت رأسها من جانبٍ إلى آخر.

رفعت سيونا وجهها إليها وابتسمت: «أنت لا تتّفقين مع قراراتي دائمًا، أليس كذلك يا نائلة؟».

- «بلى».

انتزِعت الكلمة منها انتزاعًا.

- «ولم تحاولي قطّ إخفاء خلافك معي، ومع ذلك فأنت تطيعيني دائمًا. لماذا؟».

- «هذا ما أقسمت على فعله».

- «لكنني أخبرتك أن هذا ليس كافيًا».

أدركت نائلة أنها تتعرّق، وأن تصرّفاتها تفضحها، لكنها لم تقوَ على التّحرّك. *ماذا عساي أن أفعل؟ لقد أقسمت إلى الرّبّ أن أطيع سيونا، لكنني لا أستطيع إخبارها بهذا.*

قالت سيونا: «يجب أن تجيبي عن سؤالي. أنا آمرك بذلك».

التقطت نائلة أنفاسَها. هذه هو المأزق الذي طالما خشيته أكثر من غيره. لم يكن أمامها مخرج. دعت بدُعاءٍ صامت ثم قالت بصوت خفيض:

- «لقد أقسمت بالرّبّ أن أطيعك».

صفّقت سيونا بيديها في سعادة وضحكت قائلة: «كنت أعلم ذلك!».

قهقه توپري.

قالت سيونا: «اخرس يا توپري، فأنا أحاول تلقينك درسًا. أنت لا تؤمن بشيء، ولا حتّى بنفسك».

- «لكنني...».

- «قلت اصمت. نائلة تؤمن، وأنا أومن. هذا هو ما يجمعنا. الإيمان».

بدا توپري مشدوهًا: «الإيمان؟ أتؤمنين بـ...».

- «ليس بالإمبراطور الإله يا مُغفّل! نحن نؤمن بأن قوّة عُليا ستقتصّ من الدُودة الطّاغية. نحن تلك القُوّة العليا».

أخذت نائلة شهيقًا مرتجفًا.

قالت سيونا: «لا بأس يا نائلة، فلا يهمّني المصدر الذي تستمدّين منه قوّتك، ما دُمتِ تؤمنين».

تمكّنت نائلة من الابتسام، ثم اتّسعت ابتسامتها، إذ لم يسبق لها أن تأثّرت بمقدار حِكمة رَبّها كما تأثّرت في هذه اللّحظة. *لي أن أنطق بالحقيقة، ولن تخدم إلّا مصلحة رَبّي!*

قالت سيونا: «دعيني أرِك علامَ عثرت بين دفّتي هذين الكتابين»، ثم أشارت إلى بعض الأوراق العادية على الطّاولة وأردفت:

«مضغوطًا بين الصفحات».

خطت نائلة مقتربةً من الطّاولة ونظرت إليها.

- «أوّلًا، لدينا هذه». قالتها سيونا وهي ترفع شيئًا لم تلاحظه نائلة. كان خيطًا رفيعًا من شيءٍ ما... شيءٌ بدا كأنه...

سألت نائلة: «وردةٌ؟».

- «كانت مضغوطة بين صفحتين، وعلى الورقة مكتوب ما يلي».

انحنت سيونا فوق الطّاولة وقرأت: «خصلة من شعر غنيمة، مع زهرة عبّاد نجمٍ أهدتها لي ذات مرّة».

رفعت سيونا بصرها إلى نائلة وقالت: «يبدو أن إمبراطورنا الإله عاطفي. هذا ضعفٌ فيه لم أتوقّعه».

سألت نائلة: «غنيمة؟».

- «أخته! تذكّري التّاريخ الشّفهي الذي تعلّمتيه».

- «آه.. أجل، صحيح. الصّلاة على غنيمة».

- «الآن، أنصتي إلى هذا»، قالتها سيونا وأخذت صفحة أخرى وقرأت منها.

«الشّاطئ رماديٌّ كوجهِ ميت؛

والموج الأخضر يعكس غيومًا متموّجةً

أقف على حافةٍ مبلّلة داكنة

يغسل الزّبد البارد أصابعي

وأشم عطن الأخشاب الطّافية».

رفعت سيونا بصرها إلى نائلة مجدّدًا، وقالت: «إلى جوار هذا مكتوب: ‹الكلمات التي كتبتها حين أتاني خبر وفاة غنيمة›. ماذا تستنتجين من ذلك؟».

- «أنه... كان يُحبُّ أختَه».

- «أجل، إنه قادر على الحُبّ، لا ريب! لقد صار في قبضتنا الآن».

«أنغمس أحيانًا في أسفارٍ لا يقدر عليها مخلوقٌ آخر. أغوص داخليًا إلى أعماق ذكرياتي، وكتلميذٍ يكتب تقريرًا عن رحلة العطلة المدرسيّة، أختار موضوعًا. ليكن... المفكّرات الإناث! أبحِر بالزّمن إلى الوراء، عبر المحيط الذي هو أسلافي. أنا حوتٌ عظيم مُجنّح يسبح في الأعماق، ينفتح فكّا وعيي فأغرف منهما غرفًا. أحيانًا... أحيانًا أتتبّع شخصيّات بعينها مُسجّلةً في تاريخنا. يا لها من متعة أن أعيش حياةَ شخصيّةٍ ما! وأحاكي باستهزاء الادّعاءات الأكاديميّة التي من المفترض أنها تُشكّل سيرته الذّاتيّة».

- المذكّرات المسروقة

نزل مُونِيو إلى السّرداب باستسلام حزين. لم يكن أمامه بدٌّ من الواجبات المطلوبة منه الآن. لقد احتاج الإمبراطور الإله إلى فترة قصيرة من الوقت للحزن على خسارة دانكنٍ آخر... لكن الحياة استمرّت بعد ذلك... واستمرّت.. واستمرّت...

انزلق المِصعَد بهدوء إلى أسفل باعتماديّته الإيكسيّة الفائقة. ذات مرّة، مرّة واحدة فقط، صاح الإمبراطور الإله في قهرمانه قائلًا: «مُونِيو! أحيانًا أظُنُّ أنك من صُنع الإيكسيّين!».

شعر مُونِيو بتوقُّف المِصعَد، ثم انفتح الباب ونظر إلى الخارج عبر السّرداب إلى الجسد الضّخم المحتجب بالظّلال الجاثم فوق العربة الملكيّة. تنهّد مُونِيو وبدأ السّير الطّويل عبر الظّلام ذي الرّجع. كان على الأرض قرب العربة جثمانٌ طريح. ليس هذا ديچاڤو، فلا حاجة إليه لتفسير ما يراه. إنه مُجرّد مشهد مألوف.

ذات مرّة، في أيّام خدمته الأولى، قال ليتو لمُونِيو: «أنت لا تُحبُّ

هذا المكان يا مُونِيو. أرى هذا».

- «كلّا يا مولاي».

بقليلٍ من التذكُّر، استطاع مُونِيو سماع صوته في ذلك الماضي، حين كان ساذجًا، وصوت الإمبراطور الإله في ردّه:

- «أنت لا ترى في هذا القبر الأجوف مكانًا مريحًا يا مُونِيو، أما أنا فأراه مصدرًا لقوّة لا نهائية».

تذكّر مُونِيو أنه كان حريصًا على تغيير الموضوع: «صحيح ما تقول يا مولاي».

لكن ليتو كان مُصرًّا: «لا يوجد هنا إلّا بعض أسلافي. ماءُ المؤدّب هنا. غنيمة وخرق العادة هنا بالتأكيد، لكن هذان ليسا من أسلافي. إن كان في الكونِ سردابٌ حقيقيٌ لأسلافي، فأنا ذلك السّرداب. أمّا هذا المكان فيضم زُفات الدّناكنة ومنتجات مُخطّطي الاستيلادي. أنت أيضًا ستُدفَن هنا يومًا ما».

شعر مُونِيو بأن تلك الذّكريات تُبطئ من وتيرته، فتنهّد وأسرع في خطاه قليلًا. في بعض الأحيان يكون ليتو نافد الصّبر إلى درجة عنيفة، لكن حتّى الآن لم تظهر عليه بوادر ذلك. لم يفهم مُونِيو من هذا أنه غافل عن اقترابه.

كان ليتو مُستلقيًا، وعيناه مغلقتان، وحواشه الأخرى تُسجّل تقدُّم مُونِيو عبر السّرداب، فيما انشغل عقله بسيونا.

كان يُفكّر: *سيونا هي عدوّتي اللّدود. لا أحتاج إلى رسالة نائلة لتأكيد هذا. سيونا امرأةُ أفعال لا أقوال، تعيش على سطح من*

*طاقات هائلة تملؤني بخيالاتٍ مُبهجة. لا يسعني تأمُّل هذه الطّاقات الحية دون الشُّعور بالنّشوة. إنها سبب وجودي، ومسوِّغ كلّ جُرمٍ ارتكبته يومًا... بما فيها جُثّة هذا الدّانكن الأحمق الطّريحة أمامي الآن.*

أذنا ليتو أخبرتاه أن مُونِيو لم يقطع بعد نصف المسافة إلى العربة الملكيّة. كان الرّجُل يسير ببطء، ثم تسارعت وتيرته.

فكّر ليتو: *يا لها من هديّة منحها مُونِيو لي بهذه الابنة. إن سيونا شابّة ونفيسة. إنها المستقبل، في حين أنني مجموعة من ذواتٍ عتيقةٍ عفا عليها الزّمن؛ طللٌ للملعونين والضّائعين ومن ضل سعيهم. أنا بقايا التّاريخ المحطّمة التي سقطت من حسابات ماضينا البشري. مثل هذا التراكم من الدهماء لم يكن من الممكن تصوُّره من قبل.*

استدعى ليتو أطياف الماضي في داخله، ثم سمح لها بمشاهدة ما حدث في السّرداب.

*سفاسف الأمور من نصيبي!*

أمّا سيونا... سيونا أشبه بلوحة نظيفة يمكن أن تُكتب عليها أشياء عظيمة.

*أحرُس هذه اللوحة بعنايةٍ فائقةٍ. أُعِدُّها وأُنقّيها.*

*تُرى ماذا قصد دانكن حين نادى باسمها؟*

اقترب مُونِيو من العربة على استحياء، لكن بيقظةٍ تامّة. قطعًا ليتو لم يكن نائمًا.

فتح ليتو عينيه ونظر إلى أسفل مع توقُّف مُونِيو بالقرب من الجُثّة. في تلك اللّحظة، وجد ليتو أن في مراقبة قهرمانه متعة. كان مُونِيو يرتدي زيًّا آتريديزيًّا أبيض بلا شارات، فيما يُشبه التّصريح الصّامت، إذ كان وجهه -الذي يتمتّع بشُهرة وجه ليتو ذاته- هو الشّارة الوحيدة التي يحتاج إليها. انتظر مُونِيو بصبر، دون أن يتغيّر التّعبير المرتسم على ملامحه المنبسطة الملساء. كان شعره الكثيف الأصفر الرملي منسدلًا بأناقة، ومفلوقًا بالتساوي، وفي أعماق عينيه الرماديّتين تلك النّظرة المباشرة الحادّة التي تشي بأن صاحبها يدرك جيّدًا مدى قوّة شخصيّته. كان مُونِيو يُخفِّف من حِدّة تلك النّظرة في حضرة الإمبراطور الإله فحسب، وأحيانًا لم يكن يفعل ذلك. لم يلتفت مُونِيو ولو مرّة نحو الجُثمان الطّريح على أرضيّة السّرداب.

مع استمرار ليتو على صمته، تنحنح مُونِيو، ثم قال: «أنا حزين يا مولاي».

*فكّر ليتو: رائع! إنه يعلم جيّدًا أنني أشعر بندمٍ حقيقي على فقد الدّناكنة. لقد اطّلع مُونِيو على سِجِلّاتهم ورأى عددًا كافيًا منهم صرعى، ويعلم أن تسعة عشر فقط منهم ماتوا وفقًا لما يُطلِق عليه النّاس عادةً وفيات طبيعية.*

قال ليتو: «كان يحمل بُندقيّة ليزر إيكسيّة الصُنع».

اتجهت عينا مُونِيو مباشرة إلى البُندقيّة الملقاة على أرضية السّرداب إلى يساره، ما دلّ على أنه قد لاحظها مسبقًا. ثم أعاد انتباهه إلى ليتو، ومسح بنظره سريعًا امتداد جسده الضّخم.

- «هل أُصِبت يا مولاي؟».

- «إصابةٌ لا تُذكر».

- «لكنه آذاك».

- «ما آلمني إلّا تانِكِ الزُّعنفتانِ عديمتا النّفع. لسوف تختفيان تمامًا في غضون مئتي سنة أخرى».

قال مُونِيو: «سأتخلّص من جُثّة الدّانكن شخصيًا يا مولاي. أيوجد...».

- «الجزء الذي أحرقه مني صار رمادًا بالكامل، سندع الهواء يذروه. هذا المكان مناسب للرماد».

- «كما يقول مولاي».

- «قبل أن تتخلّص من الجُثّة، عَطّل بُندقيّة اللّيزر واحتفظ بها لأعرضها على السّفير الإيكسي. أمّا رجل النّقابة الذي حذّرنا من الأمر، فكافئه بنفسك بعشرة جرامات من الاسپايس. آه... ويجب تنبيه كاهناتنا في جيدي پرايم إلى وجود مخزن مِزّاج مخفي هناك، رُبّما كمّيّة مُهرّبة من أيّام الهراكنة».

- «كيف تشاء التّصرُّف فيه حين العثور عليه يا مولاي؟».

- «استخدم جزءًا منه لدفع ثمن الغول الجديد إلى التِليلاكسو، والباقي يوضع ضمن مخازننا هنا في السّرداب».

- «أمر مولاي». أقرّ مُونِيو الأوامر بإيماءة جسديّة طفيفة لا تُعدُّ انحناءة بالضّبط، ثم التقت عيناه عيني ليتو.

ابتسم ليتو، وفكّر: *كلانا يعرف أنه لن يغادر قبل أن يفتح الموضوع*

*الذي يشغل بالنا أكثر من غيره.*

قال مُونِيو: «لقد رأيت التقرير الخاص بسيونا».

اتّسعت ابتسامة ليتو. في مثل هذه اللّحظات يكون مُونِيو مصدرًا للبهجة. كانت كلماته تُصرّح بأشياء لا تتطلّب مناقشة مكشوفة بينهما. إن كلماته تتوافق مع أفعاله بشكلٍ دقيق، وتؤكّد ضمنًا على أن كليهما يعرف أن مونيو قطعًا يتجسّس على كل شيء. الآن، ما يعتمل فيه هو قلقٌ طبيعي على ابنته، لكنه تمنّى أن يكون من المفهوم أن قلقه على الإمبراطور الإله يظلُّ في المقام الأول. من خلال الخبرة التي اكتسبها من عبور مسار ترقٍّ مُشابه، كان مُونِيو يعلم بدِقّة مدى حساسية موقف سيونا الرّاهن.

سأله ليتو: «أولستَ من خلقها يا مُونِيو؟ أولم أتحكّم في أنسابها وظروف نشأتها؟».

- «إنها ابنتي الوحيدة يا مولاي، طفلتي الوحيدة».

قال ليتو: «إنها تُذكّرني بخرق العادة إلى حدٍّ ما. لا يبدو أنها تحمل كثيرًا من صفات غنيمة فيها، مع أن صفات الأخيرة لا بُدّ أن تكون كامنة في داخلها. رُبّما تعود إلى أسلافنا في مخطّط الاستيلاد الخاص بالبني چيسيرِت».

- «لماذا تقول ذلك يا مولاي؟».

فكّر ليتو: *هل كان في الأمر حاجة إلى أن يعرف مُونِيو هذا الشّيء الغريب عن ابنته؟* أحيانًا تتلاشى سيونا من بصيرته بعالم الغيب. الصّراط الذّهبي يبقى، لكن سيونا تتلاشى. كيف ذلك... وهي تفتقر

إلى البصيرة التنبؤيّة؟ إنها ظاهرةٌ فريدةٌ... وإذا حدث ونجت... قرر ليتو أنه لن يُشتّت كفاءة مُونِيو بمعلومات غير ضروريّة.

قال ليتو: «تذكّر ماضيك أنت نفسك».

- «قطعًا يا مولاي! إن لديها إمكانات هائلة، أكبر بكثير ممّا امتلكت يومًا، ولكن هذا أيضًا يجعلها خَطِرة».

قال ليتو: «وهي لن تُنصت إليك».

- «أجل، لكن لدي عميل في حركة التّمرُّد التي تديرها».

فكّر ليتو: *يقصد بهذا توپري.*

لم يكن الأمر يتطلّب تبصُّرًا لمعرفة أن مُونِيو سيزرع عميلًا على الأرض. فمنذ وفاة والدةِ سيونا، كان ليتو يعلم بيقينٍ متزايد مسار أفعال مُونِيو. شكوك نائلة كذلك أشارت إلى توپري. والآن، ها هو ذا مُونِيو يستعرض مخاوفه وأفعاله، ويعرضها ثمنًا لاستمرار سلامة ابنته.

*من المؤسف أنه أنجب طفلة واحدة من تلك الأم.*

قال ليتو: «تذكّر كيف عاملتك في ظروفٍ مشابهة. أنت تعلم متطلّبات السّير على الصّراط الذّهبي كما أعلمها تمامًا».

- «لكنني كنت شابًا وأحمق يا مولاي».

- «كنت شابًا ومتهوّرًا، لم تكن أحمق قط».

ابتسم مُونِيو ابتسامةً محكمةً عند سماع هذه المجاملة، ومالت أفكاره أكثر نحو الاعتقاد بأنه فهم الآن نيّات ليتو.

*لكن المخاطر!*

مُغذّيًا اعتقاده، قال ليتو: «أنت تعلم كم أستمتع بالمفاجآت».

ثم فكّر: *هذا صحيح، مُونِيو يعرف هذا بالفعل. ولكن حتّى وسيونا تُفاجئني، فهي تُذكّرني بأكثر ما أخشاه: الرّتابة والملل اللذان قد يكسرا الصّراط الذّهبي. انظر كيف أوقعني الملل مؤقّتًا في قبضة الدّانكن! سيونا هي التضاد الذي أعرف من خلاله أعمق مخاوفي. إن قلق مُونِيو عليّ له ما يسوّغه.*

قال مُونِيو: «سيواصل عميلي مراقبة رفاقها الجدد يا مولاي، فأنا لا أميل إليهم».

- «رفاقها؟ أنا نفسي كان لي مثل هؤلاء الرّفاق منذ زمنٍ بعيد».

تساءل مُونِيو بدهشة صادقة: «مُتمرّدون يا مولاي؟ أنت؟».

- «ألم أثبِت أنني في صف التّمرّد؟».

- «لكن يا مولاي...».

- «الانحرافات في ماضينا البشري أكثر عددًا ممّا تظن».

- «صحيح يا مولاي»، قالها مُونِيو شاعرًا بالحرج، لكنه كان لا يزال فضوليًا، وكان يعرف أن الإمبراطور الإله يميل إلى الثرثرة أحيانًا بعد وفاة أحد الدّناكنة. «لا بد أنك رأيت من حركات التمرّد الكثير يا مولاي».

لا إراديًا، غاص ليتو في خِضم ذكرياته التي أثارتها هذه الكلمات.

ثم تمتم قائلًا: «آهٍ يا مُونِيو. أسفاري في متاهات الأجداد جعلتني أحفظ أماكن وأحداثًا لا حصر لها، أحداثًا لا أرغب في معاودة اختبارها».

- «بإمكاني تخيُّل جسامة أسفارك الدّاخليّة يا مولاي».

- «لا، ليس بإمكانك هذا. لقد رأيت شعوبًا وكواكب بأعدادٍ غفيرة فقدت من كثرتها معناها، إلى درجةٍ يعجز الخيال نفسه عن استيعابها. آهٍ من الأراضي التي طرقت، ومن تعرُّج الطُّرق الغامضة التي لمحت من الفضاء وانطبعت على عين بصيرتي. يا للأخاديد والمنحدرات التي نحتتها أظافر الزّمن، والمجرّات التي طبعت في روحي معرفةً يقينيّةً بأنني محض ذرّة».

- «ليس أنت يا مولاي. قطعًا ليس أنت».

- «بل أصغر من ذرّة! لقد رأيت من البشر ومجتمعاتهم العقيمة تكرارًا حتّى أصابني هُراؤهم بالضّجر، أتفهم ما أقول؟».

قال مُونِيو بخنوع: «لم أقصد إغضاب مولاي».

- «أنت لا تغضبني، لكنك تزعجني أحيانًا، هذا أقصى ما في الأمر. فليس بمقدورك تخيُّل قدر ما رأيت: الخلفاء والمجيدون*، الزّاچاوات والباشارات، الملوك والأباطرة، البرامكة والرُّؤساء. رأيتهم جميعًا. والزُّعماء الإقطاعيون، كل واحد منهم. كل واحد فرعون صغير».

- «اغفر لي وقاحتي يا مولاي».

صاح ليتو: «اللّعنة على الرُّوم!».

ثم كرّرها داخليًا على أسلافه: «*اللّعنة على الرُّوم!*».

لكن ضحكهم دفعه إلى مغادرة الحلبة الدّاخليّة.

تجرّأ مُونِيو بقول: «لا أفهم يا مولاي».

- «طبعًا لا تفهم. الرُّوم نشروا المرض الفرعوني كما ينشر زُرّاع الحبوب بذورَ حصادِ الموسم التّالي. القياصرة، الكياسرة، الملوك، العواهل، الأباترة... الأبالطة... الفراعنة الملعونون».

- «علمي لا يشمل كل تلك الألقاب يا مولاي».

- «قد أكون الأخير من بين كثيرين. أذعْ أن يكون الأمر كذلك».

- «أمر مولاي».

نظر ليتو إلى أسفل نحو الرّجُل وقال: «نحن هادما أساطير يا مُونِيو، أنا وأنت. هذا هو خُلقُنا المشترك. أؤكّد لك من فوق عرشِ إلهي أنّ نظام الحُكم محض أسطورة مشتركة. وحين تموت الأسطورة، تموت الحكومة».

- «هكذا علّمتني يا مولاي».

- «ذلك الكيان الهجين بين الإنسان والآلة المُسمّى بالجيش هو ما خلق خُلقَنا الحالي يا صديقي».

تنحنح مُونِيو.

لاحظ ليتو بوادر نفاد صبر خفيفة على القهرمان.

مُونِيو يدرك حقيقةَ الجيوش جيّدًا، ويعلم أن الظّن بأن الجيوشَ هي أسس الحكم ليس إلّا وهمًا أحمق.

حين استمرّ ليتو على صمته، تحرّك مُونِيو نحو بُندقيّة اللّيزر والتقطها من فوق أرضيّة السّرداب الباردة، وبدأ تعطيلها.

راقب ليتو حركاته، مُفكّرًا كيف أن هذا المشهد الصغير يُجسّد جوهر خرافة الجيش. لقد تبنّت الجيوش التكنولوچيا لأن قوّة الآلات بدت بديهيّة تمامًا في ضروريّتها لقِصار النّظر.

*هذا السّلاح آلة ليس إلّا، لكن كل الآلات تتعطّل، أو تحلّ محلّها آلاتٍ أخرى. ومع ذلك، تتعبّد الجيوش في ضرائح مثل هذه الموجودات، بافتنانٍ وبخوفٍ في الآن ذاته. انظر كيف يخشى النّاس الإيكسيّين! في أعماقهم، يعلم القائمون على الجيوش أنهم صبيان سحرة لا أكثر. إنهم يطلقون العنان للتكنولوچيا، وإنها لسِحرٌ لا يمكن إعادته إلى القمقم مرّة أخرى.*

*لكنني سأعلّمهم سِحرًا آخر.*

هنا تحدّث ليتو إلى الجحافل التي تعيش في داخله:

*- «أترون؟ لقد عطّل مُونِيو السّلاح الفتّاك بسهولة. قَطع وصلةٍ هنا، كَسر زرٌّ هناك».*

ثم أردف ليتو وهو ما زال يتحدّث داخله: *«لكن الجني لم يفت، فالتكنولوچيا تولّد الفوضى. إنها توزّع أدوات القتل هذه عشوائيًا، وبها يتحوّل التّحريض إلى عُنفٍ ملموس. القُدرة على صنع واستخدام هذه الآلات الوحشيّة المُدمّرة تقع في النهاية في أيدي*

*مجموعات أصغر فأصغر، إلى أن تصبح المجموعة في نهاية الأمر فردًا واحدًا».*

عاد مُونِيو إلى موضعه أسفل ليتو مُمسكًا ببُندقيّة اللّيزر المُعطّلة في يده اليمنى باستخفاف، وقال: «ثمّة حديث دائر في پاريلا واتّحاد كواكب دان عن جهادٍ* آخر ضد هذه الأشياء».

ثم رفع بُندقيّةَ اللّيزر في يده وابتسم، مشيرًا إلى أنه يدرك التّناقض الكامن في تلك الأحلام الفارغة.

أغمض ليتو عينيه. أرادت الجموع في داخله الجدال، لكنه أسكتها مفكّرًا: الجهاد يخلق الجيوش. الجهاد البطلري حاول تطهير كوننا من الآلات التي تُحاكي عقل الإنسان، لكن البطالرة تركوا جيوشًا خلفهم، والإيكسيُون لا يزالوا يصنعون أجهزةً محلّ شكٍّ... وأنا أشكرهم على ذلك. ما اللّعنة؟ إنها النّزعة إلى الخراب، بغض النّظر عن الأدوات المستخدمة.

غمغم ليتو: «قُضي الأمر».

- «مولاي؟».

فتح ليتو عينيه: «سأذهب إلى برجي. أحتاج إلى مزيدٍ من الوقت للحداد على دانكن».

قال مُونِيو: «البديل في طريقه إلى هنا بالفعل».

أنت، يا أوّل من تطالع سجلّاتي لما لا يقل عن أربعةِ آلافَ عامٍ، احذرا لا يغرنّك شرف أسبقيّتك إلى قراءةِ وحيي المُودَع في مخزني إيكسيّ الصُنع، فلسوف تجد فيه كثيرًا من الألم. فباستثناء اختلاس النّظر الواجب للتأكّد من استمراريّة الصّراط الذّهبي، لم أرغب قط في استطلاع ما بعد تلك الألفيّات الأربع. لذا لست متأكّدًا ممّا قد تعنيه الأحداث المدوّنة في دفاتري من منظور عصرك. كل ما أعرفه هو أن مذكّراتي طالها النّسيان، وأن الأحداث التي أرويها تعرّضت بلا شك للتشويه التّاريخي على مرّ الدّهور. أؤكّد لك أن القدرة على استشفاف المستقبل البشري قد تصبح مُملّة. حتّى اعتقاد النّاس بأنّك إله، كما كنت بالتأكيد، قد يصبح مُملًا في نهاية المطاف. لقد خطر ببالي أكثر من مرّةٍ أن الملَلَ الإلهيّ سببٌ كافٍ لخلق الإرادةِ الحُرّة.

- نقش على جدار مخزن دار البِلاط

*أنا دانكن آيداهو.*

كان هذا كل ما يريد معرفته يقينًا. لم يكن يحب تفسيرات التِليلاكسو وحكاياتهم. لكن لطالما كان التِليلاكسو موضع خوف؛ موضع خوف وعدم تصديق.

لقد أحضروه إلى الكوكب على متنِ مكّوكٍ صغيرٍ تابع للنقابة، هابطين عند خط الغسق حيث كان وميض هالة الشّمس الأخضر يَشِعُّ بطول الأفق وهم يدخلون إلى الظّل. لم يكن الميناء الفضائي يشبه ما يتذكّره في شيءٍ، إذ كان أضخم وتحيط به حلقة من المباني الغريبة.

سأل دانكن: «هل أنت واثق بأن هذا كئيب؟».

- «أزّاكس»، قالها المرافق التِليلاكسوي مُصحِّحًا.

بعدها انطلقوا به في سيّارة أرضيّة مُصمّتة إلى هذا المبنى الواقع في مكانٍ ما في مدينة يسمُّونها أونْ، بتشديد النُّون وإضفاء نغمةٍ أنفيّةٍ عالية وغريبةٍ لها. كانت الغُرفة التي تركوه فيها مُكعّبًا تامًّا، تبلغ مساحته المربّعة نحو ثلاثة أمتار، ولم يكن فيها أيُّ كرات إنارة، لكن المكان كان يستحمُّ بضوءٍ أصفرَ دافئ.

*أنا غول*، هكذا أخبر نفسه.

كانت تلك صدمةً له، لكن عليه تصديقها، إذ إن وجوده على قيد الحياة مع عِلمه بموته دليلٌ كافٍ. لقد أخذ التِليلاكسو خلايا من جَسَدِه الميت وأنموا منها بُرعمًا في أحد أحواض الاستنساخ الخاصّة بهم. ذلك البرعم صار جسده الحالي، عبر عملية جعلته يشعر في البداية بأنه غريبٌ عن جسدِه.

نظر إلى أسفل نحو جسمه. كان يرتدي سراويلَ بُنّيّةً غامقةً وسترةً من نسيجٍ خشنٍ يُهيِّج بشرته، وينتعل صندلًا في قدميه. باستثناء هذا الجسد، لم يُقدِّموا إليه شيئًا، وهو شخٌ كان يشي بطبيعة الشّخصيّة التِليلاكسويّة الحقيقيّة.

لم يكن في الغُرفة أيُّ أثاث، وقد أدخلوه إليها عبر بابٍ ليس له مقبض من الدّاخل. رفع آيداهو بصره إلى السّقف، ومنه إلى الحوائط، ثم عاد ينظر إلى الباب. ومع أن المكان كان عديم السّمات، شعر آيداهو بأنه تحت المراقبة.

لقد قالوا له: «ستأتي إليك نساء من الحرس الإمبراطوري»، ثم غادروا وهم يبتسمون بخبثٍ فيما بينهم.

*نساء من الحرس الإمبراطوري؟*

كان الحرس التِليلاكسوي المُرافق يتلذّذون على نحوٍ ساديٍّ باستعراض قدراتهم على تغيير أشكالهم. لم يكن دانكن يدري، من دقيقةٍ إلى أخرى، ما الهيئة الجديدة التي قد تتخذها وجوههم الطّيّعة القابلة للتشكُّل.

*راقصو الوجوه الملاعين!*

لقد عرفوا كل شيءٍ عنه بطبيعة الحال، وعرفوا كم يشمئز من مُتغيّري الهيئة.

ما الذي يمكن أن يثق به إذا جاء من راقصي الوجوه؟ بالكاد شيء. وهل يُمكن تصديق أيّ شيءٍ يقولونه؟

*اسمي. أعرف اسمي.*

كما أن لديه ذكرياته. لقد أعادوا إليه هويّته القديمة بالصّدمة. من المفترض أن الغيلان تعجز عن استعادة الهويّة الأصليّة، لكن التِليلاكسو نجحوا في المهمّة، ولم يجد آيداهو مناصًا من تصديق ما حدث، لأنه فَهِم كيف حدث.

في البداية، صار واعيًا لحقيقته: غولٌ مكتمل النُّموّ، جسدٌ بالغ بلا اسم أو ذكريات، طِرسٌ يمكن للتّليلاكسو أن يكتبوا عليه ما شاؤوا تقريبًا.

قالوا له: «أنت غول»، وظل هذا اسمه الوحيد لفترة طويلة. أُخِذَ غول كرضيعٍ طيّع، وأُعِدَّ لقتل رَجُلٍ بعينه؛ رجُلٍ يشبه إلى حدٍّ كبير پول المؤدّب الأصلي الذي خدمه وأحبّه، حتّى إن آيداهو اشتبه في أن يكون غولًا كذلك. لكن إن كان ذلك صحيحًا، فمن أين جاؤوا بالخلايا الأصليّة؟

شيءٌ ما في خلايا آيداهو نفرَ من قتل رجُلٍ آتريديزيّ. وجد آيداهو نفسه واقفًا والسّكّين في يده، فيما تنظر إليه نسخة پول الزّائفة في رُعبٍ غاضب.

تسارعت الذّكريات إلى وعيه، فتذكّر الاسم غول وتذكّر دانكن آيداهو.

*أنا دانكن آيداهو، مُعلّم فنون النّزال لآل آتريديز.*

تشبّث دانكن بهذه الفكرة ونهض واقفًا في الغُرفة الصّفراء.

*لقيت حتفي مدافعًا عن پول وأمّه في سييتشِ كهفي أسفل رمال كثيب. لقد عُدت إلى ذلك الكوكب، لكنه لم يعد يُعرف بكثيب. الآن هو أرّاكس فحسب.*

لقد قرأ التّاريخ المجتزأ الذي أتاحه له التِليلاكسو، لكنه لم يصدّقه. *مرّ أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمئة عام؟* من كان ليصدق أن جسده لا يزال موجودًا بعد كل هذا الزّمن؟ لكن... مع التِليلاكسو هذا ممكن. عليه أن يُصدّق حواسّه.

قال له مُدرّبوه: «صنعنا كثيرًا منك».

- «كم؟».

- «الإله ليتو سيخبرك بتلك المعلومة».

*الإله ليتو؟*

التّاريخ الذي قدّمه التِليلاكسو قال إن هذا الإله ليتو هو ليتو الثّاني، حفيد ليتو الذي خدمه آيداهو بتفانٍ متعصّب. لكن ليتو الثّاني هذا (حسب كلام التّاريخ) قد صار شيئًا ما... شيئًا شديد الغرابة حتّى إنّ آيداهو يَئِس من فهم التّحوُّل.

كيف يتسنّى لبشر أن يتحوّل ببطء إلى دودة رمال؟ كيف لأيّ مخلوقٍ عاقل أن يعيش أكثر من ثلاثة آلاف عام؟ أجمح التوقُّعات لخواص الاسپايس المُعمَّر لا تسمح ببلوغ هذا العُمر.

*ليتو الثّاني، الإمبراطور الإله؟*

لا يُمكن تصديق تاريخ التِليلاكسو!

تذكّر آيداهو طفلًا غريبًا.. توأمين في الواقع: ليتو وغنيمة، ذُرّية پول، طفلا تشاني، التي ماتت وهي تلدهما. يقول تاريخ التِليلاكسو إن غنيمة ماتت عن عُمرٍ طبيعي نسبيًا، لكن الإمبراطور الإله ليتو عاش وعاش...

مُدرّبو آيداهو قالوا: «إنه طاغية. لقد أمرنا بإنتاجك في أحواض الاستنساخ الخاصّة بنا وإرسالك إلى خدمته. لا نعلم ما الذي حلّ بسابقك».

*وها أنا ذا.*

مرّةً أخرى، سمح آيداهو لبصره بالترحال بين السّقف والحوائط

الخالية من المعالم.

تطفّلت أصواتٌ خافتةٌ على وعيه فنظر نحو الباب. كانت الأصوات مكتومة، لكن واحدًا منها على الأقل بدا أنثويًا.

*نساء من الحرس الإمبراطوري؟*

انفتح الباب إلى الدّاخل على مفصلاتٍ صامتة، ودخلت منه امرأتان. أوّل ما لفت انتباهه هو أن إحدى المرأتين ترتدي قناعًا، نقابَ تمويه غشائيًا عديم الشّكل سواده ماصّ للضوء. كان يعلم أنها تستطيع رؤيته بوضوح عبر الغشاء، لكن ملامحها لن تكشف عن نفسها أبدًا، حتّى لأدقّ أدوات الفحص. أشار غِطاء الرّأس أن الإيكسيّين، أو ورثتهم، ما زالوا يعملون في الإمبراطورية. كانت كلتا المرأتين ترتدي زيًا أزرق داكنًا من قطعةٍ واحدةٍ، يزيّنه الصّقر الآتريديزي في شريطٍ أحمر على الصّدر الأيسر.

راقب آيداهو حركاتهما وهما تغلقان الباب وتواجهانه.

كانت المرأة المُقنّعة ذات جسد قوي وممتلئ، وتتحرّك بخيلاءٍ خادعة كالمُتمادين من مُحترفي كمال الأجسام. أمّا المرأة الأخرى فرشيقة ونحيلة، ذات عينين لوزيّتين، وملامح حادة بارزة العِظام. راود آيداهو شعورٌ بأنه رآها في مكانٍ ما، لكنه لم يتمكّن من تحديده. كانت كلتا المرأتين تحمل خنجرًا رفيعًا في غمدٍ على الورك، وفي حركاتهما شيء أخبر آيداهو بأنهما ستكونان ماهرتين تمامًا في استخدام ذينك السلاحين إذ دعت الحاجة.

تحدّثت المرأة النّحلية أوّلًا.

- «اسمي لولي. اسمح لي بأن أكون أوّل من يُخاطبك بلقب القائد. على رفيقتي أن تظلّ مجهولة الهويّة، هكذا أمرنا مولانا ليتو. بإمكانك مُخاطبتها بلقب صديقة».

سألها: «قائد؟».

قالت لوي: «إنها رغبة الإله ليتو في أن تتولّى قيادة حرسه الملكي».

- «حقًّا؟ لنذهب إذًا للتحدّث إليه بهذا الشّأن».

بدت لولي مصدومة وهي تقول: «أوه، كلّا! لسوف يستدعيك المولى ليتو في الوقت المناسب. أمّا الآن، فهو يريد منا أن نعمل على راحتك وإسعادك».

- «وعليّ الطّاعة؟».

لم تردّ لولي، بل هزّت رأسها في حيرة فحسب.

- «هل أنا عبد؟».

تراخت لولي وابتسمت قائلة: «على الإطلاق. كل ما في الأمر أن المولى ليتو لديه من الشّؤون العظيمة ما يتطلّب كثيرًا من اهتمامه الشّخصي، وعليه أن يجد وقتًا لك. لقد أرسلنا لأنه قلقٌ بشأن رَجُلِه دانكن آيداهو. لقد مكثت مدةً طويلةً بين ظهراني التِليلاكسو الأقذار».

فكّر آيداهو: *التِليلاكسو الأقذار.*

على الأقل، النّظرة إليهم لم تتغيّر.

ومع ذلك، أثار انتباهه تلميح بعينه في كلام لولي.

- «تقولين رَجُلَه دانكن آيداهو؟».

سألته لولي: «أولست محاربًا آتريديزيًا؟».

كان هذا كافيًا لإرباكه. أومأ آيداهو، ثم أدار رأسه قليلًا لينظر إلى المرأة المُقنّعة الغامضة.

- «لماذا تضعين قناعًا؟».

قالت المرأة: «يجب ألّا يعرف أحد أنني أخدم المولى ليتو». كان صوتها رنّانًا ماتعًا، لكن آيداهو اشتبه في أن صوتها الحقيقي أيضًا يحجبه النّقاب الغشائي.

- «ما سبب وجودك هنا إذًا؟».

- «مولانا ليتو يأتمنني على مهمّة تحديد ما إن كان التِليلاكسو الأقذار قد عبثوا بك».

حين حاول آيداهو ابتلاع ريقه وجد أن حَلْقَهُ جفّ فجأةً. لقد خطرت هذه الفكرة بباله مرّاتٍ عِدّة على متن سفينة النّقابة. إن كان التِليلاكسو قادرين على تهيئة الغول لمحاولة قتل صديقٍ عزيز، فما الذي في مقدورهم أن يزرعوه أيضًا في نفسية ذلك البُرعم الذي اكتمل نموُّه؟

سألته المرأة المُقنّعة: «أرى أنك فكّرت بالفعل في هذا الأمر».

سألها آيداهو: «هل أنتِ منتاتةٌ؟».

تدخّلت لولي قائلة: «ويحي، لا! مولانا ليتو لا يسمح لأحد

بتدريبات المِنتات».

ألقى آيداهو نظرة سريعة على لولي، ثم أعاد انتباهه إلى المرأة المُقنّعة. *لم يعد لوظيفة المِنتات وجود*. لم يذكر تاريخ التِليلاكسو هذه المعلومة المثيرة للاهتمام. لماذا يحظر ليتو المِنتات؟ من المؤكّد أن العقل البشري المُدرّب على قدرات الحوسبة الفائقة لا تزال له فوائده. لقد أكّد له التِليلاكسو أن المعاهدة الكُبرى لا تزال سارية، وأن الحواسيب الآليّة لا تزال مُحرّمة. قطعًا هاتان المرأتان تعلمان أن آل آتريديز أنفسهم استخدموا المِنتات.

سألته المرأة المُقنّعة: «ما رأيك؟ أتحسب أن التِليلاكسو الأقذار قد تلاعبوا بنفسيّتك؟».

- «لا... أخال ذلك».

- «لكنك لست متأكّدًا».

- «بلى».

قالت: «لا تخف أيّها القائد آيداهو، فلدينا أساليب للتأكُّد، وأساليب للتعامل مع مثل هذه الأمور إن ظهرت. لقد حاول التِليلاكسو الأقذار فعلها مرّة ودفعوا جزاء خطئهم غاليًا».

- «هذا مُطمئن. هل أرسل المولى ليتو أيّ رسائل إليّ؟».

قالت لولي: «أُخبرنا أن نؤكّد لك أنه لا يزال يحبك كما أحبك آل آتريديز دومًا»، وبدا عليها الانبهار من وقع كلماتها..

استرخى آيداهو قليلًا. بصفته أحد المخضرمين في خدمة آل

آتريديز، وواحدًا من المُدرَّبين بإتقان على أيديهم، وجد أنه من السهل استنتاج أمورٍ عِدّة من هذا اللقاء. هاتان المرأتان هُيِّئتا بشِدّة على الطّاعة العمياء. إن كان لِنقاب التّمويه الغشائي أن يُخفي هويّة تلك المرأة، فلا بد من وجود نساء أخريات كثيرات ببنية جسديّة مشابهة لبنيتها. كل هذا يشير إلى أن ليتو مُحاطٌ بأخطار ما زالت تتطلّب مهاراتِ الجواسيسِ الخفيّة القديمة، وترسانةً مبتكرةً من الأسلحة.

نظرت لولي إلى رفيقتها: «ما قولك يا صديقة؟».

قالت المرأة المُقنّعة: «يُفضّل اصطحابه إلى القلعة. هذا المكان لا خير فيه. التِليلاكسو كانوا هنا».

قال آيداهو: «كم سيسُرّني الاستحمام بماءٍ دافئٍ وتغيير ملابسي».

واصلت لولي النّظر إلى صديقتها: «هل أنت واثقة؟».

قالت المرأة المُقنّعة: «لا يجوز التّشكيك في حكمة الرب».

لم يرتح آيداهو إلى النبرة المتعصّبة في صوت هذه «الصّديقة»، لكنه شعر بالاطمئنان في كنف نزاهة آل آتريديز. قد يبدو الآتريديزيّون عيّابين للناس، أشدّاء على الغرباء والأعداء، لكنهم عادلون مع رعاياهم مخلصون لهم، وفوق كل شيء أوفياء فيما بينهم.

فكّر آيداهو: *وأنا واحدٌ منهم. لكن ماذا حدث للأنا الآخر الذي استبدله؟* كان متأكّدًا من أن هاتين المرأتين لن تُجيبا هذا السؤال.

الإجابة عند ليتو.

سأل آيداهو: «هلّا تحرّكنا؟ أودّ أن أغسل عنّي نتانة رائحة التِليلاكسو الأقذار».

ابتسمت له لولي، ثم قالت:

- «تعال، سأحمّمك بنفسي».

الأعداء يُكسبونك قُوّة، أمّا الحلفاء فيُضعفونك.

أقول لكم قولي هذا أملًا في أن يساعدكم على فهم لماذا أتصرّف كما أتصرّف وأنا على دراية تامّة بأن قوًى كُبرى تتحزّب في إمبراطوريّتي بغرضٍ واحدٍ فقط: الرّغبة في تدميري. أنتم يا من تقرؤون هذه الكلمات رُبّما تعرفون حقيقة ما حدث بالفعل، لكنني أشك في أنكم فهمتموها.

- المذكّرات المسروقة

شعرت سيونا أن مراسم «الاستعراض» التي يبدأ بها المتمرّدون اجتماعاتهم لن تنتهي أبدًا. جلست في الصّفّ الأمامي وراحت تنظر في كل اتّجاه باستثناء توپري، الذي كان يقود المراسم على بعد خطواتٍ قليلةٍ منها. هذه الغُرفة الموجودة في متاهة أنفاق الخدمة أسفل مدينة أونْ هي غُرفة لم يسبق أن استخدموها، لكنها كانت تشبه كل أماكن اجتماعهم الأخرى إلى حدٍّ يمكن معه أن تُعدّ نموذجًا قياسيًا.

فكّرت سيونا: *غُرفة اجتماعات المتمرّدين - الفئة ب.*

كانت في الحقيقة غُرفة تخزين، ولم يكن من الممكن تغيير ضوء كُرات الإنارة فيها عن بريقها الأبيض المحايد. كان طول الغُرفة نحو ثلاثين خطوة تقريبًا، وعرضها أقل قليلًا، والوصول إليها لا يتم إلّا عبر سلسلة من المتاهاتِ والغرفِ الشّبيهة، إحداها كانت مزوّدة بعديد من المقاعد الصّلبة القابلة للطي مُخصّصة لغرف النّوم الصّغيرة التي يقطنها عُمّال جهاز الخدمات. تسعة عشر من زملاء سيونا المتمرّدين كانوا يشغلون تلك المقاعد الآن من حولها، فيما

رُصّت بعض المقاعد الفارغة تحسُّبًا لوصول أيّ متأخّرين قد يأتون لحضور الاجتماع.

أُختير التّوقيت كي يكون بين منتصف اللّيل والصّباح لستر تسلُّل الدُّخلاء عبر ممرّات الخدمة. كان معظم المتمرّدين يرتدون أزياء عُمّال الطّاقة؛ سراويل رمادية رقيقة وشترات تُستعمل مرّةً واحدةً. أمّا القِلّة الأخرى، بمن فيهم سيونا، فكانوا يرتدون اللّون الأخضر الخاص بمُفتّشي الآلات.

كان صوت توپري رتيبًا ولجوجًا في الغُرفة، فلم يصدر عنه صوته الرّفيع المُميّز وهو يقود المراسم. في الواقع، اضطرّت سيونا إلى الاعتراف بأنه كان بارعًا في الأمر، خصوصًا مع المستجدّين. ولكن منذ تصريح نائلة الصّريح بأنها لا تثق بالرّجُل، بدأت سيونا تنظر إلى توپري بطريقةٍ مختلفةٍ. كانت نائلة تتمتّع بتلك السّذاجة الحادّة التي تُمزّق الأقنعة، ومنذ تلك المواجهة اكتشفت سيونا أشياء عن توپري.

الآن التفتت سيونا ونظرت إلى الرّجُل. زاد الضّوءُ الفِضّيُّ البارد من شحوب بشرة توپري. كان يستخدم نسخة مُقلّدة من السّكّين العاجيّة في الطقوس، نسخة مُهرّبة اشتراها من الفرمِن الأثريّين. تذكّرت سيونا الصّفقة وهي تحدّق إلى النصل القابع في يد توپري. كانت هذه فكرته، وقد خالت أنها فكرة جيّدة في ذلك الوقت. لقد خرجا من أونْ عند الغسق، وقادها توپري إلى مكان اللّقاء في الكوخ المتواضع على أطراف المدينة، وانتظرا حتّى جُنّ اللّيل عليهما كي يحجب الظّلام قدوم الفرمِن الأثريّين، إذ لم يكن من المفترض أن يغادر الفرمِن مقرّاتهم في السييتشات دون تصريحٍ خاص من

الإمبراطور الإله.

كانت على وشك أن تفقد الأمل حين ظهر الفرمِني، متسلّلًا تحت جنح الظّلام، تاركًا رفاقه في الخارج لحراسة المدخل. كان توپري وسيونا جالسين على دكّة خشبيّة بسيطة مقابل حائط رطب في غُرفة خالية تمامًا من أيّ شيء. كان مصدر الضّوء الوحيد هو شُعلة صفراء خافتة على رأس عصا مغروزة في الجدار الطّيني المتداعي.

ملأت الكلمات الأولى التي نطق بها الفرمِني قلب سيونا بالتوجُّس.

- «هل أحضرتما المال؟».

كان كلاهما قد نهض عند دخول الرّجُل. لم يبدُ أن توپري انزعج من السّؤال، إذ نقر على الصُّرّة الموجودة أسفل ردائه، ما جعلها تصلصل.

كان الفرمِني رجُلًا ذابلًا، مقوّس الظهر نَكِد الطّبع، يرتدي تنويعة على الزّيّ الفرمني القديم، وتحته حُلّة لامعة، هي على الأرجح نسختهم من بذلة التّقطير. كان غِطاء رأسه مُسدلًا يحجب وجهه، فيما ألقى ضوء الشُّعلة ظلالًا متراقصة على ملامحه.

حدّق الرّجُل إلى توپري أوّلًا، ثم نقل بصره إلى سيونا، قبل أن يُخرج شيئًا ملفوفًا بقطعة قماش من تحت ردائِه.

قال الفرمِني: «إنها نُسخة طبق الأصل، لكنها مصنوعة من البلاستيك، ولن تقطع الزُّبد البارد».

ثم أخرج النّصل من اللّفّة ورفعه عاليًا.

سيونا، التي لم تشاهد السّكاكين العاجيّة إلّا في المتاحف أو

في التّسجيلات البصريّة النّادرة المحفوظة في أرشيف عائلتها القديم، وجدت نفسها مأخوذة على نحو غريب برؤية هذه السّكّين في هذا السّياق. شعرت بشيءٍ بُدائي تأشلي يتحرّك في أعماقها، وتخيلت هذا الفرمِني المسكين، بسكّينه العاجيّة البلاستيكيّة الصُنع، كأنه فرمِنيٌ حقيقيٌ من الزّمن القديم. صار الشّيء الذي يحمله سِكّينًا عاجيّةً فِضّيّة النّصل في عينيها، تتلألأ في الظّلال الصّفراء المتراقصة.

قال الفرمِني: «أضمن لكما أصالة النّصل الذي صنعنا منه هذه النُسخة». كان يتحدّث بصوتٍ منخفض بدت نبرته مخيفةً على افتقارها إلى التّشديد.

حينها، ميّزت سيونا المكر السّام الذي يُخفيه في منطوقه من حروف العِلّة النّاعمة، وتحفّزت فجأة.

قالت: «إن فكّرت في الخيانة سنطاردك كما نطارد الهوام».

صوّب توبري نظرة مفاجئة إليها.

بدا الفرمِني الأثري كأنه يتضاءل ويتقوقع على نفسه. ارتجف النّصل في يده، لكن أصابعه القزمة ظلّت متشبّثة به كأنما تقبض على حلقٍ.

- «خيانة يا امرأة؟ كلّا. لكننا شعرنا أننا طلبنا مبلغًا زهيدًا مقابل هذه النسخة، التي على تواضعها، يُعرّضنا صُنعها وبيعها بهذه الطريقة لخطرٍ داهم».

حدّقت سيونا إليه شزرًا، مُسترجعةً كلمات الحكمة الفرمِنيّة

القديمة من التّاريخ الشّفهي: «*ما إن تكتسب الطّبع السّوقي، يصبح السّوق* * *كل حياتك*».

سألته: «كم تريد؟».

ذكر الرّجل مبلغًا ضعفَ الرّقم الأصلي.

شهق توبري من المفاجأة.

نظرت سيونا إلى توبري: «أمعك هذا القدر؟».

- «ليس تمامًا، لكننا اتفقنا على...».

قالت سيونا: «أعطه كل ما لديك».

- «كله؟».

- «ألم تسمع ما قلت؟ كل عُملة في تلك الصُرة»، ثم واجهت الفرمِني الأثري وقالت: «وأنت ستقبل بهذا المبلغ». لم تكن عبارتها سؤالًا، وقد سمعها الشّيخ جيّدًا، فأعاد لفّ النّصلِ في قطعة القماش وناوله لها.

سلّمه توبري صُرّة العملات وهو يتذمّر من تحت ضروسه.

وجّهت سيونا كلامها إلى الفرمِني الأثري قائلة: «نحن نعرف اسمك. أنت تيشار، مساعد جارون من تيونو. لديك عقلية سوقيّة تجعلني أرتجف ممّا آل إليه الفرمِن».

اعترض الرّجل: «سيّدتي، كلنا نجاهد كي نعيش».

قالت: «بحالك هذه، أنت لست حيًا. انصرف!».

استدار تيشار وأدبر مهرولًا وهو يضمُّ ضُرّةَ النُّقودِ إلى صدره.

أرّقت ذكرى تلك اللّيلة عقل سيونا وهي تراقب توپري يلوح بنسخة السّكّين العاجيّة في مراسم اجتماع المتمرّدين، وفكّرت: *نحن لا نختلف عن تيشار البتّة. النُّسخة أسوأ بكثير من عدمها*. لوّح توپري بالسّكّين البلهاء فوق رأسه مع قرب انتهاء المراسم.

أشاحت سيونا ببصرها عنه، وركّزت على نائلة الجالسة إلى يسارها. كانت نائلة تنظر في اتّجاه، ثم انتقلت ببصرها إلى اتّجاهٍ آخر، موليةً اهتمامًا خاصًا للدُّفعة الجديدة من المُجنّدين الجالسين في نهاية الغُرفة. لم تكن نائلة تمنح ثقتها لأحد بسهولة. جعّدت سيونا أنفها حين حملت نسمة هواء رائحة زيوت التّشحيم. دومًا ما تنبعث من أعماق مدينة أونْ رائحة ميكانيكيّة ثقيلة تشي بالخطر! تشمّمت سيونا الهواء. وهذه الغُرفة كذلك! لم تكن تحب مكان اجتماعهم هذا، فمن السّهل أن يكون فخًّا. يمكن للحرّاس إغلاق الممرّات الخارجيّة وإرسال فرق تفتيشٍ مُسلّحة إلى الدّاخل. هذا المكان قد يكون مقبرة تمرُّدِهم. تضاعف شعور سيونا بالقلق من حقيقة أن توپري هو من اختار هذه الغُرفة.

فكّرت سيونا: *هذا الرّجل هو أحد الأخطاء القليلة التي ارتكبها غُلُط*؛ فغُلُط المسكين الذي قضى نحبه هو الذي وافق على انضمام توپري إلى المتمرّدين.

وقتها أوضح غُلُط قائلًا: «توپري موظّفٌ صغيرٌ في جهاز خدمات المدينة، وبإمكانه أن يجد لنا كثيرًا من الأماكن المفيدة للّقاء ولتسليح أنفسنا».

كان توپري قد وصل إلى نهاية مراسمه تقريبًا، فوضع السّكّين في علبةٍ مزخرفةٍ ووضع العلبة إلى جواره على الأرض.

ثم قال: «وجهي هو عهدي»، ثم أعطى الحضور جانب وجهه، وبعده الجانب الآخر وهو يضيف: «أُظهر وجهي لتعرفوني في أيّ مكان، ولتعلموا أنني واحد منكم».

فكّرت سيونا: *ما أغباها من مراسم.*

لكنها لم تجرؤ على كسر الطّقس، وحين أخرج توپري قناعًا من الشّاش الأسود من جيبه ووضعه على رأسه، أخرجت قناعها وارتدته، وحذا جميع من في الغُرفة حذوهما. بعدها تعالت في الغُرفة أصوات همهمة، إذ أُبلِغ معظم الحضور سابقًا بأن توپري أحضر زائرًا خاصًا اليوم. أحكمت سيونا ربطة قناعها خلف رقبتها. كانت متلهّفةً لرؤية ذلك الزّائر.

انفتح الباب ودخل إلى الغُرفة رجُلٌ طويل يرتدي قميصًا بُنّيًا داكنًا. كان وجهه بلا قناع ومكشوفًا ليراه الجميع، وهو وجهٌ نحيلٌ آمرٌ ضيّقُ الفم، نحيفُ الأنف حادُّه، تتوسّطه عينان بُنيّتان داكنتان غائرتان تحت حاجبين كثّين. كان وجهًا يعرفه مُعظم من في الغُرفة.

قال توپري: «أصدقائي، أقدّم لكم آيو كوبات، سفير كوكب إيكس».

قال كوبات: «السّفير السّابق». كان صوته حنجوريًّا مضبوط النّبرة.

وقف الرّجُل معطيًا ظهره إلى الحائط مواجهًا الجلوس المُلثّمين في الغُرفة: «وصلني اليوم أمرٌ من إمبراطورنا الإله يقضي بترحيلي عن أزّاكس في ذِلّة».

- «لماذا؟».

باغتته سيونا بالسّؤال دون أدنى مواربة.

حرّك كوبات رأسه نحوها في سرعة، وثبّتَ نظره على وجهها الملثّم، ثم قال: «لقد وقعت محاولة لاغتيال الإمبراطور الإله، وقد تتبّع مصدر السّلاح وصولًا إليّ».

أفسح رفاق سيونا المجال بينها وبين السّفير السّابق، في إشارة واضحة إلى أنهم يدينون لها بالولاء.

سألته: «لماذا لم يقتلك إذًا؟».

- «أظن أنه أراد إفهامي أنني لا أستحقُّ القتل، فضلًا عن أنه يستخدمني الآن لنقل رسالة إلى إيكس».

- «أيُّ رسالة؟»، قالتها سيونا وتقدّمت عبر المساحة الخالية لتتوقّف على بعد خطوتين من كوبات، ولاحظت تحفُّزه الجنسي وهو يتفحّص جسدها.

قال الرّجُل: «أنت ابنة مُونِيو».

ضجّت الغُرفة بتوتُّرٍ غير مسموع. لماذا كشف أنه تعرّف عليها؟ من غيرها تعرّف عليه هنا؟ لم يكن كوبات يبدو أحمق. لماذا فعل ذلك؟

قال الرّجُل: «إنك -جسدًا وصوتًا وأسلوبًا- معروفةٌ جيّدًا هنا في أونْ. هذا القناع الذي على وجهك حماقة».

انتزعت سيونا القناع من رأسها وابتسمت إليه في تحدٍّ: «أوافقك الرأي. الآن أجب عن سؤالي».

سمعت صوت نائلة تقترب من يسارها، يصحبها مساعدان اختارتهما بنفسها.

رأت سيونا الإدراك يهبط على كوبات. لسوف يموت إذا لم يجب عن أسئلتها. لم تخن الرّجُل نبرة صوته، لكنه تحدّث ببطء، واختار كلماته بعناية أكبر.

- «أخبرني الإمبراطور الإله أنه يعلم بأمر الاتّفاقيّة بين كوكب إيكس والنّقابة. إننا نحاول صُنع مُضخِّمٍ ميكانيكيّ لقدرات النقابة الملاحية التي تعتمد حاليًا على المِزَاج».

قالت سيونا: «في هذه الغُرفة نُسمّيه الذّودة. ماذا ستفعل آلتك الإيكسيّة بالضّبط؟».

- «أنت تعلمين أن ملاحي النّقابة يتعاطون الاسپايس ليتمكّنوا من رؤية المسار الآمن الذي عليهم سَلكُه، أليس كذلك؟».

- «أتستبدلون آلة بالملّاحين؟».

- «قد يتسنّى ذلك».

- «ما الرّسالة التي طلب منك حملها إلى قومك بخصوص هذه الآلة؟».

- «طلب مني أن أُخطِر قومي بأنه لا يجوز لهم مواصلة المشروع إلّا إذا أرسلوا إليه تقاريرَ يوميّة عن التقدّم الذي يحرزونه».

هزّت سيونا رأسها: «لكنه ليس في حاجة إلى مثل هذه التّقارير! هذه رسالة فارغة!».

ابتلع كوبات ريقه، ولم يعُد يُخفي توتُّره.

ثم قال: «النّقابة والأخويّة متحمّستان لمشروعنا، وتشاركان فيه».

أومأت سيونا برأسها قائلة: «وتدفعان ثمن مشاركتهما بتقاسم الاسپايس مع إيكس».

نظر إليها كوبات شزرًا: «إنه عملٌ مُكلِّف، ونحن بحاجة إلى الاسپايس كي يُجري ملّاحو النّقابة اختبارات مقارنة».

قالت سيونا: «هذا كذبٌ وخداع. جهازكم لن يعمل أبدًا، والدُّودة تعلم هذا».

- «كيف تتجرّئين على اتّهامنا بالـ...».

- «اخرس! لقد أخبرتك لتوي بفحوى الرّسالة الحقيقي. الدُّودة تريد منكم يا معشر الإيكسيّين أن تواصلوا خداع النّقابة والبِني چيسيرِت. فهذا يُسلّيه».

أصرّ كوبات: «الآلة قد تنجح!».

ابتسمت له سيونا فحسب: «من حاول قتل الدُّودة؟».

- «دانكن آيداهو».

فلتت شهقة من نائلة، وسرت في أرجاء الغُرفة إيماءات صغيرة أخرى تدلُّ على المفاجأة: عبوس، تجهُّم، أنفاس متقطّعة.

سألته سيونا: «هل مات آيداهو؟».

- «أفترض ذلك، لكن الـ... آه، الدُّودة ترفض تأكيد الأمر».

- «لماذا تفترض موته إذًا؟».

- «لقد أرسل التِليلاكسو غولَ آيداهو آخر».

- «فهمت».

التفتت سيونا وأشارت إلى نائلة، التي ذهبت إلى أحد جوانب الغُرفة وعادت بطردٍ رفيعٍ ملفوفٍ بورقِ السُوق الوردي، وهو الورق الذي يستخدمه أصحاب المتاجر لتغليف المشتريات الصّغيرة. ناولت نائلة الطّرد إلى سيونا.

قالت سيونا: «هذا ثمن صمتنا»، ومدّت يدها بالطّرد إلى كوبات: «لهذا السّبب سُمِح لتوپري بإحضارك إلى هنا اللّيلة».

أخذ كوبات الطّرد دون أن يحيد نظرته عن وجهها، وسألها: «صمتكم؟».

- «نتعهّد بعدم إبلاغ النّقابة والأخوات بأنك تخدعهم».

- «نحن لا نخدع...»

- «لا تتحامق!».

حاول كوبات ابتلاع ريقه لكن جفاف حلقه منعه. بات قصدها جليًا في نظره: سواء كانت الرّواية صحيحة أم لا، فلسوف يُصدّقها النّاس إن نشرها المتمرّدون. إنها «سليمة المنطق» كما يُحبُّ توپري أن يقول.

نظرت سيونا إلى توپري الواقف خلف كوبات. لم ينضم أحد إلى هذا التّمرُّد لأسباب تتعلّق بـ«المنطق السّليم». ألم يدرك توپري أن

«منطقه السّليم» قد يخونه؟ أعادت سيونا انتباهها إلى كوبات.

سألها: «ماذا في هذا الطّرد؟».

وشت الطّريقة التي طرح بها السّؤال لسيونا بأنه يعرف بالفعل.

- «هذا شيءٌ أريد إرساله إلى إيكس، وأنت من سيأخذه إلى هناك. إنهما نسختان من مجلّدين أخذناهما من حِصن الدّودة».

حدّق كوبات إلى الطّرد بين يديه. بدا من الواضح أنه يودّ إسقاطه، وأن مخاطرته بالمجيء إلى وكر التّمرّد قد حمّلته عبئًا أشد فتكًا ممّا توقّع. ألقى كوبات نظرة نارية إلى توپري باحت بما ودّ أن ينطق به: *«لِمَ لم تحذرني؟»*.

ثم عاد ينظر إلى سيونا، وتنحنح قائلًا: «ما... ماذا يوجد في هذين... المجلّدين؟».

- «ننتظر من قومك أن يخبرونا بذلك. نظن أنها كلمات الدّودة ذاتها، مكتوبة بشيفرة نعجز عن فكّ طلاسمها».

- «ما الذي يجعلك تخالين أننا...».

- «أنتم يا معشر الإيكسيّين ماهرون في هذه الأمور».

- «وإن فشلنا؟».

هزّت كتفيها: «لن نلومكم على الفشل، ولكن إن استخدمتم هذين المجلّدين لأيّ غرضٍ آخر، أو لم تبلغونا بنجاحكم...».

- «كيف سيتسنّى لأيّ شخصٍ التّأكّد من أننا...».

- «لأننا لن نعتمد عليكم وحدكم. آخرون سيحصلون على نسخٍ أخرى. لا أظنُّ أن الأخويّة والنّقابة ستتردّدان في محاولة فكّ رموز ذينك المجلّدين».

وضع كوبات الطّرد تحت إبطه وضغطه على جسده.

- «وما الذي يجعلك تظنّين أن الـ... الدُّودة لا تعرف نيّاتكم... بل وحتّى أمر هذا الاجتماع؟».

- «أظن أنه يعلم كثيرًا من هذه الأمور، بل رُبّما حتّى يعرف من أخذ هذين المجلّدين، فأبي يعتقد أنه حقًّا ذو بصيرة نافذة».

- «أيؤمن والدك بالتّاريخ الشّفهي!».

- «كل من في هذه الغُرفة يؤمن به. التّاريخ الشّفهي لا يتعارض مع التّاريخ الرّسمي في المسائِل الجِسام».

- «لماذا إذًا لا تتحرّك الدُّودة ضدّكم؟».

أشارت سيونا إلى الطّرد القابع تحت ذراع كوبات: «رُبّما يكمن الجواب هنا».

- «ورُبّما أنتم وهذان المُجلّدان الغامضان لا تُشكّلون أيّ تهديدٍ حقيقيٍّ له».

لم يحاول كوبات إخفاء غضبه، إذ لم يكن يُحب أن يُجبر على اتّخاذ القرارات.

- «رُبّما. أخبرني، لماذا أتيت إلى ذكر التّاريخ الشّفهي؟».

سمع كوبات نبرة التّهديد مرّةً أخرى.

- «لأنه يذكّر أن الدّودة تعجز عن الشّعور بالعواطف البشريّة».

قالت: «ليس هذا سببًا. سأعطيك فرصةً أخرى لتخبرني بالسّبب الحقيقي».

اقتربت نائلة خطوتين من كوبات.

- «لقد... لقد نُصِحت بمراجعة أخبار التّاريخ الشّفهي قبل قدومي إلى هنا. قيل لي أن قومك...»، ثم بتر عبارته وهزّ كتفيه.

- «أننا نرتّله ترتيلًا؟».

- «أجل».

- «من أخبرك بهذا؟».

ابتلع كوبات ريقه، وألقى نظرة خائفة إلى توپري، ثم عاد ينظر إلى سيونا.

سألته سيونا: «توپري؟».

قال توپري: «ظننت أن هذا سيساعده على فهمنا».

قالت سيونا: «كما أخبرته باسم قائدك».

قال توپري بصوته الرّفيع: «كان يعلمه بالفعل!».

سألت سيونا: «أيْ أجزاءٍ بعينها من التّاريخ الشّفهي طُلِبَ منك مراجعتها؟».

- «آه... ما يتعلّق بسلالة آل آتريديز».

- «وتظن الآن أنك تعلم سبب انضمام النّاس إليّ في التّمرُّد».

قال كوبات: «أخبار التّاريخ الشّفهي تحكي بالتّفصيل كيف تُعامِل الدُّودة جميع أفراد السّلالة الآتريديزية!».

سألته سيونا: «يغرينا بطرف حبلٍ ثم يسحبنا إليه، أليس كذلك؟».
كان صوتها خاليًا من أيّ نبرة على نحوٍ مخادع.

قال كوبات: «هذا ما فعله بأبيك».

- «والآن تراه يتركني ألهو وألعب في هذا التّمرُّد؟».

قال كوبات: «ما أنا إلّا رسول. إن قتلتِني، فمن سينقل رسالتك؟».

- «أو رسالةَ الدُّودة».

ظلّ كوبات صامتًا.

قالت سيونا: «لا أظنُّ أنك تفهم التّاريخ الشّفهي، ولا أظنُّ كذلك أنك تفهم الدُّودة جيّدًا، ولا رسائلها».

انتفخت أوداج كوبات غضبًا: «ما الذي يمنع أن ينتهي بك المآل مثل بقيّة آل آتريديز، مُجرّد حلقة لطيفة مطيعة لـ...»، ثم بتر عبارته وقد أدرك فجأة ما الذي أنطق به الغضبُ لسانَه.

قالت سيونا: «مُجرّد مجنّدة أخرى في دائرة الدُّودة الدّاخليّة، لا أختلف عن غيلان دانكن آيداهو».

ثم التفتت ونظرت إلى نائلة. فجأة تأهّب المساعدان آنوك وتاو، لكن نائلة ظلّت على هدوئها.

أومأت سيونا إلى نائلة.

كما أقسما أن يفعلا، تحرّك آنوك وتاو وسَدّا الباب، وذهبت نائلة لتقف خلف كتف توپري.

سأل توپري: «ما... ما الذي يحدث؟».

قالت سيونا: «نودُّ أن نعرف كل ما هو مهم في جُعبة السّفير السابق. نريد أن نسمع الرّسالة كاملة».

بدأ توپري يرتجف، وتفصّد العرق من جبين كوبات. ألقى نظرة سريعة على توپري، ثم أعاد انتباهه إلى سيونا. كانت تلك النّظرة الخاطفة أشبه بلحظة خلع حجابٍ سمحت لسيونا بالنّظر إلى ما يجمع بين الاثنين.

ابتسمت سيونا، إذ أكّد لها هذا ما كانت تعرفه بالفعل.

تجمّد كوبات في مكانه.

قالت سيونا: «لك أن تبدأ».

- «أنا... ما الذي...».

- «لقد أمرتك الدُّودة بإيصال رسالة خاصّة إلى أسيادك. سأسمع منك هذه الرّسالة».

- «إنه... يريد توسعةً لعربته الملكيّة».

- «إذًا هو يتوقّع أن يزداد طولًا. ماذا أيضًا؟».

- «يطلب منا أن نرسل إليه كمّيّة كبيرة من الورق البِلّوري

الرِديولي».

- «لأيّ غرض؟».

- «إنه لا يفسّر مطالبه أبدًا».

قالت سيونا: «لهذا وقعُ ما يُحرِّمه على غيره».

قال كوبات بمرارة: «إنه لا يحرِّم على نفسه شيئًا أبدًا!».

- «أصنعتم له ألعابًا مُحرّمةً من قبل؟».

- «لا أعرف».

فكّرت سيونا، *إنه يكذب*، لكنها آثرت ألّا تضغط على هذه النُّقطة، إذ كان يكفيها معرفة أن في درع الدُّودة ثغرةً أخرى.

سألته سيونا: «من سيحلُّ محلّك؟».

قال كوبات: «سيبعثون بابنة أخت مالكي، رُبّما تتذكّرينه، إنه...».

قالت: «نعم، نتذكّر مالكي. لماذا وقع الاختيار على ابنة أخت مالكي لتكون السّفيرة الجديدة؟».

- «لا أعرف، لكن الأمر صدر قبل أن يطردني الإمبر... الدُّودة».

- «اسمها؟».

- «هِوي نوري».

قالت سيونا: «لسوف نتعهّد هِوي نوري بالعناية. أنت لم تكن تستحق ذلك، لكن قد تكون هِوي نوري هذه من طينة أخرى. متى ستعود إلى إيكس؟».

- «بعد المهرجان مباشرةً. على متن أوّل سفينة نقابة مُغادرة».

- «ماذا ستقول لرؤسائك؟».

- «عَمّ؟».

- «عن رسالتي!».

- «سينفّذون ما تطلبينه».

- «أعرف. لك أن تغادر الآن أيّها السّفير السّابق كوبات».

كاد كوبات يصطدم بالحرس الواقف على الباب في تعجّله للمغادرة. همّ توپري باللّحاق به، لكن نائلة أمسكته من ذراعه وأبقته في مكانه. ألقى توپري نظرة جزعة إلى جسد نائلة المفتول، ثم نظر إلى سيونا، التي انتظرت إلى أن يُغلق الباب خلف كوبات قبل أن تتكلّم.

- «الرّسالة ليست موجّهة إلى الإيكسيّين فحسب، بل إلينا كذلك. الدّودة تتحدّانا وتخبرنا بقواعد القتال».

حاول توپري تمليص ذراعه من قبضة نائلة وهو يقول: «ماذا أنت...».

قاطعته سيونا: «توپري! بإمكاني أنا أيضًا إرسال رسالة. قُل لأبي أن يُعلِم الدّودة بأننا قبلنا التّحدي».

أفلتت نائلة ذراعه، فدعك توپري المكان الذي كانت تقبضه منه وهو يقول: «قطعًا أنت لا...».

قالت سيونا: «ارحل ما استطعت، ولا تعُد أبدًا».

- «لا يمكن أن تكوني جادّة في ظنّك أني...»

- «قلت ارحل! أنت أخرق يا توپري. لقد أمضيت معظم حياتي في مدارس مُحاورات الأسماك، وقد علّمتني تمييز الخرق حين أراه».

- «إن كوبات مُغادر. ما الضّرر الذي يمكن...».

- «إنه لا يعرف هويّتي فحسب، بل يعرف ماذا سرقت من القلعة! لكنه لم يعرف أنني سأرسل الطّرد معه إلى إيكس. أفعالك أوضحت لي أن الدُّودة تريد مني إرسال ذينك المُجلّدين إلى إيكس!».

تراجع توپري نحو الباب مبتعدًا عن سيونا. أفسح آنوك وتاو ممرًا له، وفتحا الباب على مصراعيه، وتبعته سيونا بصوتها.

- «لا تدّعِ أن الدُّودة هي من تحدّثت عني وعن طردي الذي سلّمته لكوبات! فالدُّودة لا ترسل رسائل خرقاء. قل له إنني قلت هذا!».

«يقول البعض إنني معدوم الضّمير لشِدّة ما يكذبون، حتّى على أنفسهم. أنا الضّمير الوحيد الذي وُجِد على الإطلاق. فكما يحتفظ النّبيذ بعَبَقِ البرميل الذي حُفِظ فيه، أحتفظ أنا بجوهر نشأتي الأقدم. هذا الجوهر هو بذرة الضّمير. وهذا ما يجعلني مقدّسًا. أنا الإله لأنني الوحيد الذي يعرف يقينًا نسبه الوراثي!».

- المذكّرات المسروقة

*بعد أن اجتمع مُحقّقو كوكب إيكس في القصر الكبير مع الفرشّحة لمنصب السّفير المنتدبة إلى بلاط الإله ليتو، سُجّلت الأسئلة والأجوبة التالية:*

مُحقّق: لقد أشرتِ أنك تريدين التحدّث إلينا عن دوافع ليتو الإله. تحدّثي.

هِوي نوري: تحليلاتكم الرّسميّة لا تُجيب عن الأسئلة التي أودّ طرحها عليه.

مُحقّق: أيّ أسئلة؟

هِوي نوري: أسأل نفسي كثيرًا ما الذي قد دفع الإله ليتو إلى قبول هذا التّحوّل الشنيع، هذا الجسد الدّودي، هذا الفقد لإنسانيّته؟ أنتم تقولون إنه فعلها من أجل السّلطة وطول العمر فحسب.

مُحقّق: أليس هذان سببين كافيين؟

هِوي نوري: اسألوا أنفسكم أيقبل أحدكم دفع مثل هذا الثّمن مقابل هذا العائد الزّهيد؟

مُحقِّق: أخبرينا من معين حكمتك الواسعة إذًا لماذا اختار الإله ليتو أن يصير دودة؟

هِوي نوري: أيشكّ أحدٌ هنا في قدرته على التّنبّؤ بالمستقبل؟

مُحقِّق: كلام جميل! أليس هذا ثمنًا كافيًا مقابل تحوُّله؟

هِوي نوري: لكنه كان يمتلك القدرة التّبصُّريّة بالفعل كما امتلكها والده من قبله. كلّا! أحسب أنه أقدم على هذا الاختيار اليائس لأنه رأى في مستقبلنا شيئًا لن يمنع حدوثه إلّا مثل هذه التضحية.

مُحقِّق: وما هذا الشّيءُ الغريب الذي لم يرهُ غيره في مستقبلنا؟

هِوي نوري: لا أعرف، لكنني أنوي اكتشافه.

مُحقِّق: بكلامك هذا تجعلين الطّاغية يبدو كأنه خادمٌ متفانٍ للناس.

هِوي نوري: ألم تكن هذه سمة بارزة في سلالته الآتريديزية؟

مُحقِّق: هذا ما تريد منا الرّوايات الرّسميّة تصديقه.

هِوي نوري: التّاريخ الشّفهي يُؤكّد هذا.

مُحقِّق: ما الصّفة الحميدة الأخرى التي تودّين إسباغها على الطّاغية؟

هِوي نوري: صفة «حميدة» يا هذا؟

مُحقِّق: صِفَة فحسب إذًا؟

هِوي نوري: كثيرًا ما كان عَمّي مالكي يقول إن مزاج الإله ليتو يميل إلى التّسامح الكبير مع صحابته المختارين.

مُحقِّق: ويعدم صحابة آخرين بلا سببٍ واضح.

هِوي نوري: أظن أن له أسبابه، وقد استنتج عَمّي مالكي بعضًا من تلك الأسباب.

مُحقِّق: أعطينا استنتاجًا واحدًا من هذا القبيل.

هِوي نوري: محاولات اغتياله الخرقاء مثلًا.

مُحقِّق: أصارت خرقاء الآن!

هِوي نوري: أيضًا لا يتسامح مع المُدّعين. تذكّر إعدامات المؤرّخين وإحراق أعمالهم.

مُحقِّق: لأنه لا يريد لنا أن نعرف الحقيقة!

هِوي نوري: لقد قال عَمّي مالكي إنهم كذبوا في سردهم للماضي. ولاحظ! من قد يعرف هذا أفضل منه؟ كلنا نعرف ما تُخفي باطنته.

مُحقِّق: ما الدّليل الذي نملكه على أن كل أسلافه يعيشون داخله؟

هِوي نوري: لن أخوض في هذا الجدل العقيم. سأكتفي بقول إنني أومن بذلك بناءً على إيمان عَمّي مالكي، وما دفعه من أسباب إلى هذا الإيمان.

مُحقِّق: لقد قرأنا تقارير عَمّك وفسّرناها تفسيرًا مختلفًا. مالكي بلغ حدّ المُغالاة في وَلَعِه بالدُّودة.

هِوي نوري: كان عمّي يراه أبرعَ دبلوماسيٍّ في الإمبراطوريّة، محاورًا حاذقًا وخبيرًا في أيّ موضوع قد يخطر ببالك.

مُحقِّق: ألم يتحدّث عَمُّكِ عن وحشيّة الدُّودة؟

هِوي نوري: كان عَمّي يراه في منتهى التّحضُّر.

مُحقِّق: سألتك عن الوحشيّة.

هِوي نوري: أجل، بإمكانه أن يكون وحشيًا.

مُحقِّق: كان عَمُّك يخشاه.

هِوي نوري: يفتقر الإله ليتو إلى كل البراءة والسّذاجة، ولا ينبغي أن يُخشى جانبه إلّا حين يتظاهر بهاتين الصِّفتين. هذا ما قاله عَمّي.

مُحقِّق: أجل، هذا ما قاله.

هِوي نوري: بل أكثر من ذلك! قال مالكي: «الإله ليتو يستمتع بعبقريّة البشر المُذهلة وبتنوُّعهم، وهو رفيقي المفضل».

مُحقِّق: بعد أن أطلعتِنا على حكمتك السّامية، كيف تفسرين هذه الكلمات التي قالها عَمُّكِ؟

هِوي نوري: إيّاك أن تستهزئ بي!

مُحقِّق: نحن لا نستهزئ، بل نسعى للتّنوير.

هِوي نوري: تشير كلمات مالكي المذكورة، والأمور الأخرى العديدة التي كتبها لي مباشرةً، إلى أن الرّب ليتو يسعى دائمًا للتّجديد والإبداع، لكنه يَحذر من الإمكانات التّدميريّة الكامنة في مثل هذه الصِّفات. هذا ما كان عَمّي يؤمن به.

مُحقِّق: أترغبين في إضافة شيءٍ آخر إلى هذه المُعتقدات التي

تتقاسمينها مع عَمِّك؟

هِوي نوري: لا أرى جدوى من الإضافة إلى ما قيل بالفعل، أعتذر عن إهدار وقت المُحقِّقين.

مُحقِّق: من قال أنك أهدرتِ وقتنا؟ لقد تأكّد تعيينك سفيرةً إلى بلاط الرّب ليتو، الإمبراطور الإله للكون المعروف.

«يجب أن تتذكّروا أنني، إذا قضيت أمرًا في داخلي، بإمكاني استدعاء كل خبرةٍ معروفةٍ في تاريخنا البشري. هذا هو معين الطّاقة الذي أنهل منه حين أتوجّه بخطابي إلى ذوي العقليّة الحربيّة. إن لم تكن قد سمعت بأذنيك صُراخ الجرحى وأنين المحتضرين، فأنت لا تعرف شيئًا عن الحروب. أمّا أنا فسمعت من الصُّراخ ما لا يزال هَوْلَه يُطارِدُني. لقد صرخت مِلء حنجرتي في أعقاب المعارك، وأثخنتني الجِراحُ في كل عصر: من القبضات والهَراوي والحجارة، من السُّيوف البرونزيّة والأذرع المُغطّاة بالدُّروع، من العِصي الشّائكة والمدافع، من السِّهام وبنادق اللّيزر والاختناق الصّامت بالغبار الذّرّي، من الأسلحة البيولوچيّة التي تُسوِّد اللّسان وتُغرق الرِّئات بالماء، من حرارة اللّهب الخاطف وعمل السُّموم البطيء... وممّا هو أكثر ولن أذكره! لقد رأيت كل جُرحٍ على مرّ التّاريخ وشعرت بألمه في جسدي. لذا إلى أولئك الذين يجرؤون على سؤالي عمّا أفعل أقول: بما أحمل في جعبتي من ذكريات الأسلاف، لا يسعني إلّا فعل ما أفعل. أنا لست جبانًا، وكنتُ -ذات يومٍ- إنسانًا».

- المذكّرات المسروقة

في الموسم الدّافئ حين يُضطرُّ المتحكّمون في الطّقس عبر

الأقمار الصّناعيّة إلى التعامل مع الرّياح عبر البِحار الكبرى، فإن المساء يشهد غالبًا هطول الأمطار على حافات صحراء السّرير. كان مُونِيو عائدًا من إحدى جولات التّفتيش الدّوريّة حول محيط القلعة حين فاجأته زخّة مطر مفاجئة. وقبل أن يصل إلى مأوًى من الماء، كان اللّيلُ قد حلّ. ساعدته حارسة من مُحاورات الأسماك على خلع عباءته المبلّلة عند البوّابة الجنوبية. كانت امرأة ممتلئة الجسم، ذات بنيةٍ قويّة وفكٍّ مربّع، وهو النّوع الذي يفضّله ليتو في فريق حراسته الخاصّة.

قالت المرأة: «يجب إجبار المتحكّمين في الطّقس اللّعينين على تحسين أدائهم». أومأ مُونِيو إيماءةً مُقتضبةً قبل أن يبدأ الصُّعود إلى مهجعه. كانت مُحاورات الأسماك جميعًا يعرفن نفور الإمبراطور الإله من الرُّطوبة، لكن لم تستشفّ واحدةٌ منهن ما استشفّه مُونِيو.

فكّر مُونِيو: *الدُّودة هي التي تكره الماء. شَيْ هولود تتوق إلى رمال كثيب.*

في غرفته، جفّف مُونِيو نفسه ووضع عليه ملابس أخرى لم يخالطها الماء، قبل أن يبدأ هبوطه إلى السّرداب. لا جدوى من إثارة العداء مع الدُّودة الآن وهو يستعد لخوضِ حديثٍ طويلٍ مع ليتو؛ حوارٍ صريحٍ حول الرّحلة الوشيكة إلى أونْ، مدينة المهرجان.

استند مُونِيو إلى جدارِ المِصعدِ الهابط وأغلق عينيه. على الفور، حلّ عليه التّعب. كان يعلم أنه لم ينم جيّدًا منذ أيّام، ولم يكن في الأُفُق مجالٌ للرّاحة. كان يحسد ليتو على تحرُّره الواضح من الحاجة الطّبيعيّة إلى النوم، فسويعات قليلة من النّوم الخفيف مرّة في الشّهر

كانت تكفي الإمبراطور الإله.

انتزعت رائحة السّرداب وتوقُّف المِصعد مُونِيو من غفوته القصيرة. فتح عينيه ونظر باتّجاه الإمبراطور الإله الجالس على عربته التي تتوسّط الحُجرة العظيمة. استجمع مُونِيو شتات نفسه وبدأ بُخطًى سريعة مشيه الطّويل المألوف نحو ذلك الحضور المُرعب. كما توقّع، بدا ليتو مُتيقّظًا. هذه، على الأقل، علامة جيّدة.

سمع ليتو صوت اقتراب المِصعد ورأى مُونِيو يستيقظ. بدا الرّجُل مُنهكًا وكان ذلك مفهومًا. الرّحلة إلى أوتْ وشيكة، ضِف إلى ذلك كل الأعمال المُرهِقة المتعلّقة بالزُّوار من خارج الكوكب، وطقوس مُحاورات الأسماك، والشفراء الجُدد، وتغيير الحرس الإمبراطوري، والتقاعدات والتعيينات، فضلًا عن غول دانكن آيداهو جديد يجب إدماجه في تروس آلة العمل الإمبراطوريّة السّلسة. إن مُونِيو مشغول بجِبَال من التّفاصيل، وقد بدأ تقدُّمه في السّنّ يُثقله.

فكّر ليتو: *حسبما أتذكّر، سيبلغ مُونِيو مِئة وثمانية عشر عامًا في الأسبوع الذي سيلي عودتنا من أوتْ.*

بإمكان الرّجُل أن يعيش أضعاف هذا العُمر إن تعاطى الاسپايس، لكنه يرفض، ولم يكن لدى ليتو أدنى شك في السّبب. لقد دخل مُونِيو في تلك الحالة البشريّة الغريبة التي يتوق فيها المرء إلى الموت، وهو يحيا فحسب ليرى سيونا قد عُيِّنت في الخِدمة الملكيّة، مُديرةً جديدةً لجمعية مُحاورات الأسماك الإمبراطوريّة.

*خُوريّاتي*، كما اعتاد مالكي تسميتهن.

كما أن مُونِيو يعلم أن ليتو ينوي تزويج سيونا بدانكن. لقد حان الوقت لذلك.

توقّف مُونِيو على بُعد خطوتين من العربة الملكيّة ورفع بصره إلى ليتو. شيءٌ ما في عينيه ذكّر ليتو بنظرة على وجه كاهن وثني من العصور القديمة على الأرض؛ ذلك التضرّع الماكر عند الضّريح المألوف.

قال مُونِيو: «مولاي، لقد أمضيتَ ساعاتٍ طويلةً تُراقب الدّانكن الجديد. هل تلاعب التِليلاكسو بخلاياه أم بنفسيّته؟».

- «إنه سليمٌ لم يُمس».

تنهّد مُونِيو بعمق، ولم يكن في تنهُّدِه أثرٌ لراحة.

سأله ليتو: «أنت تعارض استخدامه فحلًا للتكاثر؟».

- «أجد من الغريب التفكير فيه بصفته جدًّا لي، وفي الوقت نفسه أبًا لأحفادي».

- «لكنه سيتيح لي الوصول إلى أوّل جيلٍ مُهجّنٍ بين شكل إنساني قديم ومنتجات مُخطّطي الحالي للاستيلاد. سيونا تبعد واحدًا وعشرين جيلًا عن مثل هذا التهجين».

- «أعجز عن رؤية الهدف. إن غيلان دانكن أبطأ وأقل يقظة من أيٍّ من حرسك».

- «أنا لا أبحث عن ذُرّيّة صالحة منفصلة يا مُونِيو. أتظن أنني غير مُلِم بالتقدُّم الهندسي الذي تفرضه القوانين التي تحكم مخطّطي

للاستيلاد؟».

- «لقد رأيت دفتر السّلالات الذي تُبقيه يا مولاي».

- «إذًا تعلم أنني أتتبّع الچينات المُتنحيّة وأتخلّص منها. السّمات الچينيّة السّائدة هي ما يشغلني».

- «والظّفرات يا مولاي؟»، كان في صوت مُونِيو نبرةٌ خبيثةٌ جعلت ليتو يتأمّل الرّجل باهتمام.

- «لن نناقش هذا الأمر يا مُونِيو».

قالها ليتو وراقب مُونِيو ينسحب إلى قوقعته الحذرة.

وفكّر: *كم هو حسّاس تجاه حالتي المزاجيّة. أظن أنه يمتلك بعض قدراتي في هذا الشّأن، لكنها تعمل على مستوى لا واعٍ دون تدخُّل منه. سؤاله فيه تلميح إلى أنه قد يكون مُرتابًا فيما حقّقناه في سيونا.*

لاختباره في هذا، قال ليتو: «من الواضح لي أنك لم تفهم بعد ما أرجو تحقيقه من مُخطّط الاستيلاد».

أشرق وجه مُونِيو وقال: «يعلم مولاي أنني أحاول فهم القوانين التي تحكمه».

- «ما القوانين إلّا قواعد مؤقّتة على المدى الطّويل، ولا وجود للإبداع المحكوم بالقواعد».

- «لكن يا مولاي، أنت نفسك تتحدّث عن القوانين التي تحكم مُخطّطك للاستيلاد».

- «ألم تنصت إلى ما أخبرتك به لتوّي يا مُونِيو؟ محاولة العثور على قوانين للإبداع أشبه بمحاولة فصل العقل عن الجسد».

- «لكن شيئًا ما يتطوّر يا مولاي. أشعر بذلك في قرارة نفسي».

*يشعر به في قرارة نفسه! آهٍ يا مُونِيو العزيز. كم اقتربت!*

- «لماذا تسعى دائمًا خلف التّفسيرات الثّانويّة يا مُونِيو؟».

- «قد سمعتك تتحدّث عن *التطوّر التّحوّلي* يا مولاي، هذا هو العنوان الذي قرأت على دفتر الشّلالات الذي تحتفظ به. ولكن ما المُفاجأة...»

- «مُونِيو! القوانين تتغيّر مع كل مُفاجأة».

- «مولاي، أولست تُفكّر في تحسين النّسل البشري؟».

حدّق ليتو إليه بحدّة وهو يفكّر: *تُرى هل سيفهم الكلمة المفتاحيّة إن استخدمتها الآن؟ رُبّما...*

- «أنا مُفترس يا مُونِيو».

قال مُونِيو: «مُفتـ...»، ثم بتر عبارته وهزّ رأسه. كان يعرف معنى الكلمة، لكنها في هذا السّياق صدمته. هل الإمبراطور الإله يمزح؟

- «مُفترس يا مولاي؟».

- «المُفترس هو الذي يُحسّن نسل الفرائس».

- «كيف هذا يا مولاي؟ أنت لا تكرهنا».

- «خيّبت أملي فيك يا مُونِيو. المُفترس لا يكره فريسته».

- «لكن المُفترسات تقتل يا مولاي».

- «أنا أقتل، لكنني لا أكره. الفريسة تسدُّ الجوع. الفريسة نافعة».

نظر مُونِيو إلى وجه ليتو في قلنسوته الرّماديّة متسائلًا.

*هل سهوت عن اقتراب الدُّودة؟*

بخوف، بحث مُونِيو عن العلامات التي تُنبئ باقترابها. لم يكن في الجسد العملاق اختلاجات، ولا في العينين بريق، ولا في الزُّعنفتين عديمتي الفائدة التواء.

تجرأ مُونِيو على السُّؤال: «إلِام تجوع يا مولاي؟».

- «إلي جنسٍ بشريٍّ قادر على أخذ قرارات طويلة الأمد بحق. هل تعرف مفتاح هذه القدرة يا مُونِيو؟».

- «لقد ذكرتها لي مرّاتٍ عِدّة يا مولاي. إنها قدرة المرء على تغيير تفكيره».

- «تغييره، صحيح. وهل تعلم ما أقصد بطول الأمد؟».

- «لا بُد أن مقداره عندك آلاف السّنين ممّا نعد يا مولاي».

- «مُونِيو، حتّى آلاف السّنين التي عشتها ليست إلّا ومضة خاطفة أمام الأبديّة».

- «لكن، لا بُدّ أن منظورك يختلف عن منظوري يا مولاي».

- «من منظور الأبديّة، أيُّ أمدٍ طويل مُحدّد هو أمدٌ قصير».

سأل مُونِيو بصوتٍ أبدت نبرته شيئًا من الهِستيريا: «إذًا لا وجود

لأيّ قوانين حاكمة يا مولاي؟».

ابتسم ليتو ليُهدّئ من روع الرّجُل: «رُبّما هو قانون واحد. القرارات القصيرة المدى تميل إلى الفشل على المدى الطويل».

هزّ مُونِيو رأسه في إحباط: «لكن يا مولاي، إن منظورك لـ...».

- «الدّهر يُفنِي أيّ مُراقبٍ زائل. لا وجود للأنظمة المغلقة. حتّى أنا لا أفعل سوى مطّ منظومة زائلة».

حوّل مُونِيو انتباهه عن وجه ليتو ورنا إلى طول ممرّات القبر الأجوف. *سأُدفن هنا يومًا ما. الصّراط الذّهبي قد يستمر، لكنني سأفنى.* لم يكن ذلك مُهمًا بالطّبع، المُهم هو الصّراط الذّهبي لا غير، الذي يستشعر استمراريّته غير المنقطعة. أعاد مُونِيو انتباهه إلى ليتو، لكنه لم يركّز على عينيه تامّتي الزُّرقة. *أحقًا يكمن مُفترس في هذا الجسد القبيح؟*

قال ليتو: «أنت لا تفهم دور المُفترس».

صدمت العِبارة مُونِيو إذ فاحت منها رائحة قراءة الأفكار، فرفع بصره لتلتقي عيناه عيني ليتو.

قال ليتو: «أنت تعلم بالبداهة أنني أنا نفسي سيصيبني لونٌ من الموت يومًا ما، لكنك لا تصدّق الأمر».

- «كيف أصدّق ما لن أراه أبدًا؟».

لم يسبق أن شعر مُونِيو بالوِحدة والخوف كما شعر الآن. ما الذي يحاول الإمبراطور الإله فعله؟ *لقد جِئت إلى هنا لمناقشة عقبات*

*الرِّحلة ... ولاستشفاف نيّاته تجاه سيونا. هل يتلاعب بي؟*

قال ليتو: «لنتحدّث عن سيونا».

*ها هي ذي قراءة الأفكار من جديد!*

«متى ستختبرها يا مولاي؟». ظلّ السّؤال على طرف لسانه طوال هذا الوقت، لكنه الآن بعد أن نطق به، شعر مُونِيو بالخوف منه.

- «قريبًا».

- «اعذرني يا مولاي، لكنك تعلم قطعًا مدى خوفي على سلامة ابنتي الوحيدة».

- «لقد نجا آخرون من الاختبار يا مُونِيو، وأنت واحد منهم».

ابتلع مُونِيو ريقه وقد تذكّر اللّحظة التي أُكسِب فيها حساسيّة استشعار الصّراط الذّهبي.

- «أمّي أعدّتني للأمر، لكن سيونا بلا أمٍّ».

- «لديها مُحاورات الأسماك، فضلًا عنك».

- «الحوادث تقع يا مولاي».

قالها مُونِيو واغرورقت عيناه بالدّموع.

أشاح ليتو بنظره بعيدًا عنه وفكّر: *إنه ممزّق بين ولائه لي وحُبّه لسيونا. كم هو مؤثّر هذا الحِرص على الذُّرّية. ألا يفهم أن كل البشر ذُرّيتي؟*

قال ليتو وقد أعاد انتباهه إلى مُونِيو: «أنت مُصيب في ملاحظتك

أن الحوادث تقع حتّى في كوني. ألا يُعلّمك هذا شيئًا؟».

- «مولاي، ألا يمكنك هذه المرّة فحسب أن...».

- «مُونِيو! أنت قطعًا لا تطلب مني تفويض السُلطة إلى مسؤولٍ ضعيف».

تراجع مُونِيو خطوة إلى الوراء: «كلّا يا مولاي، بالطّبع لا».

- «ثق إذًا بقوّة سيونا».

شدّ مُونِيو عُوده وقال: «سأفعل ما عليّ فعله».

- «على سيونا أن تُدرك واجباتها التي يُحتّمها عليها نسبها الآتريديزي».

- «أجل، بالتأكيد يا مولاي».

- «أليس هذا التزامنا يا مُونِيو؟».

- «لا أنكر ذلك يا مولاي. متى ستعرّفها إلى الدّانكن الجديد؟».

- «الاختبار أوّلًا».

خفض مُونِيو بصره وحدّق إلى أرضيّة السّرداب الباردة.

فكّر ليتو: *إنه كثير التحديق إلى الأرضيّة. ماذا يتوقّع أن يجد فيها؟ الآثار التي خلّفتها عجلات عربتي الملكيّة عبر القرون؟ آه، كلّا... بل هو ينظر إلى ما هو أعمق من الآثار المادّيّة، إلى عالم الكنوز والغموض الذي يتوقّع أن يدخله قريبًا.*

رفع مُونِيو بصره مُجدّدًا إلى وجه ليتو: «آمُل أن تأنس بصُحبة

الدّانكن يا مولاي».

- «تأكّد من ذلك. لقد أحضره لي التِليلاكسو في صورة غير مشوّهة».

- «هذا مُطمئن يا مولاي».

- «لا شك في أنك لاحظت أن چيناته جاذبة للإناث».

- «هكذا لاحظت يا مولاي».

- «ثمّة شيء في تينك العينين اللتين تسبران الأغوار بلطف، وتلك الملامح القوية. وذلك الشّعر الفاحم السّواد يذيب العقليّة الأنثويّة بالكامل».

- «كما تقول يا مولاي».

- «هل تعرف أنه برفقة مُحاورات الأسماك الآن؟».

- «أُخطِرت بذلك يا مولاي».

ابتسم ليتو. بالطبع أُخطِر مُونِيو بذلك. «سيأتون به إليّ قريبًا لرؤية الإمبراطور الإله للمرّةِ الأولى».

- «لقد فحصت غُرفة اللّقاء بنفسي يا مولاي. كل شيءٍ جاهز».

- «أحيانًا أظن أنك تريد إضعافي يا مُونِيو. اترك بعضًا من تلك التّفاصيل لي».

حاول مُونِيو إخفاء انقباضة الخوف التي اعتصرته، ثم انحنى وتراجع إلى الخلف. «بالتأكيد يا مولاي، ولكن بعض الأشياء يجب أن

أفعلها بنفسي».

ثم استدار وسارع بالرحيل، لكنه لم يدرك أنه غادر دون أن يُصرف إلّا وهو في المِصعد.

*لا بُدّ أنه يعرف مدى تعبي. لسوف يسامحني.*

«ربُّك أعلم بما في صَدرِك. كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا(8). لستُ في حاجةٍ إلى شهود. لقد أعرضت عن صوت نفسك، واتَّبعت هوى غضبك وسخطك».

- كلمات تلقّاها تائبٌ من الإله ليتو،

من التّاريخ الشّفهي.

*التقييم التّالي لوضع الإمبراطوريّة في السنة 3508 من حُكم الإله ليتو مأخوذ من «مُختصر وِلبِك». الأصل محفوظ في أرشيف مقر أخويّة البِني چيسيرِت. كشفت المقارنة أن الاختصار لم يُخلّ بدِقّة هذا التّقرير الضّروريّة.*

باسم جماعتنا المقدّسة وأخويّتنا المترابطة، قضينا بأن هذا التّقرير موثوق، وجدير بأن يُدرج في سِجِلّات بيت الأخويّة. لقد عادت الأختان تشنويه وتاوسوكو بسلام من أزّاكس لإبلاغنا بتأكيد إعدام المؤرّخين التسعة -الذين طالما اشتُبه في مصيرهم- بعدما اختفوا في قلعة الرّبّ ليتو في سنة 2116 من حُكمه. أفادت الأُختان أن المؤرّخين التّسعة قد أُفقِدوا الوعي، ثم أُحرِقوا على محارق كان حطبها مؤلّفاتهم المنشورة، وهذا يتوافق تمامًا مع الشّائعات التي سَرَت في أرجاء الإمبراطوريّة في ذلك الوقت، ويُرجّح أن مصدر

تلك الرّوايات الإله ليتو ذاته.

أحضرت الأختان تشنويه وتاوسوكو مخطوطات لشاهدٍ عيان تفيد بأنه حين ناشد مؤرّخون آخرون الإله ليتو، طلبًا لأنباء عن زملائهم المفقودين، قال الإله ليتو:

- «لقد هلكوا لأنهم كذبوا ملء أفواههم. لا تخشوا أن ينزل عليكم غضبي جراء أخطائكم البريئة، فأنا لست مغرمًا كثيرًا بخلق الشُّهداء، فهم كثيرًا ما يثيرون المآسي في شؤون البشر، والمآسي من فرانسي. لا ترتعدوا خوفًا إلّا إذا كذبتم متعمّدين وتفاخرتم بكذبكم. اذهبوا الآن ولا تتحدّثوا عن الأمر».

تشير الأدلّة المستقاة من النّص المكتوب بخط اليد إلى أن مؤلّفه هو آيكونِكري، قهرمان الإله ليتو في عام 2116.

لفت انتباهنا استخدام الإله ليتو كلمة «فرانس». وهذا يشير إلى حدٍّ كبير إلى النّظريّات التي طرحتها الأمُّ الموقّرة سياكسا والتي تقول إن الإمبراطور الإله ينظر إلى نفسه على أنه مفترش بالمعنى الطّبيعي.

لقد دُعيت الأخت تشنويه إلى مرافقة مُحاورات الأسماك في موكبٍ طلع مع الإله ليتو في إحدى رحلاته النّادرة. وفي جزء من الرّحلة، دُعيت للهرولة إلى جوار العربة الملكية والتّحدُّث مع الإله ليتو ذاته، وقد روت ما دار بينهما من حوار على النّحو الآتي:

قال الإله ليتو: «هنا على الطّريق الملكيّة، أشعر أحيانًا أنني في بُرجٍ مُشيّد يحميني من الغزاة».

قالت الأخت تشنويه: «لا أحد يهاجمك هنا يا مولاي».

قال الإله ليتو: «أنتن يا معشر البِني چيسيرِت تهاجمنني من كل جانب. وحتّى الآن، أنت تحاولين تحريض مُحاورات الأسماك عليّ».

تقول الأخت تشنويه إنها في تلك اللّحظة أعدّت نفسها للموت، لكن الإمبراطور الإله أوقف عربته واخترقها بنظره كأنه لا يراها، مُحدّقًا إلى حاشيته. قالت إن الأخريات توقّفن وانتظرن على قارعة الطّريق في إذعانٍ ذُرّبن جيّدًا عليه، وحافظن جميعًا على مسافة محترمة منه.

قال الإله ليتو: «هذه جماعتي الصّغيرة، وهي تخبرني بكل شيء. لا تنكري اتّهامي».

قالت تشنويه: «أنا لا أنكره».

نظر إليها الإله ليتو وقال: «لا تخشي شيئًا على نفسك، فأنا أريد منك إبلاغ كلماتي في مقرّ أخويّتك».

قالت الأخت تشنويه إنها أدركت حينها أن الإله ليتو يعرف كل شيء عنها، وعن مهمّتها، وعن التدريب الخاص الذي تلقّته لتكون حافظة شفهيّة. قالت: «كان كالأُمّهات الموقّرات. لم يكن في مقدوري إخفاء شيءٍ عنه».

ثم أمرها الإله ليتو قائلًا: «انظري نحو مدينة مهرجاني وأخبريني بما ترين».

رنت الأخت تشنويه نحو أونْ وقالت: «أرى المدينة في الأفق. إنها جميلة في ضوء الصّباح. ها هي ذي غابتك إلى اليمين. إن بها

من درجات اللّون الأخضر ما قد أقضي اليوم كله في وصفه. وإلى اليسار، وحول المدينة بالكامل، تلتف منازل وحدائق خدمك. يبدو لي أن بعضها غنيّ جدًّا وبعضها الآخر فقيرٌ جدًّا».

قال الإله ليتو: «لقد شوّهنا هذا المشهد! الأشجار فوضى، وكذلك المنازل والحدائق... لا يمكن للمرء أن يجد مُتعة العثور على أسرارٍ جديدة في مثل هذا المشهد».

سألت الأخت تشنويه، وقد تشجّعت بالأمان الذي أعطاه الإله ليتو لها: «هل يريد مولاي الأسرار حقًّا؟».

قال الإله ليتو: «لا خُزّيّة روحية في مثل هذا المشهد، ألا ترين ذلك؟ لا براح كونيًّا لمشاركته. كل شيء هنا مغلق... أبواب، مزاليج، أقفال!».

سألت الأخت تشنويه: «ألم يعد البشر بحاجة إلى الخصوصيّة والحماية؟».

قال الإله ليتو: «حين تعودين، أخبري أخويّتك أنني سأستعيدُ البراحَ، فمثل هذا المشهد يجعل المرء يتقوقع على نفسه بحثًا عن أيّ خُزّيّة يمكن لروحه العثور عليها في داخله. معظم البشر ليسوا أقوياء بما يكفي للعثور على الخُزّيّة داخل أنفسهم».

قالت الأخت تشنويه: «سأبلغ كلماتك بأمانة يا مولاي».

قال الإله ليتو: «تأكّدي من ذلك. وأخبريهن أيضًا أن البني چيسيرِت، من بين جميع الناس، لا بُدّ يعرفن مخاطر محاولة استيلاد سِمة معينة، والسّعي إلى هدفٍ وراثيٍّ مُحدّد».

تقول الأخت تشنويه إن هذه كانت إشارة واضحة إلى والد الإله ليتو، پول آتريديز. تجدر مُلاحظة أن مُخطّطنا الاستيلادي قد حقّق الكويزاتس هاديراك مُبكّرًا بجيل. لقد أفلت پول آتريديز من قبضتنا حين صار المؤدّب، زعيم الفرمِن. لا شك في أنه كان ذكرًا يتمتّع بقدرات الأُمّهات المُوقّرات، وقدرات أخرى لا تزال البشريّة تدفع ثمنها الباهظ إلى الآن. أو كما قال الإله ليتو:

- «لقد حصلتن على ما لم تتوقّعنه. حصلتن عليّ، أنا الورقة المُباغتة. وأنا أحرزت سيونا».

رفض الإله ليتو الاستفاضة في تفاصيل هذه الإشارة إلى ابنة قهرمانه مُونِيو. جارٍ التّحقيق في الأمر.

وفيما يتعلّق بأمورٍ أُخرى تهم مجلس الأخويّة، قدّمت مُحقّقاتنا معلومات عن:

## مُحاورات الأسماك

انتخبت فيالق ليتو النّسائية مُمثّلاتهن اللاتي سيحضرن المهرجان الذي يقام كل عشر سنوات على أزّاكس. ستحضر ثلاث ممثّلات عن كل حامية كوكبية (يُرجى مراجعة القائمة المرفقة لمن وقع عليهن الاختيار). كما هي الحال دائمًا، لن يحضر المهرجان أيّ ذكورٍ بالغين، حتّى لو كانوا أخدان ضابطات مُحاورات الأسماك. لم تشهد قائمة أخدان تغييرًا يُذكَر خلال مدة إعداد هذا التقرير، وقد ألحقنا الأسماء الجديدة بالتّفاصيل الچينية حين توافر ذلك. يُرجى ملاحظة أن اثنين فقط من الأسماء يمكن تمييزهم على أنهم من نسل غيلان دانكن آيداهو. ليس لدينا شيءٌ جديد نضيفه إلى تأمُّلاتنا حول

استخدامه للغيلان في مُخطّطه الاستيلادي.

لم تنجح أيٌّ من جهودنا في تشكيل تحالف بين مُحاورات الأسماك والبِني چيسيرِت خلال هذه المُدّة. لا ينفك الإله ليتو عن زيادة أعداد أفراد بعض الحاميات، كما يواصل التّركيز على المهام البديلة لمُحاورات الأسماك، مُقلّلًا التركيز على مهامهن العسكريّة. وقد حقّق هذا النّتيجة المتوقّعة، وهي زيادة إعجاب السُكّان المحلّيّين واحترامهم وامتنانهم لوجود حاميات مُحاورات الأسماك (يُرجى مراجعة القائمة المرفقة للحاميات التي زِيد عدد أفرادها. ملحوظة من المُحرّر: الحاميات المذكورة هي تلك الموجودة على الكواكب الأم للبِني چيسيرِت والإيكسيّين والتِليلاكسو. لم تحدث زيادة في أعداد من يراقبن نقابة الفضاء.

## الكهنوت

باستثناء بعض الوفيات الطّبيعية وبعض الاستبدالات التي أُلحِقت قائمتها في المرفقات، لم تحدث تغيّرات كبيرة. أولئك الذين كُلّفوا من الأخدان والضابطات لأداء الواجبات الطّقسية لا يزالون قلة، وقد قُلّصت سُلطاتهم بسبب الحاجة المستمرة إلى تشاورهم أوّلًا مع أرّاكس قبل اتّخاذ أيّ إجراءٍ مهم. ترى الأُمّ الموقّرة سياكسا، وتوافِقها أُخريات، أن السّمة الدّينيّة لمُحاورات الأسماك تُقوّض ببطء.

## مُخطّط الاستيلاد

بخلاف الإشارة غير المُفسّرة إلى سيونا وإلى فشلنا مع والدها، ليس لدينا ما نضيفه إلى مُراقبتنا المُستمرّة لمخطّط الاستيلاد الخاص بالإله ليتو. ثمّة أدلّة على وجود قدرٍ مُعيّنٍ من العشوائيّة في

خُطّته، وهو ما يُعزِّزه تصريح الإله ليتو حول «الأهداف الوراثيّة»، لكننا لا نستطيع الجزم بأنه كان صادقًا مع الأخت تشنويه. نود تذكيركن بالحالات العديدة التي كذب فيها، أو غيّر أهدافه بشكل كبيرٍ دون سابقِ إنذار.

ما زال الإله ليتو يحظر علينا المشاركة في مُخطّطه الاستيلادي، والمُراقبات من حامية مُحاورات الأسماك على كوكبنا لا يزلن عازمات على «استئصال» مواليدنا اللاتي يعترضن عليهن. فقط عن طريق ضوابط شديدة الصّرامة استطعنا الحفاظ على مكانة الأُمّهات المُوقّرات خلال الفترة المشمولة في التقرير، ولم تلق احتجاجاتنا استجابةً. في ردّه على سؤال مباشر طرحته عليه الأخت تشنويه، قال ليتو:

- «كُن شاكرات لما لديكن».

هذا التّحذير مذكور هنا بالاهتمام الواجب، وقد بعثنا برسالة شكر مُهذّبة إلى الإله ليتو.

## الاقتصاد

ما زال بيت الأخويّة قادرًا على الحفاظ على استقراره المالي، لكن لا يمكننا تخفيف تدابير الحدّ من الإنفاق. في الواقع، سنتّخذ بعض التّدابير الجديدة احترازًا في الفترة القادمة. تشمل هذه التّدابير تقليص استخدامات المِزّاج في الطُّقوس، وزيادة الرُّسوم المفروضة على خدماتنا المعتادة. نتوقّع مضاعفة رسومنا لتعليم إناث العائلات الكبيرة خلال فترات التقارير الأربع القادمة. وعليه، أنتن مكلّفات بالبدء في إعداد حُججِكُن للدفاع عن هذا الإجراء.

لقد رفض الإله ليتو طلب زيادة حِصّتنا من المِزّاج، ولم يذكر السّبب.

لا تزال علاقتنا بـ«الائتلاف المجزّي لأقطاب التجارة الأشراف» قائمة على أُسسٍ سليمة. لقد نجح ائتلاف تشوم خلال الفترة السّابقة في تكوين احتكار إقليمي لمشروع «جواهر النُّجوم»، وهو المشروع الذي حقّقنا منه عوائد كبيرة من خلال وظائفنا الاستشارية ومناصب المفاوضة. ومن المتوقّع أن تُعوّض الأرباح المُستمرّة من هذا المشروع خسائرنا على جيدي پرايم. لقد شُطِبت استثماراتنا من جيدي پرايم.

## العائلات الكبيرة

عانت إحدى وثلاثون عائلة كبيرة سابقة من كارثة اقتصاديّة جسيمة خلال فترة هذا التّقرير، ستّة منها فقط استطاعت التشبّث بمكانة العائلات الصّغيرة بعد هبوطها (يُرجى مراجعة القائمة المرفقة). يتماشى هذا مع الاتّجاه العام المُلاحظ على مدار السنين الألف الماضية، الذي تنحدر فيه العائلات الكبيرة السّابقة بالتدريج وتذوي في الخلفية. من الجدير بالذّكر أن العائلات السّتّ التي تفادت الانهيار التّام كلها من كبار المستثمرين في شركة تشوم، وأن خمسًا من هؤلاء السّتّ كانت ضالعة بعمق في مشروع «جواهر النُّجوم». العائلة صاحبة الاستثناء الوحيد كانت ذات محفظة متنوّعة، وتضمّنت أعمالها استثمارات كبيرة في فِراء الحيتان العتيق من كلادان.

(زادت احتياطاتنا من أرز الپونجي إلى الضِّعف تقريبًا خلال هذه

الفترة، على حساب احتياطاتنا من فراء الحيتان. وسنراجع أسباب هذا القرار في الفترة القادمة).

## الحياة الأُسريّة

كما لاحظت مُحقّقاتنا على مدى ألفي العام السّابقة، فإن تجانس الحياة الأُسريّة لا يزال مُستمرًا دون انقطاع، يُستثنى من ذلك فقط ما للمرء أن يتوقّع: النّقابة، ومُحاورات الأسماك، وحاشية البلاط الملكي، وراقصو الوجوه متغيّرو الشّكل من التِليلاكسو (الذين ما زالوا بغالًا عقيمة على كل الجهود المبذولة لتغيير هذه الحالة)، ونحن معشر البِني چيسيرِت بالطبع.

من الجدير بالملاحظة أن الوضع الأسري البشري شديد التّشابه بغضّ النّظر عن كوكب الإقامة، وهو ظرف لا يمكن أن يُعزى إلى المصادفة. ما نشهده هنا هو تجلّي جزءٍ من خُطّة الإله ليتو الكُبرى. أجل، فحتّى أفقر الأسر تحظى بتغذية جيّدة، لكن أوضاع الحياة اليوميّة تزداد جمودًا باستمرار.

نذكّركن بتصريح للإله ليتو الوارد في تقريرٍ سابق منذ ما يقرب من ثمانية أجيال:

- «أنا الأعجوبة الوحيدة الباقية في الإمبراطوريّة».

لقد اقترحت الأُمّ الموقّرة سياكسا تفسيرًا نظريًا لهذا الاتجاه، وهي نظرية بدأت كثيرات منا يعتقدن فيها. ترى الأُمّ الموقّرة سياكسا أن دافعَ الإله ليتو يعتمد مفهوم «الاستبداد المائي». كما تعلمون، فإن الاستبداد المائي لا يكون ممكنًا إلّا حين تتحكّم قوّة مركزيّة

صغيرة نسبيًا في مادّةٍ أو في وضعٍ لا تستقيم الحياة من دونه. لقد نشأ مفهوم الاستبداد المائي حين أدّت وفرة مياه الرّي إلى زيادة أعداد السّكان المحلّيين إلى مستوًى يتطلّب اعتمادًا مطلقًا على هذه الوفرة. وحين ينقطع جريان الماء، يموت النّاس بأعدادٍ كبيرة.

لقد تكرّرت هذا الظاهرة مرّاتٍ عِدّة في التّاريخ البشري، ليس حصرًا مع المياه ومنتجات الأراضي الزّراعيّة، ولكن مع الوقود الهيدروكربوني كذلك، كالنفط والفحم، الذي كان يُتحكّم فيه عبر خطوط الأنابيب وشبكات توزيعٍ أخرى. وفي وقت من الأوقات، حين كانت الكهرباء تُوزّع عبر متاهات معقّدة من الخطوط الممتدّة عبر الأراضي، صار مورد الطّاقة هذا مثله مثل الموارد الأخرى، يرزح تحت حُكم «الاستبداد المائي».

تفترض الأمُّ الموقّرة سياكسا أن الإله ليتو يدفع الإمبراطوريّة إلى اعتمادٍ أكبر على المِزَاج. من الجدير بالذّكر أن عمليّة الشّيخوخة يمكن أن يُنظر إليها على أنها مرض علاجه الوحيد هو المِزَاج، وإن كان عِلاجًا لا يُشفي شفاءً كاملًا. تفترض الأمُّ الموقّرة سياكسا أنّ الإله ليتو قد يتمادى إلى حدّ خلقِ مرضٍ جديدٍ لا يمكن السّيطرة عليه إلّا بالمِزَاج. ومع أن هذا قد يبدو شططًا بعيد الاحتمال، فلا ينبغي إغفاله تمامًا. فقد سبق أن وقعت أمورٌ أغرب من ذلك، ولنا في مرض الزُّهري، في تاريخنا البشري المُبكّر، مثالٌ لا يصح تجاهله.

## النّقل/ النّقابة

نظام النّقل الثّلاثي الذي كان يومًا ما حِكرًا على كوكب أزّاكس (وهو: التنقُّل سيرًا على الأقدام مع وضع الأحمال الثّقيلة على

منصّات مُعلّقة بمضادات الجاذبيّة، أو النقل جوًّا بالأورنيثوپترات، أو السّفر بين الكواكب بشفُن النّقابة الملاحيّة) بدأ يهيمن بالتدريج على مزيدٍ ومزيدٍ من كواكب الإمبراطوريّة. كوكب إيكس هو الاستثناء الأبرز.

نحن نعزو هذا، في جزءٍ، إلى رِدّة الكواكب إلى أنماط حياة مُستقرّة وساكنة، وفي جزءٍ، إلى محاولة تقليد نمط أزّاكس. جديرٌ بالذّكر أن النُّفور العام من كل ما يتعلّق بكوكب إيكس ليس بالأمر الهيّن في تأثيره في هذا الاتّجاه. أيضًا مُحاورات الأسماك يُروّجن لهذا النمط لتقليل جهودهن المبذولة في الحفاظ على النّظام.

إن الدّور الذي تلعبه النّقابة في هذا الاتّجاه يرجع إلى اعتماد ملّاحي النّقابة التّام على المِزّاج. لذلك، فإنّنا نراقب من كثب الجهود المشتركة التي تبذلها النّقابة مع الإيكسيّين لتطوير بديلٍ ميكانيكيٍّ لقدرات الملّاحين التنبُّؤيّة. من دون المِزّاج أو أيّ وسيلةٍ أخرى لتوقُّع مسار شفُن الهايلاينر، فإن كل رحلة فرط ضوئيّة عُرضة لأن تكون كارثيّة. وعلى أننا لسنا متفائلين تمامًا بشأن هذا المشروع المشترك بين النّقابة والإيكسيّين، فإمكانيّة نجاحه غير مستبعدة، وسوف نقدّم تقريرًا عن الأمر حسبما تقتضي الظُّروف.

## الإمبراطور الإله

بخلاف بعض النُّمو في حجمه، لم نلاحظ تغييرًا كبيرًا في خصائص الإله ليتو الجسديّة. شائعة كراهيته للماء لم تؤكّد، مع أن استخدام الماء حاجزًا ضد ديدان الرّمال الأصليّة على كثيب لهو أمرٌ مُوثّقٌ جيّدًا في سجلّاتنا، كما هو موثّق الموتُ المائي الذي استخدمه

الفرمِن لقتل الدِّيدان الصّغيرة لإنتاج خُلاصة الاسپايس التي تُستخدم في طقسهم الجنسيّ الجماعيّ.

أدلة كثيرة تدعم اعتقادنا بأن الإله ليتو زاد من مراقبته لكوكب إيكس، رُبّما بسبب مشروعهم المُشترك مع النّقابة. قطعًا نجاحهم في هذا المشروع من شأنه أن يضعف من قبضته على الإمبراطوريّة.

ما زال الإمبراطور يتعامل مع الإيكسيّين، ويطلب منهم قطع غيار عربته الملكيّة.

أرسل التِليلاكسو غولَ دانكن آيداهو جديد إلى الإله ليتو. هذا يؤكّد أن الغولَ السّابقَ مات، على أن طريقة موته غير معروفة. نلفت انتباهكن إلى مؤشّرات سابقة تشير إلى أن الإله ليتو قتل بعضًا من غيلانه بنفسه.

تشير دلائل متزايدة إلى أن الإله ليتو يستخدم الحواسيب. إن كان بالفعل يتحدّى محاذيره الخاصّة ويخرق مُحرّمات الجهاد البطلري، فإن امتلاكنا دليلًا على ذلك قد يزيد من تأثيرنا فيه، وقد يصل إلى حدّ الاتّفاق على بعض المشاريع المشتركة التي طالما فكّرنا فيها. لكن يبقى تحكُّمه السّياديّ في مُخطّطنا الاستيلادي هو الشّاغل الأساسي. لكننا سنواصل تحقيقنا، مع التّحفُّظ التّالي:

كما هي الحال مع كل تقريرٍ سابق، يتعيّن علينا ذكر قدرة الإله ليتو التبصُّريّة. لا شك في أن قدرته على التّنبُّؤ بالأحداث المستقبلية، وهي القدرة التي تفوق بكثير قدرة أيٍّ من أسلافه، لا تزال تشكّل ركيزة سيطرته السّياسيّة.

ونحن لا نتحدّاها!

نحن نؤمن بأنه يعرف كل عمل مهم نقوم به قبل حدوثه بمُدّة طويلة. لذلك، فإننا نسترشد بالقاعدة التي تقضي بعدم تهديد شخصه أو أيّ جزءٍ من خُطّته الكُبرى نستطيع أن ندركه. وسوف نستمر في توجيه خطابنا إليه على النّحو الآتي:

«أخبِرنا إذا هدّدناك كي نتوقّف عن ذلك».

و: «أخبِرنا عن خُطّتك الكُبرى حتّى يتسنّى لنا مساعدتك».

حتّى تاريخ هذا التّقرير، لم يُقدّم الإله ليتو أيّ جوابٍ جديد عن أيٍّ من السّؤالين.

## الإيكسيُون

بخلاف المشروع المشترك بين النّقابة وإيكس، لا يوجد شيء ذو أهمّية للإبلاغ عنه. سيرسل الإيكسيُون سفيرةً جديدةً إلى بلاط الإله ليتو، امرأة تُدعى هِوي نوري، ابنة أخت مالكي الذي شاع فيما مضى أنه كان من أعزّ رفقاء الإمبراطور الإله. السّبب وراء اختيار شخص البديلة غير معروف، على أنه تُوجد بعض الأدِلّة تفيد بأن هذه المدعوّة هِوي نوري هُجّنت لغرضٍ محدّد، رُبّما هو أن تكون مُمثّلة الإيكسيّين في بلاط الإله ليتو. لدينا من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد أن مالكي قد صُمّم وراثيًا وذلك الغرض موضوعٌ في الاعتبار.

سنواصل تحقيقنا في هذا الأمر.

## الفرمِن الأثريُون

تواصل تلك البقيّة المتردّية للمحاربين الذين كانوا يومًا ما أعِزّةً أداء دورها كمصدر رئيس للمعلومات الموثوق بها عن الأحوال في أزّاكس. إنهم يمثّلون بندًا رئيسًا في ميزانيتنا للمرحلة القادمة لأن مطالبهم المادّيّة تتزايد، ونحن لا نجرؤ على مُعاداتهم.

من المثير للاهتمام ملاحظة أنه مع أن أسلوب حياتهم بالكاد يشبه نمط حياة أسلافهم، فإن أداءهم لطقوس الفرمِن وقدرتهم على تقليد أساليب الفرمِن لا تشوبها شائبة. نحن نَعزو ذلك إلى تأثير مُحاورات الأسماك في تدريب الفرمِن.

## التِليلاكسو

لا نتوقّع أن يكون في غول دانكن آيداهو الجديد أيّ مفاجآت. لا يزال التِليلاكسو متّعظين من ردّة فعل الإله ليتو العنيفة على محاولتهم الوحيدة لتغيير الطّبيعة الخلويّة والنّفسيّة للأصل.

جدّد وفدٌ آخر من التِليلاكسو محاولاتهم إغراءنا بالدُّخول في مشروعٍ مشترك، الهدف المُعلن منه هو إنتاج مُجتمع أُنثوي بالكامل لا يحتاج إلى الذُّكور. لكل الأسباب الواضحة، بما في ذلك عدم ثقتنا بأيّ شيءٍ متعلّق بالتِليلاكسو، رفضنا بتهذيب كالمعتاد، وسيرفع وفدُنا المُرسل إلى مهرجان الإله ليتو العشري تقريرًا شاملًا عن الأمر إليه.

قدّم هذا التّقرير بخالص الاحترام:

الأُمّهاتِ المُوقّرات: سياكسا، ويطوب، ومعمولوت، وإكنكوسك، وعقيلي.

قد يبدو الأمر غريبًا، لكن الصّراعات الكُبرى، كتلك التي ترونها واضحةً في مذكّراتي، لا يراها المشاركون فيها دائمًا. أمورٌ كثيرةٌ تتوقّف على ما يأمله النّاس سِرًّا في قلوبهم. لطالما كنت مهتمًا بتشكيل الآمال بقدر اهتمامي بتشكيل الأفعال. بين سطور مذكّراتي، يُوجد صراعٌ مع نظرة البشريّة إلى نفسها؛ صراعٌ شاقٌّ في ميدانٍ قد تفور فيه أحلك دوافع ماضينا من مَعينٍ لا واعٍ، فتغدو وقائع لا يقتصر أمرُنا على التّعايُش معها فحسب، بل أن نجاهدها كذلك. إنها وحش الهيدرا المُتعدّد الرُّؤوس الذي يهاجمك دائمًا من حيث لا تحتسب. لذا أدعو ألّا تعودوا، بعد عبوركم القطاع الذي مهّدته لكم من الصّراط الذّهبي، أطفالاً سذّجًا ترقصون على موسيقى لا تسمعونها.

- المذكّرات المسروقة

سارت نائلة بخُطًى ثابتةٍ متثاقلةٍ وهي تصعد الدّرَج الدّائري المؤدي إلى قاعة اجتماعات الإمبراطور الإله أعلى بُرج القلعة الجنوبي. في كل مرة عبرت فيها قوس البُرج الجنوبي الغربي، رسمت النّوافذ الضيّقة الفتحات خطوطًا ذهبية مُحدّدة بالغبار عبر طريقها. كانت تعرف أن الحائط المركزي بجانبها يحتوي على مِصعدٍ إيكسيّ الصُّنع كبيرٍ بما يكفي لحمل جسد مولاها إلى الغُرفة العُلويّة، وبالتالي هو كبيرٌ بما يكفي لاحتواء جسدها الأصغر كثيرًا، لكنها لم تستأ من كونها مُطالَبةً باستخدام الدّرَج.

تخلّل النّسيم الشُّقوق المفتوحة مُحمّلًا برائحة الرّمال المتطايرة الشّبيهة برائحة الصُّوان المحترق، وأشعلت الشّمس الغاربة الجدار

الدّاخلي بحُمرةٍ زاهيةٍ متوهّجةٍ أشبه ببريق الياقوت. كانت من حين إلى آخر تُلقي نظرةً عبر فتحات النّافذة الضّيّقة على الكُثبان الرملية، لكنها لم تتوقّف مرةً واحدةً لتتأمّل الأشياء التي تراها من حولها.

أخبرها الرّب ذات يومٍ: «تتمتّعين بصبرٍ بطُوليّ يا نائلة».

أثلج تذكُّر هذه الكلمات صدر نائلة.

من داخل البُرج، تابع ليتو ارتقاء نائلة الدّرَجِ الدّائريّ الطويلِ الذي يلتفُّ حول الأنبوب إيكسيّ الصُنع. كان يُشاهد تقدُّمها عبر جهازٍ إيكسيّ يُسقِطُ صورةً لها بحجم عُملةٍ على بؤرة ثلاثيّة الأبعاد أمام عينيه مباشرةً.

*يا لدِقّة مشيتها!* هكذا فكّر.

كان يعلم أن تلك الدّقّة نابعة من بساطة أصيلة وإخلاصٍ صادق.

كانت ترتدي زيّ مُحاورات الأسماك الأزرق ومعطفًا لا يحمل شارةَ الصّقرِ على الصّدر. ما إن تجاوزت نقطة الحراسة عند قاعدة البُرج، خلعت عنها نقاب التّمويه الغشائي الذي يلزم أن ترتديه خلال هذه الزيارات الشّخصيّة. كان جسدها القوي المفتول يُشبه أجساد كثيرٍ من حارساته، لكن وجهها كان فريدًا لا يشبه أيّ وجهٍ آخر رآه في ذاكرته: كان مُربّع الشّكل تقريبًا، بفمٍ واسع يبدو كأنه يمتدُّ إلى الخدين، وهو وهم سبّبته التّجاعيد العميقة في طرفيه. عيناها خضراوان شاحبتان، وشعرها القصير بلونِ العاجِ القديمِ. أيضًا أضاف جبينها إلى الانطباع العام بتربيع وجهها، إذ كان مُسطّحًا بالكامل تقريبًا بحاجبَين باهتَين لم يكونا يُلاحَظان غالبًا بسبب عينيها

الآمرتين. كان أنفها خطًّا مُستقيمًا ضيِّقًا ينتهي قريبًا من فمِها رقيق الشَّفتين.

حين كانت نائلة تتحدّث، كان فكّاها يُفتحان ويُغلقان كفكّي حيوانٍ بُدائي. أمّا قوّتها، التي يعرفها قِلّة خارج كتائب مُحاورات الأسماك، فكانت أسطورية بينهن. لقد رآها ليتو ذات مرّة ترفع رَجُلًا وزنَه مِئة كيلوجرام بيدٍ واحدة. كان ترتيب وجودها على أرّاكس قد حدث في بادِئ الأمر دون تدخُّل مُونِيو، غير أن القهرمان كان يدرك أن ليتو يستخدم مُحاورات الأسماك عميلاتٍ سِرِّيّات.

أدار ليتو رأسه بعيدًا عن الهيئة المُتثاقلةِ المشيةِ ونظر من الفتحة الواسعة إلى جواره نحو الصَّحراء الممتدّة إلى الجنوب. تراقصت في وعيه ألوان الصُّخور البعيدة: البُنّيّ والذّهبيّ والكهرمانيّ الدّاكن. كان على أحد الجُروف البعيدة شريطُ صخورٍ ورديٍّ بلون ريش طائر البلشون. لم يعد للبلشونيّات وجود إلّا في ذاكرة ليتو، لكنه حين استحضر صورة ذلك الشّريطِ الحجريّ الشّاحب في عينه الداخليّة، خُيِّل إليه أن طائر البلشون المنقرض قد رفرف مُحلِّقًا من جواره.

كان يدرك أن صعود الدّرج لا بُدّ أنه بدأ يُنهك حتّى نائلة نفسها، التي توقّفت في نهاية المطاف لالتقاط أنفاسها على بُعد خطوتين من العلامة التي تُشير إلى ثلاثة أرباع المسافة، وهو المكان الذي تستريح فيه في كل مرّة. كان هذا جُزءًا من دِقّتها، وهو أحد الأسباب التي جعلته يعيدها من الحامية البعيدة على كوكب سِپرِك.

مرّ أحد صقور الكُثبان مُحلِّقًا قُرب الفتحة المجاورة لليتو، على مسافةٍ ضئيلة من جدار البُرج، وقد انصبّ اهتمامه على الظِّلال عند

قاعدة القلعة. كان ليتو يعلم أن حيواناتٍ صغيرةً تظهر أحيانًا هناك، وخلف مسار الصّقرِ، أبصر في البُعد الشّاحب شريطًا من الغيوم يَشقُّ الأفق. كم بدا هذا غريبًا لذلك الفرمِني القديم الكامن في داخله: سُحُب، وأمطار، ومسطّحات مائيّة... على أزّاكس!

تمتم ليتو في سِرّه، مُذكّرًا الأصوات الكامنة في داخله: *باستثناء هذه الصّحراء الأخيرة، التي هي سَريري، استمرّت عمليّة تحويل كثيب إلى أزّاكس الأخضر بلا هوادة أو انقطاع منذ بدايات عهدي.*

فكر ليتو أن تأثير الجغرافيا في التّاريخ كثيرًا ما يُهمل ولا يُدرك، إذ يميل البشر إلى التّركيز أكثر على تأثير التّاريخ في الجغرافيا.

*من صاحب هذا الممرّ النّهري؟ هذا الوادي الوارف؟ شبه الجزيرة هذه؟ هذا الكوكب؟*

*لا أحد منا.*

استأنفت نائلة صعودها الدّرج، ونظرتها شاخصة إلى الدّرجات المتبقّية التي عليها اجتيازها. وجد ليتو نفسه يفكّر فيها.

*من نواحٍ عديدة، نائلة هي أكثر مساعدة مفيدة حظيت بها. أنا ربُّها، وهي تعبدني بلا أدنى شكّ. حتّى حين أُهاجم إيمانها مازحًا، تأخذ الأمر على أنه مُجرّد اختبار. وهي واثقة بقدرتها على التّفوق في أيّ اختبار.*

حين أرسلَها ليتو إلى حركة التّمرّد وأمرها بطاعة سيونا في كلّ شيءٍ، لم تشكّك في الأمر. عندما تساور الشّكوك نائلة، أو حتّى حين تصيغ شكوكها في كلمات، تكون أفكارها وحدها كافية لاستعادة

إيمانها... أو هكذا كانت. لكن رسائلها الأخيرة أوضحت أنها في حاجة إلى المثول أمام الحضرة المقدّسة لشحذ قوّتها الدّاخليّة.

تذكّر ليتو محادثته الأولى مع نائلة، حين كانت أوصال المرأة ترتعد من حرصها على إرضائه.

- «حتّى لو أرسلتك سيونا لقتلي، عليك أن تُطيعي. يجب ألّا تَعلَم أنك تخدمينني».

- «لا أحد يستطيع قتلك يا مولاي».

- «لكن عليك إطاعة سيونا».

- «قطعًا يا مولاي، فهذا أمرك».

- «عليك إطاعتها في كل شيء».

- «سمعًا وطاعة يا مولاي».

*هذا اختبارٌ آخر. نائلة لا تُشكّك في اختباراتي، وتعاملها معاملة لدغات البراغيث. إن أمر رَبُّها، فنائلة ستطيع. يجب ألّا أسمح لأيّ شيءٍ بتغيير هذه العلاقة.*

كانت لتكون شادواتًا رائعةً في الأيّام الخالية، هكذا فكّر ليتو. كان هذا أحد الأسباب التي جعلته يعطي نائلة سِكّينًا عاجيّة، سكّينًا حقيقيّةً كانت محفوظة في سييتش تابر وتنتمي إلى إحدى زوجات ستيلجار. تضع نائلة السّكّين في غمدٍ مخفيٍّ تحت ردائها، أقرب إلى تميمةٍ منها إلى سلاح. لقد أعطاها لها وفقًا لتقاليد الطّقس الأصلي، وهو المرسم الذي فاجأه باستحضار مشاعر كان يظن أنها دُفنت إلى

الأبد.

- «هذه سِنٌّ شَي هُولود».

قالها وهو يمدُّ النّصلَ إليها بيديه فِضّيتي اللّون.

- «خُذيها لتكوني جزءًا من الماضي والمستقبل. دَنِّسيها، ولن يقودك الماضي إلى أيّ مستقبل».

قبلت نائلة النّصل، ثم الغمد.

أمرها ليتو: «أريقي دماء إصبعك».

أطاعت نائلة الأمر.

- «اغمدي النّصل ولا تستلّينه دون إراقة دماء».

أطاعت نائلة الأمر مجدّدًا.

وبينما راح ليتو يراقب الصّورة ثلاثية الأبعاد التي تُظهر اقتراب نائلة، غمر الحزن ذكرياته عن تلك المراسم القديمة. ما لم يُعامل النّصل بنهج الفرمِن القديم، فسيكتسب هشاشةً بمرور الوقت ويصبح عديم الفائدة. ستظلُّ السّكّين العاجيّة محتفظة بشكلها طوال حياة نائلة، لكنها لن تدوم بعدها طويلًا.

*لقد تخلّصتُ من جزءٍ من الماضي.*

كم هو حزين أن شادواتَ الماضي صارت مُحاورة أسماك اليوم، وأن سكّينًا عاجيّةً حقيقيّةً استُخدمت لعقد علاقة أقوى بين خادمةٍ وسيّدها. كان يعلم أن بعض النّاس يخالون مُحاورات الأسماك كاهناتٍ؛ نُسخة ليتو من البِني چيسيرِت.

لقد قالت نساء البِني چيسيرِت: «إنه يخلق دينًا جديدًا».

*هُراء! أنا لم أخلق دينًا! أنا ذات الدّين!*

دخلت نائلة إلى حرم البُرج ووقفت على بُعد ثلاث خطوات من عربة ليتو، ونظرتُها، بالخضوع اللّازم، خَفيضةٌ.

وبينما كان ليتو لا يزال غارقًا في ذكرياته، قال: «انظري إليّ يا امرأة».

فأطاعت.

قال: «لقد خلقت شُنعة مُقدّسة! هذا الدّين الذي بُني حول ذاتي يثير اشمئزازي!».

- «أجل يا مولاي».

حدّقت عينا نائلة الخضراوان إليه من فوق وسادتي وجنتيها المكتنزتين دون تشكيك، دون رغبةٍ في فهم، دون حاجة إلى أيّ ردٍّ من أيّ نوع.

*إن أرسلتها في مهمّة لجمع النُّجوم، فستذهب وستحاول إتمام المهمّة. إنها تظن أنني أختبرها مُجدّدًا. أخشى أنها ستثير غضبي.*

صاح ليتو: «هذا الدّين اللّعين يجب أن ينتهي معي! لماذا أُطلق دينًا على رعِيّتي؟ الأديان تقوّض الإمبراطوريّات والأفراد على حدٍّ سواء من الدّاخل. لا فرق».

- «صحيح يا مولاي».

- «الأديان تخلق المتطرّفين والمتعصّبين أمثالك».

- «شكرًا لك يا مولاي».

غابت الغضبة القصيرة الزّائفة في أعماق ذكرياته. لم يُخدش سطح إيمان نائلة الصّلب.

قال ليتو: «لقد بلغني الأمر من توپري عن طريق مُونِيو، أخبريني عن توپري هذا».

- «توپري هذا دودة».

- «أليس هذا ما تنعتيني أنا به حين وأنتِ في صفوف المتمرّدين».

- «إني أطيع رَبّي في كل شيء».

*أحسنتِ!*

سألها ليتو: «إذًا توپري لا يستحق الاهتمام؟».

- «لقد أصابت سيونا في تقييمه. إنه أخرق. يقول أشياء يُردّدها الآخرون، وبالتالي يكشف ضلوعه في الأمور. في غضون ثوانٍ من بَدء كوبات بالكلام، تأكّدت سيونا أن توپري جاسوس».

فكّر ليتو: *الكل مُتّفق حول هذه النُّقطة، حتّى مُونِيو. ليس توپري بالجاسوس الحاذق.*

طُرِب ليتو لهذا الإجماع. لقد عكّرت المكايد الصّغيرةُ صفو المياه التي ظلّت رائقة في نظره. أما المؤذون لأدوارهم، فما زالوا يتناسبون مع مُخطّطاته.

سألها ليتو: «ألا تشك سيونا فيك؟».

- «أنا لست خرقاء».

- «أتعلمين سبب استدعائك؟».

- «لاختبار إيماني».

*آهٍ يا نائلة، يا لقِلّة ما تعلمين عن الاختبارات!*

قال ليتو: «أريد تقييمك لسيونا. أريد أن أراه على وجهك، وفي تحرُّكاتك، وأن أسمعه في صوتك. هل هي مستعدّة؟».

- «مُحاورات الأسماك في حاجةٍ إلى من مثلِها يا مولاي. لماذا تخاطر بفقدانِها؟».

قال ليتو: «إجبارها لهو أقصر طريقٍ لخسارةِ أهم ما أُقدّره فيها. يجب أن تأتيني وكل قُواها سليمة».

خفضت نائلة نظرتها وقالت: «كما يأمر مولاي».

ميّز ليتو هذا الجواب، إذ كان هذا ردُّ نائلة على أيّ أمرٍ تفشل في فهمه.

- «هل ستنجو من الاختبار يا نائلة؟».

- «وفقًا لوصف مولاي للاختبار...»، بترت نائلة عبارتها ورفعت عينيها إلى وجه ليتو، وارتعدت: «لا أعرف. إنها قويّة، لا شك في هذا. إنها الوحيدة التي نجت من الذِّئاب. لكن الكراهية تُعميها».

- «هذا طبيعيٌ تمامًا. أخبريني يا نائلة، ماذا ستفعل بالأغراض التي

سرقتها مني؟».

- «ألم يخبرك توپري عن الكتابين اللذين يقولون إنهما يحتويان على ‹كلماتك المقدّسة›».

فكّر ليتو: *غريب كيف تُنصّص الكلمات بصوتها فحسب.*

قال باقتضاب: «بلى، بلى. الإيكسيئون حصلوا على نسخة، وسرعان ما ستبدأ النّقابة والأخويّة العمل بهِمّة على فك طلاسمهما».

- «ما ذانك الكتابان يا مولاي؟».

- «إنهما كلماتي المُسجّلة لرعيّتي. أريدها أن تُقرأ. ما أريد معرفته الآن هو ما قالته سيونا عن مخطّطات القلعة التي أخذتها».

- «قالت إن تحت قلعتك يُوجد مخزون عظيم من الاسپايس يا مولاي، وإنّ المخطّطات ستكشف عنه».

- «لن تكشف المخطّطات عن شيء. هل تنوي أن تحفُر نفقًا؟».

- «إنها تسعى للحصول على أدوات إيكسيّة لهذا الغرض».

- «لن يوفّرها لها الإيكسيئون».

- «أمثل هذا الكمّ الهائلِ من الاسپايس موجود حقًّا يا مولاي؟».

- «أجل».

- «تُوجد قِصّة شائعة عن آلية حماية مخزونك يا مولاي، تقول إن أرّاكس ذاته سيُدمّر إذا حاول أيُّ شخصٍ سرقة مِزّاجك. أهذا صحيح؟».

- «أجل، وهذا من شأنه أن يمزّق الإمبراطوريّة. لن ينجو شيء. لا النّقابة ولا الأخويّة، ولا إيكس ولا بنو تِليلاكس، ولا حتّى مُحاورات الأسماك».

ارتجفت نائلة، ثم قالت: «لن أسمح لسيونا بمحاولة الحصول على مِزَاجك».

- «نائلة! لقد أمرتك بطاعة سيونا في كل شاردة وواردة. أهكذا تطيعينني؟».

- «مولاي؟»، قالتها ووقفت في خشيةٍ من غضبه، قاب قوسين أو أدنى لفقد إيمانها أكثر من أيّ وقتٍ مضى. كانت أزمة خَلَقَها ليتو عامدًا، عَالمًا كيف يجب أن تنتهي. ببطء، استرخَت نائلة. كان بإمكانه رؤية أفكارها كما لو أنها رسمتها له بكلمات مضيئة.

*التالي سيكون الاختبار الحقيقي!*

قال ليتو: «ستعودين إلى سيونا وتذودين عن حياتها بحياتك. هذه هي المهمّة التي أوكلتها إليك وقبلتِها. لهذا وقع عليك اختياري. لهذا تحملين نصلًا يعود إلى آل بيت ستيلجار».

امتدّت يدها وتحسّست السّكّين العاجية المخفية أسفل ردائها.

فكّر ليتو: *لا شك في قُدرةِ السّلاح على إرغام المرءِ على نمطٍ سلوكيٍ مُتوقّع.*

حدّق بافتنان إلى جسد نائلة المتصلّب. كانت عيناها خاليتين من كل تعبير إلّا السّجود.

*سطوة الدّين التي ضامرها الاستبداد... كم أحتقرها.*

صاح فيها: «اذهبي إذًا!».

استدارت نائلة وفرّت فرارًا من الحضرة المقدّسة.

تساءل ليتو: *أيستحق الأمر كل هذا العناء؟*

لكن نائلة قد أخبرته بما كان يحتاج إلى معرفته. لقد جدّدت إيمانها، وكشفت بدقّة ما عجز ليتو عن أن يجده في صورة سيونا الآفلة من بصيرته. لا بُدّ من الوثوق بحدس نائلة.

*لقد بلغت سيونا الكُتلة الحرِجة التي أبتغيها.*

دائمًا ما تتعجّب غيلان دانكن من اختياري للنّساء للقوّات القتاليّة، لكن مُحاورات الأسماك جيشٌ مؤقّت بكل معنى الكلمة. مع أن النّساء قادرات على أن يكُنّ عنيفات وشرسات، فهن يختلفن جذريًا عن الرجال في تفانيهن في القِتال، إذ تُهيّئهن جِبلتهن لانتهاج سلوكٍ أحرص على حماية الحياة. لقد أثبتن أنهن أفضل حُرّاس للصّراط الذّهبي، وأنا أحرص على تعزيز هذا في تصميمي لبرامجهن التّدريبيّة، إذ أخصص لهن وقتًا بعيدًا عن روتينهن المعتاد، وأمنحهن تجاربَ فريدةً يمكن أن يسعدن بتذكُّرها طوال حياتهن. إنهن ينضجن في صحبة أخواتهن استعدادًا لأحداث جِسام، وما يُشاطره المرء مع مثل هذه الصُحبة يهيّئه دائمًا لأمورٍ أكبر. يغشي ضبابُ الحنينِ أيّامَهن بين ظهراني أخواتهن، فيصبغ تلك الأيام بمذاقٍ مُختلف عمّا كانت عليه حقًّا. هكذا يُغيّر الحاضر التّاريخ. الأقران في الجيل الواحد لا يعيشون الحِقبة الزّمنيّة نفسها، والماضي في تغيُّرٍ دائم، لكن قِلّة من النّاس يدركون ذلك.

- المذكّرات المسروقة

بعد إخطار مُحاورات الأسماك، هبط ليتو إلى السّرداب في وقتٍ متأخّر من المساء. لقد رأى أنه من الأفضل أن يُعقَد اللّقاء الأوّل مع الدّانكن آيداهو الجديد في غُرفة مظلمةٍ، حيث يتسنّى للغول أن يسمع وصف ليتو لنفسه قبل أن تقع عيناه على جسدِه الدُوديّ البدائيّ. كان قُبالة بهو السّرداب المركزي غُرفة جانبيّة صغيرة منحوتة في الحجر الأسود تناسب هذا المطلب. كانت الحُجرة كبيرة بما يكفي لاستيعاب جسد ليتو الجاثم فوق عربته، لكنها منخفضة السّقف. أمّا الضّوء فيأتي من كُرات إنارة مخفيّة يتحكّم هو فيها. لم

يكن بها سوى بابٍ واحد، لكنه ذو مصراعين؛ أحدهما يُفتح باتّساع للسماح بدخول العربة الملكيّة، أمّا الآخر فمدخل صغير يُناسب البشر.

ساق ليتو عربته إلى داخل الغُرفة، وأغلق المصراع الكبير وفتح الصّغير، ثم هيّأ نفسه استعدادًا لتحمُّل الآتي.

لقد صار الملل مُشكلة مُلِحّة، إذ صار نمط غيلان التِليلاكسو مُكرّرًا إلى حدٍّ مُضجر. ذات مرّة، أرسل ليتو إلى التِليلاكسو يخبرهم بألّا يرسلوا له أيّ غيلان دانكن أُخرى، لكنهم كانوا يعلمون أن باستطاعتهم معصيته في هذا الأمر.

*أحيانًا أعتقد أنهم يفعلون ذلك لإبقاء المعصية حيّة!*

كان التِليلاكسو يركنون إلى شيءٍ هامٍّ يعرفون أنه يوفّر لهم الحماية في نواحٍ أخرى.

*يركنون إلى أن وجود دانكن يُرضي پول آتريديز الذي يسكُنني.*

أو كما شرح ليتو الأمر إلى مُونِيو في بدايات خدمة القهرمان في القلعة:

- «يجب أن تأتيني غيلان دانكن بما هو أكثر من مُجرّد الإعداد التِليلاكسوي. عليك أن تتأكّد من أن خوريّاتي يُعاملن غيلان دانكن بلطف، وأن النساء يُحِبن بعض أسئلته».

- «أيُّ أسئلة يتسنّى لهن الإجابة عنها يا مولاي؟».

- «هُن يعرفن».

بطبيعة الحال، تعلّم مُونِيو كل شيءٍ عن هذا الإجراء بمرور

الأعوام.

سمع ليتو صوت مُونِيو خارج الغُرفة المظلمة، ثم أصوات حراسة مُحاورات الأسماك المرافقة وخطوات الغول الجديد المُتردّدة المُميّزة.

قال مُونِيو: «خلف هذا الباب ستكون الحُجرة مظلمة، وسنغلق الباب خلفك. ما إن تدخل قف مكانك وانتظر حتّى يبدأ الإله ليتو بالكلام».

- «لماذا ستكون الغُرفة مظلمة؟»، قالها الدّانكن في صوتٍ مُفعمٍ بالشكوك والعدوانيّة.

- «سيشرح لك».

بعدها دُفِع بآيداهو إلى داخل الغُرفة وأُغلِق الباب من خلفه.

كان ليتو يعلم ما الذي يراه الغول الآن: ظلالًا تكتنفها ظلالٌ، وديجورٌ لا يمكن فيه تحديد مصدر أيّ صوت. كالمعتاد، نطق ليتو بصوت پول المؤدّب.

- «تسُرّني رؤيتك مجدّدًا يا دانكن».

- «أنا لا أراك!».

إن آيداهو مُحارب، وقد غلبه طبعه بالهجوم. طمأن هذا ليتو بأن الغول نُسخةٌ مستعادةٌ طبق الأصل. المسرحيّة الأخلاقية التي يعيد بها بنو تِليلاكس إحياء ذكريات الغيلان التي سبقت موتهم تترك بعض الشُكوك في عقولهم. بعضٌ منهم كانوا يظنّون أنهم هدّدوا پول

المؤدّب الحقيقي، وهذا الغول يحمل مثل هذه الضّلالات.

قال آيداهو: «أسمع صوت پول، لكنني لا أراه». لم يحاول إخفاء إحباطاته، بل تركها جميعًا تظهر في صوته.

*لماذا يمارس أحد آل آتريديز هذه اللُّعبة السّخيفة؟ لقد مات پول وشَبِع موتًا منذ زمنٍ بعيد، أمّا هذا فليتو، حامل ذكريات پول المُستعادة... وذكريات آخرين كثُرا هذا إن صدّقنا قصص التِليلاكسو.*

قال ليتو: «لقد قيل لك إنك لست سوى الأحدث في سلسلة طويلة من النُّسخ المكرّرة».

- «لا أملِك أيًا من تلك الذّكريات».

أدرك ليتو أن دانكن يعاني الهِستيريا، التي تغطّيها بالكاد شجاعة المُحارب. لقد نتج عن تكتيكات الاستعادة اللّعينة التي تلي الخروج من أحواض التِليلاكسو الفوضى العقليّة المعتادة. لقد وصله هذا الدّانكن في حالة من الصّدمة تقريبًا، وقواه العقليّة موضع اشتباه شديد. أدرك ليتو أن عليه استخدام أرهف أساليب الطمأنة الممكنة الآن لتهدئة الرّجُل المسكين. هذا من شأنه أن يستنزفَ كليهما عاطفيًا بالكامل.

قال ليتو: «لقد حدثت تغيُّرات عديدة يا دانكن، لكن شيئًا واحدًا لم يتغيّر، أنني ما زلت آتريديزيًا».

- «قالوا إنّ جسدك...».

- «أجل، هذا تغيّر».

- «التِليلاكسو اللعينون! لقد حاولوا أن يجعلوني أقتل شخصًا... حسنًا، كان يشبهك تمامًا. ثم فجأة تذكّرت من أنا ورأيت هذا الـ... أكان من الممكن أن يكون ذلك غولَ المؤدّب؟».

- «كان محض تقليد من وجهٍ راقص، أؤكّد لك ذلك».

- «كان يبدو ويتكلّم تمامًا كـ... هل أنت مُتأكّد؟».

- «مُجرّد مُمثّل لا أكثر. هل نجا؟».

- «بالتأكيد! هكذا أيقظوا ذكرياتي وشرحوا لي الأمر بزمّته. أما يقولونه صحيح؟».

- «إنها الحقيقة يا دانكن. أنا أكرهها، لكنني أسمح بها لِقاء مُتعة صحبتك».

فكّر ليتو: *الضّحايا المحتملون ينجون دائمًا. على الأقل هذا صحيح بالنسبة إلى الدّناكنة الذين أراهم. لقد حدثت بعض الزّلّات، مثل قتل پول المزيف وهلاك بعض الدّناكنة، لكن دائمًا تُوجد خلايا أخرى محفوظة بعناية من الأصل.*

سأل آيداهو: «ماذا عن جسدك؟».

يمكن لصوت المؤدّب التّراجع الآن.

واصل ليتو بصوته المعتاد: «لقد قبلت يرقات الزّمال بشرةً لي، وهي تُغيّرني منذ ذلك الحين».

- «لماذا؟».

- «سأشرح لك ذلك في الوقت المناسب».

- «التِليلاكسو قالوا إنك تشبه الدُّودة».

- «وماذا قالت حارساتي مُحاورات الأسماك؟».

- «قُلن إنك إله. لماذا تُسمِّيهن مُحاورات الأسماك؟».

- «إنه تعبيرٌ مجازيٌ قديم. الكاهنات الأوائل كُن يتحدَّثنَ مع الأسماك في أحلامهن، وقد تعلَّمنَ أمورًا قيِّمة بهذه الطَّريقة».

- «كيف عرفت؟».

- «أنا كلُّ أولئك النِّسوة... وكلُّ من أتى قبلهن وسيأتي بعدهن».

سمع ليتو صوت ابتلاع آيداهو ريقه الجاف، ثم: «أفهم الآن سبب الظلام. أنت تمنحني وقتًا للتعوُّد».

- «لطالما كنت سريع الفهم يا دانكن».

*إلا حين تكون بطيئًا.*

- «منذ متى وأنت تتغيَّر؟».

- «منذ أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمئة عام».

- «إذًا أصدقني التِليلاكسو القول».

- «نادرًا ما يجرؤون على الكذب الآن».

- «هذا زمنٌ طويل».

- «طويلٌ جدًّا».

- «هل... استنسخني التِليلاكسو مرَّاتٍ عديدة؟».

- «عديدة».

*حان الوقت لتسأل عن العدد يا دانكن.*

- «كم واحدًا مني سبقني؟».

- «سأدعك تطّلع على السِجلّات بنفسك».

ثم فكّر: *ها نحن أولاء نبدأ.*

لطالما بدا هذا الحوار أنه يرضي غيلان الدّانكن، لكن لم يكن من طريقة صياغة السّؤال مفرٌ:

*«كم واحدًا مني سبقني؟».*

لم يكن الدّناكنة يفرّقون بين الأجساد، على الرّغم من عدم نقل الذّكريات بين الغيلان من نفس السّلالة.

قال آيداهو: «أنا أتذكّرُ موتي. نصال الهراكنة، كثير منها، تحاول الوصول إليك، وإلى چيسيكا».

استدعى ليتو صوت المؤدّب للحظة مؤقّتة: «لقد كنت هناك يا دانكن».

سأل آيداهو: «أنا البديل، أليس كذلك؟».

قال ليتو: «بلى».

- «كيف... أعني... كيف مات الأنا الآخر؟».

- «كل جسدٍ زائل يا دانكن. كل شيء مُدوّن في السّجلّات».

انتظر ليتو في صبرٍ متسائلًا كم من الوقت سيمرُّ قبل أن يفشل

التّاريخ المفروّض في إرضاء هذا الدّانكن.

سأله آيداهو: «كيف تبدو هيئتك الحقيقيّة؟ ما هذا الجسد الدُّودي الذي وصفه التِليلاكسو؟».

- «لسوف يتحوّل إلى شكل من أشكال ديدان الزّمال يومًا ما. لقد قطعت شوطًا طويلًا بالفعل في طريق التّحوُّل».

- «ماذا تعني بشكلٍ من أشكالها؟».

- «تلك الديدان ستمتلك عددًا أكبر من العُقد العصبيّة. ستكون واعية».

- «ألا يمكننا الحصول على بعض الضوء؟ أودُّ رؤيتك».

تحكّم ليتو في الأضواء الكاشفة، فغمرت الإضاءة السّاطعة الغُرفة. كانت الجدران السّوداء ومصادر الإضاءة مُصمّمة لتركيز الضّوء كاملًا على ليتو، كاشفةً كل تفصيلة في جسده بوضوحٍ تام.

أطلق آيداهو بصره في امتداد جسد ليتو الزّمادي المُفضّض الطّويل، الذي تبدو قشوره مُتعدّدة الأسطح أشبه بالأحجار الكريمة، مُلاحظًا بداية فصوص دودة الزّمال، وانحناءاتها المتعرّجة، والثّتوءَين الصّغيرين اللذين كانا فيما مضى قدمين وساقين، وكيف يبدو أحدهما أقصر من الآخر بعض الشّيء.. ثم أعاد تركيزه إلى الذّراعين واليدين المُحدّدتين جيّدًا؛ وأخيرًا رفع بصره إلى الوجه المُقلنس الوردي البشره الذي لا يكاد يُدرك في هذه الجَسامة.. محض بروزٍ هزليٍّ على مثل هذا الجسد.

قال ليتو: «حسنًا يا دانكن، لقد حُذّرت».

أشار آيداهو دون أن ينطق نحو جسد الدُودة البدائي.

طرح ليتو السؤال نيابةً عنه: «لماذا؟».

أومأ آيداهو مُصدِّقًا.

- «أنا ما زلت آتريديزيًا يا دانكن، وأؤكِّد لك بكل الشرف الذي يحمله هذا الاسم، أن لديّ أسبابًا قاهرة».

- «ما الذي يمكن أن...».

- «ستعرف في الوقت المناسب».

لم يفعل آيداهو إلّا أن هزَّ رأسه من جانب إلى آخر.

قال ليتو: «لن يكون الأمر بالاكتشاف السّار، ولسوف يتطلّب منك معرفة أمورٍ أخرى أوّلًا. ثق بكلمتي الآتريديزية».

على مدار القرون، وجد ليتو أن استحضار ولاءات آيداهو المُتأصّلة لكل ما يتعلّق بآل آتريديز يُوقف فيض بئر أسئلته، وها هي ذي المعادلة قد أثبتت نجاحها مجدّدًا.

قال آيداهو: «إذًا سوف أخدم آل آتريديز مجدّدًا. يبدو هذا مألوفًا، أليس كذلك؟».

- «من نواحٍ عديدة يا صديقي القديم».

- «قديم في نظرك، لكن ليس في نظري. كيف ستكون خدمتي؟».

- «ألم تُخبرك مُحاورات الأسماك؟».

- «قلن إنني سأقود نخبتك الحارسة. قوّة مختارة من بينهن. لكنني

لا أفهم. أتملك جيشًا من النّساء؟».

- «أحتاج إلى رفيقٍ أثق به لقيادة حرسي، فهل تعترض؟».

- «لماذا النّساء؟».

- «بين الجنسين اختلافات سلوكية تجعل المرأة ذات قيمة بالغة في هذا الدّور».

- «أنت لا تجيب سؤالي».

- «أترى أنهن غير أكفّاء؟».

- «بعضهن بَدَوْن قويّات تمامًا، لكن...».

- «وأخريات كُن، آه، ناعمات معك؟».

اعتلت الحُمرة وجه آيداهو.

وجد ليتو ردّة الفعل هذه خلّابة. الدّناكنة من بين قِلّة من البشر في هذا الزّمن القادرون على الإتيان بمثل هذه البادرة. كان هذا مفهومًا، إذ يعود إلى تدريبِهم المُبكّر، وشرفِهم الشّخصي الشّامخ، وشهامتِهم المُفرطة.

قال آيداهو: «لا أفهم لماذا تثق بالنّساء لحمايتك». كانت الدّماء قد انسحبت ببطء من وجنتيه، وعاد ينظر إلى ليتو بِحدّة.

- «لطالما وثقت بهن كما أثق بك... إنني أأتمنكم على حياتي».

- «ومِمّ نحميك؟».

- «سيُطلعك كلٌّ من مُونِيو ومُحاورات الأسماك على كل ما فاتك».

حرّك آيداهو وزنه من قدمٍ إلى أخرى، مُؤرجحًا جسده على إيقاع نبضات قلبه. زاغ بصره في أرجاء الحُجرة الصّغيرة، ولم تجد عيناه ما ترتكزان عليه. ثم بقرارٍ مُفاجئ، أعاد انتباهه إلى ليتو.

- «بم أدعوك؟».

كانت هذه علامة القبول التي ينتظرها ليتو. «أيكفيك أن تناديني بمولاي ليتو؟».

- «أجل... يا مولاي»، قالها آيداهو مُحدّقًا إلى عيني ليتو الفرمِنيّتين الزرقاوين، ثم أردف: «أحقًا ما تقوله حارساتك مُحاورات الأسماك، أنك تمتلك... ذكريات...».

- «جميعنا هنا يا دانكن». قالها ليتو بصوت جدّه لأبيه، ثم:

- «حتّى النّساء منّا هنا يا دانكن». كان هذا صوت چيسيكا، جدّة ليتو لأبيه.

ثم قال ليتو: «أنت تعرفهم جيّدًا، وهم أيضًا يعرفونك».

أخذ آيداهو شهيقًا بطيئًا مُرتجفًا، وقال: «سيتطلّب الأمر بعض الوقت لاعتياد هذا».

قال ليتو: «كانت هذه هي ردة فعلي الأولى بالضبط».

اهتزّ جسد آيداهو بموجة من الضّحك المفاجئ، وشعر ليتو أن هذا أكثر ممّا تتحمّله تلك النكتة الضّعيفة، لكنه ظلّ صامتًا.

في النّهاية، قال آيداهو: «كان من المفترض أن تجعلني حارساتك في مِزاجٍ جيّد، أليس كذلك؟».

- «وهل نجحن؟».

تفرّس آيداهو ملامح وجه ليتو، وميّز فيها السّمات الآتريديزية الواضحة. ثم قال: «أنتم، يا معشر الآتريديزيين، لطالما عرفتموني حقّ المعرفة».

قال ليتو: «هذا أفضل. لقد بدأت تتقبّل أنني لست مُجرّد آتريديزيٍّ واحد، بل جميعهم».

- «پول قال الشّيء نفسه ذات مرّة».

- «هذا صحيح». كان المتحدث هو المؤدّب، بقدر ما تُتيح النّبرة واللّهجة نقل ملامح الشّخصيّة الأصليّة.

ابتلع آيداهو ريقه وأشاح ببصره بعيدًا نحو باب الغُرفة.

ثم قال: «لقد سلبتنا شيئًا ما. أشعر بذلك. تلك النّسوة... مُونِيو...».

فكّر ليتو: *ها هو ذا يستخدم نون الجمع ضِدّي. دائمًا ما تختار غيلان الدّانكن جانب البشر.*

عاد آيداهو ينظر إلى وجه ليتو: «ماذا أعطيتنا في المقابل؟».

- «سلام ليتو الذي يشمل أرجاء الإمبراطوريّة!».

- «أرى أن السعادة تغمر الجميع! ولهذا تحديدًا أنت بحاجةٍ إلى حارِس شخصيٍّ».

ابتسم ليتو: «سلامي، في حقيقته، هدوء مفروض بالقوّة، وللبشر تاريخٌ طويلٌ في التّمرُّد على الهدوء».

- «لهذا أعطيتنا مُحاورات الأسماك».

- «بالإضافة إلى تسلسلٍ هرمي تسهل ملاحظته».

- «جيشٌ من الإناث».

قال ليتو: «الإناث أقوى قوّة جذّابة للذكور. لطالما استُخدِم الجنس كوسيلة لإخضاع الذّكر العُدواني».

- «أذلك دورهن؟».

- ««إنهن يَضبطنَ، وأحيانًا يَكبحنَ، التّجاوزات التي قد تُفضي إلى عُنفٍ أشدّ وألمٍ أعظم».

- «وتجعلهن يعتقدن أنّك إله... لا أظنّني أُحبّ ذلك».

- «لعنة القُدسيّة مُسيئة لي بقدر ما هي مُسيئة لك!».

قطب آيداهو جبينه، إذ لم يكن يتوقّع ذلك الرّد.

- «أيُّ لُعبة تلعبها أيُّها الإله ليتو؟».

- «إنها لُعبة قديمة جدًّا، لكن بقواعد جديدة».

- «قواعدك أنت!».

- «أتُفضّل أن أُعيد نصاب الأمور إلى قبضة شركة تشوم ومجلس اللّاندسراد والعائلات الكبيرة؟».

- «التِليلاكسو قالوا إن اللّاندسراد لم يعد له وجود، قالوا إنك لا تسمح بوجود أيّ حُكمٍ ذاتي حقيقي».

- «حسنًا إذًا، يمكنني التّنحّي لصالح البِني چيسيرِت، أو رُبّما

الإيكسيّين، أو التِليلاكسو؟ أتريد منّي أن أجد بارونًا هاركوننيًا آخر ليتولّى سلطة الإمبراطورية؟ انطق بها يا دانكن وسأتنازل عن العرش!».

تحت هذا الطُوفان من المعاني، عاد آيداهو يهزُّ رأسه من جانب إلى آخر.

قال ليتو: «السُلطة المركزية المُستبِدّة بالحُكم لهي أداة خطيرة ومتقلّبة إن وقعت في الأيدي الخاطئة».

- «وتحسب أن يدَيك هما الصّحيحتان؟».

- «لست واثقًا بيديّ، ولكن دعني أخبرك يا دانكن أنني واثقٌ بطبيعة أيدي من سبقوني، إذ أعرفهم تمام المعرفة».

أدار آيداهو ظهره إلى ليتو.

فكّر ليتو: *يا لها من لفتةٍ إنسانيّةٍ رائعة في أصالتها! رفضٌ متبوعٌ بقبولٍ للضعف ولقِلّة الحيلة.*

تحدّث ليتو إلى آيداهو الذي يُعطيه ظهره.

- «أنت مُحقٌ تمامًا في اعتراضك على استخدامي النّاس دون علمهم الكامل ودون رضاهم».

استدار آيداهو نصف استدارة معطيًا جانبه إلى ليتو، ثم التفت برأسه ونظر إلى أعلى نحو الوجه المُقلنس، وأمال رأسه إلى الأمام قليلًا لينظر إلى العينين تامّتي الزُرقة.

فكّر ليتو: *إنه يحاول سبر أغواري، لكنه لا يملك إلّا وجهي ليُقيّمني*

به.

لقد علّم آل آتريديز حاشيتهم فراسةَ التقاطِ أدقّ إشارات الوجوه والأجسام، وقد كان آيداهو بارعًا في علم الفراسة، لكن بان عليه قد بدأ يدرك حقيقة أنه أمام شيءٍ أغواره أعمق من أن تُسبر.

تنحنح آيداهو، ثم قال: «ما أسوأ ما قد تطلبه مني؟».

فكّر ليتو: *يا لديدن الدّناكنة!* هذا التّساؤل معهود منهم. إن آيداهو مُستعدّ لمنح ولائه للوارث الآتريديزي، للوصيّ على قسمه، لكنه يلمّح إلى أنه لن يفعل شيئًا يتجاوز حدود منظومة أخلاقه الشّخصيّة.

- «سيُطلب منك حمايتي بأيّ وسيلةٍ ضروريّة، كما سيُطلب منك حماية سِرّي».

- «أيّ سِرّ؟».

- «أنني عُرضة للأذى».

- «أنك لست بإله؟».

- «ليس بهذا المعنى المطلق».

- «ذكرت مُحاورات الأسماك شيئًا عن مُتمرّدين».

- «إنهم موجودون».

- «لماذا؟».

- «إنهم شباب يافعون لم أفلح في إقناعهم بأن أسلوبي أفضل. من الصّعب جدًّا إقناع الشّباب بأيّ شيء. لقد وُلِدُوا وهم يعرفون الكثير

بالفعل».

- «لم أسمع آتريديزيًا من قبل يسخر من الشّباب بهذه الطّريقة».

- «رُبّما لأنني صرت أكبر سِنًّا بكثير. لقد صِرتُ قِدمًا يُضاعفهُ قِدمٌ، ومهمّتي تزداد صعوبة مع مرور كل جيل».

- «ما مهمّتك؟».

- «ستفهمها مع الوقت».

- «ماذا سيحدث إن خذلتك؟ هل ستصفّيني نسوتك؟».

- «أحاول ألّا أثقِل كاهل مُحاورات الأسماك بالذّنب».

- «لكنك ستثقل كاهلي؟».

- «إن قبلت».

- «إن حدث واكتشفت أنك أسوأ من الهراكنة، فسأنقلب ضِدّك».

*يا لديدن الدّناكنة! إنهم يقيسون كل الشُّرور على مقياس الهراكنة. لقِلّة ما يعرفون عن الشرور.*

قال ليتو: «البارون التهم كواكب كاملة يا دانكن. ما الذي يمكن أن يكون أسوأ من ذلك؟».

- «التهام إمبراطوريّة».

- «أنا حامل بإمبراطوريّتي، وسأموت وأنا أُلِدُها».

- «لو فقط استطعت تصديق ذلك...».

- «هل ستكون قائدًا لحرسي؟».

- «لماذا اخترتني أنا؟».

- «لأنك الأفضل».

- «أخال أنه عملٌ خَطر. أهكذا مات سابقيّ؟ وهم يقومون بأعمالك الخَطِرة؟».

- «بعضهم».

- «أتمنّى لو كنت أمتلك ذكريات أولئك الآخرين!».

- «لا يسعك أن تملكها مع الحفاظ على حالك الأصليّة».

- «ومع ذلك، أرغب في معرفة المزيد عنهم».

- «ستعرف».

- «إذًا ما زال آل آتريديز في حاجةٍ إلى سكّينٍ حادّة؟».

- «لدينا أعمال لا يستطيع أن يقوم بها سوى دانكن آيداهو».

قال آيداهو متلعثمًا: «تقول... نحن...»، ثم بتر عبارته وابتلع ريقه، ونظر إلى الباب، ثم عاد إلى وجه ليتو.

تحدّث ليتو إليه كما كان المؤدّب سيفعل، لكن بصوت ليتو المعتاد.

- «حين تسلّقنا الصُخور ودخلنا سييتش تابر معًا للمرة الأخيرة، كنت مخلصًا لي، وكنت مخلصًا لك. لم يتغير شيءٌ من ذلك حقًّا».

- «كان ذلك أباك».

- «كان ذلك أنا!».

لطالما صدم صوت پول المؤدّب الآمر الصّادر عن جسد ليتو الضّخم غيلان دانكن.

همس آيداهو: «جميعكم... يسكن ذلك الجسد... الواحد...».

ظلّ ليتو على صمته، إذ كانت هذه لحظة اتّخاذ القرار المصيريّة.

في النّهاية، أفرج ثغر آيداهو عن الابتسامة العابثة اللا مبالية التي اشتهر بها، ثم قال: «سأتحدّث إذًا إلى ليتو الأوّل وإلى پول، الاثنين اللذين يعرفانني جيّدًا. استخدماني كيفما شئتما، فقد أحببتكما».

أغلق ليتو عينيه. لطالما أثقلته مثل هذه الكلمات، إذ كان يعلم أن الحُبّ هو أخطر ما يُهدّد وجوده.

مُونِيو الذي كان يقف خلف الباب مستمعًا، جاء لنجدته. دخل إلى الغُرفة وقال: «مولاي، هل أصطحب دانكن آيداهو إلى الحارسات اللاتي سيتولّى قيادتهن؟».

- «أجل». لم يقو ليتو على التّفوّه بكلمةٍ أخرى.

أخذ مُونِيو آيداهو من ذراعه وقاده بعيدًا.

فكّر ليتو: *مُونِيو الطّيّب، مُونِيو الصّالح العزيز. لشِدّة ما يعرفني، لكنني يائس من أن يفهمني يومًا.*

أعرف شرور أسلافي لأنني أنا نفسي أولئك النّاس. الميزانُ دقيقٌ إلى أقصى حد. أعلم أن قِلّة منكم ممّن يقرؤون كلماتي قد فكّروا في أسلافهم على هذا النّحو. لم يخطر ببالكم أن أسلافكم كانوا من النّاجين، وأن البقاء ذاته يتطلّب أحيانًا اتّخاذ قراراتٍ وحشيّة؛ نوع من العُنف الغَاشِم الذي طالما جاهدت الحضارة البشريّة لقمعه. أيّ ثمنٍ أنتم مستعدّون لدفعه مقابل هذا القمع. هل ستقبلون بالفناء؟

- المذكّرات المسروقة

حاول آيداهو نفض كابوسِ اللّيلة الماضية عنه وهو يرتدي ملابسه استعدادًا لأوّل صباحٍ له في قيادة مُحاورات الأسماك. كان الكابوس قد أيقظه مرّتين، وقد غادر الفِراش في كلّ مرّة واتّجه إلى الشُرفة ورفع بصره محدّقًا إلى النّجوم، لكن الكابوس كان يأبى مغادرةً رأسِه.

*نسوة... نسوة عُزّل في دروعٍ سوداء... تندفع نحوه بصراخٍ حاشد أجش لا معنى له... وتلوّح بأيدٍ مخضّبة بدماءٍ حمراء... وبينما كنّ يتدافعن حوله، انفتحت أفواههن كاشفةً عن أنيابٍ شنيعة!*

في تلك اللّحظة، استيقظ.

ولم يُسهم ضوء النّهار كثيرًا في محو آثار الكابوس.

لقد منحوه غُرفة في البُرج الشّمالي تطل شرفتها على مشهدِ كثبانٍ رمليّةٍ ممتدّةٍ إلى جرفٍ بعيد عند سفحه قرية تبدو بيوتها كأنها أكواخ طينية.

زرّر آيداهو أزرار سُترته وهو يحدّق إلى المشهد.

*لماذا يختار ليتو النّساء فحسب لجيشه؟*

عرضت عِدّة مُحاورات أسماك حسناوات قضاء اللّيلة مع قائدهن الجديد، لكن آيداهو قابلهن بالرّفض.

ليس من شيم آل آتريديز استخدام الجنس وسيلةً للإقناع.

نظر آيداهو إلى ما يرتديه من ملابس: زيٌّ أسود بحافات ذهبيّة، وصقرٌ أحمر على الصّدر يسارًا. على الأقل، هذا مألوف. لكن الزّيّ كان بلا شارة رُتبة.

مُونِيو قد قال: «إنهن يعرفن وجهك».

*يا له من رجل ضئيل غريب مُونِيو هذا!*

أوقفته هذه الفكرة فجأة. أخبره تأمله أن مُونِيو ليس ضئيل الحجم. *أجل، يبدو مُلجّمًا، لكنه ليس أقصر مني.* كان يبدو كأنه منطويًا على ذاته... لكنه متماسك.

أجال آيداهو بصره في حُجرته التي تتّسم بالتّرف والاهتمام الشّديد بوسائل الرّاحة: وسائدُ ناعمة، وأجهزةٌ مخفيّةٌ خلف ألواحٍ خشبيّةٍ بُنّيّةٍ لامعةٍ، وحمّامٌ يبدو كعرضٍ مُزخرَف من البلاط الأزرق الفاتح، ومُزوّد بحوض استحمام ذي دش مدمج يسع ستة أشخاص على الأقل للاستحمام فيه في الوقت نفسه. كان المكان بأسره ينبض بالتّرف ويدعو إلى الإفراط في المُتع. هذا جناحٌ يسمح لحواسك بالغرق في ملذات لا تُنسى.

همس آيداهو لنفسه: «حيلة ذكيّة».

سمع طرقًا رقيقًا على الباب تبعه صوت أنثوي يقول: «أيُّها القائد؟ مُونِيو هنا».

ألقى آيداهو نظرة على ألوان الشّمس الدّافئة المنعكسة على الجرف البعيد.

نادى الصّوت بنبرة أعلى: «أيُّها القائد؟».

صاح آيداهو: «ادخل».

دخل مُونِيو وأغلق الباب خلفه. كان يرتدي سترةً بلون الطّباشير الأبيض تُجبر العين على التّركيز على وجهه. ألقى مُونِيو نظرةً سريعةً على الغُرفة.

- «هذا هو المكان الذي وضعنك فيه إذًا. تلك النّساء اللّعينات! أخالهن ظننّ أنهن بهذا يتصرّفن بلُطف، لكن كان ينبغي لهن أن يُحسِنّ الإدراك».

سأله آيداهو: «كيف تعرف ما يعجبني؟»، وقبل أن يُكمل السّؤال، أدرك مدى غبائه.

*أنا لست أوّل دانكن يراه مُونِيو.*

اكتفى مُونِيو بالابتسام وهزّ كتفيه.

- «لم أقصد إهانتك أيُّها القائد. أترغب في الاحتفاظ بهذا الجناح؟».

- «المنظر يُعجبني».

- «لكن ليس الأثاث». كان هذا تصريحًا لا سؤالًا.

قال آيداهو: «الأثاث يمكن تغييره».

- «سأتأكّد من ذلك».

- «أظن أنك هنا لتشرح لي مهامي».

- «بقدر ما أستطيع. أعرف أن كلّ شيءٍ سيبدو غريبًا لك في البداية، فهذه الحضارة تختلف جذريًا عن الحضارة التي عرفتها».

- «لاحظت ذلك. كيف قضى... سابقي نحبه؟».

هزّ مُونِيو كتفيه. بدا أن هذا تعبيره المعتاد، لكن لم يكن في تلك الحركة أيُّ تواضع.

قال مُونِيو: «لم يكن سريعًا بما يكفي لمراوغة تبعات قرارٍ اتّخذه».

- «كُن مُحدّدًا».

تنهّد مُونِيو. لطالما كان غيلان الدّانكن شديدي الإلحاح.

- «قتلته عناصر من التّمرُّد. أترغب في سماع التّفاصيل؟».

- «هل ستكون نافعةً لي؟».

- «لا».

- «أريد إحاطة كاملة عن هذا التّمرُّد اليوم، ولكن أخبرني أولًا: لماذا لا يوجد في جيش ليتو رِجالٌ؟».

- «أنت في جيشه».

- «أنت تعلم ما أقصد».

- «إنه يملك نظريّةً غريبةً عن الجيوش. لقد ناقشتها معه في مناسبات عِدّة.. لكن ألا تريد تناول الإفطار أوّلًا قبل أن أشرح لك؟».

- «ألا يمكننا فعل الأمرين في الوقت نفسه؟».

استدار مُونِيو باتّجاه الباب وصاح بكلمة واحدة: «الآن!».

كان تأثير كلمته فوريًا ومذهلًا. اندفعت مجموعة من مُحاورات الأسماك اليافعات إلى الغُرفة. أخذت اثنتان منهن طاولة مطويّة ومقعدين من وراء أحد الألواح الخشبيّة ووضعتها في الشُرفة، وأعدّت أخريات الطّاولة لاستيعاب فردين، وأحضر مزيدًا منهن مختلفَ أصنافِ الطّعام: فاكهةً طازجةً، ولفائفَ ساخنة، ومشروبٌ يتصاعد منه البخار ويفوح بمزيج خفيف من الاسپايس والكافيين. كل ذلك تم في سرعة وصمتٍ كاملين، وبكفاءة دلّت على خبرةٍ طويلة. بعدها غادرت الفتيات كما جئن، دون كلمة واحدة.

وجد آيداهو نفسه جالسًا إلى الطّاولة قبالة مُونِيو بعد دقيقة واحدة من بدء هذا العرض الغريب.

سأل آيداهو: «كلُّ صباحٍ هكذا؟».

- «فقط إن كانت تلك رغبتك».

تذوّق آيداهو المشروب: كان قهوةً بالمِزّاج. وتعرّف على الفاكهة: إنه البطّيخ الكلاداني النّاعم المُسمى پارادان.

*فاكهتي المُفضّلة.*

قال آيداهو: «أنت تعرفني تمام المعرفة».

ابتسم مُونِيو قائلًا: «حصلنا على بعض التدريب. الآن، لنعد إلى سؤالك».

- «نظريّة ليتو الغريبة».

- «نعم، إنه يقول إن الجيوش المكوّنة من الرّجال فحسب لطالما شكّلت خطرًا كبيرًا على قواعد المدنيّين التي تدعمها».

- «لكن هذا جنون! من دون الجيوش، لن يكون هناك...».

- «أعرف هذه الحُجّة. لكنه يقول إن الجيوش الذكوريّة ما هي إلّا بقايا وظيفة الغربلة التي فُوّضت إلى الذُّكور العاجزين عن التّكاثُر في قبائل ما قبل التّاريخ. يقول إن من الحقائق مُريبة الثّبات هو أن من اعتادوا إرسال الذُّكور اليافعين إلى المعارك هم الذُّكور الأكبر سِنًّا».

- «ماذا تقصد بوظيفة الغربلة؟».

- «أعني بها أولئك الذين وُضِعوا دومًا على الحافات الخارجيّة المُهدّدة لحراسة الذُّكور القادرين على التّكاثر، والإناث، والصّغار. أولئك الذين يواجهون الخطر أوّلًا، ويصدُّون المفترسين قبل أن يبلغوا الآخرين».

- «كيف يشكّل ذلك خطورة على المدنيين؟».

طرح آيداهو سؤاله وقضم من البطيخ، فوجده في تمام نضجه.

- «يقول الإله ليتو إنه حين تُحرم الجيوش الذُّكوريّة من العدو الخارجي، فإنه دومًا ما تنقلب ضد شعوبها».

- «في تنافسٍ على الإناث؟».

- «رُبّما. لكن من الواضح أنه لا يرى الأمر بهذا التّبسيط».

- «لا أرى أنها نظريّة غريبة».

- «لأنك لم تسمعها كاملة بعد».

- «أبها المزيد؟».

- «أينعم. يقول الإله ليتو إن الجيوش الذُّكوريّة بالكامل تُطوّر ميلًا قويًا تجاه الأنشطة المثليّة».

حدّق آيداهو إلى مُونِيو شزرًا عبر الطّاولة: «أنا لم...».

- «بالطّبع لا. إنه يتحدّث عن تفريغ الطّاقات، وعن الطّاقات المنحرفة، وما إلى ذلك».

- «ما إلى ماذا؟». انتفخت أوداج آيداهو من الغضب لما رآه هجومًا على صورته لنفسه بصفته رَجُلًا.

- «يقصد سلوك المراهقين؛ حياة الصّبية حين يُتركون بمفردهم، النّكات التي لا هدف لها إلّا الأذى، الولاء لرفاقك في المجموعة... أمور من هذا القبيل».

تحدّث آيداهو ببرود: «وما رأيك أنت؟».

- «أنا أذكّر نفسي...»، قالها مُونِيو ثم التفت وأكمل كلامه وهو يتأمّل المشهد: «... بشيءٍ قاله لي وأنا واثقٌ بصِحّته، أنه كل جُندي عاش في تاريخ البشريّة. لقد عرض عليّ أن يستعرض أمامي سلسلة من الأمثلة لشخصيّاتٍ عسكريّةٍ شهيرة لم يتجاوزوا مراهقتهم،

لكنني رفضت. لقد قرأت التّاريخ بعناية وأدركت هذه السّمة بنفسي».

أنهى مُونِيو كلامه واستدار ونظر إلى عيني آيداهو مُباشرةً.

- «فَكِّر في الأمر أيُّها القائد».

كان آيداهو يفتخر بصدقه مع نفسه، وقد أصابه هذا الكلام بالصدمة. أتعمل الجيوش على خلق طوائف من الشّباب والمراهقين المثليين؟ إن في ذلك صدًى من الحقيقة، وتوجد أمثلة من خبرته الشّخصيّة...

أومأ مُونِيو: «إن المثليين، سواء كانوا ممن يخفون حقيقتهم أم لا، الذين يستمرُّون في فعلهم هذا لأسبابٍ يمكن أن نطلق عليها أسبابًا نفسية بحتة، يميلون إلى الانغماس في سلوكٍ يُسبِّب الألم؛ فيبحثون عنه لأنفسهم ويفرضونه على الآخرين. الإله ليتو يقول إن هذا يرجع إلى سلوك الاختبار الذي ساد في قبائل ما قبل التاريخ».

- «وأنت تصدّقه».

- «أجل».

أخذ آيداهو قضمةً أُخرى من البطّيخ. كان قد فقد حلاوته في فمه، فابتلع آيداهو ما قضمه ووضع الملعقة.

ثم قال: «سيتعيّن عليّ التفكير في ذلك الأمر».

- «بلا شك».

قال آيداهو: «أنت لا تأكل».

قال مُونِيو: «لقد استيقظت قُبيل الفجر وأكلت وقتها»، ثم أشار

إلى طبقه وأردف: «النّسوة يحاولن إغرائي باستمرار».

- «وهل ينجحن؟».

- «أحيانًا».

- «أنت محق. أجد نظريّته غريبة بالفعل، أتحتوي على المزيد؟».

- «أوه، أجل. إنه يقول إن الجيوش الذكوريّة حين تتحرّر من قيود المراهقة المثليّة، تصير مُغتصبة. والاغتصاب كثيرًا ما يكون قاتلًا، وهذا ليس سلوكًا يخدم البقاء».

قطب آيداهو جبينه.

ارتسمت ابتسامة طفيفة على ثغر مُونِيو وهو يقول: «الإله ليتو يقول إن الانضباط الآتريديزي، وضوابطهم الأخلاقيّة، هي التي منعت بعض أسوأ التّجاوزات في عصركم».

هزّت آيداهو تنهيدة عميقة.

أعاد مُونِيو ظهره إلى الوراء، وفكّر في شيءٍ قاله الإمبراطور الإله ذات مرّة: «مهما طلبنا الحقيقة، فإن معرفة النّفس كثيرًا ما تكون غير سارّة. لذلك لا نُحبُّ عرّافات الحقيقة».

قال آيداهو: «أولئك الآتريديزيّون الملاعين!».

- «أنا آتريديزي».

قال آيداهو مصدومًا: «ماذا؟».

قال مُونِيو: «أنا إحدى نتائج مُخطّطه الاستيلادي، أنا واثق بأن

التِليلاكسو ذكروه لك. أنا أنحدر مباشرةً من نسلِ زواج أُخته بخرق العادة».

مال آيداهو تجاهه: «أخبرني إذًا يا نسل آتريديز، كيف تكون النّساء جنودًا أفضل من الرّجال؟».

- «النُّضج يأتيهنّ أيسر».

هزّ آيداهو رأسه في حيرة.

قال مُونِيو: «إنهن يمرّزن بعمليّة جسديّة تجبرهن على الانتقال من مرحلة المراهقة إلى النُّضج. أو كما يقول الإله ليتو: ‹احمل طفلًا داخلك لمدّة تسعة أشهر وانظر كيف ستتغيّر›».

أراح آيداهو ظهره إلى المقعد: «وماذا يعرف عن ذلك؟».

ظلّ مُونِيو ينظر إليه حتّى تذكّر آيداهو الحشود التي تعيش داخل ليتو، نساءً ورجالًا. هبط الإدراك على آيداهو، وحين رآه مُونِيو، تذكّر تعليقًا قاله الإمبراطور الإله: «كلماتك تدمغه بالسّمة التي تريدها أن تكون ظاهرةً عليه».

مع طول مُدّة الصّمت، تنحنح مُونِيو، ثم قال في النّهاية: «جسامة ذكريات الإله ليتو تَعقِدُ لساني أنا أيضًا».

سأله آيداهو: «هل هو صادق معنا؟».

- «عن نفسي أُصدّقه».

- «لكنه يرتكب من الأمور الكثير... أعني، خُذ مخطّط الاستيلاد مثالًا. منذ متى وهذا المخطّط مستمر؟».

- «منذ البداية. من اليوم الذي انتزعه فيه من البِني چيسيرِت».

- «وماذا يبغي من ورائه؟».

- «أتمنى لو كنت أعرف».

- «لكنك...».

- «آتريديزي ومساعدُه الرّئيس، أجل».

- «حتّى الآن لم تقنعني أن جيش النّساء هو الخيار الأفضل».

- «النّساء يحافظن على استمرار النّوع».

أخيرًا، وجد آيداهو هدفًا ليصبّ عليه إحباطه وغضبه: «أهذا ما كنت أفعله معهم في تلك الليلة الأولى، التّكاثُر؟».

- «رُبّما، مُحاورات الأسماك لا يستخدمن أيّ موانع ضد الحمل».

- «اللّعنة عليّ! أنا لست حيوانًا يحرّكه كيفما شاء من حظيرة إلى أخرى كـ... كـ...»

- «كفحل تزاوج؟».

- «أجل!».

- «لكن الإله ليتو يرفض أن يتّبع أساليب التِليلاكسو في الجّراحة الجينيّة والتّلقيح الصّناعي».

- «ما علاقة التِليلاكسو بـ...».

- «إنهم الدّرس العملي. حتّى أنا أستطيع رؤية ذلك. إن راقصي الوجوه منهم بغالٌ عقيمةٌ، أقرب إلى مستعمرات جرثوميّة منهم إلى

البشر».

- «هؤلاء الآخرون... مني... هل كان أيٌّ منهم فحولًا له؟».

- «بعضهم. إن لديك أحفادًا».

- «من أحفادي؟».

- «أنا واحد منهم».

حدّق آيداهو إلى عيني مُونِيو وقد ضاع فجأة في متاهةٍ من العلاقات وجدها مستحيلة الفهم. من الواضح أن مُونِيو أكبر بكثير من... *لكنني*... أيٌّ منهما الأكبر حقًّا؟ أيُّهما السّلف وأيُّهما الخلف؟

قال مُونِيو: «أنا كذلك أجد صعوبة في استيعاب الأمر أحيانًا. إن كان ما سأقوله سيُريحك، فالإله ليتو يؤكّد لي أنك لست من نسلي، على الأقل ليس بالمعنى التّقليدي. ومع ذلك، من المحتمل جدًّا أن تكون والدًا لبعض أحفادي».

هزّ آيداهو رأسه من جانب إلى آخر.

قال مُونِيو: «أحيانًا أشعر أن الإمبراطور الإله وحده القادر على استيعاب هذه الأمور».

قال آيداهو: «هذا شيءٌ آخر. مسألة الإله هذه».

- «الإله ليتو يقول إنه قد خلق شُنعة مقدّسة».

لم يكن هذا هو الجواب الذي توقّعه آيداهو. *ما الذي توقّعته؟ دفاعًا عن الإله ليتو؟*

كرّر مُونِيو كلامه: «شُنعة مقدّسة»، وشعر بأن لفظها على لسانه يحمل شيئًا من الشّماتة.

ألقى آيداهو نظرةً فاحصةً على مُونِيو. *إنه يكره إمبراطوره الإله! كلّا... بل يخافه. لكن أولا نكره دائمًا ما نخشاه؟*

سأله آيداهو: «لماذا تؤمن به؟».

- «أتسألني إن كنت أومن بالدّين الشّائع؟».

- «كلّا! أيؤمن هو به؟».

- «أظن ذلك».

- «لماذا؟ لماذا تظن ذلك؟».

- «لأنه يقول إنه لا يرغب في خلق مزيد من راقصي الوجوه، لذلك يُصِرُّ على أن تستمرّ السلالة البشريّة التي يرعاها، بمُجرّد تزاوجها، في التكاثر على النّحو الذي اعتادت أن تتكاثر بها دائمًا».

- «ما علاقة هذا بالأمر بحق الجحيم؟».

- «لقد سألتني عمّا يؤمن به. أظن أنه يؤمن بالفرصة. أظن أنها إلهه».

- «هذه خرافة!».

- «بالنّظر إلى أوضاع الإمبراطوريّة، فهي خرافةٌ جريئةٌ جدًّا».

نظر آيداهو شزرًا إلى مُونِيو، ثم تمتم: «تبًّا لكم يا آل آتريديز، أنتم تجرؤون على أيّ شيء».

لاحظ مُونِيو أن الكراهية تختلط بالإعجاب في صوت آيداهو.

*لطالما كان هذا ديدن الدّناكنة.*

ما الاختلاف الجوهري بيننا.. بيني وبينكم؟ أنتم تعرفونه تمام المعرفة. إنها ذكريات الأسلاف. ذكرياتي تأتيني وأنا في يقظةٍ تامةٍ، فيما تعمل ذكرياتكم من بقاعٍ عمياء. البعض يُسمُّونها الغريزة أو القَدر. تفرض الذِّكريات سلطانها على كل واحد فينا، على أفكارنا وأفعالنا. أتظنُّون أنكم معصومون من هذا السُّلطان؟ أنا جاليليو هذا العصر، وأقولها لكم من مكاني هذا: «لكنها تتحرّك»(9)، وكلُّ ما يتحرّك قادرٌ على بسط قوّته بطرائق لم تجرؤ إرادةٌ بشريّةٌ من قبل على كبحه. أنا أتيتُ لأجرؤ على ذلك.

- المذكّرات المسروقة

- «كانت تراقبني وهي طفلة، أتذكُر؟ حين كانت تظن أنني غافل، كانت سيونا تلاحقني بعينيها كصقرِ الكُثبان وهو يحوم فوق جُحر فريسته. أنت بنفسك قلت هذا».

أدار ليتو جسده ربع دورة فوق العربة وهو يتحدّث، فاقترب وجهه المُقلنس من وجه مُونِيو، الذي كان يهرول بمحاذاة العربة.

كان الفجر بالكاد قد بزغ على الطّريق الصّحراويّ المُمتدّ، عبر التّلة الصّناعيّة المُرتفعة، من القلعة في صحراء السّرير إلى مدينة المهرجان.

كان الطّريق الخارج من الصّحراء يمتدُّ مستقيمًا كشعاع اللّيزر، حتّى يبلغ نقطةً ينحني عندها في قوسٍ واسع، وينحدر عبر وديانٍ متدرجة قبل أن يعبر نهر آيداهو. كان الهواء مُشبّعًا بضبابٍ كثيفٍ من تدفُّق مياه النّهر الصّاخب البعيد، لكن ليتو كان قد نشر الغِطاء المُقّاعي الذي يعزل مُقدّمة عربته. جعلت الرّطوبة جسده الدّودي

يختلج في توتُّرٍ غامض، لكن أنفه البشري كان مُستمتعًا برائحة النّباتات الصّحراويّة الحلوة التي تشبّع بها الضّباب، لذا أمر الموكب بالتوقُّف.

سأله مُونِيو: «لماذا نتوقّف هنا يا مولاي؟».

لم يجبه ليتو، وأنّت العربة تحت ثِقله حين رفع جسده في قوسٍ مائلٍ حمل رأسه عاليًا، ما سمح له بالنّظر عبر الغابة المُحزّمة إلى بحر كاينز الذي تتلألأ صفحة مياهه الفِضّيّة بعيدًا باتّجاه اليمين. استدار يسارًا، فرأى في البُعد بقايا الجدار الحامي تبدو كظلٍّ منخفضٍ متعرّج تحت ضوءِ الصّباح. لقد رُفِعت التّلة هنا إلى ارتفاعٍ يقارب ألفي متر، لتُطوّق السّرير وتحدُّ من انتشار الرُّطوبة التي يحملها الهواء.

من موقعه هذا، تمكّن ليتو من رؤية الأخدود البعيد، حيث أمر ببناء أونْ، مدينة المهرجان.

قال ليتو: «باغتتني نزوةٌ فأوقفني».

سأل مُونِيو: «ألا ينبغي لنا عبور الجِسر قبل أن نستريح».

- «أنا لا أستريح».

حدّق ليتو بعيدًا. بعد سلسلة من المنعطفات الملتوية التي تُرى من هذا الموقع كأنها ظلٌّ متعرّج فحسب، يعبر الطّريق الرّئيس النّهر على جسرٍ مقوّس خُرافي الطّابع، ثم يصعد عازلة، قبل أن ينحدر نحو المدينة التي تستعرض أبراجها المُستدقّة اللّامعة من هذه المسافة.

قال ليتو: «الدّانكن يبدو مُثبّطًا. هل أجريت معه حديثك

المطوّل؟».

- «تمامًا كما طلبت يا مولاي».

قال ليتو: «حسنًا، لقد مرّت أربعة أيّام فحسب. عادةً ما يأخذون وقتًا أطول للتعافي».

- «لقد انشغل مع حارساتك يا مولاي. لقد مكثوا في الخارج حتّى وقتٍ متأخّر اللّيلة الماضية».

- «غيلان دانكن لا تحب المشي في العراء، فهذا يجعلهم يفكّرون طوال الوقت في الأشياء التي يُمكن أن تُستخدم لمهاجمتنا».

- «أعرف يا مولاي».

استدار ليتو ونظر مباشرة إلى مُونِيو. كان القهرمان يرتدي عباءةً خضراءَ فوق زِيِّه الأبيض، ويقف بجوار غِطاء الفُقّاعة المفتوح في عين الموضع الذي يمليه عليه الواجب في أثناء هذه الرّحلات.

قال ليتو: «كم أنت مُخلص لواجباتك يا مُونِيو».

- «شكرًا لك يا مولاي».

حافظت الحراسة وحاشية البلاط على مسافةٍ محترمة خلف العربة، مراعاةً لواجب التّوقير، وتجنّب معظمهم حتّى الظُّهور بمظهر من يسترق السّمع إلى ما يدور بين ليتو ومُونِيو. أمّا آيداهو، الذي نشر بعض مُحاورات الأسماك على جانبي الطّريق الملكي، مباعدًا بينهن، لم يكن منهم. إذ وقف يتأمّل العربة بزيِّه الأسود ذي الحافات البيضاء، ذلك الزّيّ الذي قال مُونِيو إنه هديّة من مُحاورات الأسماك.

- «لكم يُحبِبن هذا الدّانكن. إنه بارع فيما يفعل».

- «وماذا يفعل يا مُونِيو؟».

- «حراسة جلالتك بالطّبع يا مولاي».

كانت نسوة الحرس جميعًا يرتدينَ زيًّا أخضر ضيّقًا، وكل واحدة منهن تضع شارة الصّقر الآتريديزي الحمراء على صدرها الأيسر.

قال ليتو: «إنهن يراقبنه بحرص شديد».

- «أجل. إنه يُعلّمهن إشارات اليد، يقول إنها الطريقة الآتريديزية».

- «هذا صحيح بلا شك. أتعجّب لماذا لم يفعل السّابق ذلك؟».

- «مولاي، إن كنت لا تعرف...».

- «أنا أمزح يا مُونِيو. لم يشعر الدّانكن السّابق بالتهديد إلا بعد فوات الأوان. هل قبل هذا الجديد تفسيراتنا؟».

- «هكذا قيل لي يا مولاي. لقد شرع في خدمتك بهِمّة».

- «لماذا لا يحمل إلّا هذا الخِنجر في غمد حزامه؟».

- «لقد أقنعته النّسوة بأنّ حمل بُندقيّة ليزر لا تستحقه سوى من تلقّت تدريبًا خاصًا منهن».

- «حذرك لا داعي له يا مُونِيو. أخبِر النّساء أنّ الوقت لا يزال باكرًا جدًّا لنخشَى جانب هذا الغول».

- «أمر مولاي».

كان واضحًا لليتو أن قائدَ حرسِه الجديد لم يكن يستحسن

حضور حاشية البلاط. كان يقف بمنأى عنهم. وقد قيل له إن أغلب أفراد الحاشية من الموظّفين المدنيّين. ارتدى هؤلاء أفضل وأزهى ما لديهم من الثياب، مستعدّين لهذا اليوم الذي يتسنّى لهم فيه استعراض أنفسهم بكل مظاهر البذخ، وأمام الإمبراطور الإله نفسه. كان ليتو يدرك كم تبدو هذه الحاشية مثيرةً للسخرية في نظر آيداهو، لكنه كان يتذكّر أيضًا زينةً أسخف بكثير، وظنّ أن في عرض اليوم تحشّنًا عمّا سبق.

سأل ليتو: «هل عرّفته بسيونا؟».

مع ذكر سيونا، انعقد حاجبا مُونِيو في عبوسٍ قاتم.

قال ليتو: «اطمئن، فحتّى وهي تتجسّس عليّ، لم تفقد يومًا مكانتها العزيزة في قلبي».

- «أشعر منها بالخطر يا مولاي. أحيانًا يُخَيّل إليّ أنها تطالع أكثر أفكاري سرّيّة».

- «الطفلة الحكيمة تعرف أباها».

- «أنا لا أمزح يا مولاي».

- «أجل، أرى هذا. هل لاحظت أن صبر الدّانكن بدأ ينفد؟».

قال مُونِيو: «لقد استطلعوا الطّريق حتّى الجِسر تقريبًا».

- «وعلام عثروا؟».

- «على نفس ما عثرت أنا عليه. فرمِن أثريُون جُدد».

- «أيتقدّمون بطلبٍ آخر؟».

- «أرجوك لا تغضب يا مولاي».

من جديد، عاد ليتو يرنو إلى الأمام. كان هذا التعرُّض الذي لا مفرّ منه للهواء الطّلق، وهذه الرحلة الطويلة المهيبة بكل متطلباتها الطقسيّة اللّازمة لترسيخ عقيدة مُحاورات الأسماك، تزعجه بشدّة. وها هم أولاء الآن يتقدّمون بطلبٍ آخر!

سارع آيداهو إلى الأمام وتوقّف خلف مُونِيو مباشرةً.

كان في حركته شيءٌ من التّهديد. *قطعًا ليس بهذه السُرعة*، هكذا فكّر ليتو.

سأل آيداهو: «لماذا نتوقّف يا مولاي؟».

قال ليتو: «كثيرًا ما أتوقّف هنا».

وقد كان هذا صحيحًا. استدار ليتو ونظر إلى ما وراء الجسر المقوّس، حيث ينحدر الطّريق من مرتفعات الوادي إلى الغابة المُحزّمة، ثم يخترق الحقول المترامية على ضِفاف النهر. كان ليتو يعتاد الوقوف هنا لمراقبة شروق الشمس، بيد أن هذا الصباح كان له طابعًا مختلفًا، فقد أضاءت أشعة الشّمس المشهد المألوف أمامه، لكنه بدا كأنه مشحونٌ بشيءٍ ما... شيءٍ أيقظ في أعماقه ذكرياتٍ قديمة.

امتدت حقول المزارع الملكيّة إلى ما وراء الغابة، وحين ارتفعت الشّمس من فوق الأُفُق البعيد، أنارت بأشعتها الذّهبيّة المتوهّجة سنابل الحبوب المتمايلة في حقولها. ذكّرت الحبوب ليتو بالرمال، بكثبان الرّمال الشّاسعة التي كانت الرّياح تُحرّكها عبر هذه الأرض ذات يومٍ.

والتي سيأتي يومٌ وتُحرِّكها الرِّياح مجدّدًا.

لم تكن الحبوب بنفس لون السّيليكا الكهرماني السّاطع الذي يتذكّر به صحارى كثيب. نظر ليتو خلفه نحو أراضي سريره التي تطوّقها المنحدرات، ملاذه الباقي من أيّامٍ خلت. كانت ألوانها مُختلفةً بوضوح. ومع ذلك، حين عاد ينظر مجدّدًا صوب مدينة المهرجان، شعر بوخزٍ في قلوبه العديدة، التي كانت تتشكّل من جديد في تحوُّلِها البطيء إلى شيءٍ غريب تمامًا.

تساءل ليتو: *ماذا في هذا الصّباح يجعلني أفكّر في إنسانيّتي المفقودة؟*

من بين كل أفراد الموكب الملكي الذين وقفوا يتأمّلون مشهد حقول الحبوب والغابات المألوف هذا، كان ليتو يعلم أنه الوحيد الذي لا يزال يرى في المشهد الأخضر الخصيب أمامه ذكرى البحر بلا ماء* ... البحر الجاف.

قال ليتو: «دانكن، أترى تلك البقعة البعيدة باتّجاه المدينة؟ تلك كانت تنزروفت(10)».

- «أرض الرُّعب؟». بانت دهشة آيداهو من النّظرة السّريعة التي ألقاها على مدينة أونْ، ثم ردّ بصره المفاجئ نحو ليتو.

قال ليتو: «البحر بلا ماء*. إنه مخفيٌ تحت غِطاء من النباتات منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة. من بين كل من يعيشون على أرّاكس اليوم، أنا وأنت فقط من شاهد الصّحراء الأصليّة».

نظر آيداهو نحو أونْ، ثم سأل: «أين الجدار الحامي؟».

- «فجوة المؤدّب موجودة هناك، في نفس المكان الذي شيّدنا فيه المدينة».

- «أخط التلال الصّغيرة ذلك هو الجدار الحامي؟ ما الذي أصابه؟».

- «ما تقف فوقه الآن».

رفع آيداهو نظره إلى ليتو، ثم نظر إلى أسفل إلى الطّريق وما حولها.

سأل مُونِيو: «مولاي، هلّا نستأنف تقدّمنا؟».

فكّر ليتو: *إن مُونِيو، بقلبه الذي يدق كالسّاعة في صدره، هو نداء الواجب مُجسّد.* ثمّة زوّار مهمّون في انتظارهم، وأمورٌ حيويّة أخرى ينبغي الاعتناء بها. كان مونيو يشعر بضغط الوقت، ولم يكن يُحبّ عادة إمبراطوره الإله في إطالة الحديث عن الأيّام الخالية مع غيلان دانكن.

أدرك ليتو فجأةً أنه توقّف هنا وقتًا أطول من أيّ مرّةٍ سابقة. كان أفراد الحاشية والحرس يشعرون بالبرد بعد المسافة التي قطعوها في هواء الصّباح، فبعضهم قد اختار ثيابه للاختيال أكثر منها للوقاية.

ثم فكّر ليتو: *رُبّما يكون الاختيال أحد أشكال الوقاية.*

قال آيداهو: «كانت هناك كثبان».

وافقه ليتو: «تمتدّ آلاف الكيلومترات».

تخبّطت أفكار مُونِيو. لقد كان معتادًا على حنين الإمبراطور الإله للماضي، لكن هذا الصّباح كان يشوب مزاجه شيءٌ من الحزن. رُبّما كان ذلك بسبب وفاة دانكنه السّابق مؤخّرًا. كان ليتو أحيانًا يترك معلوماتٍ مهمةً تتسرّب منه عندما يكون حزينًا. لم يكن أحد يجرؤ على التّشكيك في مزاج الإمبراطور الإله أو في نزواته، لكن كان يمكن الاستفادة منها في بعض الأحيان.

فكّر مُونِيو: *يجب أن أحذّر سيونا، هذا إن أعارت تلك الحمقاء الطّائشة أذُنَها لي!*

كانت سيونا تفوقه تمرُّدًا بكثير، بكثير جدًّا. لقد روّض ليتو مُونِيو، وجعله حسّاسًا للصّراط الذّهبي والواجبات الشرعيّة التي استولِد لتأديتها. لكن الطرائق التي استُخدمت مع مُونِيو لم تكن لتنجح مع سيونا. وبملاحظته لذلك، عرف مُونِيو أشياءَ عن تدريبه لم يسبق له أن اشتبه فيها.

كان آيداهو يقول: «لا أرى أيّ معالمَ مألوفة».

قال ليتو مُشيرًا: «انظر هناك، حيث تنتهي الغابة. كان ذلك هو الطّريق المؤدّي إلى الصّخرة المتشقّقة».

أخرس مُونِيو صوتيهما في عقله. *انبهاري التّام بالإمبراطور الإله هو ما دفعني في النّهاية للخضوع*. لم يكن ليتو يتوقف عن مفاجأة المرء وإبهاره، إذ كان من المستحيل التنبؤ بدِقّة بما قد يصدر عنه. نظر مُونِيو إلى جانب وجه الإمبراطور الإله. *ما الذي صاره؟*

كجزء من مهامه الأولى، اطّلع مُونِيو على سجلّات القلعة، تلك

الدفاتر التّاريخية التي تسرد تحوُّل ليتو. ومع ذلك، ظلَّ التّعايش التكافُلي مع يرقات الرمال لغزًا لم تنجح كلمات ليتو نفسه من تفسيره بشكل كامل. إذا صحّت الرّوايات، فإن جلدَ يرقاتِ الرّمال جعل جسد ليتو منيعًا تقريبًا أمام الزّمن ومحاولات الاغتيال، حتّى إنّ فصوص جسدِه الضّخم قادرة على امتصاص رشقات بنادق اللّيزر!

*البداية تكون مع يرقات الرّمال، ثم تليها الدّيدان. كلُّ هذا جزءٌ من الدّورة العظيمة التي كانت تنتج المِزَاج.* تلك الدّورة تكمن الآن داخل جسد الإمبراطور الإله... تنتظر حدوث أمرٍ ما.

قال ليتو: «لنستأنف المسيرة».

أدرك مُونِيو أنه فوّت شيئًا، إذ حين انتزع نفسه من أفكاره ونظر إلى دانكن آيداهو، وجده مبتسمًا.

قال ليتو: «اعتدنا تسمية ذلك جَمْع الصُّوف».

قال مُونِيو: «آسف يا مولاي. لقد...».

- «شَرَدتَ. لا بأس».

فكّر مُونِيو: *مزاجه تحسّن. ينبغي لي أن أشكر دانكن على ذلك.*

عدّل ليتو وضعية جسده على العربة، وأغلق جُزءًا من الغِطاء الفُقّاعي تاركًا رأسه فقط مكشوفًا. سحقت العربة الصُّخور الصغيرة على أرضيّة الطّريق حين بدأ ليتو يُحرّكها قِدمًا.

أخذ آيداهو موقعًا بمُحاذاة مُونِيو مسرعًا الخُطى إلى جواره.

قال آيداهو: «لاحظت أن أسفل العربة بُصيلات طفو، لكنه يستخدم العجلات. لماذا يفعل ذلك؟».

- «الإله ليتو يُحبّذ استخدم العجلات بدلًا من مضادات الجاذبيّة».

- «ما الذي يُحرّك العربة؟ كيف يقودها؟».

- «هل سألته؟».

- «لم تسنح الفرصة».

- «العربة الملكيّة إيكسيّة الصُنع».

- «وماذا يعني ذلك؟».

- «يُقال إن الإله ليتو يُشغّل عربته ويوجّهها بمُجرّد التّفكير بطريقة مُعيّنة».

- «ألا تعرف أنت على وجه اليقين؟».

- «طرح مثل هذه الأسئلة لا يُرضيه».

فكّر مُونِيو: *حتّى مع المقرّبين له، يظلُّ الإمبراطور الإله لُغزًا.*

صاح ليتو مناديًا: «مُونِيو!».

قال مُونِيو: «من الأفضل لك أن تعود إلى صفوف الحرس»، مشيرًا إلى آيداهو بالتراجع.

قال آيداهو: «أُفضّل أن أكون بصحبته في المقدّمة».

- «مولانا ليتو لا يريد ذلك. تراجع الآن».

سارع مُونِيو بالاقتراب من وجه ليتو، ولاحظ أن آيداهو كان يتراجع عبر صفوف الحاشية إلى حلقة الحراسة الخلفية.

نظر ليتو إلى أسفل نحو مُونِيو: «أرى أنك تعاملت مع الأمر تعاملًا رائعًا يا مُونِيو».

- «شكرًا لك يا مولاي».

- «أتعرف لماذا يريد الدّانكن أن يكون في المقدّمة؟».

- «بالتأكيد يا مولاي. إنه المكان الذي يجب أن يحتلّه حارسك».

- «وهذا الحارس يستشعر خطرًا».

- «لا أفهم يا مولاي. أعجز عن فهم أسبابك لفعل هذه الأمور».

- «هذا صحيح يا مُونِيو».

نبع الشُّعور الأنثوي بالمشاركة من المُشاطرة الأُسريّة: رعاية الصِّغار، وجمع وتحضير الطّعام، ومشاطرة الأفراح والحب والأحزان. كما نشأت مراثي الجنائز مع النّساء. بدأ الدّين كاحتكار أنثوي، ولم يُنتزع منهن إلا بعد أن صارت سطوته الاجتماعيّة طاغية. النّساء كُن أوّل من عَمِل بالبحث الطّبي والممارسات الطّبيّة. لم يحدث أن كان بين الجنسين توازنٌ واضحٌ لأن القوّة ترتبط بأدوارٍ معيّنة، كما ترتبط قطعًا بالمعرفة.

- المذكّرات المسروقة

كان هذا الصّباح كارثيًا على الأمّ الموقّرة آيلين أنتياك الثّالثة. لقد وصلت إلى أزّاكس مع رفيقتها ماركوس كلير لويسيال، عزّافة الحقيقة، وقد هبطت كلتاهما إلى الكوكب منذ أقل من ثلاث ساعات ضمن وفدهما الرّسمي على متن أوّل مكّوك غادر السفينة الهايلاينر التابعة للنقابة المُستقرّة في مدار ثابتٍ.

في البداية، شكّنّ في غُرفٍ على أطراف حيّ السّفارات في مدينة المهرجان، وكانت غُرفًا صغيرة فقيرة النّظافة.

قالت لويسيال: «لو أبعدونا أكثر من ذلك لكنّا خيّمنا مع الرّعاع في العشوائيّات».

بعدها، حُرمن من وسائل الاتصال. ظلّت كل الشّاشات صمّاء فارغة مهما حُرّكت المفاتيح وأُديرت أقراص التحكم.

تحدّثت أنتياك بحِدّة مع الضّابطة المُمتلئة الجسم التي كانت تقود حراسة مُحاورات الأسماك، وهي امرأة مُتجهّمة ذات جبينٍ منخفض

وعضلات عاملٍ يدويٍّ.

- «أريد تقديم شكوى إلى قائدك!».

أجابت المحاربة الأمازونيّة بصوتٍ خشن: «لا يُسمح بالشكاوى وقت المهرجان».

عالجت أنتياك الضّابطة بنظرة حادّة اشتهرت بأنها -حين تعتلي وجهها العجوز المليء بالتجاعيد- تُجفِل حتّى زميلاتها الأُمّهات المُوقّرات.

اكتفت المرأة المحاربة بالابتسام، ثم قالت: «لدي رسالة لك. طُلِب مني إبلاغكن بأن مقابلتكن مع الإمبراطور الإله قد رُحّلت إلى الموعد الأخير».

سمع معظم أفراد وفد البِني چيسيرِت ما قالت، وأدركت حتّى أدنى المتدرّبات المرافقات رُتبةً مغزاه. بحلول موعد المقابلة، ستكون كل حِصص الاسپايس قد حُدّدت، أو (*فَلتحمِنا الآلهة!*) رُبّما نفدت تمامًا.

قالت أنتياك بصوتٍ ملحوظِ الهدوء في ظلّ هذه الظروف: «كان من المفترض أن نكون ثالث مُقابلة».

- «إنها أوامر الإمبراطور الإله!».

كانت أنتياك تألف تلك النّبرة في صوت مُحاوريها أسماك، وتعرف أن تحدّيها محفوفٌ بالمخاطر.

*صباحٌ أسود كله كوارث، والآن هذا ما ينقصنا!*

جلست أنتياك على مَقعدٍ قصيرٍ قُبالة أحد حوائط الغُرفة الصّغيرة

شبه الفارغة القريبة من مركز جناحهن المُهين. كان إلى جوارها حشية حقيرة، لا تتعدّى ما قد يُخصّص لتابعة تحت التّدريب. كانت جدران الغُرفة خضراء باهتة، ولم يكن فيها سوى كُرةِ إنارةٍ قديمةٍ معيبةٍ، حتّى إنّه لم يكن من الممكن تغيير إضاءتها عن اللّون الأصفر. أعطت الغُرفة انطباعًا بأنها كانت مخزنًا. كانت عطنة الرّائحة، تُشوّه الخدوش والنّقراتُ بلاستيكَ أرضيّتها الأسود.

فردت أنتياك عباءتها* السّوداء على رُكبتيها وهي تنحني مقتربةً من المُتدرّبة الرّسول التي ركعت مُنكّسة الرّأس إلى جوار الأُمّ المُوقّرة. كانت الرّسول غادةً شقراء واسعة العينين كالغزلان، تتفصّد حبيبات عرق الرّوع والإثارة من مسام وجهها ورقبتها. كانت ترتدي ثوبًا بُنّيًا باهتًا خضّب غبارُ الطّريقِ أهدابَه.

تحدّثت أنتياك بهدوءٍ لتهدئة الفتاة المسكينة، التي لم تزل ترتجف من ثِقل رسالتها: «هل أنت متأكّدةٌ تمامًا؟».

أجابت الفتاة دون أن ترفع بصرها: «أجل يا أُمّنا الموقّرة».

قالت أنتياك: «أعيدي ما قُلتِ على مَسمَعيّ»، وفكّرت: *إنني أُماطل لا أكثر، فقد سمعتها جيّدًا.*

رفعت الرّسول نظرها إلى أنتياك ونظرت مباشرةً إلى العينين تامّتي الزُّرقة كما تعلّمت كل المتدرّبات والتّابعات أن يفعلن.

- «كما أُمرت، تواصلت مع الإيكسيّين في سفارتهم، وأبلغتهم تحيّاتك. ثم سألتهم إن كان لديهم أيُّ رسائل لأحملها إليكِ».

- «أجل، أعرف هذا يا فتاة! أعرفه. اختصري».

ابتلعت الرّسول ريقها: «عرّف المتحدّث الرّسمي نفسه إليّ باسم عُتوي ياكِه، وقال إنه الرّئيس المؤقّت في السّفارة ومساعد السّفير السّابق».

- «هل أنت متأكّدة من أنه لم يكن أحد راقصي الوجوه يتّخذ شكلًا؟».

- «لم ألحظ أيّ علامة على ذلك يا أُمّنا المُوقّرة».

- «حسنًا، نحن نعرف هذا المدعو ياكِه. أكملي».

- «قال ياكِه إنهم في انتظار شخصٍ جديد...».

- «أجل، هِوي نوري، السّفيرة الجديدة. من المفترض أن تصل اليوم».

بلّلت الرسول شفتيها بلسانها.

دوّنت أنتياك ملاحظةً في ذهنها بأن تعيد هذه المخلوقة المسكينة إلى جدول تدريبٍ ابتدائي. ينبغي أن تتمتّع المبعوثات بقدرٍ أكبر من ضبط النفس، على أن بعض التّسامح مطلوب هنا بسبب خطورة هذه الرّسالة.

قالت الرّسول: «ثم طلب مني أن أنتظر، وغادر الغُرفة وعاد بعد قليل بصحبة وجهٍ راقص من التِليلاكسو. أنا متأكّدة من ذلك. كانت العلامات المعروفة بادية...».

قاطعتها أنتياك قائلةً: «أنا واثقة بأنك مُحقّة يا فتاة. الآن، ادخلي في صلب الـ...»، لكنها بترت عبارتها مع دخول لويسيال.

سألت لويسيال: «ما هذا الذي أسمع عن رسائل من الإيكسيّين والتِليلاكسو؟».

قالت أنتياك: «الفتاة تُعيد الرّسالة الآن».

- «لماذا لم أستَدعَ؟». رفعت أنتياك نظرها إلى زميلتها عزّافة الحقيقة، مُفكّرةً أن لويسيال قد تكون واحدةً من أفضل مُمارِسات هذا الفنّ، لكنها لا تزال حريصة جدًا على رُتبتها داخل الجماعة. كانت لويسيال يافعة، ومع ذلك، تتمتّع بملامح بيضاويّة مثيرة على شاكلة ملامح چيسيكا، ولها نفس تلك الچينات التي تميل إلى حَمل طبيعةٍ عنيدةٍ.

قالت أنتياك بهدوء: «معاونتك قالت إنك كنتِ تتأمّلين».

أومأت لويسيال ثم جلست فوق الحشية وتحدّثت إلى المبعوثة: «أكملي».

- «قال راقص الوجه إن لديه رسالة للأُمّين المُوقّرتين، مستخدمًا صيغة المُثنّى».

قالت أنتياك: «إنه يعلم أننا اثنتان هذه المرّة».

قالت لويسيال: «الجميع يعلم ذلك».

أعادت أنتياك كامل اهتمامها إلى حاملة الرّسالة: «أيمكنك الدُخول في حالة غشية الذّاكرة الآن وإعطاؤنا كلمات راقص الوجه حرفيًا يا فتاة؟».

أومأت الرّسول، وتوزّكت متّكئةً على كعبيها، عاقدةً يديها في

حجرها. أخذت شهيقًا ثلاثيًا عميقًا، وأغلقت عينيها وتركت كتفيها ترتخيان. وحين تحدّثت، كان لصوتها نبرة أنفيّة رفيعة.

- «أخبري الأُمّين الموقّرتين أن اللّيلة ستتخلّص الإمبراطوريّة من الإمبراطور الإله. لسوف نضربه اللّيلة قبل أن يبلغ أونْ. احتمال الفشل غير وارد».

اهتزّ جسد الرّسول بشهيقٍ عميق، ثم فتحت عينيها ورفعت بصرها إلى أنتياك.

- «بعدها قال لي الإيكسي ياكِه أن أسارع بالعودة بالرّسالة. ثم لمس ظهر يدي اليُسرى بتلك الطّريقة المُتّفق عليها، ما أقنعني أكثر أنه لا...».

قالت أنتياك: «ياكِه واحد مِنّا. أخبري لويسيال عن رسالة الأصابع».

نظرت الرّسول إلى لويسيال وقالت: «لقد تفشّى راقصو الوجوه بيننا بالفعل، ولا يمكننا التّحرّك».

حين بدأت لويسيال النُّهوض عن الحشية، قالت أنتياك: «لقد اتّخذتْ بالفعل الخطواتِ المناسبةَ لحراسة أبوابنا»، ثم نظرت إلى الرّسول وأردفت: «يمكنك الذّهاب الآن يا فتاة، لقد وفّيت بمهمّتك».

- «سمعًا وطاعةً يا أُمّنا الموقّرة». قالتها الرّسول ورفعت جسدها الطّيّع برشاقةٍ بالغةٍ، غير أن حركتها لم تَخلُ من إشارةٍ واضحةٍ إلى أنها فهمت مغزى كلام أنتياك. ليست «وفّيتِ» كـ«أحسنتِ».

حين غادرت الرّسول، قالت لويسيال: «كان ينبغي لها أن تفتعل عُذرًا وتستقصي السّفارة لتعرف عددَ راقصي الوجوه الذين استبدلوا

الإيكسيّين».

قالت أنتياك: «لا أرى ذلك، ففي هذا الصّدد، كان أداؤها جيّدًا. لكن كان من الأفضل لو وجدت طريقةً للحصول على معلومات أكثر تفصيلًا من ياكِه. أخشى أننا فقدناه».

قالت لويسيال: «السّبب الذي دفع التِليلاكسو إلى إرسال تلك الرسالة إلينا واضح بلا شك».

قالت أنتياك: «سوف يهاجمونه بالفعل».

- «طبيعي، فهذا تصرّف الحمقى. لكنني أتحدّث عن السّبب الذي دفعهم إلى إرسال تلك الرّسالة إلينا».

أومأت أنتياك موافقة: «إنهم يظنون أننا لا نملك خيارًا آخر الآن سوى الانضمام إليهم».

- «وإذا حاولنا تحذير الإله ليتو، سيكشف التِليلاكسو مبعوثاتنا ومصادرهن».

سألت أنتياك: «ماذا لو نجح التِليلاكسو في مسعاهم؟».

- «هذا مستبعد».

- «نحن لا نعرف شيئًا عن خُطّتهم الفعليّة. لا نعرف سوى توقيت التّنفيذ العام».

سألت لويسيال: «ماذا لو أن تلك الفتاة المدعوّة سيونا ضالعةٌ في الأمر؟».

- «سألت نفسي السّؤال ذاته، هل سمعت تقرير النّقابة كاملًا؟».

- «قرأت الملخّص فحسب. أهو كافٍ؟».

- «باحتمالية عالية».

قالت لويسيال: «عليك أن تكوني حَذِرةً في استخدام مصطلحات مثل ‹احتمالية عالية›. لا نريد لأحدٍ أن يشكّ في أنكِ مِنتاتةٌ».

قالت أنتياك بنبرة جافّة: «لا أخالك ستشين بي».

سألت لويسيال: «أفي رأيك أن النّقابة مُحقّة بشأن سيونا هذه؟».

- «لا أملك معلوماتٍ كافية. إن كانوا مُحقّين، فهي شيءٌ استثنائي الثّدرة».

- «مثلما كان والد الإله ليتو استثنائيّ الثدرة؟».

- «كان في استطاعة ملّاحي النقابة إخفاء أنفسهم عن عين والد الإله ليتو».

- «لكن ليس عن عين الإله ليتو».

- «لقد قرأت تقرير النّقابة كاملًا بعناية. إنها لا تخفي نفسها ولا الأفعال من حولها بقدر ما هي...».

أكملت لويسيال: «تتلاشى.. تتلاشى عن أنظارهم».

قالت أنتياك: «هي وحدها».

- «أتتلاشى عن نظر الإله ليتو كذلك؟».

- «لا يعرفون».

- «أنجرؤ على الاتّصال بها؟».

- «أنجرؤ على عدم فعل ذلك؟».

- «كل ذلك قد يكون غير ذي جدوى إن كان التِليلاكسو... أنتياك، علينا أن نحاول تحذيره على الأقل».

- «لا نمتلك أجهزة اتّصال، ووراء الباب الآن تقف حِراسة من مُحاورات الأسماك. إنهن يسمحن لفتياتنا بالدُّخول، لكن لا يسمحن لنا بالمغادرة».

- «أيتوجّب علينا التّحدُّث مع إحداهن؟».

- «فكّرت في ذلك. بإمكاننا دومًا أن نقول إننا خشينا أن يَكُنَّ راقصات وجوهٍ متخفّيات».

غمغمت لويسيال: «حِراسة على الباب»، ثم: «أمِن المحتمل أنه يعرف بأمر الهجوم؟».

- «كل شيء جائز».

قالت لويسيال: «مع الإله ليتو، هذا هو الشيء الوحيد المؤكّد».

أفرجت أنتياك عن تنهيدةٍ قصيرةٍ وهي تنهض من مقعدها: «كم أشتاق إلى الأيّام الخوالي حين كنا نملك كل ما قد نحتاج إليه من اسپايس وأكثر».

قالت لويسيال: «كان هذا مُجرّد وهمٍ آخر. آمل أن نكون قد تعلّمنا الدّرس جيّدًا، بغض النّظر عمّا سيحقّقه التِليلاكسو بفعلتهم اليوم».

قالت أنتياك في تذمُّر: «سيفعلون فعلتهم على نحوٍ أخرق، مهما

تكن النّتيجة. بحقّ الآلهة! لقد غدا العثور على مغتالين بارعين أمرًا عسيرًا هذه الأيّام».

قالت لويسيال: «هناك دائمًا غيلان دانكن».

- «ماذا قُلتِ؟». قالتها أنتياك مُحدّقةً إلى رفيقتها.

- «هناك دائمًا...».

- «أجل!».

قالت لويسيال: «الغيلان بطيئة الحركة جدًّا».

- «لكنها ليست بطيئة التّفكير».

- «فيم تفكّرين؟».

- «أمن المُمكن أن يكون التِليلاكسو... كلّا، حتّى هم لا يمكن أن يكونوا بذلك القدر من الـ...».

همست لويسيال: «تقصدين أن يكون آيداهو راقصَ وجهٍ؟».

أومأت أنتياك في صمت.

قالت لويسيال: «انزعي هذه الفكرة من رأسِك. لا يُعقل أن يكونوا بتلك الدرجة من الغباء».

قالت أنتياك: «هذا استنتاجٌ خطير لا يصحُّ استبعاده حين يتعلّق الأمر بالتِليلاكسو. علينا أن نُعِد أنفسنا للأسوأ. أدخِلي إحدى مُحاورات الأسماك إلى هنا حالًا!».

الحروب المستمرة تؤدّي إلى نشأة ظروف اجتماعيّة خاصّة بها، تلك الظُّروف تتشابه من عصرٍ إلى آخر. يحيا النّاس في حالة تأهُّبٍ دائمٍ للتصدّي للهجمات، وترى فيها استفحال حُكم الطُّغاة. كل ما هو جديد يصبح نطاقًا غير مُستكشف محفوفًا بالمخاطر: الكواكب جديدة، الفرص الاقتصاديّة الجديدة، الأفكار جديدة، الأجهزة جديدة، الوافدون الجدد.. كل شيء يصبح محل شبهة. تفرض الإقطاعية سطوتها، مُتخفّيةً أحيانًا في هيئة مكتبٍ سياسي أو هيكلٍ حكوميٍّ مُماثل، لكنها تبقى دومًا جاثمةً على الأنفس. يتبع توريث الحُكم مراكز القوى، وتُهيمن ذراري أصحاب السُلطة. ينهب الثُّوّاب المُقرّبون أو من على شاكلتهم ثروات البلاد ويوزّعونها كيفما شاؤوا، مُدركين أن عليهم إمّا التحكُّم في الإرث وإمّا ترك السُلطة تتفلّت منهم ببطء. أفهمتم الآن مدى أهمّيّة سلام ليتو؟

- المذكّرات المسروقة

سأل ليتو: «هل أُخطِر وفد البِني چيسيرِت بالجدولِ الجديد؟».

كانت حاشيته قد بدأت تسلك أوّل وادٍ ضحل، الذي سيتحوّل إلى طريقٍ ملتوية عند الاقتراب من الجِسر الذي يعبر نهر آيداهو. كانت الشّمس قد اعتلت رُبع سماء النّهار وبدأ بعض رجال البلاط خلع معاطفهم. سار آيداهو برفقةِ فرقة مُحاورات أسماك صغيرةٍ على الجانب الأيسر، وقد بدأ يظهر على زيّه آثار الغبار والعرق. لم يكن المشي والهرولة بسُرعة الموكب الملكي بالعمل اليسير.

تعثّر مُونِيو لكنه تدارك نفسه، ثم قال: «قد أُخطِرن يا مولاي». لم يكن تغيير الجدول أمرًا سهلًا، لكن مُونِيو تعلّم أن يتوقّع حدوث

تغييرات مفاجئة في وقت المهرجان، وكان يحتفظ بخططِ طوارئَ جاهزةٍ.

سأله ليتو: «أما زلن يطالبن بإنشاء سفارةٍ دائمةٍ لهن على أزّاكس؟».

- «أجل يا مولاي، لكنني أعطيتهن الجواب المعتاد».

قال ليتو: «يكفي قول ‹لا›. لم يعُد من الضّروري تذكيرهن بأنني أكره ادّعاءاتهن الدينية».

قال مُونِيو: «حسنًا يا مولاي»، محافظًا على بقائِه ضمن المسافةِ المُحدّدةِ من عربة ليتو. كانت الدُّودة حاضرةً بقوّة هذا الصّباح، وإشارات الجسد واضحة كالشّمس في عيني مُونِيو. لا شك أن الرُّطوبةَ في الهواءِ هي السّبب، فهي ما يستحضر الدُّودة دائمًا.

قال ليتو: «لطالما أدّت الأديان إلى استبدادٍ روحي. قبل البِني چيسيرِت، كان اليسوعيُّون أمهر من مارس هذا الفنّ».

- «اليسوعيُّون يا مولاي».

- «بالتأكيد قرأت عنهم في صفحات التّاريخ».

- «لست متأكّدًا يا مولاي. متى ظهروا؟».

- «لا يهم، فبإمكانك تعلُّم ما يكفي عن الاستبداد الروحي من خلال دراسة البِني چيسيرِت. بالطبع، هن لا يبدأن بخداع أنفسهن به».

حدّث مُونِيو نفسه: *تنتظر الأُمّهات المُوقّرات أوقاتًا عصيبة. سيغلظ عليهن الوَعظ، وهن يكرهن ذلك، وقد يسبّب ذلك متاعب كبيرة.*

سأله ليتو: «ماذا كانت ردّة فعلهن؟».

- «عَلِمت أنهن أُحبطن، لكنهن لم يصعّدن الأمر».

ثم فكّر مُونِيو: *ينبغي لي أن أهيّئهن لمزيدٍ من خيبة الأمل. ويجب الإبقاء عليهن بعيدًا عن وفدي إيكس وتِليلاكسو.*

هزّ مُونِيو رأسه. قد يؤدي هذا إلى مؤامرات خبيثة جدًا. من الأفضل إخطار الغول كي يتوخّى الحذر.

قال ليتو: «إنه يقود إلى نبوءاتٍ كاذبةٍ تحمل بذور تحقُّقها في داخلها، ويحمل تسويغًا لكل ألوان الفحش».

- «أتقصد... الاستبداد الروحي يا مولاي؟».

- «أجل! إنه يُخفِي الشّرّ خلف واجهة من الورعِ الزّائف، منيعةً ضد كل الحجج التي تعارض ذاك الشّرّ».

راقب مُونِيو جسد ليتو بحذر، مُلاحظًا الطّريقة شبه العشوائيّة التي تلتوي بها اليدان، وارتعاش فصوص الجسد الضّخمة. *ماذا سأفعل إن خرجت الدُّودة منه هنا؟* تفصّد العرق من جبهة مُونِيو.

قال ليتو: «إنه يتغذّى على معانٍ مُحرّفة عمدًا، لتشويه سمعة المعارضة».

- «كل ذلك يا مولاي؟».

- «اليسوعيّون سمّوا ذلك ‹تأمين ركيزة السّلطة›، وهو ما يقود مباشرةً إلى النّفاق الذي يتبدّى دائمًا في الفجوة بين الأفعال والتفسيرات، التي لا تتّفق أبدًا».

- «عليّ دراسة ذلك بحرصٍ أكبر يا مولاي».

- «في نهاية المطاف، يُحكم النّاس بالذُّنوب، لأن النفاق يقود إلى مطاردة المعارضين ومحاكمتهم، والمطالبة بالأضاحي».

- «هذا صادم يا مولاي».

دار الموكب حول زاوية تفتح بعدها الصُخور مرأى للجسر البعيد.

- «مُونِيو، أتنصت إلى ما أقول؟».

- «بالتأكيد يا مولاي».

- «إنني أوصف أداة من أدوات ترسيخ ركيزة السُلطة الدّينيّة».

- «أدرك ذلك يا مولاي».

- «لماذا يبدو الخوف على ملامحك إذًا؟».

- «الحديث عن السُلطة الدّينيّة دائمًا ما يوتّرني يا مولاي».

- «لأنك ومُحاورات الأسماك تستخدمونها باسمي؟».

- «أجل يا مولاي».

- «ركائز السُلطة مسألة خَطِرة جدًا، إذ إنها تجتذب أشخاصًا مجانين حقًا، أشخاصًا يسعون خلف السُلطة لمُجرّد السُلطة. هل تفهم؟».

- «صحيح يا مولاي. ولهذا السّبب نادرًا ما تُوافِق على طلبات التّعيين في حكومتك».

- «ممتاز يا مُونِيو!».

- «أشكرك يا مولاي».

قال ليتو: «في ظلّ كل دين يكمن ثُركمادا. أنت لم تسمع بهذا الاسم من قبل، أعلم ذلك لأنني أمرتُ بمحوه من جميع السجلّات».

- «لماذا يا مولاي؟».

- «كان رجلًا فاحشًا، يحرق معارضيه أحياءً، صانعًا منهم مشاعل بشريّة».

قال مُونِيو بصوتٍ جعله خفيضًا: «كالمؤرّخين الذين أغضبوك يا مولاي؟».

- «أتسألني عمّا أفعل يا مُونِيو؟».

- «كلّا يا مولاي!».

- «جميل. أمّا المؤرّخون فقد ماتوا في سلام، ولم يشعر أحدٌ منهم بألم النّار. على خلاف ثُركمادا الذي كان يتلذّذ بتقديم صرخات ضحاياه المحترقين المُعذّبة قربانًا إلى ربّه».

- «يا للشناعة يا مولاي!».

التفّ الموكب حول منعطفٍ آخر يطل على الجِسر، لكن لم يبدُ أن الجِسر اقترب.

مرّةً أخرى، ألقى مُونِيو نظرة فاحصة على إمبراطوره الإله. لم يبدُ أن الدُودة، على اقترابها الشّديد، قد زادت اقترابًا. استشعر مُونِيو ذلك الحضور غير المتوقّع، الحضور القدسي الذي قد يقتل دون إنذار.

اعترت مُونِيو رجفة.

ما المغزى من هذه... الخطبة الغريبة؟ كان مُونِيو يعلم أن قليلين فحسب من سبق لهم أن سمعوا الإمبراطور الإله يتحدّث بتلك الطّريقة. كان الأمر شرفًا وعِبئًا في الوقت نفسه. إنه جزء من الثّمن المدفوع مقابل سلام ليتو. جيلًا بعد جيل، عاش البشر في كنف النّظام المُستَتِب الذي يمليه ذلك السلام. فقط دائرة المُقرّبين الضّيّقة داخل القلعة هي التي كانت تعرف كل شيء عن المرّات النّادرة التي يُكسر فيها هذا السلام؛ *الحوادث* التي تشهد إرسال قوّات مُحاورات الأسماك مُسبقًا للتصدّي لأعمال عُنفٍ متوقّعة.

*متوقّعة!*

اختلس مُونِيو نظرةً إلى ليتو القابع الآن في صمت. كان الإمبراطور الإله قد أغلق عينيه، واحتلّت وجهه سيماء التّفكير العميق. كانت تلك علامة أخرى تدلُّ على حضور الدُّودة، علامة سيّئة. سرت رعدة في جسد مُونِيو.

تُرى هل يتنبّأ ليتو بلحظات العُنف الوحشي الصّادر عن ذاته؟ إن تلك القُدرة على التنبّؤ باندلاع أحداث العُنف هي ما يرجف أوصال الإمبراطورية ويرهبها. ليتو يعرف تمامًا المكان الذي يجب نشر قوّاته فيه لقمع أيّ انتفاضة عابرة، تلك التي يتوقع حدوثها قبل حدوثها.

مُجرّد التّفكير في مثل هذه الأمور جعل حلق مُونِيو نبعًا جافًّا. كان يعتقد أن الإمبراطورَ الإله قادرٌ، في بعض الأحيان، على قراءة أيّ عقلٍ. بالطبع، كان ليتو يستخدم الجواسيس، إذ بين الحين والآخر

كان يظهر شخصٌ مُقنَّعٌ ويمر عبر مُحاورات الأسماك في طريقه إلى برج ليتو المُرتفع، أو نزولًا إلى السرداب. أولئك جواسيس لا شك في ذلك، لكن مُونِيو كان يشتبه في أنه يستخدمهم لتأكيد ما يعرفه لا أكثر.

وكأنما ليؤكِّد المخاوف التي تتسابق في عقل مُونِيو، قال ليتو: «لا تحاول أن تفرض فهمًا لأساليبي يا مُونِيو. دع الفهم يأتِك من تلقاء نفسه».

- «سأحاول يا مولاي».

- «كلا، لا تكتفِ بالمحاولة. لكن دعك من هذا الآن وأخبرني، هل أعلنت للوفود أنه لن تحدث أيُّ تغييرات في مُخصَّصات الاسپايس؟»

- «ليس بعد يا مولاي».

- «أجِّل الإعلان إذًا، فقد غيَّرت رأيي. أنت تعلم بالطَّبع أنك ستتلقَّى عروضًا برِشًى جديدة».

تنهَّد مُونِيو. لقد وصلت الرِّشى التي عُرضت عليه إلى أرقامٍ خياليَّة، لكن ليتو بدا مستمتعًا بهذا التَّصعيد.

فقد قال له في وقتٍ سابق: «استدرجهم حتَّى ترى إلى أيِّ سقفٍ سيصلون. اجعل الأمر يبدو كأن رِشوتك ستكون ممكنة في النِّهاية».

والآن، وبينما هم يخرجون إلى منعطفٍ آخر يطل على الجِسر، سأل ليتو: «هل عرض آل كورينو عليك رِشوة؟».

- «أجل يا مولاي».

- «هل تعرف الأسطورة التي تقول إن يومًا ما سيعود آل كورينو إلى أمجادهم القديمة؟».

- «سمعت بها يا مولاي».

- «مز بقتل وفد كورينو، وأوكل المهمّة إلى الدّانكن. لنختبره بها».

- «أبهذه السّرعة يا مولاي؟».

- «ما زال المِزَاج معروفًا بقدرته على إطالة عُمر الإنسان، فليُعرف كذلك بقدرته على قصفه».

- «كما تأمر يا مولاي».

كان مُونِيو قد اعتاد هذا الرّدّ من نفسه، إذ يلجأ إليه كُلّما عجز عن التّعبير عمّا يعتمل في نفسه من اعتراضٍ عميق. كما كان يعلم أن الإله ليتو يفهم ذلك، ويجد فيه تسلية، وتلك التّسلية كانت تثير حنقه.

قال ليتو: «حاول ألّا تكون نافد الصّبر معي يا مُونِيو».

كتم مُونِيو شعوره بالمرارة، إذ إن المرارة تجلب الخطر. المتمرّدون يشعرون بالمرارة، والدّناكنة تزداد مرارتهم قُبيل موتهم.

قال مُونِيو: «الزّمن يا مولاي يعني لك شيئًا مُختلفًا عمّا يعنيه لي. ليتني أستطيع الإحاطة بذلك المعنى».

- «تستطيع ذلك، لكنك لن تقدم عليه».

سمع مُونِيو نبرة التّوبيخ في الكلام، فآثر الصّمت، وصرف ذهنه إلى هموم المِزَاج. نادرًا ما كان الإله ليتو يتحدّث عن الاسپايس، وإن

فعل، كان ذلك غالبًا لتحديد الحصص أو تقليصها، لمنح المكافآت أو لإرسال مُحاورات الأسماك للاستيلاء على مخزون اكتُشِفَ حديثًا. كان مُونِيو يعلم أن أكبر مخزونٍ مُتبقٍّ من الاسپايس يرقد في مكانٍ لا يعرفه سوى الإمبراطور الإله. في أوائل أيّامه في الخدمة الملكيّة، وُضِع قناعٌ على وجه مُونِيو، واقتاده الإله ليتو بنفسه إلى ذلك المكان السّرّي عبر ممرّات ملتوية شعر مُونِيو بأنها تحت الأرض.

*حين أُزلت القناع عن وجهي، كنا تحت الأرض.*

ملأ المكان قلب مُونِيو بالرّهبة، إذ وجد نفسه واقفًا فوق أرضيّةِ باحةٍ هائلةٍ، منحوتة من الصّخر الطّبيعي، تنتشر صناديق المِزّاج في جنباتها. كانت الباحة مضاءة بكُرات إنارة قديمة الطراز، تُطعّمها زخارف أرابيسك معدنية متشابكة. تحت الضياء الفضي الخافت، كان الاسپايس يَشِعُّ بوهجٍ أزرق، ويُعبّق المكان برائحة القرفة المُرّة التي لا تخطئها الأنوف. ومن مكانٍ قريب، كان الماء يقطر بهدوء. وحين تكلّما، تتردّد أصداء صوتيهما من فوق الجدران الحجريّة المُحيطة بهما.

قال ليتو: «يومًا ما كل هذا سيفنى».

سأله مُونِيو وقد صُدِم: «ماذا ستفعل النّقابة والبِني چيسيرِت حينئذٍ إذًا؟».

- «ما يفعلانه الآن، ولكن بشكلٍ أعنف».

راح مُونِيو يحدّق إلى أرجاء الباحة العملاقة بما تحتويه من مخزون مِزّاجٍ هائل، ولم يستطع التفكير في شيءٍ غير الأمور التي

يعلم أنها تحدث في الإمبراطوريّة في الوقت الحالي: الاغتيالات الدّمويّة، وغارات القرصنة، والتّجسّس والمكايد. لقد نجح الإمبراطور الإله في قمع معظم السّوء، لكن ما تبقى كان سوءه كافيًا.

همس مُونِيو وقد أدرك: «الإغواء».

- «نعم، الإغواء».

- «ألن يوجد بعدها مِزّاج إلى الأبد يا مولاي؟».

- «يومًا ما، سأعود إلى الرّمال، عندها سأكون أنا مصدر المِزّاج».

- «أنت يا مولاي؟».

- «كما سأنتِج شيئًا يضاهي المِزاج في روعته: مزيدًا من يرقات الرّمال، لكنها ستكون هجينة، وسريعة التّكاثر».

ارتعدت أوصال مُونِيو أمام هذا الوحي، وحدّق في هَيبةٍ إلى شخص الإمبراطور الإله الغامض، الذي يفوه بمثل هذه الأعاجيب.

قال ليتو: «سترتبط يرقات الرمال بعضها ببعض، مُشكّلةً فُقّاعاتٍ حيّةً ضخمةً في باطن الأرض، تُطوّق بها مياه هذا الكوكب. تمامًا كما كان يحدث في زمن كثيب».

- «كل الماء يا مولاي؟».

- «معظمة. وفي غضون ثلاثمئة عام، سيرجع عهد ديدان الرّمال على هذا الكوكب، لكنها ستكون نوعًا جديدًا من ديدان الرّمال. هذا وعدي لك».

- «كيف ذلك يا مولاي؟».

- «سيكون لها وعيٌ حيوانيٌ، لكن مع دهاءٍ جديد. سيصبح استخراج المِزَاج عملًا أخطر من ذي قبل، والاحتفاظ به أشد خطورةً بمراحل».

رفع مُونِيو بصره إلى سقف المغارة الصّخري، أمّا خياله فاخترق الصّخر ووصل إلى السّطح.

- «ستعود الصّحراء لتشمل كل شيء يا مولاي؟».

- «ستمتلئ مجاري الماء بالرّمال، وستختنق المحاصيل وتموت. ستغطّي الكثبان الهائلة المتحرّكة الأشجار، وستنشر الرّمال الموت في كل مكان حتّى... حتّى تُسمع إشارة رهيفة في الأراضي القاحلة».

- «أيُّ إشارة يا مولاي؟».

- «إشارة بدء الدّورة التالية. إشارة مجيء الصّانعة، مجيء شَي هولود».

- «أستكون هي أنت يا مولاي؟».

- «أجل! ستخرج دودة كثيب العظيمة من الأعماق مرّةً أخرى، وستعود هذه الأرض ملكًا للاسپايس وللدُّودة».

- «لكن ماذا عن النّاس يا مولاي؟ كل النّاس؟».

- «سيموت كثيرون. مع جفاف النباتات الغِذائيّة والزّرع الوفير في هذه الأرض، سينعدم الغذاء، وستموت الحيوانات التي تُسمّن للاستهلاك».

- «هل سيجوع الجميع يا مولاي؟».

- «سيلاحقُ الجوعُ والأمراضُ القديمةُ مَن في الأرض جميعًا، ولن ينجو سوى الأقوى... الأقوى والأكثر وحشيّة».

- «ألا بديل لكل ذلك العناء يا مولاي؟».

- «البدائل أسوأ».

- «أحِظني خبرًا بتلك البدائل يا مولاي».

- «لسوف تعلمها في الوقت المناسب».

وبينما كان يهرول إلى جوار الإمبراطور الإله في ضوء نهار رحلتهم إلى أونْ، لم يسع مُونِيو إلّا الاعتراف بأنه بالفعل قد عرف شرورًا بديلة.

كان مُونِيو يعرف أن المعرفة الرّاسخة التي يحملها في عقله مخفيّة عن عامّة مواطني الإمبراطورية الصّالحين، بين أبيات التّاريخ الشّفهي، وفي الأساطير والقصص العجيبة التي يرويها أنبياء مجانين يظهرون على كواكب مختلفة هنا وهناك، ليجمعوا أتباعًا لمُدّةٍ قصيرةٍ.

*لكنني أعرف ما ترتكبه مُحاورات الأسماك من أفعال.*

كما يعرف أيضًا بأمر رجالٍ أشرار يجلسون أمام موائد ويتلذّذون بأطعمةٍ شهيّةٍ نادرةٍ، وهم يشاهدون تعذيب إخوانهم من البشر.

حتّى تأتي مُحاورات الأسماك، فتمحو الدّماء مثل هذه المشاهد.

قال ليتو: «لقد كنت أستمتع بالطّريقة التي تراقبني بها ابنتك، وهي

غافلة تمامًا عن معرفتي بوجودها».

- «مولاي، إنني أخشى عليها! إنها دمي، إنها...».

- «إنها دمي أنا أيضًا يا مُونِيو؟ أولست آتريديزيًا؟ من الأفضل لك أن تخشى على نفسك».

ألقى مُونِيو نظرة خوفٍ على جسد الإمبراطور الإله. ما زالت علامات اقتراب الدُّودة بادية جدًّا. نظر مُونِيو إلى الموكب خلفه، ثم إلى الطّريق أمامه. كانوا الآن في المُنحدر الحاد، حيث المنعطفات قصيرة ومنحوتة في جدرانٍ عاليةٍ من الصُّخور المتراصة بأيدٍ بشريّة تُشكّل الحاجز الذي يُطوّق السّرير.

- «سيونا لا تُسئ إليّ يا مُونِيو».

- «لكنها...».

- «مُونِيو! هنا، في هذه الكبسولة الغامضة، يكمن أحد أسرار الحياة العظيمة. أن تُفاجأ، أن يحدث شيءٌ جديد، هذا هو ما أتمناه أكثر من أيّ شيءٍ آخر».

- «مولاي، أنا...».

- «الجديد! يا لها من كلمة بزّاقة رائعة، أليس كذلك؟».

- «لا قول بعد قولك يا مولاي».

اضطر ليتو إلى تذكير نفسه حينها: *مُونِيو مخلوقي، أنا من خلقه.*

- «ابنتك لا تُقدّر بثمن في نظري يا مُونِيو. أنت الآن تُدِين رفاقها، لكن قد يكون بينهم من ستُحِبُّه».

ألقى مُونِيو نظرة لا إراديّة إلى الخلف نحو دانكن آيداهو الذي يسير بين الحرس. كان آيداهو يُحدّق أمامه كأنه يحاول استطلاع كل منعطف في الطّريق قبل أن يصلوا إليه. لم يكن يحب هذا المكان بجدرانه العالية التي قد تأتي منها الهجمات. لقد أرسل آيداهو كشّافةً إلى المُرتفعات ليلًا، وقد كان مُونِيو يعلم أن بعضهن ما زلن يتربّصن هناك. لكنه قلقٌ لأن ما زال أمامهم وديان قبل أن يصل موكب السّائرين إلى النهر، ولم يكن تحت تصرُّفه حرسٌ كافٍ لنشره في كل مكان.

طمأنه مُونِيو قائلًا: «سنعتمد على الفرمِن».

- «الفرمِن؟». لم يكن آيداهو قد أحبّ ما سمعه عن الفرمِن الأثريّين.

قال مُونِيو: «على الأقل بإمكانهم إطلاق إنذار إذا رأوا متسلّلين في الجوار».

- «أقابلتهم وطلبت منهم فعل ذلك؟».

- «بالطّبع».

لم يجرؤ مُونِيو على مفاتحة آيداهو في موضوع سيونا. لسوف يجد الوقت لذلك لاحقًا، لكن الإمبراطور الإله صرّح الآن بشيءٍ مقلق. هل أصاب الخطط تغيير؟

أعاد مُونِيو اهتمامه إلى الإمبراطور الإله، وقال مخفضًا صوته:

- «هل ستُحِبُّ رفيقًا لها يا مولاي؟ لكنك قلت إن الدّانكن سوف...».

- «قلت تُحِبُّه، لا تتناسل معه!».

ارتجف مُونِيو وهو يُفكِّر في الطّريقة التي زُتِّب بها زاوجه هو نفسه.. الانتزاع من...

*لا! من الأفضل لي ألّا أنصاع إلى تلك الذّكريات!*

كان هناك انسجام... بل حُبٌ حقيقي لاحقًا... لكن في الأيّام الأولى...

- «ها أنت ذا قد شَرَدتَ مُجدّدًا يا مُونِيو».

- «اعذرني يا مولاي، لكن حين تتحدّث عن الحُبّ...».

- «أتظن أنني لا أملك أفكارًا رقيقة؟».

- «لا أقصد ذلك يا مولاي، لكن...».

- «إذًا، أتظن أنني لا أملك ذكريات عن الحُبّ والتّزاوج؟!». انحرفت العربة نحو مُونِيو، ما أجبره على الابتعاد مذعورًا من النّظرة العابسة التي اعتلت وجه الإله ليتو.

- «مولاي، أستميحك عُذرًا...».

- «رُبّما لم يعرف هذا الجسد مثل هذه المشاعر من قبل، ولن يعرفها أبدًا، لكن ذكريات كل شيء داخلي!».

لاحظ مُونِيو علامات تزايد هيمنة الدُّودة على جسد الإمبراطور الإله، ولم يكن بالإمكان تجاهُل إدراك هذه الحالة.

*أنا في خطرٍ محدق. كلنا كذلك.*

صار مُونِيو واعيًا بكل صوتٍ من حوله: صرير العربة الملكيّة، سعال

أفراد الحاشية وأحاديثهم الجانبيّة، وقع الأقدام على الطّريق. كانت رائحة القرفة تفوح من الإمبراطور الإله، والهواء المحصور هنا بين ممرّ الجدران الصّخريّة لا يزال يحتفظ ببرودة الصّباح، والنّهر البعيد يُشبّع الأجواء بالرّطوبة.

أهي الرّطوبة التي تستفزّ الدّودة في داخله؟

- «أنصِت إليّ يا مُونِيو كما لو أن حياتك على المحك».

همس مُونِيو: «حسنًا يا مولاي»، عالمًا أن حياته تعتمد على مدى الاهتمام الذي يوليه الآن، ليس في الاستماع فحسب، بل في المراقبة.

قال ليتو: «جزءٌ مني معدوم التفكير يعيش دائمًا تحت الأرض. هذا الجزء له ردّة فعل، ويرتكب ما يرتكب دون اهتمامٍ بعلمٍ أو بمنطق».

أومأ مُونِيو برأسه، واهتمامُه مُنصبٌّ على وجه الإمبراطور الإله لا يحيد عنه. أتوشك عيناه أن تُزجّج؟

قال ليتو: «لا حيلة لي إلّا الوقوف مكتوف اليدين ومشاهدة هذا يحدث. قد تؤدّي ردّة الفعل هذه إلى موتك. الخيار ليس خياري. هل تفهمني؟».

همس مُونِيو: «أفهمك يا مولاي».

- «الخيارات معدومة في مثل هذا الحدث! وليس من بُدٍّ أمامك سوى أن تقبل حدوثه فحسب. لن تفهمه أو تعرف طبيعته أبدًا. ما قولك في هذا؟».

- «أنا أخشى المجهول يا مولاي».

- «لكنني لا أخشاه. أتعرف السّبب؟».

لطالما توقّع مُونِيو حدوث أزمة كهذي، والآن بعد أن حدثت، وجد أنه يتقبّلها بصدر رحب. كان يعلم أن حياته تعتمد على جوابه. حدّق مُونِيو إلى إمبراطوره الإله والأفكار تتسابق في رأسه.

- «بسبب الذّكريات التي تحملها في داخلك يا مولاي».

- «فقط؟».

لم تكن إجابته كاملة إذًا. بدأ مُونِيو يتحدّث كالقابض على الكلمات: «أنت ترى كلّ ما هو معروفٌ لنا... تراه كما كان في الماضي... مجهولًا! المفاجآت من منظورك... لا بُدّ أن المفاجآت شيءٌ جديدٌ عليك لم تألفه؟». لاحظ مُونِيو وهو يتحدّث أنه وضع علامة استفهام دفاعية على جملة كان ينبغي لها أن تكون خبريّة تقريريّة، لكنه وجد الإمبراطور الإله قد ابتسم.

- «لك مني عِطية على حكمتك هذه يا مُونِيو. ماذا تتمنّى؟».

مهّد الارتياح المفاجئ الطّريق أمام مخاوف أخرى للظهور. «أيمكنني إعادة سيونا إلى القلعة؟».

- «سيجعلني هذا أختبرها في وقتٍ أقرب».

- «يجب فصلها عن رفاقها يا مولاي».

- «حسنًا جدًا».

- «مولاي فائق الكرم».

- «بل أنا أناني».

قالها الإمبراطور الإله وتولّى عن مُونِيو وخرّ صامتًا. نظر مُونِيو إلى الجسد المُقسّم إلى فصوص ولاحظ أن علامات اقتراب الدُّودة تنحسر إلى حدٍّ ما. لقد مرّ الأمر بسلام في النّهاية. ثم عاد وفكّر في الفرمِن ومطالبهم، فعاد إليه الخوف.

*كانت تلك غلطة. سيوقظون الدُّودة فيه من جديد. ويحي، لماذا سمحت لهم بعرض مطالبهم؟*

سيكون الفرِمن في انتظارهم بعد قليل، مصطفّين على ذلك الجانب من النّهر، وهم يلوّحون بأوراقهم الحمقاء.

واصل مُونِيو المسير في صمت، وتوجُّسه يزداد مع كل خطوة.

هُنا تَهُبُّ الرِّمال، وهُناك تَهُبُّ الرِّمال

هُنا أنتظر أنا، وهُناك ينتظر ذو مال

- صوت شَي هولود،

من التّاريخ الشّفهي.

رواية الأخت تشنويه التي عُثِر عليها بين أوراقها بعد وفاتها:

بإخفائي هذه الكلمات عن تقريري، وتدوينها سِرًّا في الوقت نفسه ليُعثر عليها بعد رحيلي، أكون مُمتثلةً بصفتي بِني چيسيرِتيّة، ومُطيعةً لأوامر الإمبراطور الإله في آنٍ واحد. إذ قال لي الإله ليتو: «ستحملين رسالتي إلى رئيساتك، لكنك ستُبقين هذه الكلمات طيّ الكتمان في الوقت الرّاهن. وإن أخفقتِ، فسيحلُّ غضبي على أخويّتك».

وبالمثل، حذّرتني الأُمّ سياكسا الموقّرة قبل أن أغادر، قائلةً: «يجب ألّا ترتكبي شيئًا من شأنه أن يُجلب غضبته علينا».

وفيما كنتُ أهرول بجوار الإله ليتو في تلك الرحلة القصيرة التي ذكرتها، خطر لي أن أسأله عن أوجه الشّبه بينه وبين الأُمّهات الموقّرات، فقلتُ:

- «مولاي، أعرف الطريقة التي تكتسب بها الأُمّهات الموقّرات ذكريات أسلافهن وذكريات آخرين، فكيف الأمر معك؟».

- «ما حدث لي كان نتيجةً لتاريخنا الچيني ولتأثير الاسپايس. أنا وشقيقتي التّوأم غنيمة استيقظنا في الرّحم، دبّ الوعي فينا قبل أن

نُولد، في حضرة ذكريات أسلافنا».

- «مولاي... جماعتي تطلق على ذلك اسم ‹شُنعة›».

قال ليتو: «وهن محقّات في ذلك، فأعداد الأسلاف قد تكون قاهرةً، ولا أحد يعلم مُسبقًا ما القُوّة التي ستسيطر على هذا الحشد الهائل، الخير أم الشّر؟».

- «مولاي، كيف أخضعت مثل هذه القُوّة؟».

قال ليتو: «لم أُخضعها. ما أنقذني أنا وغنيمة هو استمرار نمط الحُكم الفرعوني. أتعرفين هذا النّمط أيّتُها الأخت تشنويه؟».

- «نحن في الأخويّة مُلمّات بالتّاريخ يا مولاي».

قال ليتو: «أجل، لكنكن لا تنظرن إلى الأمر بالطريقة التي أنظر بها أنا إليه. إنني أتحدّث عن آفة السّلطة التي ابتُلي بها اليونانيّون أولًا، ثم ورثها عنهم الرُّومان، الذين عمّموها حتّى ترسّخت وانتشرت، ولم تُمحَ آثارها تمامًا من بعدهم».

- «أيتحدّث مولاي بالألغاز؟».

- «لا ألغاز في الأمر. إنني أمقت نمط الحكم هذا، لكنه أنقذنا. لقد عقدتْ أنا وغنيمة تحالفات داخلية قويّة مع أسلافنا الذين اتّبعوا النّمط الفرعوني، وقد أعانونا على مزج هويّتينا بذلك الحشد الخامل منذ زمن بعيد، والاندماج فيه».

- «أجد هذا الأمر مزعجًا يا مولاي».

- «كما يجب».

- «لماذا تخبرني بذلك الآن يا مولاي؟ فأنت لم تُجب إحدانا من قبل بهذه الطّريقة، على حدّ علمي».

- «لأنك مستمعة جيّدة يا أُخت تشنويه. لأنك ستطيعينني، ولأنني لن أراك ثانيةً أبدًا».

تحدّث الإله ليتو إليّ بتلك الكلمات الغريبة، ثم سألني:

- «لماذا لم تسألي عمّا تُسمّيه أخويّتك ‹طغياني المجنون›؟».

شجّعتها طريقته، فتجرّأت وقالت: «مولاي، نحن نعلم بأمر بعض إعداماتك الدّمويّة، وهي تقلقنا».

عندها فعل الإله ليتو شيئًا غريبًا. أغلق عينيه ونحن نسير، ثم قال:

- «سأتحدّث إليك يا أُخت تشنويه كما لو كنتِ صفحةً في مذكّراتي، لأنني أعلم أنكِ تدرّبتِ على تسجيلِ أيّ كلماتٍ تسمعينها بدقة. احفظي هذه الكلمات جيّدًا، لأنني لا أريد لها أن تضيع».

***

أؤكّد لأخويّتي الآن أن ما يلي هي الكلمات التي نطق بها الإله ليتو آنذاك، بالحرف الواحد:

«حسب علمي اليقيني، حين يغيب وعيي عن دنياكم، حين لن يبقى مني على هذه الأرض سوى كائنٍ صحراويٍّ مُرعب، سيتذكّرني كثيرون بأنني كنتُ طاغيةً.

وهذا عادل، فقد كنت طاغيًا.

طاغيةٌ لا هو بالبشريّ تمامًا، ولا بالمجنونِ... طاغيةٌ فحسب.

غير أنّه حتّى الطّغاة العاديون، أولئك الذين يُختزلون في قسوتهم، لهم دوافع ومشاعر تتجاوز ما يلصقه المؤرّخون السّطحيون بهم. سيراني المؤرّخون طاغيةً عظيمًا. ولهذا، فإن مشاعري ودوافعي تُمثّل إرثًا أرغب في صونه، كي لا يشوّهه التّاريخ كما يفعل عادةً، إذ له مَيلٌ إلى تضخيم بعض الصّفات وتجاهل أخرى.

سيحاول النّاس فهمي، وتأطيري بكلماتهم. سيبحثون عن الحقيقة، غير أن الحقيقةَ يكتنفها دومًا غموض الكلمات التي نلجأ إليها لوصفها.

لن تفهموني أبدًا. وكلّما بذلتم جهدًا أكبر في محاولاتكم، ابتعدت عنكم، حتّى أذوب في أسطورةٍ خالدةٍ، وأتحوّل في نهاية المطاف إلى إلهٍ حيّ!

وهذا، كما ترين، هو جوهر الأمر. أنا لستُ قائدًا، ولا حتّى مُرشدًا، بل إلهٌ. تذكّري هذا. أنا شيءٌ آخر تمامًا غير كلّ القادةِ والمرشدين. الآلهة لا تُسأل عن شيءٍ باستثناء الخلق. الآلهة تقبل كلّ شيءٍ، ولذلك لا تقبل أيّ شيءٍ. يجب أن تُتاح للناس معرفة الآلهة، وأن تظلّ مجهولة في الوقت نفسه. الآلهة لا تحتاج إلى عالم الرّوح، فأرواحي تسكنني، وهي طوع بناني، تُلبّي ندائي متى استدعيتها. ما أُشارِككُم إيّاه ممّا تعلّمته منها وعنها، لا أفعله لواجبٍ أو التزام، بل لأنني أجد فيه متعةً. تلك الأرواح هي جوهري وحقيقتي.

واحذري الحقيقة أيّتُها الأخت الرّقيقة. فمع أن النّاس يتوقون إليها بشِدّة، فإنها قد تكون خطرة على من يسعى وراءها. الخرافات والأكاذيب المُطمئِنة أقرب منالًا وأسهل تصديقًا. أمّا إذا صادفتِ

حقيقةً، ولو كانت عابرةً، فقد تُجبِرك على إجراء تغييراتٍ مؤلمةٍ. أخفِي حقائقك بين سطور الكلمات، وسيكفل لك الغموض الطّبيعي الذي تمنحهُ اللُّغة الحماية. الناس يتشرّبون الكلمات بسهولة، لكنهم لا يتحمّلون النُّذُر المُلغّزة بطعناتها الحادّة المُعجزة للكلمات. باستخدام الكلمات، يمكن للمرء أن يصرخ مع الجموع:

- «لماذا لم يحذّرنا أحد؟».

- «لكنني حذّرتكم. حذّرتكم بالقدوة، لا بالكلمات».

ومداد كلماتي لا ينفد. أنت تسجّلين الآن شيئًا منها في ذاكرتك الرّائعة. ويومًا ما، حين تُكتشف مذكّراتي، سيظهر مزيدٌ من كلماتي إلى النُّور. أنا أُحذّركم بأن قراءة كلماتي ستكون على مسؤوليّتكم الخاصّة، فالأحداث المُروّعة المُعجزة للكلمات تكمن بين سطورها. كونوا صُمًّا! لا حاجة لكم إلى السّمع، وإذا سمعتم، فلا حاجة لكم إلى التّذكُّر. كم هي مريحة الغفلة، وكم هي خَطِرة!

لطالما عُرِفت الكلمات الشبيهة بكلماتي بما تحمله من قوّةٍ غامضةٍ، إذ تُخفي معرفةً سِرّيّةً يمكن توظيفها للهيمنة على الغافلين. إن حقائقي هي مادّة الأساطير والأكاذيب التي طالما استخدمها الطُّغاةُ لخداع الشُّعوب وتسييرهم وفق أهوائِهم ومصالحِهم.

هل تدركين ماذا أفعل الآن؟ إنني أضع بين يديكِ كلّ شيءٍ، حتّى ذلك السّرّ الأعظم في التّاريخ، السّرّ الذي به صغتُ حياتي، ها أنا ذا أبوح لكِ به الآن عبر كلماتي:

«الماضي الوحيد الذي سيدوم، هو ذاك الذي يسكن أعماقكم في

صمت، مُعجزا للكلمات».

***

كف الإمبراطور الإله عن الكلام بعدها، فجرؤت على أن أسأل: «أهذه كل الكلمات التي يَوَدُّ مولاي أن أحفظها؟».

ردّ الإمبراطور الإله: «تلك هي»، وشعرت أنه يبدو مرهقًا، مُثبّط العزيمة. بدت نبرته كشخصٍ ينطق بوصيّته الأخيرة. ثم تذكّرت إخباره لي بأنه لن يراني مرّةً ثانيةً، وشعرت بالخوف، لكنني أُثنِي على مُعلّماتي هنا، إذ لم يبدُ الخوف في صوتي وأنا أقول:

- «مولاي ليتو، تلك المذكّرات التي تتحدّث عنها، لمن كُتِبت؟».

- «للأجيال القادمة، بعد آلاف السنين. إنّي أُضفي طابعًا شخصيًا على أولئك القُرّاء البعيدين يا أُخت تشنويه. أراهم كأبناء عمومة بعيدين، يتملّكهم فضولٌ عائليٌ عميقٌ لمعرفة أسلافهم. أراهم يسعون لفكّ طلاسم وقائعَ لا يستطيع أحدٌ سواي أن يرويها، يسعون لإيجاد صلاتٍ شخصيّة تربط ماضيهم البعيد بحياتهم الحاضرة. إنهم يبحثون عن المعنى... عن الحقيقة».

- «لكنك تحذّرنا من الحقيقة يا مولاي».

- «بالفعل! إن التّاريخَ كلّه أداةٌ طيّعةٌ بين يدي. آهٍ، لقد راكمت كل تلك الأزمنة السّالفة، وأمتلك كل حقيقة. لكنّ تلك الحقائق ملكي أُشكّلها كيفما أشاء، وحتّى حين أستخدمها بصدق، فإنني أُغيّرها. ما هذا الذي أقوله إليك الآن؟ ما جوهر المُذكّرات والدّفاتر؟ محض كلمات».

لفَّ الصّمت الإله ليتو مُجدّدًا، ففكّرت في دلالة ما قال، ووزنته مقابل تحذير الأُمّ الموقّرة سياكسا، ومقابل الأشياء التي سبق أن قالها لي الإمبراطور الإله. ولهذا شعرتُ أنني في حمايته، وأن في وسعي الإقدام على ما لا يجرؤ عليه غيري، لذا قلت:

- «مولاي ليتو، لقد قلت إنك لن تراني ثانيةً. أهذا يعني أنك على وشك الموت؟».

وها أنا ذي أُقسم هنا، في سجلّي لهذا الحدث، إن الإمبراطور الإله ضحك! ثم قال:

- «لا أيّتُها الأخت الرّقيقة، بل أنت التي ستموتين. لن تعيشي لتُدركي منزلة الأُمّ الموقّرة. لكن لا تحزني، فوجودكِ هنا اليوم، وحملكِ رسالتي إلى الأخوية، وحفظكِ لكلماتي السّرّيّة، سيمنحكِ مكانةً أسمى بكثير. لقد أضحيتِ جُزءًا لا يتجزّأ من أسطورتي، ولسوف يَرفع أبناءُ عمومتنا البعيدون أيديهم بالدُّعاء إليك، لعلّكِ تشفَعين لهم لديّ!».

قالها الإله ليتو ثم ضحك مجددًا، لكن ضحكته كانت أرق هذه المرّة، ثم ابتسم في وجهي بلُطف.

أجد صعوبة في تسجيل ما حدث هنا بالدّقة التي أمرت باستخدامها في مثل هذه الروايات، ولكن في اللّحظة التي نطق فيها الإله ليتو هذه الكلمات الزّهيبة، شعرت بصداقة عميقة تربطني به، كأن رابطةً ماديّةً لا تُرى قد تشكّلت بيننا، ووصلَت أحدنا بالآخر على نحوٍ تعجز الكلمات عن وصفه. لم أُدرِك معنى «الحقيقة المُعجزة للكلمات» إلّا لحظة تلك التجربة. لقد عِشتُها... بيد أنّني أعجز عن

وصفها.

## مُلاحظة أمينات الأرشيف

بسبب الأحداث المتشابكة التي تلت ذلك، لم يعد اكتشاف هذا السّجل محض حاشيةٍ تاريخيّةٍ، بل اكتسب أهمّيةً بالغةً لاحتوائه على واحدة من أقدم الإشارات إلى مُذكّرات الإمبراطور الإله السّرّيّة.

لمن يرغبن منكن في الاستزادة والتّعمُّق في هذا السجل، يمكن الرُّجوع إلى «أرشيف الوثائق» تحت العناوين الفرعية: تشنويه، الأخت المقدّسة كوِنتينيئس ڤيولِت: تقرير تشنويه، والجوانب الطّبّيّة لرفض المِزَاج.

(حاشية: تُوفِّيت الأخت كوِنتينيئس ڤيولِت تشنويه في عامها الثّالث والخمسين ضمن الأخوية، وقد عُزِيَ سبب الوفاة إلى عدم التّوافق مع المِزَاج، وذلك خلال محاولتها بلوغ رُتبة الأُمّ الموقَّرة).

إغتَصَبَ سلفنا آشور ناصربال، الذي كان يُعَدُّ الأقسى من بين جميع قُساة التّاريخ، العرشَ بعد أن قتل والدَه، وبدأ عهد الحُكم بحدِّ السّيف. شملت فتوحاتُه منطقةَ بُحيرة أروميّة، وتوسّع منها بعد ذلك إلى كوماجيني وخابور. وقد فرض ابنه الجِزيَة على نسل شوحا من صور وصيدا وجبيل، بل حتّى على ياهو بن عُمري، الذي كان اسمه يبثُّ الرُّعب في أفئدة الآلاف. حملت تلك الفتوحات التي بدأها آشور ناصربال السّلاح إلى ميديا، ثم إلى إسرائيل ودمشق وإدوم وأرفاد وبابل وأومليّاس. هل لا يزال أحدٌ يتذكّر تلك الأسماء والأماكن الآن؟ لقد أعطيتكم تلميحاتٍ كافيةً: حاولوا تخمين اسم الكوكب.

- المذكّرات المسروقة

كان الهواءُ ساكنًا في أعماق الطّريقِ الملكيّة المنحوتةِ بين الصُّخور، المؤدية إلى الممر المستوي الذي يفضي إلى الجسرِ الذي يعبر نهر آيداهو. انحرفت الطّريق يمينًا خارجةً من نطاق الصُّخور والأرض الهائل الذي صنعه بشر. رأى مُونِيو، وهو يسير بجوار العربة الملكيّة، الشّريط المُعبّد الممتد عبر قِمّة تلّة ضيّقة وصولًا إلى نسيج البولاذ المعدني الذي يشكّل بدن الجِسر البعيد على مسافة ثُقارب الكيلومتر.

انعطف النهر، الذي ما زال يجري عميقًا في مجراه، نحو الجهة اليُمنى، ثم استمر في جريانه مُستقيمًا عبر شلّالات متعدّدة المراحل باتجاه جانب الغابةِ المُحرّمة البَعيد، حيث تنخفض المرتفعات التي تحصره إلى مستوى الماء تقريبًا. هناك، على مشارف مدينة أونُ، تقع البساتين والحدائق التي تُساهم في إطعام سُكّان المدينة.

لاحظ مُونِيو، وهو يتأمّل امتداد النهر البعيد الذي تتسنّى رؤيته

من مكان سيره، أن قِمّة الوادي يغمرها الضّوء، فيما يجري الماء من تحتها في ظلالٍ لا يُبدّدها سوى وميض الشّلّالات الفِضّيّة الخافت.

أمامه مباشرةً، كانت الطّريق المؤدّية إلى الجِسر تتلألأ تحت أشعة الشّمس، فيما بدت ظلال الشّعاب المتآكلة الدّاكنة على جانبي الطريق كأنها سهام تشير إلى المسار الصّحيح. كانت الشّمس المشرقة قد جعلت الطّريقَ ساخنةً بالفعل، وأنذر تموُّج الهواء من فوقها بيومٍ حار.

فكّر مُونِيو: *سنصل إلى أمان المدينة قبل أن يشتدّ الحرّ.*

هرول مُونِيو مُتثاقلًا، بصبرٍ بدأ ينفد، كان يعتاده في هذه المرحلة، وعيناه شاخصتان أمامه ترَقُّبًا لظهور الفرمِن الأثريّين بمطالبهم. كان يعلم أنهم سيخرجون من إحدى الشّعاب المتآكلة، من مكانٍ ما على هذا الجانب من الجِسر. هذا ما اتّفق عليه معهم. لم يعد من وسيلة لإيقافهم الآن، والإمبراطور الإله ما زالت تظهر عليه علامات حضور الدُّودة.

سمع ليتو الفرمِن قبل أن يراهم أو يسمعهم أحدٌ في الموكب.

فصاح: «أنصت!».

انتبهت كل حواس مُونِيو.

بَرَمَ ليتو جسده فوق العربة، مُقوّسًا الجزء الأمامي إلى أعلى خارج الدّرع الفُقّاعي، وحدّق إلى الأمام.

كان مُونِيو يعلم هذا عنه جيّدًا. لقد التقطت حواس الإمبراطورِ الإله، الأرهف بكثير من حواس أيّ شخصٍ آخر حوله، اضطرابًا

أمامهم. بدأ الفرمِن يتحرّكون نحو الطريق. تراجع مُونِيو خُطوةً إلى الوراء، وتحرّك إلى أقصى حدود موقعه الذي عليه ألّا يبرحه، وحينها سمع الحركة بنفسه.

كان صوت الحصى يتساقط.

ثم ظهر أوّل الفرمِن، مُنسلّين من الشّعاب على جانبَيِ الطّريق على مسافة لا تزيد على مِئة متر أمام الموكبِ الملكيّ.

اندفع دانكن آيداهو أمامًا، ثم أبطأ نفسه ليُهرول إلى جوار مُونِيو.

سأل آيداهو: «أولئك هُم الفرمِن؟».

- «نعم»، قالها مُونِيو واهتمامه مُنصبٌ على الإمبراطور الإله، الذي أرجع كُتلة جسده إلى داخل حدود العربة.

تجمّع الفرمِن الأثريُّون على الطّريق، وخلعوا عنهم أرديتهم الخارجيّة ليكشفوا عن أردية داخليّةٍ حمراء وأرجوانيّةِ اللّون. فلتت شهقة من مُونِيو. كان الفرمِن يرتدون ضربًا من ثياب الحُجّاج السّوداء أسفل أرديتهم الملوّنة. لوّح من كان منهم في المُقدّمة بلفائف ورقيّة، فيما بدأت المجموعة بكاملها الغناء والرّقص مُتقدّمين نحو الحاشية الملكيّة.

هتف الزُّعماء: «لدينا عريضةٌ يا مولانا. أنصِت إلى مطالبنا!».

صاح ليتو: «دانكن! تخلّص منهم».

اندفعت مُحاورات الأسماك عبر صفوف حاشية البلاط مع صيحة مولاهم. أشار آيداهو لهن بالتقدُّم وبدأ الرّكض نحو الجماعة

المُقتربة. شكّلت الحارسات بنيانًا متراصًا، كان آيداهو على رأسه.

سارع ليتو بإغلاق غِطاء عربته الفُقّاعي، وزاد من سرعتها وهو يصيح بزئيرٍ صاخب: «تراجعوا! تراجعوا!».

حين رأى الفرمِن الأثريُون اندفاع الحرس نحوهم، وتسارع العربة مع صرخة ليتو، بَدَوا كأنهم يفسحون المجال في منتصف الطريق. راح مُونِيو يركض مُحاولًا مجاراة سرعة العربة، وقد تشتّت انتباهه من وقعِ أقدامِ الحاشيةِ خلفه للحظة. عندها، لمح أوّل بادرة غير مُتوقّعة في سلوك الفرمِن.

كجسدٍ واحد، نزع الحشد المُنشِد عباءات الحُجّاج عنهم، كاشفين عن أزياء سوداء مُوحّدة، تُطابق تمامًا ما كان يرتديه آيداهو.

تساءل مُونِيو: *ماذا يفعلون؟*

وبينما كان مُونِيو يطرح هذا السّؤال على نفسه، رأى ملامح الوجوه المُقتربة تذوب في مُحاكاة خبيثة، تبدّل فيها كل وجه إلى صورة دانكن آيداهو.

صرخ شخصٌ ما: «راقصو وجوه!».

ليتو كذلك تشتّت بسبب فوضى الأحداث، وأصوات الأقدام العديدة التي تركض على الطّريق، وصيحات الأوامر الصّارمة ومُحاورات الأسماك يُشكّلن صفوفهن. بعدها زاد من سُرعة عربته، مُضيّقًا المسافة بينه وبين الحرس، وبدأ يَدُقُّ جرس التحذير ويُطلِق نفير العربة للتشتيت. علا الضّجيج المشهد، ما أربك حتّى بعض مُحاورات الأسماك اللاتي هُيّئن لذلك.

في تلك اللّحظة، خلع رافعو المطالب أرديةَ الحجّ، وشرعوا في تنفيذ مُناورة التّحوُّل، لتتبدّل ملامح وجوههم إلى نسخة من وجه دانكن آيداهو. سمع ليتو صيحة صائح: «راقصو الوجوه!»، وحدّد مصدرها. كان هذا زوج موظّفة في الدّيوان المُحاسبي الملكيّ.

أوّل ما شعر به ليتو كان شيئًا من المُتعة.

التحم الحرس وراقصو الوجوه. حلّ الصُّراخ والهتاف محل إنشاد المتضرّعين. تشكّلت عُقدةٌ سميكةٌ من مُحاورات الأسماك حول دانكن في زيّه الأسود. كانت الحارسات تطيع تعليمات ليتو المُتكرّرة بحماية الغول قائدهم.

*لكن كيف سيفرّقنه عن الآخرين؟*

أوقف ليتو عربته، أو كاد، عن الاندفاع. أبصر مُحاورات الأسماك إلى يساره يُطوّحن بهراوات الصعق، ولمح بريق الشّمس على نِصال الخناجر. ثم جاء أزيز بنادق الليزر، ذلك الصّوت الذي وصفته جدّته يومًا بأنه «أبشعُ صوتٍ في هذا الكون». تصاعد من طليعة القوّة مزيدٌ من الصياح والصُّراخ الخشن.

تحرّك ليتو مع أوّل أزيز لبنادق اللّيزر. انحرف بعربته الملكية إلى يمين الطّريق، مُحوّلًا نظام الحركة من العجلات إلى مُضادات الجاذبيّة، ثم انطلق بالعربة ككبش حربي نحو تكتُّل من راقصي الوجوه حاول التسلُّل إلى المعمعة من جانبه، ودار في قوس ضيق، فصدم مزيدًا منهم على الجهة الأخرى، وشعر بتمزُّق اللّحم وتناثر الدّماء على پولاذ عربته. ثم نزل مُبتعدًا عن الطريق صوب إحدى الشّعاب المتآكلة. مرّت سنون جانبي الشُّعبة البُنّيّة بسرعة من جواره،

قبل أن يندفع إلى أعلى، عابرًا أخدود النهر، ويهبط على مُطَلٍّ مُرتفعٍ مخاطٍ بالصُخور على جانب الطّريق الملكيّة. هناك، توقّف واستدار بعربته، بعد أن صار في مأمنٍ بعيدًا عن مدى بنادق اللّيزر التي تحملها الأيدي.

*يا لها من مفاجأة!*

هزّ الضحك جسده الضخم بتشنجات مرتعشة وأصوات شخيرٍ مكتومة. ثم ببطءٍ، أخذ المرح يتلاشى.

من موقعه المرتفع، راقب ليتو الجِسر وساحة المعركة. كانت الجثث متناثرة في فوضى عارمة على أرض الطّريق، وفي الشّعاب الجانبية. ميّز ملابس أفراد حاشية البلاط الزّاهية، وأزياء مُحاورات الأسماك الموحّدة، والسّواد المُلطّخ بالدّماء في أزياء راقصي الوجوه التنكُّريّة. تجمّع النّاجون من الحاشية في الخلفية، فيما راحت مُحاورات الأسماك تتنقّل بسُرعة بين الجثث، تتأكّد من موت المهاجمين عبر طعناتٍ سريعة في كل جسم.

مسح ليتو المشهد ببصره بحثًا عن الزيّ الأسود الذي يرتديه غُوله دانكن، لكنه لم ير أحدًا في مثل هذا الزّيّ. كاد الإحباط يسيطر على ليتو، ثم رأى بين أفراد الحاشية مجموعةً من مُحاورات الأسماك... وشخصًا عاريًا.

عاريًا!

كان هذا دانكن! *عاريًا! بالتّأكيد!* فدانكن آيداهو الحقيقي، إذا جُرِّد من ملابسه، فلن يكون راقصَ وجهٍ.

مرّةً أخرى، اهتزّ جسده بالضّحك. المفاجآت على كلا الجانبين. يا لها من صدمةٍ للمعتدين! من الواضح أنهم لم يُعدّوا أنفسهم لمثل هذا الرّدّ.

قاد ليتو عربته برفق عائدًا إلى الطّريق، ثم أنزل العجلات إلى موضعها، وتحرّك نحو الجِسر. عَبَر الجِسر شاعرًا بأنه مرّ بهذا الموقف من قبل، مُدركًا الجسور التي لا تُحصى في ذاكرته، مُستحضرًا آلاف لحظات العبور لتفقُّد أعقاب المعارك. وبينما كان يعبر الجِسر، انفصل آيداهو عن زمرة الحارسات وركض نحوه قفزًا مُتخطّيًا الجثث. أوقف ليتو عربته ونظر إلى الرّاكض العاري. بدا دانكن كأنه مُحاربٌ إغريقيٌ رسولٌ، يندفع نحو قائده ليخبره بنتيجة المعركة. أصاب التّاريخ المُكثّف ذاكرة ليتو بالذُّهول.

انزلق آيداهو ليقف إلى جوار العربة، ففتح ليتو الغِطاء الفُقّاعي.

قال آيداهو لاهثًا: «أجهزنا على كل لعينٍ من راقصي الوجوه!».

سأله ليتو دون أن يحاول إخفاء استمتاعه: «من كان صاحب فكرة تجريدك من ملابسك؟».

- «كانت فكرتي! لكنهن لم يدعنَني أُقاتل!».

جاء مُونِيو يركض برفقة مجموعة من الحارسات. ألقت إحدى مُحاورات الأسماك عباءة حرس زرقاء إلى آيداهو، وصاحت قائلة: «نحاول انتشال زيٍّ كاملٍ لك من بين الجثث».

قال آيداهو مُفسّرًا: «لقد مزّقت زيّي».

سأله مُونِيو: «هل استطاع أيٌّ من راقصي الوجوه الهرب؟».

قال آيداهو: «ولا واحد. أعترِفُ بأن نساءك مقاتلات بارعات، لكن لماذا لم يدعنني أشـ...».

قال ليتو: «لأنهن تلقين تعليمات بحمايتك. هن دومًا يحمين أثمن ما...».

قال آيداهو: «أربع منهن لقين حتفهن لانتشالي من وسط المعمعة!».

قال مُونِيو: «فقدنا أكثر من ثلاثين شخصًا إجمالًا يا مولاي. ما زلنا نحصي القتلى».

سأل ليتو: «وكم راقصَ وجهٍ؟».

- «يبدو أن عددهم كان خمسين بالتّمام»، قالها مُونِيو بهدوء وعلى وجهه نظرة مكروبة.

بدأ ليتو يقهقه.

قال آيداهو: «لماذا تضحك؟ أكثر من ثلاثين منا...».

قال ليتو: «لأن التِليلاكسو الحمقى كانوا غير أكفاء. هل تدرك أنه قبل نحو خمسمئة عام فقط، كانوا أكفأ كثيرًا، وأخطر كثيرًا؟ تخيّلهم معي وهم يجازفون بهذا التّنكُّر السّخيف، دون أن يتوقّعوا ردّك العبقريّ!».

قال آيداهو: «كان معهم بنادق ليزر».

لوى ليتو فمَه الأمامي الضّخم وأشار إلى ثُقبٍ مُحترِق في غِطاء العربة بالقرب من مركزها. كانت حافات الثُّقب منصهرة ومندمجة

في هيئة نجميّة.

قال ليتو: «لقد أصابوا مواضع أخرى عديدة أسفل العربة. لحسن الحظ، لم يتسبّبوا بأضرارٍ في أيٍّ من مضادّات الجاذبيّة ولا في العجلات».

حدّق آيداهو في ثُقب غِطاء العربة، ولاحظ أنه بمُحاذاة جسد ليتو.

سأله: «هل أصابتك رشقة اللّيزر؟».

قال ليتو: «بكل تأكيد».

- «هل أنت مجروح؟».

قال ليتو كاذبًا: «أنا منيع ضد بنادق اللّيزر. حين يُتاح لنا الوقت، سأبيّن لك».

قال آيداهو: «حسنًا، أمّا أنا فلست منيعًا، ولا حارساتك كذلك. كل واحد منا يجب أن يحصل على حزام درع».

قال ليتو: «الدُّروع محظورة في أنحاء الإمبراطوريّة شتّى. حيازة الدُّروع تُعدُّ جريمةً كُبرى».

قال مُونِيو بحذر: «السُّؤال عن الدُّروع».

ظن آيداهو أن مُونِيو يسأل عن تفسير لكيفيّة عمل الدُّروع، فقال: «تُولِّد الأحزمةُ مجالَ طاقة يَصُدُّ ضربات أيّ سلاحٍ سريعٍ يحاول اختراق الدِّرع. لكن، للدروع عيبٌ رئيسٌ واحد؛ إذا اصطدم شعاع ليزر بحقل الطّاقة، فإن الانفجار النّاتج يُعادل انفجار قنبلة نوويّة ضخمة جدًّا؛ ما يقضي على المُهاجم وهدفه معًا».

حدّق مُونِيو إلى آيداهو فحسب، الذي أومأ مؤكّدًا.

قال آيداهو: «أفهم سبب حظرها. أفترض كذلك أن المعاهدة الكُبرى ضد الأسلحة الذَّرِّيّة لا تزال سارية وبقوّة؟».

قال ليتو: «سارية بقوّة أكبر منذ أن خرجنا في حملات تفتيش عن كل الأسلحة الذَّرِّيّة في ترسانات العائلات النّبيلة ونقلناها إلى مكانٍ آمن. لكننا لا نملك الوقت لمناقشة مثل هذه الأمور هنا».

قال آيداهو: «بإمكاننا مناقشةُ نقطةٍ واحدةٍ أخيرة. السّير في هذا العراء خطر جدًّا. علينا أن...».

قال ليتو: «هذا تقليدٌ مُتّبع، ولسوف نستمرُّ فيه».

مال مُونِيو على أُذن آيداهو وقال: «أنت تزعج الإله ليتو».

- «لكن...».

سأله مُونِيو: «ألم تُفكّر في مدى سهولة التّحكُّم في شعبٍ يُثقلُه السّعي؟».

التفت آيداهو ونظر إلى عينَي مُونِيو وقد هبط عليه فهمٌ مُفاجئ.

استغلّ ليتو الفرصة وبدأ يُصدِر أوامرَ جديدة: «مُونِيو، تأكّد من عدم وجود أيّ أثرٍ لحدوث هجوم هنا. لا أريد بقعة دماء واحدة، ولا قطعة قماش ممزّقة من رداء. لا أريد أدنى أثر».

- «أمرك يا مولاي».

التفت آيداهو عند سماعه أصوات النّاس يقتربون منهم، ورأى أن جميع النّاجين، حتّى الجرحى الذين يضعون ضمّادات، قد تجمهروا

للاستماع.

قال ليتو مُخاطبًا الحشد المُلتف حول العربة: «الكلام إلى كل واحدٍ فيكم. لا تتفوّهوا بكلمة عمّا حدث. دعوا التِليلاكسو في قلقهم يلبثون»

ثم نظر إلى آيداهو، وقال: «دانكن، كيف بلغ راقصو الوجوه منطقةً لا ينبغي لغير رعيّتي من الفرمِن الأثريّين التّجوُّل فيها بِحُرّيّة؟».

ألقى آيداهو نظرة لا إراديّة على مُونِيو.

قال مُونِيو: «مولاي، هذا خطئي. أنا من رتّبت لقدوم الفرمِن إلى هنا لعرض مطالبهم. حتّى إنني طمأنت آيداهو بشأنهم».

قال ليتو: «أتذكّر أنك ذكرت أمر المطالب».

- «ظننت أن في الأمر تسليةً لك يا مولاي».

- «المطالب لا تروق لي، بل إنها تزعجني. بالأخص المطالب الآتية من أشخاص لا غرض لهم ضمن مُخطّطاتي إلّا الحفاظ على العادات القديمة».

- «مولاي، لم أفعل هذا إلّا لأنك تحدّثت مرّات عديدة عن الملل الذي يصيبك من هذه الرّحلات إلى...».

- «لكنني لست هنا لصرف ملل الآخرين!».

- «مولاي؟».

- «الفرمِن الأثريّون لا يفهمون شيئًا عن الأعرافِ القديمة. هم فقط يجيدون أداءَ الحركات بلا معنى، وهذا يُشعرهم بالملل بالطّبع، لذا

يطالبون دائمًا بإحداث تغييرات في طرائق سير الأمور، وهذا ما يزعجني، إذ لن أسمح بأيّ تغييرات. الآن قل لي، مِمَّن عرفت أمر تلك المطالب المزعومة؟».

قال مُونِيو: «من الفرمِن أنفسهم. وفدٌ...»، ثم بتر عبارته عابسًا.

- «هل كان أعضاء الوفد معروفين لك؟».

- «بالتأكيد يا مولاي، وإلّا كنت...».

قال آيداهو: «لقد ماتوا».

نظر مُونِيو إليه في غير فهم.

قال آيداهو: «الأشخاص الذين تعرفهم قُتلوا واستبدلهم راقصو الوجوه، آخذين هيئاتهم».

قال ليتو: «هذا تقصيرٌ مني. كان ينبغي لي تعليمكم جميعًا كيفيّة اكتشاف راقصي الوجوه. لكنني سأصحّح ذلك بعد أن بلغت جرأتهم هذا الحدّ الأحمق».

- «لماذا صاروا بهذه الجرأة؟».

قال مُونِيو: «رُبّما لصرف انتباهِنا عن شيءٍ آخر».

ابتسم ليتو لمُونِيو، إذ تحت ضغط التّهديد الشّخصيّ، كان عقل القهرمان ينشط. لقد أخفق في خِدمة مولاه حين ظنّ أن راقصي الوجوه هم الفرمِن الذين يعرفهم. والآن، شعر مُونِيو أن استمراره في الخدمة قد يعتمد على تلك القدرات التي وقع اختيار الإمبراطور الإله عليه بسببها في البداية.

قال ليتو: «والآن لدينا الوقت لنُعدّ أنفسنا».

سأل آيداهو: «صرف انتباهنا عن ماذا؟».

قال ليتو: «عن مؤامرة أخرى يشاركون فيها. يظنّون أنني سأُشدّد العقاب عليهم بسبب هذه الفعلة، لكن في الوقت نفسه سيظلُّ بقيّتهم في مأمنٍ بسببك يا دانكن».

قال آيداهو: «لم تكن نيّتهم أن يفشلوا هنا».

قال مُونِيو: «لكنهم كانوا مستعدّين لذلك».

- «يظنّون أنني لن أستأصل شأفتهم لأنهم يحتفظون بخلايا رجُلي دانكن آيداهو الأصليّة. هل تفهم يا دانكن؟».

سأله دانكن: «وهل هم مُحقّون في ذلك؟».

قال ليتو: «على خطأ منهاجهم»، ثم حوّل انتباهه إلى مُونِيو، وأردف: «لا ينبغي أن يلاحقنا أثرٌ لما حدث هنا إلى أونْ. أُريد أزياءً جديدةً، وحراسةً جديدةً لتحلّ محلّ القتلى والجرحى... كل شيء يجب أن يعود كما كان».

قال مُونِيو: «لقد لقي بعض من رجال حاشيتك حتفَهم يا مولاي».

- «استبدلهم».

انحنى مُونِيو قائلًا: «أمرك يا مولاي».

- «وأرسِل في طلب غِطاءٍ جديدٍ لعربتي».

- «أمر مولاي».

تراجع ليتو بعربته بضع خطواتٍ إلى الخلف، ثم استدار واتّجه نحو الجِسر، مناديًا آيداهو: «دانكن، سترافقني».

ببطءٍ في البداية، وبتردُّدٍ شديد في كل حركة، ترك آيداهو موقعه بين مُونِيو والآخرين، وزاد سرعته حتّى بلغ جانب فُقّاعة العربة المفتوحة، وأخذ يهرول قِدمًا وليتو يُحدّق إليه.

سأله ليتو: «ما الذي يزعجك يا دانكن؟».

- «هل تراني حقًّا *رجُلك* دانكن؟».

- «قطعًا، تمامًا كما تراني أنت مولاك ليتو».

- «لماذا لم تعلم بقدوم هذا الهجوم؟».

- «تقصد عن طريق بصيرتي الشّهيرة؟».

- «أجل!»

قال ليتو: «لم يجذب راقصو الوجوه انتباهي منذ زمنٍ طويل».

- «أخال أن هذا تغيّر الآن؟».

- «ليس إلى درجةٍ كبيرة».

- «لِمَ لا؟».

- «لأن مُونِيو كان مُحقًّا. لن أسمح لانتباهي بالتشتُّت».

- «أكان من الممكن أن يقتلوك حقًّا؟».

- «احتمال قائم. أتعلم يا دانكن، قليلون من يدركون أيّ كارثة ستكونها نهايتي».

- «ما الذي يخطّط له التِليلاكسو؟».

- «فخٌ، على ما أظن. فخٌ بارع. بفعلتهم هذه يا دانكن، قد أعطوني إشارةً».

- «أيْ إشارةٍ؟».

- «أن تصعيدًا جديدًا قد طرأ على الدّوافع اليائسة التي تُحرّك بعض رعاياي».

ترك الاثنان الجِسر خلفهما وبدآ الصُعود إلى نُقطة مراقبة ليتو. مشى آيداهو في صمتٍ، يختمر التّوتُّر فيه.

عند القِمّة، مدّ ليتو بصره متجاوزًا المنحدرات البعيدة، ناظرًا إلى قِفَار السّرير.

ما فتئ نواح من فقدوا أحِبّاءهم يتردّد من موقع الهجوم خلفه وراء الجِسر. بسمعِه الحاد، ميّز ليتو صوت مُونِيو وهو يُحذِّرهم من أن الضّرورة تقضي بأن يكون وقت الحداد قصيرًا. إن لديهم أحِبّاء آخرين في القلعة، وهم يعلمون جيّدًا عاقبة غضب الإمبراطور الإله.

فكّر ليتو: *ستجفُّ دموعهم وترتسم الابتسامات على وجوههم مع وصولنا إلى أوتْ. يظنّون أنني أزدريهم! وليكن؟ هذا ليس إلّا ضيقًا عابرًا في نفوس ذوي الأعمار القصيرة والأفكار الضّحلة.*

هدّأه منظر الصّحراء. لم يعد بإمكانه رؤية النّهر الجاري في واديه من هذه البقعة دون أن يستدير بالكامل وينظر صوب مدينة المهرجان. لحسن الحظّ، ظلّ دانكن على صمته إلى جوار العربة.

حرّك ليتو نظره إلى اليسار قليلًا ما مكّنه من رؤية حدود الغابة المحرمة. ذكّرته تلك اللّمحة الخضراء السّريعة فجأةً بحقيقة صحراء السّرير: مُجرّد صورة هزيلة باهتة من الصّحراء الهائلة التي كانت تغطّي كامل الكوكب في يومٍ من الأيّام، بعَظَمَةٍ قاهِرةٍ تَبِثُّ خشيتها في قلوب الرّجال، بما فيها قلوب الفرمِن الأشاوس الذين جابوها.

فكّر ليتو: *إنه النّهر. إذا التفتُّ فسأرى ما اقترفته يداي.*

لم يكن الأُخدودُ الصّناعيُّ الذي تتدفّق عبره مياه نهر آيداهو إلّا امتدادًا للثّغرة التي فجّرها پول المؤدّب في الجدار الحامي الشّاهق، كي تعبرَ جحافلُه على ظهور الدّيدان. حيث يتدفّق الماء الآن، قاد المؤدّب أنصاره الفرمِن من قلب عاصفةٍ صحراويّةٍ هائلةٍ إلى صفحات التّاريخ... *وإلى هذا المآل.*

سمع ليتو وقع أقدام مُونِيو المألوف، مصحوبةً بأصواتِ القهرمانِ وهو يكافح ليصعد إلى نقطة المراقبة. وصل مُونِيو إلى القِمّة ووقف إلى جوار آيداهو، وانتظر هُنيهةً ليلتقط أنفاسه.

سأله آيداهو: «متى سنستأنف المسير؟».

أشار مُونِيو بيده إليه كي يصمت، وتحدّث إلى ليتو: «مولاي، تلقّينا رسالة من أونْ. البِني چيسيرِت أرسلن يقُلن أن التِليلاكسو سيهاجمون قبل أن تبلغ الجِسر».

شخر آيداهو هازئًا: «أولم يتأخّرن قليلًا؟».

قال مُونِيو: «الخطأ ليس خطأهن، فقائدة مُحاورات الأسماك لم تُصدّقهن بسهولة».

بدأ أعضاء آخرون من حاشية ليتو يتوافدون صعودًا، الواحد تلو الآخر، إلى نقطة المراقبة. بدا بعضهم كأنهم تحت تأثير مُخدِّر، لم يتجاوزوا الصَدمة بعد، لكن مُحاورات الأسماك تحرّكن بنشاطٍ بين الصُفوف، مظهرات هِمّةً وروحًا معنويّةً مرتفعةً.

قال ليتو: «ارفعوا الحراسة عن سفارة البِني چيسيرِت، وأرسلوا إليهن رسالة أخبروهن فيها بأن مقابلتهن ستظلُّ الأخيرة، لكن لا داعي لأن يَهِبن ذلك. أخبروهن أن الأخيرة هي الأولى، وهن سيفهمن».

سأل آيداهو: «ماذا عن التِليلاكسو؟».

واصل ليتو كلامه إلى مُونِيو: «أجل، التِليلاكسو. سنُريهم علامةً على ما فعلوه».

- «أيُّ علامةٍ يا مولاي؟».

- «حين آمُر، وليس قبل ذلك، سيُجلَد سفير التِليلاكسو علنًا، ثم سيُطرد».

- «مولاي!».

- «أتعترض؟».

- «إن كنا نريد إبقاء أمر الهجوم سِرًّا»، قالها مُونِيو وتلفّت حوله: «فبِمَ سنُفسّر أمر الجَلْد؟».

- «لن نفسّر شيئًا».

- «ألن نعطي أيّ سببٍ للجَلْد؟».

- «لا أسباب».

- «لكن يا مولاي، الإشاعات والحكايات سوف...».

- «أنا أردُّ الضَّربة يا مُونِيو! دعهم يشعروا بالجانب الخفي مني الذي يتصرَّف دون علمي، لأنه يفتقر إلى وسائل الإدراك».

- «سيُسبِّب ذلك خوفًا عظيمًا يا مولاي».

انفجر آيداهو ضاحكًا بخشونة، ثم تقدَّم ليقف بين مُونِيو والعربة، وقال: «إنه يفعل معروفًا لهذا السفيرا من الحُكَّام من كان سيطهو الأحمق على نارٍ هادئة».

حاول مُونِيو التَّحدُّث إلى ليتو من خلف كتف آيداهو: «لكن يا مولاي، هذا التَّصرُّف سيؤكِّد للتِليلاكسو أنك هوجمت».

قال ليتو: «إنهم يعرفون ذلك بالفعل. لكنهم لن يتفوَّهوا بكلمة عن الأمر».

قال آيداهو: «ومع عدم عودة أيٍّ من المهاجمين...».

سأل ليتو: «ألا تفهم يا مُونِيو؟ حين ندخل أونُ دون أن يمسَّنا أذى، سيعرف التِليلاكسو أنهم فشلوا فشلًا ذريعًا».

نظر مُونِيو حوله إلى مُحاورات الأسماك وأفراد الحاشية الذين وقفوا مذهولين يستمعون إلى هذه المحادثة، إذ نادرًا ما سمع أيٌّ منهم مثل هذا الحوار الكاشِف بين الإمبراطور الإله ومُساعديه المقرَّبين.

سأل مُونِيو: «متى سيعطي مولاي الإشارة بمعاقبة السَّفير؟».

- «في أثناء المقابلة».

سمع ليتو أصوات ثوپترات تقترب، ورأى التماع أشعة الشّمس على أجنحتها ودوّاراتها، وحين ركّز بصره، استطاع تمييز غِطاء عربته الجديد مُعلّقًا أسفل إحداها.

قال ليتو دون أن يحيد بصره عن الثوپترات المقتربة: «أعِد الغِطاء الثّالف إلى القلعة ومزهنْ بإصلاحه. وإذا طُرِحت أيُّ أسئلة، أخبر الحرفيّين بأن يقولوا إن هذا مُجرّد إجراء روتيني، وإن الغِطاء الآخر خدشته هبّة رمال».

تنهّد مُونِيو وقال: «حسنًا يا مولاي. سيتم الأمر كما تقول».

قال ليتو: «تعال يا مُونِيو. ابتهج قليلًا. امش إلى جواري ونحن نستأنف المسير»، ثم استدار إلى آيداهو وقال: «خذ مجموعة من الحرس واستكشف الطّريق أمامنا».

سأل آيداهو: «أتظن أن هجومًا آخر محتمل؟».

- «لا، لكن هذا سيعطي الحرس شيئًا يشغلهن. واحصل على زيٍّ جديد، فلا أريدك أن ترتدي شيئًا لوّثته دماء التِليلاكسو القذرة».

أطاع آيداهو الأمر وتحرّك مبتعدًا.

أشار ليتو إلى مُونِيو بالاقتراب أكثر، ثم أكثر، وحين انحنى مُونِيو وأدخل رأسه إلى العربة، وصار وجهه يبعد أقل من مترٍ عن وجه ليتو، خفض ليتو صوته وقال: «ما حدث فيه درسٌ خاصٌ لك يا مُونِيو».

- «مولاي، أعرف أنه كان لا بُدّ لي من توقُّع راقصي...».

- «لا أقصد راقصي الوجوه! إنه درسٌ لابنتك».

- «سيونا؟ ما علاقة سـ...».

- «أخبرها بأنها تشبه تلك القوّة التي تعمل في داخلي دون وعيٍ مني، لكن على نحوٍ أرهف، وأنني بفضلها أتذكّر شعوري بآدميّتي... وبأنني ما زلت قادرًا على الحُبّ».

حدّق مُونِيو إلى ليتو في عدم فهم.

قال ليتو: «مرّر إليها رسالتي فحسب. لا حاجة إليك بأن تفهمها. أخبرها بكلماتي لا أكثر».

أخرج مُونِيو رأسه قائلًا: «كما يأمر مولاي».

أغلق ليتو الغِطاء الفُقّاعيّ؛ ما جعل الغِطاء بكامله وحدة واحدة يسهل على طاقم الثويترات المقتربة استبداله.

استدار مُونِيو وألقى نظرة على الجمع الواقف فوق أرض نُقطة المراقبة المنبسطة. ثم لاحظ شيئًا لم يلاحظه من قبل، شيئًا كشفته حالة الارتباك التي لم ينجح بعضٌ منهم في تجاوزها بعد. لقد زوّد بعض أعضاء الحاشية أنفسهم بأجهزةٍ دقيقة لتساعدهم على السّمع. كانوا يتجسّسون. مثل هذه الأجهزة لا مصدر لها سوى إيكس.

فكّر مُونِيو: يجب *أن أحذّر دانكن والحارسات.*

بطريقةٍ أو بأخرى، رأى مُونِيو في هذا الاكتشاف علامةً على الفساد. كيف يمكنهم حظر مثل هذه الأجهزة، في حين أن مُعظم

الحاشية ومُحاورات الأسماك إمّا يعرفون، وإمّا يشتبهون، في أن الإمبراطور الإله يتاجر مع إيكس مقابل تزويده بآلاتٍ مُحرَّمة؟

بدأتُ أكره الماء. جلدُ يرقاتِ الرّمالِ الذي يُسيِّر عمليّة تحوُّلي بدأت تعتريه حساسيّة الدُّودة البالغة. يعرف مُونِيو وكثيرٌ من حارساتي نفوري من الماء، لكن مُونِيو وحده هو من يشكُّ في حقيقة الأمر، وهي أنه يُمثِّل نقطة تحوُّل مهمّة. أشعر باقتراب نهايتي، لا بناءً على حساب مُونِيو للزمن، لكن بما يكفي لإدراكها. كانت يرقات الرّمال تندفع مُحتَشِدةً حول المياه في أيّام كثيب، وهذا خلق مُشكلة في المراحل المبكّرة من اقترانا التّكافلي. وكان فرض إرادتي هو ما سيطر على تلك الرّغبة آنذاك، حتّى وصلنا إلى مرحلة التّوازن. الآن، عليّ أن أتجنّب الماء لأنه لا تُوجد يرقاتُ رمالٍ أُخرى بخلاف تلك المتعضّيات نصف الخاملة التي تكوّن جلدي. فمن دون يرقات الرّمال لاستعادة الصّحراء على هذا الكوكب، لن تظهر شَي هولود. لن تستطيع ديدان الرّمال أن تتطور حتّى تجفّ الأرض. أنا أملها الوحيد في البقاء.

- المذكّرات المسروقة

كان العصر قد انتصف حين نزل الموكبُ الملكيُّ من المنحدر الأخير وبلغ مشارف مدينة المهرجان. اصطفّت الحشود على جانبَي الشّوارع لاستقبالهم، تحتجزُهم صفوفٌ متينةٌ من مُحاورات الأسماكِ الجسيمات في الزّيّ الآتريديزي الأخضر، حاملات هِرّاواتهن الصّاعقة في تقاطعاتٍ صارمة.

مع اقتراب الموكبِ الملكيّ، ارتفع الصّياحُ من بين الحشودِ. ثم بدأت مُحاورات الأسماكِ بترديد هتافٍ مُوحّد:

- «سِيانوق! سِيانوق! سِيانوق».

ومع تردُّد صدى هذه الكلمات بين المباني العالية، صار لها تأثيرٌ غريبٌ في الحشد الذي لم يستوعب معناها. اجتاحت موجةٌ من الصّمتِ الشّوارعَ المزدحمة، فيما استمرّت الحارسات في الهتاف. نظر النّاس بدهشة إلى النّساء المسلّحات بالهرّاوات الضّاعقة اللاتي يحرسن الممرّ الملكيّ، النّساء اللاتي يهتفن بأعينٍ شاخصةٍ إلى وجه مولاهِن المار.

سمع آيداهو -الذي كان يسير مع حراسة مُحاورات الأسماك خلف العربة الملكية- الهتافَ لأوّل مرّة، وشعر بالشُّعيرات تنتصب على مؤخّرة عُنُقِه.

كان مُونِيو الذي يسير إلى جوار العربة، لا ينظر يمينًا أو يسارًا، قد سأل ليتو ذات مرّة عن معنى الكلمة.

وقتها قال ليتو: «لقد منحت مُحاورات الأسماك طقسًا واحدًا فحسب». كانا آنذاك في قاعة استقبال الإمبراطور الإله أسفل مركز مدينة أونْ، وكان مُونِيو مُرهقًا بعد يومٍ طويل من استقبال وتوجيه وفود كبار الشّخصيات الذين ازدحموا في المدينة لحضور المهرجان الذي يُقام كل عشر سنوات.

- «وما علاقة الطّقس بترديد تلك الكلمة يا مولاي؟».

- «الطّقس اسمه سِيانوق، أي ‹عيد ليتو›. إنه يومٌ مُكرّس لعِبادتي، في حضوري».

- «أهو طقس قديم يا مولاي؟».

- «كان الفرمِن يعرفونه قبل أن يصيروا فرمِنًا. لكن أسرار الطّقس

ماتت مع الفرمِن الأوائل، وأنا وحدي أتذكّرها الآن، وقد أعدتُ إحياء المهرجان باسمي وعلى صورتي، ولخدمة أغراضي الخاصّة».

- «إذًا الفرمِن الأثريّون لا يقيمون هذا الطّقس يا مولاي؟».

- «على الإطلاق. إنه لي وحدي، وسيظلُّ باسمي إلى الأبد، إذ إنني الطّقس ذاته».

- «إنها كلمة غريبة يا مولاي، لم أسمع مثلها من قبل».

- «إن لها معاني عديدة يا مُونِيو. إذا أخبرتك بها، هل ستبقيها سِرًّا؟».

- «كلام مولاي أوامر!».

- «لا تشارك بها أيّ شخصٍ، ولا تفصح لمُحاورات الأسماك عمّا سأقول لك الآن».

- «أقسم على ذلك يا مولاي».

- «حسنًا جدًّا. سِيانوق تعني تعظيم الصّادق في كلامه. إنها تؤكّد أهمّيّة تذكُّر كل منطوقٍ صادق».

- «لكن يا مولاي، ألا يعني الصّدقُ في جوهرِه أن المتكلّم على يقينٍ راسخ... أعني، أنه يحمل إيمانًا بما يقول؟».

- «أجل، لكن كلمة سِيانوق تحمل كذلك دلالة أخرى، وهي أن الثّورَ وسيلتنا لكشف الواقع. إنها مطالبة بأن يستمرّ المرء في تسليط الضّوء على ما يراه».

- «الواقع... كلمة غامضة جدًّا يا مولاي».

- «بالفعل! لكن سِيانوق ترمز أيضًا إلى الاهتياج، لأن الواقع -أو اعتقاد المرء بأنه يدرك الحقيقة، وهو الأمر ذاته- دائمًا ما يُثير حالة من الاضطراب في الكون».

- «كل ذلك في كلمة واحدة يا مولاي».

- «وأكثر من ذلك! كلمة سِيانوق تحمل معنى رفع النّداء للصّلاة، واسم الملاك المُوكّل بكتابة الأعمال، سيهايا، الذي يستجوب الموتى بعد الموت مُباشرةً».

- «يا له من عِبءٍ تحمله كلمة واحدة يا مولاي!».

- «يمكن للكلمات حمل أيّ عبءٍ نُريد. كل المطلوب هو الاتّفاق على المعاني، والتقاليد التي نبني عليها».

- «لماذا لا يجب عليّ التّحدّث بهذا إلى مُحاورات الأسماك يا مولاي؟».

- «لأن الكلمةَ مخصّصةٌ لهن، وهن يستأن من مشاركتي إيّاه مع أيّ رجُل».

زمّ مُونِيو شفتيه حين تذكّر هذا الحوار وهو يسير إلى جوار العربة الملكيّة نحو مدينة المهرجان. لقد سَمِعَ مُحاورات الأسماك يستدعين الإمبراطور الإله إلى حضرتهن بترديدِ الكلمةِ مرّاتٍ عديدةٍ منذ ذلك التّفسير الأوّل لها، بل أضاف معانيه الخاصّة إلى تلك الكلمة الغريبة.

*إنها تعني الغموض، والعِزّة. تعني السُلطة. وتعطي لمُردّدها رُخصةً للتصرُّف باسم الإله.*

- «سِيانوق! سِيانوق! سِيانوق!».

كان للكلمة وقعٌ لاذع في أُذني مُونِيو.

كانوا قد توغّلوا في قلب المدينة، وصاروا على مقربة من السّاحة المركزيّة. سقطت أشعة شمس العصاري على الطّريق الملكيّة من وراء الموكب لتضيء المسار أمامهم. أضفت الأشعة بريقًا على أزياء المواطنين الزّاهية، وسطعت على وجوه مُحاورات الأسماك المرفوعة المُصطفّات على جانبي الطريق.

بدأ آيداهو يشعر ببوادر قلق وهو يسمع الهتاف وهو يسير إلى جواره العربة مع الحارسات، فسأل إحدى مُحاورات الأسماك السّائرات إلى جواره عنها.

قالت: «إنها ليست كلمة للرجال، لكن أحيانًا ما يُشارك الرّبُّ السِيانوق مع أحد الدّناكنة».

أحد الدّناكنة! لقد سأل ليتو عنها سابقًا ولم يعجبه كل هذا التّملّص الغامض من الإجابة.

- «ستعي معانيها قريبًا جدًّا».

تجاهل آيداهو الهتاف وراح يتلفّت حوله بفضول السّائحين. استعدادًا لمهام قائد الحرس، سأل آيداهو عن تاريخ مدينة أونْ، فاكتشف أنه يشترك مع ليتو في تلك السُخرية المُبطّنة من حقيقة أن النّهر الجاري قربها اسمه نهر آيداهو.

كانا حينها في إحدى غرف القلعة الواسعة المفتوحة، وهي قاعة فسيحة يغمرها ضوءُ الصّباح السّاطع، وتتناثر فيها طاولات عريضة

نشرت عليها أمينات أرشيف مُحاورات الأسماك خرائط صحراء السّرير ومدينة أونْ. كان ليتو قد صعد بعربته إلى أعلى مُنزلَق يتيح له الإشراف على الخرائط من علٍ، فيما وقف آيداهو في الجهة المقابلة أمام طاولة مغطاة بالخرائط، يتفحّص خريطة مدينة المهرجان.

قال آيداهو متأمّلًا: «يا له من تصميمٍ غريب لمدينة!».

- «أُقيمت المدينة لغرضٍ واحد. رؤية الإمبراطور الإله جهرًا».

رفع آيداهو بصره إلى الجسد ذي الفصوص الجاثم على العربة، ومنه إلى الوجه المُقلنس، وتساءل ما إن كان سيعتاد يومًا النّظر إلى هذه الجِبلّة الغريبة.

قال آيداهو: «لكن هذا يحدث مرّة واحدة كل عشر سنوات».

- «أجل، في عيد ‹المشاركة الكُبرى›».

- «وهل تُغلق المدينة بين العيد والعيد؟».

- «تظلُّ السّفارات قائمةً بأعمالها، وكذلك مكاتب المعاملات التّجاريّة، ومدارس تعليم مُحاورات الأسماك، وكوادر الخِدمة والصيانة، والمتاحف والمكتبات».

طرق آيداهو على الخريطة ببراجمه: «وما المساحة التي يشغلها كل ذلك؟ عُشر المدينة بحدٍّ أقصى».

- «بل أقل من ذلك».

ترك آيداهو نظره يمسح الخريطة مُفكّرًا.

- «ألهذا التّصميم أغراضٌ أخرى يا مولاي؟».

- «لقد وُضِع بغرض التّركيز على رؤية شخصي جهرًا».

- «لا بُدّ من وجود كَتَبَةٍ وموظّفين حكوميّين، بل وعمالة عادية. أين يعيش هؤلاء؟».

- «معظمهم في الضّواحي».

أشار آيداهو إلى الرّسم البياني: «في هذه الطوابق السّكنيّة؟».

- «لاحظ الشرفات يا دانكن».

- «جميعها يطلّ على السّاحة المركزيّة»، ثم مال لينظر من كتب إلى الرّسوم البيانيّة: «تلك السّاحة عرضها كيلومتران!».

- «لاحظ كيف تتراجع الشرفات مع كل طابق حتّى تصل إلى حلقة الأبراج، التي يقيم فيها النّخبة».

- «والجميع يستطيع رؤيتك في منتصف السّاحة من عُلاهم؟».

- «ألا يعجبك ذلك؟».

- «بلى، فلا يوجد حتّى حاجز طاقة لحمايتك!».

- «أيّ هدَفٍ مُغرٍ أنا!».

- «لماذا تفعل ذلك؟».

- «ثمّة خرافة مُسلّيَة تتعلّق بتصميم مدينة أونْ، أرعاها وأروّج لها بنفسي. يُروى أن شعبًا قديمًا عاش هناك ذات يوم، وكان على حاكمهم أن يسير بينهم مرةً واحدةً كل عامٍ في ظلامٍ دامس، بلا

أسلحةٍ ولا دروع. كان ذلك الحاكم الأُسطوري يرتدي بذلةً مضيئةً وهو يشقُّ طريقه وسط زحام رعاياه المتجمهرين، فيما يرتدي الرّعايا السّواد خِصّيصًا لتلك المناسبة، ولا يخضعون لأيّ تفتيشٍ بحثًا عن الأسلحة».

- «ما علاقة هذا بأونْ... وبك؟».

- «حسنًا، كما هو واضح، إن نجا الحاكم في سيره، فهو حاكمٌ صالح».

- «ألا تُفتّش عن وجود أسلحة؟».

- «ليس علنًا».

- «وتظن أن الناس يرونك في هذه الأسطورة». لم يكن هذا سؤالًا.

- «كثيرٌ منهم يفعلون».

حدّق آيداهو إلى وجه ليتو الغائر في قلنسوته الرماديّة. بادلته العينان تامّتا الزُّرقة التحديق بنظرة خالية من أيّ تعبير.

فكّر آيداهو: *عينا المِزّاج*. لكن ليتو قال إنه لم يعد يتعاطى المِزّاج، إذ صار جسده يَمُدُّه بالاسپايس الذي يتطلّبه إدمانه.

قال ليتو: «أنت لا تحب ذاتي الفاحشة المقدّسة، وسلامي المفروض قسرًا».

- «لا أحب ممارستك دورَ الإله!».

- «لكن الإله باستطاعته إدارة الإمبراطورية كما يقود قائدُ الأوركسترا السّمفونيّةَ بحركاته. أدائي لا يُقيّده إلّا عجزي عن مغادرة

أزّاكس. يتحتّم عليّ قيادة السّمفونيّة من هنا».

هزّ آيداهو رأسه وعاد ينظر مجدّدًا إلى مخطّطات المدينة، ثم قال: «ما تلك الوحدات السّكنيّة خلف الأبراج؟».

- «أماكن إقامة لزوّارنا، لكن أقل شأنًا».

- «لكن ليس في استطاعة هؤلاء رؤية السّاحة».

- «بل يستطيعون. تنقل أجهزة عرض إيكسيّة الصُنع صورتي إلى تلك الغرف».

- «ماذا عن الحلقة الدّاخلية التي تنظر إليك مُباشرةً من عَلٍ. كيف تدخل الساحة؟».

- «ترتفع منصّة عرض من المركز بي لعرضي على رَعيّتي»

نظر آيداهو إلى عينَي ليتو مباشرة وقال: «هل يهتفون لك؟».

- «الهتاف مسموحٌ لهم».

- «لطالما عددتم أنفسكم يا معشر الآتريديزيّين جُزءًا من التّاريخ».

- «ما أذكاك أن تفهم معنى الهتاف».

أعاد آيداهو انتباهه إلى خريطة المدينة: «ومدارس مُحاورات الأسماك هنا كذلك؟».

- «أجل، أسفل يدك اليسرى. تلك هي الأكاديميّة التي أُرسِلت سيونا لتتلقّى تعليمها فيها. كانت في العاشرة من عمرها آنذاك».

قال آيداهو شاردًا: «سيونا... أريد أن أعرف مزيدًا عنها».

- «أؤكّد لك أن لا شيء سيقف في طريق رغبتك».

استيقظ آيداهو من تأمُّلاته وهو يسير ضمن الموكب الملكي حين أدرك أن هتاف مُحاورات الأسماك يخفت بالتدريج. أمامه، بدأت العربةُ الملكيّة نزولها إلى الحجرات أسفل السّاحة، متهاديةً فوق مَنزلٍ هابطٍ طويل. رفع آيداهو -الذي كان بعدُ في ضوء الشّمس- بصره إلى أعلى ونظر إلى الأبراج المستدقّة اللّامعة من حوله؛ إلى هذا الواقع الذي لم تؤهّله له الخرائط. احتشد النّاس في الشُرفات التي تؤلّف حلقة الطّوابق الهائلة المحيطة بالسّاحة، صامتين يحدّقون إلى الموكب المارّ أسفلهم.

فكّر آيداهو: *لا أحد ممّن تمتّعوا بامتياز الحضور يهتف*. ملأ صمت النّاس في الشُرفات صدر آيداهو بالتوجُّس.

دخل آيداهو بعدها إلى النّفق الهابط، فأخفت حافته السّاحة. تلاشى هتاف مُحاورات الأسماك من أُذنيه وهو يهبط إلى الأعماق، وتضخّم وقع الخطوات التي تطأ الأرض من حوله على نحوٍ غريب.

حلّ الفضول محلّ التوجُّس الثّقيل الوطء، فنظر آيداهو حوله. كان النّفق المستوي مُضاءً وشديد الاتّساع. خمّن آيداهو أن سبعين شخصًا يمكنهم السّير فيه جنبًا إلى جنب صعودًا إلى السّاحة. كان المكان خاليًا من الحشود المُرحّبة. لم تبقَ سوى تشريفة مُحاورات الأسماك، متباعدة الصفوف، لا يردّدن الهتاف، بل يكتفين بالتحديق إلى موكب إلههن المار.

تذكّر آيداهو الخرائط، ومنها استدعى إلى ذهنه تخطيط هذا المُجمّع الضخم الواقع تحت الساحة: تلك المدينة الخاصّة داخل

المدينة، حيث لا يُسمح بالحركة دون قيود إلا للإمبراطور وحاشيته وحارساته. لكن الخرائط لم تُطلعه على شيءٍ عن الأعمدة السّميكة، ولا عن الإحساس الخانق باتّساع المكان المحروس، ولا عن ذلك الصّمت الغريب الذي لا يقطعه سوى وقع الأقدام وصرير عجلات عربة ليتو.

نظر آيداهو فجأة إلى مُحاورات الأسماك المُصطفّة على جانبي الطّريق، فأدرك أن أفواههن تتحرّك بانسجام مُوحّد، وشفاههن تُردّد كلمةً واحدةً صامتة، وقد تمكّن آيداهو من تمييز تلك الكلمة:

«سِيانوق».

سأل ليتو الإله: «أحلّ مهرجانٌ آخر بهذه الشرعة؟».

فأجابه القهرمان: «لقد مرّت عشر سنوات».

أتظنّون أن هذا الحوار يعكس جهل الإله ليتو بمرور الزّمن؟

- المذكّرات المسروقة

خلال فترة اللّقاءات الخاصّة التي تسبق المهرجان الرّسمي، علّق كثيرون أن الإمبراطور الإله قد قضى وقتًا أطول من المُخصّص مع السّفيرة الإيكسيّة الجديدة، وهي امرأة شابة تُدعى هِوي نوري.

رافقت محاورتا أسماك كانتا لا تزالان ممتلئتين بحماس اليوم الأوّل السّفيرة هوِي إلى أسفل مع انتصاف الصّباح. كانت قاعة الاستقبال الواقعة أسفل السّاحة مُضاءةً بضوءٍ ساطع كشف عن فضاء فسيح بطول خمسين مترًا وعرض خمسة وثلاثين، يُزيّن جدرانها سجّادٌ فرمِنيٌ عتيق، زخارفه الزّاهية مُرصّعة بالجواهر والمعادن الثمينة، وكلُّه منسوج بألياف الاسپايس النّادرة التي لا تُقدّر بثمن، وتغلب عليه درجات الأحمر الباهتة التي كان الفرمِن القدامى مُغرَمين بها. أمّا الأرضيّة فكانت شفّافة في معظمها، وتُظهر أسماكًا غريبة مطمورةً في كريستال مُتلألئ. أسفل الأرضيّة يجري تيّارٌ من المياه الزّرقاء الصّافية، نداها معزولٌ بالكامل عن قاعة الاستقبال، لكنه قريب على نحوٍ مستفزٍّ من ليتو، الذي كان يتّكئ على مِنصّة مرتفعة مُبطّنة في نهاية القاعة، قُبالة الباب.

كان أوّلُ انطباعٍ له عن هِوي نوري هو أنها تُشبه عمّها مالكي كثيرًا، غير أنه رأى في هدوء خطواتها واتّزان حركتها تمايزًا واضحًا عنه

بالقدر نفسه. كانت لها ذات البَشرة السّمراء، والوجه البيضاويّ ذي المَلامح المنتظمة. بادلت عيناها البُنّيّتان الهادئتان التحديق إلى ليتو. وعلى عكس شعر مالكي الذي خالطه الشّيب، كان شعرها بُنّيًا لامعًا.

كانت هِوي نوري تشعُّ بسلامٍ داخلي شعر ليتو أنه ينتشر ليشمل ما حولها وهي تقترب. توقّفت على بُعد عشر خطوات منه، ووقفت أسفله. كانت تعطي انطباعًا باتّزانٍ نبيل، وهو أمر لم يبدُ وليد المُصادفة.

ازدادت إثارة ليتو إذ أدرك أن السّفيرة الجديدة تفضح مكايد الإيكسيّين. لقد تقدّموا كثيرًا في مُخطّطهِم الخاص لاستيلاد صفاتٍ مختارةٍ لأغراضٍ مُحدّدة. كان الغرض من هِوي نوري واضحًا إلى حدٍّ مزعج: غواية الإمبراطور الإله، والعثور على نقطة ضعفه.

ومع ذلك، مع مُضي الاجتماع، وجد ليتو نفسه مُستمتعًا تمامًا بصُحبتِها. وقفت هِوي نوري في رُقعةٍ من ضوء النّهار سقطت إلى الغُرفة عبر آليّة من المناشير الزُّجاجيّة الإيكسيّة. أضفى الضّياء على طرف القاعة بريقًا ذهبيًا تركّز على وجه السّفيرة وتلاشى خلف مِنصّة الإمبراطور الإله، حيث يقف صفٌّ قصير من مُحاورات الأسماك: اثنتا عشرة امرأة أُختِرن بعناية لعجزهن عن السّمع والنُّطق.

كانت هِوي نوري ترتدي ثوبًا بسيطًا من قُماشٍ أرجوانيّ فاخرٍ يُعرف بالأمبيل، مُزيّنًا بقلادة فِضّيّة تنتهي بحلية تحمل شعار إيكس، وظهر من تحت أهداب ثوبها صندلٌ ناعم بذات اللّون.

سألها ليتو: «أتعلمين أنني قتلت أحد أسلافك؟».

ابتسمت برقّة وقالت: «أدرج عمّي مالكي تلك المعلومة في تدريبي المُبكّر يا مولاي».

حين تكلّمت، أدرك ليتو أنها تلقّت جزءًا من تعليمها على يد البِني چيسيرِت. كانت لديها طريقتهن في التّحكّم في ردود الأفعال واستشعار ما بين السّطور في المحادثة. ومع ذلك، لاحظ أن تأثير البِني چيسيرِت فيها كان طفيفًا، ولم يخترق جوهر طبعها النّاعم.

قال: «لقد قيل لك إنني سأطرح هذا الأمر».

- «أجل يا مولاي. أعلم أن سلفي تجرّأ وأحضر سلاحًا إلى هنا في محاولة لإيذائك».

- «كما فعل سابقك في المنصب. هل أُخبِرتِ بذلك أيضًا؟».

- «لم أعلم بذلك إلّا حين وصلت يا مولاي. الحمقى! لماذا أبقيت على حياته؟».

- «ولم أُبقِ على حياة سلفك؟».

- «بالضّبط يا مولاي».

- «لأن استخدام كوبات -سابقك في المنصب- رسولًا له قيمة أكبر لدي».

قالت: «إذًا هم لم يخبروني بالحقيقة»، ثم ابتسمت ثانيةً وأردفت: «لا يمكن للمرء الاعتماد دائمًا على صدق ما يسمع من زملائه ورؤسائه».

كانت إجابتها صريحة تمامًا حتّى إنّ ليتو لم ينجح في كتم

ضحكته، وأدرك وهو يضحك أن هذه الشّابة لا تزال تتمتّع بـ«عقل الصّحوة الأولى»، الإدراك الأوّلي الذي يتجلّى في أوّل لحظات الوعي عند الولادة. كانت مفعمة بالحياة!

سألها: «إذًا أنت لا تحملين لي ضغينة لكوني قتلت سلفك؟».

- «لقد حاول اغتيالك! قيل لي إنك سحقته يا مولاي، بجسدك».

- «صحيح».

- «بعدها وجّهت سلاحه ضد ‹ذاتك المقدّسة› لتثبت أن السّلاحَ لا يُغني فتيلًا... وأنا أتحدّث هنا عن أفضل بُندقيّة ليزر صنعناها نحن معشر الإيكسيّين».

قال ليتو: «شهادة الشُّهود صحيحة».

وفكّر: *ما يبيّن إلى أيّ مدى يمكن الاعتماد على الشُّهودا* من باب الدّقّة التّاريخيّة، كان يعلم أنّه وجّه البُندقيّة نحو فصوص جسده، لا نحو يديه أو وجهه أو زعانفه. يتمتّع طور ما قبل الدُّودة بقُدرة مذهلة على امتصاص الحرارة، إذ يحوّل المصنعُ الكيميائيُ في داخله الحرارةَ إلى أُكسچين.

قالت هِوي: «لم أشكّ في الرّواية قط».

سألها ليتو: «لماذا كرّر الإيكسيّون هذه البادرة الحمقاء إذًا؟»

- «لم يخبروني يا مولاي. رُبّما قرّر كوبات التّصرُّف من تلقاء نفسه».

- «لا أظن ذلك. لقد خطر لي أن قومك رُبّما أرادوا التّخلُّص مِمّن

اختاروه لاغتيالي».

- «التخلُّص من كوبات؟».

- «لا، بل الشّخص الذي اختاروه لاستخدام السّلاح».

- «ومن كان ذلك الشّخص يا مولاي؟ لم يخبرني أحدٌ».

- «لا يهم. أتذكرين ماذا قُلتُ وقت ارتكاب سلفك حماقته؟».

- «هددتَ بإنزال عقابٍ رهيب علينا إن فكّرنا في إتيان مثل هذا العُنف مرّةً أخرى». قالتها وخفضت بصرها، لكن ليس قبل أن يلمح ليتو تصميمًا عميقًا في عينيها. سوف تستخدم كل ما في جعبتها من مهارات لتهدئة غضبه.

قال ليتو: «أقسمت ألّا يفلت من غضبتي أحدٌ منكم».

رفعت عينيها سريعًا نحو وجهه وقالت: «أجل يا مولاي». ها هي ذي ردّة فعلها تكشف عن خوفها.

- «لا مهرب لشيءٍ منّي، ولا حتّى تلك المُستعمرة العقيمة التي زرعتموها مؤخّرًا على...»، ثم أشار ليتو على الخريطة إلى إحداثيات المُستعمرة الجديدة التي أقامها الإيكسيُون في مكانٍ ناءٍ وسريٍّ، حيثما ظنّوا أنه خارج حدود إمبراطوريته.

لم يبد عليها أنها تفاجأت وهي تقول: «مولاي، أظنُّ أن السبب في اختيارهم لي سفيرةً هو لأنني كنت قد حذّرتهم من أنك سوف تعلم بالأمر».

تأمّلها ليتو باهتمامٍ أكبر، وتساءل في نفسه: *أيُّ كيانٍ مُدهش*

*هذا الذي أمامي؟* كانت ملاحظتها دقيقةً وعميقةً. كان يعلم أن الإيكسيّين توهّموا أن بُعد المسافة وتكاليف الانتقال الباهظة كفيلان بعزل المستعمرة الجديدة. لكن لم يكن ذلك ظنّ هِوي نوري، وقد أخبرتهم بذلك. لكنها تعتقد أن رؤساءها اختاروها سفيرةً لهذا السّبب؛ وفي هذا إشارة إلى طبيعة الإيكسيّين الحذرة. لقد توهّموا بأنهم غرسوا في البلاط حليفًا لهم، يظهر كذلك حليفًا لليتو. أومأ ليتو إذ بدأ يفهم نمط المخطّط. في وقتٍ مُبكّر من اعتلائه السّلطة، كشف ليتو للإيكسيّين معرفته بالموقع الدّقيق لما يُفترض أنه مركزُ كوكبِ إيكس السّرّيّ؛ قلبُ الاتّحاد التكنولوجي الذي يهيمنون عليه. كان ذلك سِرًّا ظن الإيكسيّون أنه آمن، بفضل الرّشى الضّخمة التي يدفعونها لنقابة الفضاء. لكن ليتو اكتشف هذا السّرّ بفضل قدرته الاستبصارية واستنتاجه المنطقي، فضلًا عن استشارته لذكرياته التي تنطوي على ما هو أكثر من مُجرّد حفنةٍ من الإيكسيّين.

في ذلك الوقت، حذّر ليتو الإيكسيّين من أنه سيعاقبهم إذا تآمروا ضدّه، فردّوا بقلوبٍ مخلوعة واتّهموا نقابة الفضاء بخيانتهم. وجد ليتو ذلك مُسليًا، وردّ ضاحكًا بصوتٍ عالٍ ما أحرج الإيكسيّين. ثم أخبرهم بنبرةٍ باردةٍ، مُحمّلة بالاتّهام، بأنه لا يحتاج إلى جواسيسَ أو خونة، ولا إلى أدوات الحُكم التقليديّة.

*أولم يُصدّقوا أنه إله؟*

لبّى الإيكسيّون طلباته لمُدّة طويلة بعدها. لم يُسئ ليتو استغلالهم، وكانت مطالبه متواضعة: آلة لفعل هذا، وجهاز لتنفيذ ذلك. كان يشرح لهم احتياجاته، فيسلّمه الإيكسيّون على الفور الأداة

التكنولوچية المطلوبة. في حادثة لم تتكرّر سوى مرّةٍ واحدةٍ، حاولوا تهريب سلاحٍ مميت في إحدى آلاته، فما كان منه إلّا أن قتل وفد إيكس بكامله قبل أن يتسنّى لهم فضُّ غلاف الشّيء.

وقفت هِوي نوري تنتظر في صبرٍ حتّى ينتهي ليتو من تفكيره العميق، ولم تظهر عليها أدنى علامة على نفاد الصّبر.

*جميل*، هكذا فكّر ليتو.

على الرّغم من علاقته الطّويلة مع الإيكسيّين، أثار هذا الموقف الجديد الغُصارة الحيويّة في بدن ليتو. عادةً ما كانت المشاعر والأزمات والضّرورات التي تحرّكه بطيئة النّضج، كثيرًا ما كان يشعر بأنه عاش طويلًا وتجاوز زمانه. لكن وجود هِوي نوري أكّد له أنه ما زال محلّ اهتمام، وهو الأمر الذي أسعده. شعر ليتو أن الإيكسيّين قد يكونون حقّقوا تقدّمًا جُزئيًا في تطوير آلتهم التي تهدف إلى تعزيز الاستبصار الخَطّي لملّاحي النّقابة.

لرُبّما فلتت منه لحظةٌ صغيرةٌ في سير الأحداث الكُبرى فلم يُلاحظها. أهم قادرون على صُنع مثل هذه الآلة حقًّا؟ أيْ أعجوبة ستكون! قرر ليتو، عن عمد، الامتناع عن استخدام قواه الاستبصاريّة ولو لإلقاء نظرة عابرة للتأكّد من تحقُّق هذا الاحتمال.

*أريد أن أتفاجأ!*

ابتسم ليتو بلطف إلى هِوي، وسأل: «كيف أعدُّوكِ لإغوائي؟».

لم يطرف لِهوي جفنٌ وهي تقول: «زوّدوني بمجموعة من الإجابات المحفوظة لاستخدامها في ضروراتٍ مُعيّنة، وقد حفظتها عن ظهر

قلب كما طُلب مني، لكنني لا أنوي استخدامها».

فكّر ليتو: *وهذا بالضّبط ما يريدونه.*

قال لها: «قولي لساداتك إنك بالفعل الطُّعم المثالي الذي يُمكن أن يُلقى أمامي».

أحنت رأسها وقالت: «إن كان هذا من شأنه إرضاء مولاي».

- «أجل، أنت تُرضينني».

بعدها، سمح لنفسه بأن تنغمس في رحلة زمنيّة استكشافيّة قصيرة لإبصار مُستقبل هِوي القريب، مُتتبّعًا خيوط ماضيها في الوقت نفسه. ظهرت هِوي في مستقبلٍ غامضٍ، تيارٍ مُتقلّب تعترضه انحرافاتٌ مُتعدّدة. لن تعرف سيونا إلّا بشكلٍ عابر ما لم... تدفّقت الأسئلة في ذهن ليتو. رأى أحد ملّاحي النّقابة ينصح الإيكسيّين. من الواضح أنه اكتشف الاضطراب الذي ستُحدِثه سيونا في النّسيج الزّمني. أيظنّ الملّاح أنه قادرٌ حقًّا على أن يكون في مأمن من اكتشاف الإمبراطور الإله له؟

استغرق السّبر الزّمني عِدّة دقائق، لكن هِوي لم تتململ. نظر إليها ليتو بعناية. بدت كأنها لا تأبه للزّمن؛ كأنها خارج الزّمن لكن على نحوٍ يحمل سكينةً عميقةً. لم يسبق له أن التقى إنسانًا عاديًا قادرًا على الانتظار أمامه بهذه الطّريقة دون أدنى توتُّر.

سألها: «أين وُلِدتِ يا هِوي؟».

- «على إيكس ذاته يا مولاي».

- «أعني بالتّحديد المبنى، الشّارع، اسمي والديك، النّاس من حولك، الأصدقاء والأقارب، مدرستك... كل شيء».

- «لم أعرف والديّ قط يا مولاي، قيل لي إنهما ماتا وأنا لا أزال بعد رضيعة».

- «وهل صدّقتِ ذلك؟».

- «في البداية... قطعًا. لكن لاحقًا بدأت أبني الأوهام، حتّى إنني تخيّلت أن مالكي والدي... لكن...»، ثم بترت عبارتها وهزّت رأسها.

- «ألم تكوني تُحبّين عمّكِ مالكي؟».

- «بلى، لكنني كنت مُعجبةً به».

قال ليتو: «نفس انطباعي عنه. لكن ماذا عن أصدقائك ودراستك؟».

- «تلقّيتُ تعليمي على أيدي مُختصّين، حتّى إن بعضًا من أخوات البِني چيسيرِت جُلبن خصّيصًا لتدريبي على التحكُّم في المشاعر ومهارات المراقبة. قال مالكي إنني أُهيّأ لأمورٍ عظيمة».

- «ماذا عن أصدقائك؟».

- «لا أظن أنني حظيت بأصدقاء مُقرّبين قط. فقط أشخاص تعرّفت إليهم لأغراضٍ مُحدّدةٍ في دراستي».

- «وتلك الأمور العظيمة التي كُنت تؤهّلين لها، هل حدّثك عنها أيّ شخصٍ؟».

- «مالكي قال إنني كنت أُهيّأ لفتنتك يا مولاي».

- «كم سِنُّك يا هِوي؟».

- «لا أعرف سِنّي على وجه الدّقة، لكنني أحسب أنني في السّادسة والعشرين. لم أحتفل بعيد ميلادي قط، حتّى إنني لم أسمع عن فكرة الاحتفال بيوم الميلاد إلا بالمصادفة، حين ذكرتهُ إحدى مُعلّماتي ذات مرة كمُرادف لغريب. لم أرَ تلك المُعلّمة مرّةً أخرى قطُّ».

تركّزت عيناها على وجهه بحِدّة مشحونة خالية من أيّ تظاهُر.

- «لقد وُلِدتِ داخل هيكل تلك الآلة التي يسعى ساداتك إلى إتقان صناعتها لصالح النّقابة. بل تَخَلّقتِ في رحم أمك هناك أيضًا. رُبما كان مالكي هو والدك فعلًا، لكن هذا لا يهم. هل تعلمين شيئًا عن هذه الآلة يا هِوي؟».

- «لم يكن من المفترض بي أن أعرف عنها شيئًا يا مولاي، لكن...».

- «أكانت زلّة لسان أخرى من إحدى مُعلّماتك؟».

- «بل من عَمّي نفسه».

انفجر ليتو ضاحكًا، ثم قال: «يا له من مارقٍ! ويا له من مارقٍ ساحر!».

- «مولاي؟».

- «كان هذا انتقامه من ساداتك، فهو لم يُحبّ استبعاده من بلاطي. لقد قال لي وقتها إن بديله لا يرقى لأن يكون أحمق».

هزّت هِوي كتفيها قائلة: «إن عَمّي لرجلٌ ذو طبيعة مُعقّدة».

- «أنصتي إليّ جيّدًا يا هِوي. قد تُشكّل بعض الدوائر من حولك هنا على أرّاكس خطرًا عليك. سأحميك ما استطعت. هل تفهمين ما أقول؟».

حدّقت إليه بجدّيّة وقالت: «أخال ذلك يا مولاي».

- «الآن، لديّ رسالة إلى ساداتك. من الواضح أنهم سلّموا آذانهم إلى ملّاح النّقابة، وتحالفوا مع التِليلاكسو في مسعًى محفوفٍ بالمخاطر.

أخبريهم نيابةً عني أن مقاصدهم جليّةٌ لي تمامًا».

- «مولاي، لا علم لي بـ...».

- «أنا مُدركٌ لكيفيّة استخدامهم لكِ يا هِوي. لهذا السّبب، يمكنك أن تخبري ساداتك أيضًا بأنكِ ستكونين السّفيرة المُقيمة في بلاطي، وبأنني لن أُرحّب بأيّ إيكسيّ آخر. وإن تجاهل ساداتك تحذيراتي أو حاولوا الوقوف أمام رغباتي، فلسوف أسحقهم».

فاضت عينا هِوي بالدُّموع، وسالت على وجنتيها، لكن ليتو شعر بالامتنان لكونها لم تسمح لنفسها بأيّ مُبالغة أُخرى كأن تخُرّ على رُكبتيها.

قالت هِوي: «لقد حذّرتهم، حقًّا فعلت. أخبرتهم أن عليهم أن يطيعوك».

أدرك ليتو أنها لا تكذب.

وفكّر: *يا لها من مخلوقة مدهشة، هذه المدعوّة هِوي نوري!* تبدو كأنها تجسيدٌ للفضيلة. من الواضح أن ساداتها الإيكسيّين صمّموها وأعدّوها لهذه الصّفة، حاسبين بدِقّة مدى التّأثير الذي ستحدثه في نفس الإمبراطور الإله.

من وسط زحام ذكريات أسلافه، رأى ليتو فيها صورةً راهبةٍ مثاليّة، طيّبةٍ مُضحّية، ومفعمةٍ بالإخلاص. كان هذا جوهر طبعها النّقي، والحيّز الوجودي الذي تألف شكناه. إنها تجد أنه من الأسهل لها أن تكون صادقةً ومنفتحةً، ولا تُخفي تلك الصّفات إلّا لتجنّب إيذاء الآخرين. رأى ليتو في هذه السّمةِ الأخيرةِ أعمق تغييرٍ نجحت

مُعلّمات البِني چيسيرِت إحداثه فيها. ظلّ طبع هِوي الحقيقي مُتّسمًا بالانفتاح والحساسيّة والطبيعة الودودة. لم يجد ليتو فيها إلّا القليل جدًا من خِصلة التّلاعب المحسوب. بدت متجاوبةً ورزينةً وبارعةً في الإنصات (وهي سمة أخرى من سِمات البِني چيسيرِت). لم يكن في مظهرها شيءٌ غاوٍ بشكلٍ واضح، غير أن هذا هو ما جعلها كاسحة الغواية في نظر ليتو.

أو كما قال لأحد غيلان دانكن الأوائل في مناسبةٍ مشابهةٍ: «يجب أن تفهم عنّي هذا الأمر الذي يساور الشكّ البعضَ فيه صراحةً. أحيانًا، لا مفرّ من أن تنتابني أحاسيس وهمية، مثل ذلك الشّعور بأنه في مكانٍ ما بين طيّات هيئتي المتحوّلة، يوجد جسدٌ بشريٌّ بالغ يتمتّع بكل الوظائف الأساسية».

سأله غول دانكن وقتها قائلًا: «كلها يا مولاي؟».

- «كلّها! ما زلت أشعر بأطرافي الشّبحيّة. ما زلت أشعر بساقيّ، وهما طبيعيّتان جدًا وواقعيّتان تمامًا بالنسبة إلى حواسي. ما زلت أشعر بضخ الغُدد البشريّة، التي لم يعد لبعضها وجود، حتّى إنني أشعر بأعضائي التّناسليّة التي أُدرِك عقلًا أنها اختفت منذ قرون».

- «لكن إن كنت تعرف قطعًا أنك...».

- «المعرفة تعجز عن كبح تلك الأحاسيس، فالأجزاء التي اختفت مني لا تزال موجودة في ذكرياتي الخاصّة، وفي الهويّات المُتعدّدة لجميع أسلافي».

وفي أثناء ما كان ليتو ينظر إلى هِوي الماثلة أمامه، لم تنفعه قط

معرفة أنه لم يعد يمتلك جمجمةً، وأن ما كان يومًا دماغه صار الآن شبكة ضخمة من العُقد العصبيّة التي تنتشر في طور ما قبل الدُّودة. لم يكن له مُعين على هذا الأمر. كان لا يزال يشعر بدماغه يؤلمه في المكان الذي شغله ذات يوم، ولا يزال يشعر بالنّبض في جمجمته.

بمُجرّد وقوفها هنا أمامه، كانت هِوي تستصرخ فيه إنسانيّته المفقودة.

- «لماذا يُعذّبني ساداتك؟».

- «مولاي؟».

- «بإرسالك إليّ!».

- «لن أُفكّر في إيذائك يا مولاي».

- «مُجرّد وجودك يؤذيني!».

انهمرت الدُّموع من عينيها بلا قيد: «لم أكن أعلم. لم يخبروني قط بحقيقة ما كانوا يحيكونه».

هدّأ ليتو نفسه وقال برِقّة: «اتركيني الآن يا هِوي. اذهبي وباشري أعمالك، لكن عودي على الفور إن استدعيتك!».

غادرت هِوي في صمت، لكن ليتو لاحظ أنها كذلك مُعذّبةٌ. لم يكن في الحزن العميق الذي سكنها ممّا لمسته من تضحية ليتو بإنسانيّته شكٌّ. كما عرفت ما أحاط به عِلمًا: عرفت أنهما كانا سيصبحان صديقين، وعاشقين، ورفيقين في أسمى أشكال التّشارك بين الجنسين، إذ خطّط ساداتها كي تعرف ذلك.

*فكّر ليتو: يا لقسوة الإيكسيّين! لقد أدركوا مقدار الألم الذي سنشعر به.*

أجّج رحيل هِوي ذكريات ليتو مع عَمّها مالكي. كان مالكي قاسيًا، لكن ليتو كان يستمتع بصُحبته، فقد كان مالكي يمتلك كل فضائل قومِه في الكدح، وما يكفي من رذائلهم ما يجعل منه إنسانًا بكل معنى الكلمة. كان مالكي يستمتع بصحبة حارسات ليتو، مُحاورات الأسماك. «خُوريّاتك». هكذا كان يصفهن، ونادرًا ما فكّر ليتو في مُحاورات الأسماك بعدها دون أن يتذكّر وصف مالكي لهُن.

*لماذا أتذكّر مالكي الآن؟ ليس بسبب هِوي فقط. يجب أن أسألها عن المهمّة التي أوكلها بها ساداتُها حين أرسلوها إليّ.*

جلس ليتو متردّدًا على وشك أن يستدعيها مرّةً أخرة.

*ستُجيبني إن سألتها.*

لطالما طُلِب من الشُفراء الإيكسيّين معرفةُ سبب تسامح الإمبراطور الإله مع إيكس. لقد عَلِموا أنهم عاجزون عن الاختباء منه، بعد محاولتهم الحمقاء لزرع مُستعمرة خارج نطاق رؤيته. أأرادوا بتلك المحاولة اختبار حدودِ قدراته؟ كان الإيكسيّون في شكٍّ من أن ليتو ليس في حاجةٍ حقيقيّةٍ إلى صناعاتهم المُتطوّرة.

*لم أُخفِ عنهم رأيي فيهم قط. لقد قُلت لمالكي:*

- «تزعمون أنكم مُبتكرون تقنيّون؟ كلّا! بل أنتم مجرمو علم في إمبراطوريتي!».

وقتها ضحك مالكي.

قال ليتو مُتَّهِمًا وقد انزعج: «لماذا تحاولون إخفاء المُختبرات والمصانع السِّرِّيَّة خارج حدود الإمبراطورية؟ لا مهرب مني».

ردَّ مالكي ضاحكًا: «صحيح يا مولاي».

- «أعرف نيّاتكم: تسريبُ بعضٍ من هذا، وشيءٍ من ذاك، إلى نطاق إمبراطوريّتي. إثارةُ الفوضى! زرعُ الشُّكوك والتّساؤلات!».

- «مولاي، أنت نفسك أحد أفضل زبائننا!».

- «ليس هذا ما أقصد، وأنت تعلم ذلك أيُّها الرَّجُل البغيض!».

- «أنت تُحِبُّني لكوني بغيضًا، فأنا أتلو عليك قصصًا عمّا نفعله هناك».

- «لا حاجة لي بقصصك كي أعرف ما تفعلون!».

- «لكن بعضَ القصص موثوقٌ بها، والأُخرى محلُّ شكٍّ، وأنا أُبدِّدُ شكوكك».

- «لا شكُوك لديّ!».

كان هذا ممّا رجَّ مالكي بمزيدٍ من الضَّحك.

فكَّر ليتو: *عليّ أن أواصل التّسامح معهم*. إن نطاق عمل الإيكسيّين يقع في مجالات الإبداع والابتكار المجهولة، تلك التي حُظرت منذ الجهاد البطلري. لقد صنعوا أجهزتهم على صورةِ العقلِ البشري، وهو عين الأمر الذي أجّج مجاز الجِهاد وما نتج عنه من دمار في الماضي. هذا ما يفعلونه على إيكس، ولم يكن بوسع ليتو سوى السّماح لهم بالاستمرار.

*أنا أشتري منهم! ليس بوسعي حتّى كتابة مُذكّراتي من دون مُغلاتهم التي تستجيب إلى أفكاري غير المنطوقة. من دون إيكس، لم أكن سأتمكّن من إخفاء دفاتري وطابعاتي.*

*لكن يجب تذكيرهم بالخطر الكامن في ما يفعلون!*

كما لا يمكن السّماح للنقابة بالنّسيان. وهذا أسهل. فحتّى في ظلّ تعاون ملّاحي النّقابة مع إيكس، لا تأمن النّقابة جانبهم، وترتاب فيهم بشِدّة.

*إن نجحت هذه الآلة الإيكسيّة الجديدة، فستفقد النّقابة احتكارها للسّفر عبر الفضاء!*

وسط كمّ الذّكريات الهائل الذي لا يُعجزني استحضاره متى شئت، تتجلّى أمامي أنماطٌ متكررة. تلك التكرارات أشبه بلُغَةٍ أُخرى أقرؤها بوضوحٍ. تبدو لي مؤشّرات الإنذارِ الاجتماعيّ، تلك التي تُهيّئ المجتمعات لاتّخاذ مواقف الدّفاع أو الهجوم، كالكلمات الصّارخة. أنتم تستجيبون جماعيًا للتهديدات التي تمسّ البراءة، وللأخطار التي تُحدِق بالنّشءِ العاجز. تُثير فيكم الأصوات والرّوائح والرُّؤى الغريبة قشعريرة بُدائيّة لم تعودوا تتذكّرونها. وقت الخطر تتمسّكون بلُغتِكم الأمّ، إذ تصير كل الأصوات الأخرى غريبة. تميلون إلى ارتداء ملابس متعارف عليها لأن أيّ زِيٍّ مُختلف يُشكّل تهديدًا. هذه ردودُ فعلٍ غريزية موغِلة في القِدم. خلاياكم تتذكّر.

- المذكّرات المسروقة

أحضرت المُتدرّبات من مُحاورات الأسماك، اللاتي كُنّ يؤدّين دور وصيفات الضيوف عند مدخل قاعة استقبال ليتو، السّفير التِليلاكسوي دورو نونپي. على أن الوقت كان مُبكّرًا لعقد جلسة استقبال، ومع تقديم موعد نونپي عن التّرتيب المُعلن، سار الرّجُل بهدوءٍ ووقار، ولم يظهر عليه سوى بصيصٍ من تقبُّل الإذعان.

انتظر ليتو في صمتٍ، مُمدّدًا على عربته فوق المنصّة المرتفعة في نهاية الغُرفة. وفيما راح يراقب اقتراب نونپي، استحضرت ذاكرته صورة لمنظار غواصة يُشبه كُوبرا سابحة، ترفع رأسها فوق صفحة الماء، وتُخلّف وراءها أثرًا لا يكاد يُرى. رسمت هذه الذّكرى ابتسامةً على شفتيه. هذا هو نونپي بالضّبط؛ رجلٌ متعجرف ذو ملامح صارمة، ترقّى في النّظام التِليلاكسوي الإداري. لم يكن هو نفسه

راقص وجه، بل كان يرى الرّاقصين خدمًا له، الماءَ الذي يتنقّل عبره. وعلى المرء، إن أراد ملاحظة بصماته، أن يكون بارعًا حقًّا. كان نونپي شخصية خبيثة لها يدٌ في الهجوم الذي وقع على الطّريق الملكيّة.

وعلى أن الوقت كان مُبكّرًا، ارتدى الرّجل زِيّهُ الدّبلوماسيّ الكامل: سراويلَ سوداءَ فضفاضة، وصندلًا أسودَ ذهبيّ الحافات، وسترةً في حُمرة الوُرود، مفتوحةً عند الصدر، لتكشف عن صدرٍ كثيفِ الشّعر يبرز من خلف شارة التِليلاكسو المشغولة بالذّهب والجواهر.

توقّف نونپي عند مسافة الخطوات العشر اللّازمة، وألقى نظرةً سريعةً على صفّ مُحاورات الأسماك المسلّحات اللاتي شكّلن قوسًا حول ليتو ومن خلفه. لمعت في عينيه الرّماديّتين نظرةٌ لعوب حين التفت إلى إمبراطوره، وانحنى له قليلًا.

في هذه اللّحظة دخل دانكن آيداهو القاعة، وبُندقيّة اللّيزر معلّقةٌ في خصره، واتّخذ مكانه إلى جوار وجه الإمبراطور الإله الفقلنس بالطيّات.

استدعى ظهور آيداهو تفكيرًا عميقًا من نونپي، وهو تفكير لم يلقَ رضا السّفير بعد أن تمّ.

قال ليتو: «لا أبغض شيئًا أكثر من متغيّري الشّكل».

قال نونپي: «لست مُتغيّر الشّكل يا مولاي». كان صوته خفيضًا مهذّبًا، تشوبه مسحةٌ من التّردّد.

قال ليتو: «لكنك تُمثّلهم، وهذا يجعلك مصدر إزعاج».

كان نونپي يتوقّع عداءً صريحًا، لكن لم تكن هذه لغة دبلوماسيّة،

وقد صدمه الأمر فاندفع يُشير إلى ما اعتقد أنه نقطة قوة التِليلاكسو.

- «مولاي، لطالما افترضنا أننا بحفاظنا على جسد دانكن آيداهو الأصلي، وتزويدك بالغيلان المصنوعة على صورته وهويّته...».

قاطعه ليتو صائحًا في دانكن، ناظرًا إليه: «دانكن! إذا أمرتك، فهل ستقود حملة لإبادة التِليلاكسو؟».

- «بكل سرور يا مولاي».

- «حتّى إن كان ذلك يعني خسارة الخلايا الأصليّة وكل أحواض الاستنساخ؟».

- «لم تكن الأحواض ذكرى سارّة يا مولاي، وتلك الخلايا ليست أنا».

سأل نونپي: «مولاي، كيف أسأنا إليك؟».

عبس ليتو. هل ظنّ هذا الأحمق البليد حقًّا أن يتحدّث الإمبراطور الإله عن هجوم راقصي الوجوه بصراحة؟

قال ليتو: «لقد نما إلى علمي أنكم، أنت وقومك، تنشرون الأكاذيب حول ما سمّيتموه ‹عاداتي الجنسيّة المقزّزة›».

فغر نونپي فاه. كان الاتّهام افتراءً صريحًا، وغير متوقّعٍ بالكامل، لكن نونپي أدرك أن أحدًا لن يُصدّقه إن أنكر، فهذا نُطق الإمبراطور الإله. كان هذا هجومًا غير متوقّع ذا أبعاد مجهولة. بدأ نونپي يتكلّم وهو يحدّق إلى آيداهو.

- «مولاي، إن كنا...».

- «انظر إليّ!».

جُزِع نونپي ورفع بصره إلى وجه ليتو.

قال ليتو: «سأعلّق على الأمر مرّةً واحدةً فقط: ليس لدي أيّ عاداتٍ جنسيّة، على الإطلاق».

سال العرق على وجه نونپي، وحدّق إلى ليتو بخوفٍ كحيوانٍ مُحاصَر. وحين عاد إليه صوته في النّهاية، لم يكن فيه التّحكّمُ الدبلوماسيّ وهدوءه، بل كان شيئًا مرتجفًا مذعورًا.

- «مولاي، أنا... لا بُدّ أن في الأمر خطأً...».

هَدَرَ ليتو: «اصمت، أيّها النمّام التِليلاكسوي! أنا الوعاءُ المتحوّلُ لدودةِ الرّمال المقدّسة شَي هُولود! أنا رَبُّك!».

همس نونپي: «اغفر لنا يا مولاي».

كان صوت ليتو مُشبّعًا بجاذبيّة المنطق وهو يقول: «أغفر لكم؟ قطعًا سأغفر لكم. فهذه شيمةُ إلهِكم. جريرتكُم مغفورة، لكن غباءَكُم يتطلّب ردًّا».

- «مولاي، لو أستطيع أن...».

- «قلت اصمت! لن يحصل التِليلاكسو على حِصّتهم من الاسپايس هذا العقد. لن تحصلوا على شيء. أمّا بخصوصك أنت بالتحديد، فسوف تأخذك مُحاورات الأسماك إلى السّاحة الآن».

تقدّمت حارستان شديدتان وأمسكتا بذراعي نونپي، ثمّ رفعتا نظرَيهما إلى ليتو في انتظار تعليماته.

قال ليتو: «يُجرّد من ملابسه في السّاحة، ويُجلد خمسين جلدة».

حاول نونپي مقاومة قبضتي الحارستين، والذُّعر يختلط بالغضب على وجهه.

- «مولاي، أذكّرك بأنني سفير الـ...».

- «أنت مُجرم لا أكثر، وسأتعامل على هذا الأساس». قالها ليتو وأشار إلى الحارستين، اللّتين بدأتا تسحبان نونپي بعيدًا.

صرخ نونپي: «أتمنّى لو كانوا قتلوك. أتمنّى...».

صاح فيه ليتو: «إلى من ترمي؟ من الذي كنتَ تتمنّى أن يقتلني؟ ألا تعلم أنّه لا يقدر عليّ أحد؟».

سحبت الحارستان نونپي إلى خارج القاعة وهو ما زال يصرخ: «أنا بريء! بريء!»، إلى أن ذابت أصوات احتجاجه.

انحنى آيداهو مُقتربًا من ليتو.

سأله ليتو: «نعم يا دانكن؟».

- «مولاي، سينتاب الخوف كل الوفود عند سماع هذا».

- «أجل. إنني ألقّنهم درسًا في المسؤوليّة».

- «مولاي؟».

- «الضُّلوع في المؤامرات، كالانتماء إلى الجيوش، يعفي الأفراد من شعورهم بالمسؤوليّة الشّخصيّة».

- «لكن هذا سيُسبّب المتاعب يا مولاي. من الأفضل أن أضيف

حرسًا إضافيًا».

- «لن تنشر حارسة إضافيّة واحدة!».

- «لكنك تدعو إلى...».

- «أنا أدعو إلى بعض الهُراء العسكري».

- «هذا ما...».

- «دانكن، أنا مُعلّم. تذكّر ذلك. وبالتكرار، أُحفّظ الدّرسَ».

- «أيُّ درس؟».

- «طبيعة الغباء العسكري الانتحاريّة في آخر المطاف».

- «مولاي، أنا لا...».

- «دانكن، فكّر في هذا البليد نونپي. إنه الجوهر المستخلص من الدّرس».

- «اعذر غبائي يا مولاي، لكنني لا أفهم نظريّتك المتعلّقة بالعسكريّة...».

- «حين يُخاطر العسكريّون بحياتهم، يتوهّمون أنهم سدّدوا ثمن أيّ سلوكٍ عنيف ارتكبوه ضد أعداءٍ حدّدوهم بأنفسهم. إنّ لديهم عقليّة الغزاة. نونپي لا يرى نفسه مسؤولًا عن أيّ شيءٍ يُرتكب ضد الغرباء».

نظر آيداهو نحو البوّابة حيث أخذت الحارستان نونپي. «لقد حاول وخَسِر يا مولاي».

- «لكنّه حرّر نفسه من قيود الماضي، وهو يعترض الآن على دفع

الثّمن».

- «في نظر قومه، هو وطني».

- «وكيف يرى هو نفسه يا دانكن؟ يراها أداةً للتاريخ».

خفض آيداهو بصره، وانحنى مقتربًا أكثر من ليتو.

- «وهل تختلف عنه يا مولاي؟».

قهقه ليتو ضاحكًا ثم قال: «آهٍ يا دانكن، كم أُحبُّ فراستك! لقد لاحظت أنني الغريب المطلق. ألا تتساءل إن كان من الممكن أن أكون أنا أيضًا خاسرًا؟».

- «خطرت الفكرة ببالي».

- «حتّى الخاسرون قد يتلفّعون برداء ‹الماضي العريق› الفاخر، أيا صديقي القديم».

- «وهل تُشبه نونپي في هذا؟».

- «قد تُصاب الأديان التّبشيريّة المتشدّدة بوهم ‹الماضي العريق›، لكن قليلين من يفهمون خطر ذلك على البشرية في النهاية؛ ذلك الإحساس الزّائف بالتحرّر من مسؤوليّة أفعالك الخاصة».

- «ذلك كلامٌ مُلغّز يا مولاي، كيف لي أن أفهم معناه؟».

- «معناه هو ما يصل إليك منه. هل أنت عاجزٌ عن السّمع؟».

- «لديّ أذنان يا مولاي».

- «أحقًّا؟ لا أراهما».

أشار آيداهو إلى أُذنيه وهو يتحدّث: «هنا يا مولاي. هنا وهنا!».

- «لكنهما لا تسمعان، وبالتالي لا وجود لهما، لا هنا ولا هنا».

- «أتسخر مني يا مولاي؟».

- «أن تسمع يعني أن تسمع. ما يُوجد لا يمكن إيجاده، لأنه موجود بالفعل. أن تكون يعني أن تكون».

- «كلامك الغريب يا مولاي لهو...».

- «مُجرّد كلام. أنطق به، فيتلاشى. لم يسمعه أحدٌ، وبالتالي لم يعُد موجودًا. وما دام لم يعُد موجودًا، فرُبّما يمكن إيجاده مرّةً أخرى، حينئذٍ رُبّما يسمعه أحد».

- «لماذا تلكزني بالشخرية يا مولاي؟».

- «أنا لا ألكزك إلّا بكلمات، وأفعل ذلك دون أن أخشى الإساءة إليك، لأنني أدركت أنك لا تمتلك أُذنين».

- «لا أفهمك يا مولاي».

- «هذا أوّل طريق المعرفة؛ اكتشاف شيءٍ لا نفهمه».

قبل أن يتسنّى لآيداهو الرّد، أشار ليتو بيده إلى حارسة قريبة، فحرّكت يدها أمام لوحة تَحكُّم بِلّوريّة على الحائط خلف مِنصّة الإمبراطور الإله، لتتجسّد صورة ثلاثية الأبعاد لعقوبة نونپي في منتصف القاعة.

نزل آيداهو إلى أرضيّة القاعة وألقى نظرة فاحصة على المشهد من كثب. كان المشهد يُعرض من نُقطة مرتفعة قليلًا تطلُّ على السّاحة،

وتصحبه أصوات الحشد المتزايد، الذي هرول إلى السّاحة مع ظهور بوادر الإثارة.

كان نونپي مُقيّدًا إلى ساقي حاملٍ ثُلاثي، مفتوح السّاقين على اتّساعهما، وذراعاه موثّقتان فوقه، في قِمّة الحامل تقريبًا. كانت ملابسه قد مُزّقت عن جسده وتناثرت أسمالها على الأرض من حوله. وقفت مُحاورة أسماك ضخمة مُقنّعة إلى جواره، تحمل في يدها سوطًا مُرتجًا من حبل الإلاكة، مُزّقت أطرافه إلى جدائل رفيعة تُشبه الأسلاك. شعر آيداهو أن المرأة المُقنّعة هي *الصّديقة* التي التقاها في مقابلته الأولى.

بإشارة من إحدى الضابطات، تقدّمت مُحاورة الأسماك المُقنّعة ونزلت بسوط الإلاكة بقوّةٍ مُمزّقةٍ على ظهر نونپي المكشوف.

تقلّص وجه آيداهو من الألم، وشهق الجمهور جافلًا.

توزّم الجلد حيث لامس السّوط جسده، لكن نونپي ظلّ صامتًا.

ارتفع السّوط وهبط مجدّدًا، فانبثقت خطوط الدّماء من الضّربة الثّانية.

ضرب السّوط ظهر نونپي مرّةً ثالثة، مُخلّفًا مزيدًا من الدّماء.

شعر ليتو بشيءٍ من الحُزن. *إن نائلة تغلي بالحماسة. لسوف تقتله، وهذا سيُسبّب المتاعب.*

صاح ليتو: «دانكن!».

انصرف آيداهو عن التّحديق الذّاهل إلى المشهد المعروض أمامه

تزامنًا مع صرخة فلتت من الحشد استجابةً لضربة شديدة الدمويّة.

قال ليتو: «أرسِل شخصًا ليوقِف الجَلد بعد عشرين جلدة، وأعلِن أن رحمة الإمبراطور الإله قد خفّفت العقوبة».

أشار آيداهو بيده إلى إحدى الحارسات، التي أومأت وركضت خارج القاعة.

قال ليتو: «اقترب يا دانكن».

عاد آيداهو إلى جانب ليتو، وما زال في نفسه ضيقٌ، ممّا حسبه تهكُّمًا من ليتو عليه.

قال ليتو: «كل ما أفعله، هدفه تلقين درسٍ».

شدّ آيداهو من نفسه، وقرّر ألا ينظر خلفه إلى مشهد عقاب نونپي. أهذا أنين نونپي الذي يسمع؟ اخترقت صيحات الحشد أوصال آيداهو، فنظر مُحدّقًا إلى عيني ليتو.

قال ليتو: «عقلك يَنوءُ بسؤالٍ».

- «بأسئلةٍ عديدة يا مولاي».

- «أفصح بها».

- «ما الدّرس المُستفاد من عقاب ذلك الأحمق؟ بِمَ سنردُّ حين نُسأل؟».

- «سنقول إن التّجديف بحقِّ الإمبراطور الإله مُحرّمٌ على أيٍّ كان».

- «إنه درسٌ دموي يا مولاي».

- «ليس بدمويّة بعض الدُروس التي تعلّمتها».

هزّ آيداهو رأسه في انزعاج واضح: «لا خير سيأتي من هذا!».

- «بالضّبط!».

علّمتني كثرة الارتحال عبر ذكريات الأسلاف أشياءَ كثيرة. الأنماط... آهٍ للأنماط التي أراها! أشدُّ ما يُزعجني هم اللّيبراليُّون المتعصّبون، فأنا لا أثق بالمتطرّفين. اخدش جلد مُحافظ، وستجد تحته من يُفضِّل الماضي عن أيّ مُستقبل. اخدش ليبراليًّا، وستجد تحت جلده أرسثقراطيًّا كامنًا. هذه هي الحقيقة! فالحكومات اللّيبراليّة تنتهي دومًا إلى أرستقراطيّات، إذ تكشف البيروقراطيّة عن النّيّات الحقيقيّة لأولئك الذين يُشكّلون تلك الحكومات. فمنذ البداية، يُفاجأ البسطاء الذين شكّلوا تلك الحكومات، التي وعدت بتسوية الأعباء الاجتماعية، بأنفسهم أسرى أرستقراطيّات بيروقراطيّة. وصحيح أن جميع البيروقراطيّات يسلكنَ هذا النّمط، لكن من المثير للسّخرية أن يتكرّر ذلك حتّى تحت راية الشيوعيّة. آهٍ ثم آه، إذا كانت الأنماط قد علّمتني شيئًا فهو أنها تتكرّر. والاضطهاد الذي أمارِسه -في مجمله- ليس أسوأ من غيره، فعلى الأقل أنا أُلقّن درسًا جديدًا.

- المذكّرات المسروقة

كان ظلام يوم الاستقبال قد جَنّ قبل أن يتسنّى لليتو الاجتماع بوفد البِني چيسيرِت. كان مُونِيو قد هيّأ الأمّين الموقّرتين لهذا التأخير، مُكرّرًا تطمينات الإمبراطور الإله عليهما.

حين عاد مُونِيو ليُطلع إمبراطوره على الوضع، قال: «إنهما تتوقّعان مكافأةً سخيّةً».

قال ليتو: «سنرى، سنرى. لكن أخبرني الآن، ما الذي طلبه منك الغول دانكن إبّان دخولك؟».

- «أراد أن يعرف إن كنت قد أمرت بجلد أحدٍ من قبل».

- «وبِمَ أجبته؟».

- «أنني لم يسبق لي مشاهدة مثل هذه العقوبة، وأنها لم ترد في السّجلّات».

- «وجوابه؟».

- «أن هذا ليس من شيم الآتريديزيين».

- «أيخالني مجنونًا؟».

- «لم يقل ذلك».

- «لم يكن هذا كُلّ ما دار بينكما. ما الذي يُقلق دانكننا الجديد أيضًا؟».

- «لقد التقى سفيرة إيكس يا مولاي، وقد وجد هِوي نوري جذّابة جدًا، ويسأل عن...».

- «يجب منع هذا يا مُونِيوا وأنا أعتمدُ عليك في الحيلولة دون نشوء أيّ علاقة بين دانكن وهِوي».

- «أوامر مولاي».

- «أجل، هي كذلك! اذهب الآن وجهّز لاجتماعنا مع نسوة البِني چيسيرِت. سأستقبلهن في السييتش المُصطنع».

- «مولاي، هل لاختيار مكان الاجتماع هذا دلالةٌ ما؟»

- «مُجرّد نزوة. أخبر دانكن في طريقك إلى الخارج بأن يقود فرقة

من الحرس ويُفتّش المدينة بحثًا عن المتاعب».

***

في أثناء انتظار وفد البني چيسيرِت في السييتش المُصطنع، تذكّر ليتو هذا الحوار، ووجد فيه شيئًا من التّسلية. ثم بدأ يتخيّل ردود فعل النّاس في مدينة المهرجان مع اقتراب دانكن آيداهو المُضطَرب على رأس فرقة من مُحاورات الأسماك.

*كصمت الضفادع المفاجئ عن النقيق مع اقتراب المُفترس.*

الآن وهو في السييتش المُصطنع، شرّ ليتو باختياره مكانًا للاجتماع. كان السييتش المُصطنع بناءً طبيعيّ الشّكل، يقع على حدود مدينة أونْ، ويتكوّن من قباب غير منتظمة تمتدُّ مسافة كيلومترٍ تقريبًا. كان في الماضي أوّل مسكن للفرمِن الأثريّين، وقد صار الآن مدرستهم، التي تجوب ممرّاتها وغرفها دوريات مُحاورات الأسماك اليقظة.

كانت قاعة الاستقبال التي ينتظر فيها ليتو بيضاويّة، يبلغ طولها عند أقصى امتدادٍ لها نحو مئتي متر، وتُضيئها كُرات إنارة عملاقة تطفو في غُزلة ضوئيّة زرقاء مخضرّة على ارتفاع ثلاثين مترًا من الأرض. خفّفت الإضاءة من كآبة الحجر المُقلّد ذي اللّونين البُنّي الباهت والأسمر الفاتح الذي صُنع منه هيكل المكان. جلس ليتو منتظرًا على حافّة منخفضة في طرف القاعة، ينظر إلى الخارج عبر نافذة نصف دائريّة أطول من جسده. كانت النافذة، الواقعة على ارتفاعِ أربعةِ طوابق، تطلُّ على مشهدٍ يشمل أطلال الجدار الحامي القديم، التي حُوفظ عليها لكهوفها الجبليّة، حيث ذَبَحَ الهراكنة

المُغيرون قوّات آل آتريديز ذات يوم. حدّد ضوء القمر الأوّل البارد حافات الجرف بلونٍ فِضّيّ، فيما تناثرت نيران المشاعل بطوله مُضيئةً أماكن لم يكن أيّ فرمِني يجرؤ على كشف وجوده فيها في الماضي. تذبذب ضوء المشاعل في عينَي ليتو نتيجةً لعبور بعض الأشخاص من أمامه؛ الفرمن الأثريّون الذين يمارسون حقّهم في شغل الأماكن المُقدّسة.

فكّر ليتو: *الفرمِن الأثريّون.*

يا لهم من ضيّقي أُفُق! ضِحال تفكيرا!

*لكن علام أتذمّر؟ إنهم نتاج صنيعتي.*

حينئذٍ سمع ليتو أصوات وفد البِني چيسيرِت المقترب؛ ذلك التّرنيم الثّقيل المُزدحم بحروف العِلّة.

تقدّم مُونِيو الوفد ترافقه مجموعة من الحارسات، اللواتي ما إن بلغن ليتو، حتّى اتخذن مواقع لهن عند حافّة مِنصّته. وقف مُونِيو على أرضية القاعة أسفل وجه ليتو مباشرة، وألقى نظرةً سريعةً إليه، ثم استدار ليُواجه القاعة المفتوحة.

دخلت النّساء في صفّين، تترأس عَشرَتهن أُمّان موقّرتان في عباءتين سوداوين تقليديّتين.

قال مُونِيو: «هذه أنتياك إلى اليسار، وتلك لويسيال إلى اليمين».

أثار الاسمان في ذهن ليتو الكلامَ السّابق عن الأُمّين الموقّرتين اللتين جاء بهما مُونِيو، في حالة من القلق والارتياب. لم يكن مُونِيو يميل إلى «السّاحرات».

قال مُونِيو: «كلتاهما عزّافة حقيقة. أنتياك تكبر لويسيال سِنًّا بكثير، لكن يُقال إن لويسيال هي أبرع من أنجبتهم البِني چيسيرِت في هذا الفنّ. لعلّك لاحظت النُّدبة التي تعلو جبين أنتياك، والتي لم ننجح في معرفة أصلها. أمّا لويسيال، فصهباء الشَّعر، وتبدو في ريعان شبابها، وهو ما يُناقض ما نُسِب إليها من باعٍ طويل».

راقب ليتو اقتراب الأُمّين الموقَّرتين برفقة حاشيتهما، ففاض رأسه بالذِّكريات. كانت المرأتان تُسدلان النقاب على وجهيهما، والمتدرِّبات والخادمات يسرن خلفهما على مسافة تُراعي الاحترام الواجب... كلُّ شيءٍ بدا مُنسجمًا. بعض الأنماط لا تتغير. من يرى هؤلاء النِّسوة قد يظنُّ أنهن يخطونَ الآن إلى سييتشِ حقيقيٍّ، حيث يقف فرمِن حقيقيُّون في شرف استقبالهن.

فكّر ليتو: *رؤوسهن تعرف ما تنكره أجسادهن.*

برؤيته الثّاقبة لاحظ ليتو الحذر والخنوع في أعينهن، لكنهن قطعن القاعة الطّويلة بخطواتٍ واسعة كالمطمئنّين إلى سُلطتهم الدِّينية.

كان يُسِرُّ ليتو عِلمه بأن البِني چيسيرِت لا يمتلكن من السُّلطة إلا ما يتيحه لهن، وقد كانت أسباب تساهله معهن جليّةً. فمن بين سائر الرّعيّة في الإمبراطوريّة، لم يكن أحدٌ أشبه به من الأُمّهات الموقَّرات. فعلى الرّغم من اقتصار عزّافات الحقيقة على ذكريات الأسلاف الأنثويّة فحسب، فضلًا عن الهويّات الأنثوية المتفرّعة عن طقسهن المتوارث، يمكن القول: إنّ كُلّ واحدةٍ منهن حشدٌ قائم يحيا في جسدٍ واحد، وَحدة من الحيوات المُدمجة.

توقّفت الأُمّان الموقّرتان على مسافة الخطوات العشر الواجبة من الحافّة التي يجلس ليتو عليها، وانتشرت الحاشية على كلا الجانبين.

كان ليتو يستمتع باستقبال مثل هذه الوفود بصوت وشخصيّة جدّته چيسيكا. اعتادت نساء البِني چيسيرِت توقُّع هذا الأمر، ولم يخذلهن.

«يا أهلًا بالأخوات». قالها ليتو بحِسّ أوپرالي ناعم فيه نغمة چيسيكا الأنثويّة المتّزنة، تتخلّله مسحة خفيفة من السُخرية، وهو الصّوت المُسجّل في أرشيف البِني چيسيرِت الذي يداومن على دراسته في بيت الأخويّة.

استشعر ليتو تهديدًا حين تكلّم. لم تكن الأُمّهات المُوقّرات يسعدن أبدًا حين يستقبلهن بهذه الطّريقة، لكن ردّة الفعل هذه المرّة حملت نبرةً ذات طابع مختلف. مُونِيو أيضًا استشعر الأمر، ورفع إصبعه لتضمّ الحارسات أكثر على ليتو.

كانت أنتياك أوّل من تحدّث: «مولاي، لقد شاهدنا العرض في السّاحة هذا الصّباح. ماذا ستجني من مثل هذه الأفعال؟».

فكّر ليتو: *هذه هي النّبرة التي سنتحدّث بها إذًا.*

متحدّثًا بصوته الطّبيعي، قال ليتو: «أنتن مشمولات بنعمتي مؤقّتًا، أتُردن تغيير ذلك؟».

قالت أنتياك: «مولاي، لقد صُدمنا من معاقبتك للسفير بهذه الطريقة، ولا نفهم ما الذي ستجنيه من هذا».

- «لن أجني شيئًا، بل أنا منقوص».

رفعت لويسيال صوتها بالكلام: «لن يُعزِّز هذا إلّا أفكار الاضطهاد».

سأل ليتو: «أتساءل، يا تُرى، لماذا لم يرَ إلّا قليلون في البِني چيسيرِت مُضطهِدات؟».

وجّهت أنتياك كلامها إلى رفيقتها قائلة: «إن شاء الإمبراطور الإله أن يُخبرنا بالإجابة، فلسوف يفعل. لننتقل الآن إلى أغراض بعثتنا».

ابتسم ليتو قائلًا: «أنتما، يمكن لكما الاقتراب أكثر. اتركا وصيفاتكما واقتربا».

تنحّى مُونِيو خطوتين إلى يمينه مع تقدُّم الأُمّين الموقّرتين مُتّشحتين بالصّمت الذي يُميِّز عشيرتهما، حتّى صارتا على بعد ثلاث خطوات من الحافّة.

«يَسِرنَ كأنهن بلا أقدام!»، هكذا صاح مُونِيو متذمّرًا ذات مرّة.

تذكّر ليتو كلماته، ولاحظ كيف راقب مُونِيو المرأتين بعناية شديدة. كانتا تشكّلان تهديدًا، لكن مُونِيو لم يجرؤ على الاعتراض على اقترابهما. لقد أمر الإمبراطور الإله بهذا، وهذا ما سيكون.

رفع ليتو نظره نحو الوصيفات المنتظرات حيث توقّفت حاشية البِني چيسيرِت أوّل الأمر. كانت المتدرّبات يرتدين أرديةً سوداء بلا غِطاء رأس، ورأى دلائل صغيرة على طقوسٍ مُحرّمةٍ في العادة تُزيِّنهن: تميمةٌ هنا، حليةٌ صغيرةٌ هناك، طرفُ منديلٍ مُلوّن مطوي بعناية لتبرز ألوانه على نحوٍ دقيق. عَلِم ليتو أن الأُمّهات الموقّرات سمحن بذلك لأنهن لم يعد بإمكانهن مشاركة الاسپايس معهن كما كُنّ

يفعلن سابقًا.

*بدائل طقوسيّة.*

لقد شهدت السّنوات العشر الماضية تغييرات كبيرة. تسلّلت نزعة جديدة إلى تفكير الأخويّة، جوهرها التقشُّف.

حدّث ليتو نفسه: *الغموض الموغِل في القِدم ما زال موجودًا، وها هو ذا يكشف عن نفسه.*

لقد ظلّت الأنماط العتيقة خامدة في ذكريات نساء الأخويّة على مدار آلاف السنين.

*وها هي ذي تُعاود الظُّهور الآن. عليّ أن أحذّر مُحاورات الأسماك.* ثم أعاد انتباهه إلى الأُمّين الموقّرتين: «لديكما طلبات؟».

سألته لويسيال: «كيف تشعر بذاتك؟».

رمش ليتو بعينيه. كان ذلك هجومًا مُثيرًا لم يجرّبنه منذ أكثر من جيل. حسنًا... لِمَ لا؟

قال: «أحيانًا تُحجَبُ أحلامي، ويُعاد توجيهها إلى أماكن غريبة. إن كانت ذكرياتي الكونيّة شبكة، كما تعرفان بالتأكيد، ففكّرا في أبعاد تلك الشّبكة، وإلى أين قد تقود مثل هذه الذّكريات والأحلام».

قالت أنتياك: «أنت تتحدّث عن معرفتنا اليقينيّة. لِمَ لا نُوحّد قوانا إذًا؟ ما بيننا من تشابه يفوق اختلافاتنا».

- «أُفضّل التّحالف مع العائلات الكبيرة المضمحلّة التي تندب ثرواتها الضائعة من الاسپايس!».

تمالكت أنتياك أعصابها، في حين ما رفعت لويسيال إصبعها في وجه ليتو قائلةً: «نحن نعرض مشاركة!».

- «وأنا الذي أصرُّ على الصِّراع؟».

تململت أنتياك وقالت: «يُقال إن مبدأ الصِّراع نشأ مع الخلية الأولى، ولم يتوقّف قط».

وافقها ليتو: «بعض الأشياء يتعذّر تواؤمها».

سألته لويسيال: «كيف إذًا تُحافظ أخويّتنا على مُجتمعها مترابطًا؟».

شدّد ليتو من نبرته: «مفتاح استقرار المجتمع يكمن في قمع غير المتوائمين معه، كما تعلمان».

قالت أنتياك: «قد يكون في تعاوننا قيمة هائلة».

- «لَكُنّ، لا لي».

افتعلت أنتياك تنهيدةً وقالت: «إذًا يا مولاي، هلّا تخبرنا عن التّغيّرات الجسديّة التي تحدث لشَخصِك؟».

عقّبت لويسيال: «على شخصٍ آخر غيرك أن يعرف مثل هذه الأشياء ويُسجّلها».

سأل ليتو: «تقصدين في حالة إصابتي بمكروهٍ مُريع؟».

قالت أنتياك مُعترضةً: «مولاي! نحن لا...».

قال ليتو: «أنتما تطعنانني بالكلمات، لكنكما لن ترفُضا استخدام

أدوات أشدّ حِدّة. في نفاقكما إساءةٌ لي».

قالت أنتياك: «نحن نحتجُّ يا مولاي».

- «قطعًا تحتجّان. أنا أسمعكما».

انسلّت لويسيال بضعة ملّيمترات مقتربةً من الحافّة؛ ما جعل مُونِيو يحدجها بنظرةٍ حادّةٍ، ثم رفع ناظريه إلى ليتو. كان في تعبير مُونِيو مطالبة بردّة فعل، لكن ليتو تجاهله، إذ اعتراه الفضول بشأن ما تضمره لويسيال من نيّة. التّهديد يأتي من ذات الشّعر الأحمر.

تساءل ليتو: *ماذا تكون؟ أيُعقل أن تكون راقصة وجه؟*

كلّا، فلا يظهر عليها شيءٌ من العلامات الدّالة. بدت لويسيال شديدة الاسترخاء، ولم تُظهر قسماتها أدنى التواء يختبر قدرة الإمبراطور الإله على الملاحظة.

سألته أنتياك: «ألن تُحدّثنا عن تغيّراتك الجسديّة يا مولاي؟».

فكّر ليتو: *محاولة تشتيت!*

ثم قال: «دماغي ينمو نموًّا هائلًا. معظم جمجمتي البشريّة تحلّلت. لا توجد حدود لنمو قِشرتي الدّماغيّة والجهاز العصبي المقترن بها».

ألقى مُونِيو نظرةً ذاهلةً على ليتو. لماذا يكشف الإمبراطور الإله عن مثل هذه المعلومات الحيويّة؟ قد تُقايض هاتان المرأتان بها لاحقًا.

غير أن الافتتان بهذا الكشف بدا جليًا على المرأتين، ما جعل التردّد يَسِم عزيمتهما على تنفيذ ما كانتا قد خطّطتا له.

سألته لويسيال: «هل لدماغك مركز؟».

ردّ ليتو: «أنا المركز».

استوضحت أنتياك: «تقصد موقعًا؟»، وأشارت بغموضٍ إليه. انزلقت لويسيال بضعة ملّيمترات أقرب إلى الحافة.

سألها ليتو: «ما القيمة التي تريانها في الأمور التي أكشفها لكما؟».

لم يَطرأ أيُّ تغييرٍ على ملامح وجه المرأتين، وكان ذلك كشفًا فاضحًا كافيًا بحدّ ذاته. ارتسمت ابتسامةٌ عابرةٌ على شفتي ليتو.

ثم قال: «لقد أسركم السُوق. حتّى نساء البِني چيسيرِت لم يسلمن من العقليّة السوقيّة(11)».

قالت أنتياك: «لا نستحق منك هذا الاتّهام».

- «بل تستحقّان. العقليّة السوقيّة تهيمن على إمبراطوريّتي. لقد تضخّمت استخدامات السُوق وشُحِذت بفضل متطلبات عصرنا. لقد صِرنا جميعًا تُجّارًا».

سألته لويسيال: «حتّى أنت يا مولاي؟».

قال: «أنت تستفزّين غضبي. أنت اختصاصيّة في هذا، أليس كذلك؟».

- «مولاي؟». قالتها لويسيال بنبرةٍ هادئةٍ تُخفي تحتها تحكُّمًا صارمًا.

قال ليتو: «لا يمكن الوثوق بالاختصاصيّين، فهُم أستاذةٌ في الإقصاء، وخبراء في التضييق».

قالت أنتياك: «نأمل أن نكون مُهندسي مُستقبل أفضل».

سأل ليتو: «أفضل ممَّن؟».

انزلقت لويسيال قيد أُنمُلة نحو ليتو.

قالت أنتياك: «نأمل أن نضع معاييرنا وفقًا لحُكمِك يا مولاي».

- «لكن إن صِرتُنَّ مهندسات، فهل تطمحن إلى تشييد جدرانٍ أعلى؟ لا تنسيا أنني أعرفكن جيّدًا يا معشر الأخوات. أنتن بائعات غمامات بارعات».

قالت أنتياك: «الحياة تستمر يا مولاي».

- «بالتأكيد! وكذلك الكون».

اقتربت لويسيال قليلًا برفق، متجاهلةً انصباب اهتمام مُونِيو عليها.

شمّ ليتو الرّائحة عندئذٍ وكاد يضحك بصوت عالٍ.

*خُلاصة الاسپايس!*

لقد أحضرتا معهما شيئًا من خُلاصة الاسپايس، وهما على دراية، بطبيعة الحال، بالقِصَصِ القديمة عن ديدان الرّمال ونفورها من هذه الخُلاصة. لويسيال هي التي تحمله. لقد تصوّرتا أنه سمٌّ مُخصّص لديدان الرّمال، وهذا واضح، إذ تتّفق سجلات البِني چيسيرِت والتّاريخ الشّفهي على هذه النقطة: فهذه المادة تُفسِّخ جسد الدودة وتُعجِّل بتحلُّلها؛ ما يُفضي في النهاية إلى ظهور يرقات الرمال، التي ستنتج لاحقًا مزيدًا من ديدان الرمال... وهكذا دواليك.

قال ليتو: «يجب أن تعلما بشأنِ تغييرٍ آخر. أنا لستُ دودة رمال بعد، ليس بالكامل. بإمكانكما أن تَغذّاني مستعمرةً إحيائيّةً ذات طفراتٍ عصبيّةٍ حِسّيّة».

تحرّكت يد لويسيال اليُسرى بشكلٍ غير محسوس تقريبًا نحو طيّة في ثوبها. رأى مُونِيو ذلك ونظر إلى ليتو طالبًا أوامره، لكن ليتو لم يَزُدّ إلّا على نظرة لويسيال المُحملقة من خلف نقابها.

قال ليتو: «ما انقطعت البِدع في الرّوائح على مرّ العصور».

تردّدت يدُ لويسيال.

تابع ليتو: «العطور والمُستخلصات. أتذكّرها جميعها. حتّى طوائف عديمي الرّوائح هم جزءٌ من كياني. لطالما لجأ النّاس إلى بخّاخاتِ الإبطين والمناطقِ الحسّاسةِ لإخفاء روائحِهم الطّبيعية. أتعلمين ذلك؟ بالطّبع تعلمين!».

تحرّك نظر أنتياك نحو لويسيال، لكن كلتا المرأتين لم تجرؤ على التّفوّه بكلمة.

قال ليتو: «لطالما عرف النّاس بالسّليقة أن فِرموناتهم تفضحهم».

جَمُدَتِ المرأتان بلا حراك. لقد سمعتا ما قال جيّدًا. فمن بين صنوف رعيّته، كانت الأُمّهات الموقّرات هن الأقدر على فهم رسائله المُبطّنة.

قال ليتو بنبرةٍ فيها اتّهام: «كم تودّان أن تُنقّبا داخلي لاستخراج ثروات ذاكرتي».

اعترفت لويسيال قائلة: «نحن نغار يا مولاي».

قال ليتو: «لقد أسأتُما قراءة تاريخ خُلاصة الاسپايس. يرقات الرِّمال لا تراه سوى ماء فحسب».

قالت أنتياك: «كان مُجرّد اختبار يا مولاي. هذا كل شيء».

- «أتختبرانني؟».

- «اللّوم على فضولنا يا مولاي».

- «أنا أيضًا فضولي. ضعي الخُلاصة التي في جُعبتك على الحافّة إلى جوار مُونِيو. سأحتفظ بها».

ببطء، وبحركةٍ مدروسةٍ تُؤكّد أنها لا تُضمِر عدوانًا، مدّت لويسيال يدها تحت ثوبها وأخرجت قارورة صغيرة تُشِعُّ بضياءٍ أزرق ذاتي، ثم وضعتها برفق على الحافّة.

لم تُبيِّن لويسيال أدنى علامة على أنها قد تحاول ارتكاب فعلٍ متهوِّر.

قال ليتو: «عرّافة حقيقة بلا جدال».

جاملته بتعبيرٍ خافتٍ قد يُحتسب ابتسامةً، ثم انسحبت إلى جانب أنتياك.

سأل ليتو: «من أين حصلتما على خُلاصة الاسپايس؟».

- «ابتعناها من بعض المُهرِّبين».

- «لم يعُد للمُهرِّبين وجود منذ ما يقرب من خمسة وعشرين قرنًا».

- «عدم التبذير يُغني عن الحاجة».

- «مفهوم. والآن أظنُّ أنه يتعيّن عليكما أيضًا إعادة تقييم مفهومكما عن الصبر، أليس كذلك؟».

قالت أنتياك: «لقرون ظللنا نراقب تطوُّرك الجسدي يا مولاي، وقد ظننا...»، ثم بترت عبارتها وسمحت لنفسها بهزة كتفين طفيفة، وهي إيماءة لا تليق، قد يُسمح باستخدامها مع أُختٍ إذا اقتضت الضَّرورة، لكن دون إفراط.

ردّ ليتو على ذلك بزمّ شفتيه، ثم قال: «أنا أعجز عن هزّ كتفيّ».

سألته لويسيال: «هل ستعاقبنا؟».

- «على الترويح عنّي؟».

نظرت لويسيال إلى القارورة الموضوعة على الحافَة.

قال ليتو: «لقد وعدتُ بأن أُجزيكن أجركن، ولسوف أفعل».

قالت أنتياك: «نُفضِّل أن نوفِّر لك الحماية ضمن دوائرنا».

- «لا تطلبا أجرًا عظيمًا».

أومأت أنتياك، ثم قالت: «أنت تتعامل مع الإيكسيّين يا مولاي، ولدينا أسباب تدفعنا إلى الاعتقاد بأنهم قد يُقدمون على مهاجمتك».

- «لا أخشاهم أكثر ممّا أخشاكُن».

قالت لويسيال: «قطعًا أتاك خبر ما يفعله الإيكسيّين».

- «من حينٍ إلى آخر، يأتيني مُونِيو بنسخة من رسائل مُتبادلة بين

أشخاص أو مجموعات في إمبراطوريتي. أسمع من القصص الكثير».

قالت أنتياك: «نحن نتحدّث عن شُنعة جديدة».

سألها: «تظنين أن الإيكسيّين قادرون على إنتاج ذكاء صناعي؟ ذكاء يملك وعيًا مثل وعيك البشري؟»

قالت أنتياك: «نخشى ذلك يا مولاي».

- «أتريدين مني أن أُصدّق أن وصايا الجهاد البطلري ما زالت حيّةً بين الأخوات؟».

قالت أنتياك: «نحن لا نثق بالمجاهيل التي قد تنتج عن التكنولوچيا الابتكاريّة».

مالت لويسيال نحوه قائلة: «يتحاكى الإيكسيّون بأن آلتهم ستسمو فوق الزّمن كما تسمو أنت يا مولاي».

سخر ليتو قائلًا: «النقابة تقول إن فوضى زمنيّة تُحيط بالإيكسيّين. أحريٌّ بنا أن نخشى الإبداع كلّه إذًا؟».

شدّت أنتياك من عودها.

قال ليتو: «أنا أتكلّم معكما بالحق، وأعترف بقدراتكما. ألن تعترفا بقدراتي؟».

أومأت له لويسيال بإيماءة مقتضبة، ثم قالت: «لقد تحالف بنو تِليلاكس والإيكسيّون مع النقابة، ويسعون خلف تعاوننا الكامل معهم».

- «وأنتن تخشين إيكس أكثر من أيّ شيءٍ آخر؟».

قالت أنتياك: «نحن نخشى كل شيءٍ غير خاضع لتحكُّمنا».

- «أنتن لا تتحكّمن فيّ».

قالت أنتياك: «من دونك، سيحتاج النّاس إلينا!».

قال ليتو: «الحقيقة أخيرًا! ها أنتن أولاء تأتينَ إليّ كأنّني عرّافكن، وتطلبن مني تبديد مخاوفكن».

سألت أنتياك بصوتٍ تحكّمت في نبرته بكل ما أُوتيت من قوّة: «هل سيصنع الإيكسيُون دماغًا آليًا؟».

- «دماغ؟ قطعًا لا!».

بدا الارتياح على ملامح لويسيال، لكن ظلّت أنتياك على ثباتها، إذ لم تكن راضيةً عن قول العرّاف.

تساءل ليتو: *لماذا يتكرّر الغباء بهذه الرّتابة؟* استدعت ذكرياته مشاهد لا تُحصى تُشبه هذا المشهد: رأى كهوفًا ملأى بكهنةٍ وكاهناتٍ غارقين في نشوةٍ دينيةٍ، وسمع أصداء أصواتٍ مُنذرة تُملي نبوءات خَطِرة في عبق دُخانِ مُخدّرات مقدّسة.

ألقى ليتو نظرةً سريعةً على القارورة المُشِعّة الموضوعة على الحافة بجانب مُونِيو. ما قيمة هذا الشّيء الحالية؟ هائلة بكل تأكيد. إنها الخُلاصة؛ عُصارة القُروة مُركّزةً.

قال: «لقد دفعتما أجر العرّاف بالفعل، ويُسعدني أن أعطيكما المقابل كاملًا».

يا لليقظة التي دبّت في المرأتين!

قال: «اسمعا ما أقول! ما تخشينه ليس هو ما تخشينه حقًّا».

أُعجِب ليتو بما صدر عنه من كلام، إذ رأى أنه يحمل وقع كلمات أيّ عرّاف. حملقت أنتياك ولويسيال إليه في تضرُّعٍ خاشع، ومن خلفهما، تنحنحت إحدى المتدرِّبات.

فكّر ليتو: *ستُعرف هذه المسكينة لاحقًا وستُقرّع بشِدّة.*

حازت أنتياك الوقت الكافي للتفكير في كلمات ليتو، بعدها قالت: «الحقيقة المُلبِسة ليست بحقيقة».

قال ليتو: «لكنني وجّهت انتباهكما إلى الاتّجاه الصّحيح».

سألت لويسيال: «أتقول لنا ألّا نخشى تلك الآلة؟».

قال: «أنتن تتمتّعن بنعمة العقل. لماذا تأتين متسوّلاتٍ على بابي؟».

قالت أنتياك: «لكننا لا نتمتّع بقدراتك».

- «شكوتكن إذًا محورها عجزكن عن استشعار أمواج الزّمن الخفيفة. أنتن لا تستشعرن استمراريّتي، وتَخشين محض آلة».

قالت أنتياك: «لن تجيبنا إذًا».

قال: «لا تخالي أنني أجهل أساليب أخويّتكن. أنتن مُفعمات بالحيويّة، وحواسكن مشحوذةٌ بدِقّةٍ متناهيةٍ. أنا لا أتدخّل لإيقاف هذا، وعليكن أنتن أيضًا ألّا تفعلن ذلك».

احتجّت أنتياك: «لكن الإيكسيّين يلهون بالميكنة الذّاتية!».

وافقها قائلًا: «وما هي إلّا أجزاء منفصلة؛ قطع محدودة بعضها

موصول ببعض... بمُجرّد أن تبدأ الحركة، ما الذي يمكن أن يوقفها؟».

تخلّت لويسيال عن كل مظاهر التّحكُّم في النفس التي تشتهر بها البِني چيسيرِت، في تعبيرٍ بليغ عن إدراكها لقدرات ليتو، وصرخت بصوتٍ يكاد يُبحُّ من شِدّة الحِدّة: «أتعرف بم يتبجّح الإيكسيُون؟ بأن آلتهم ستتنبأ بأفعالك!».

- «وما الخشية في ذلك؟ فكلّما اقتربوا مني، ازدادوا تحالُفًا معي. إن قهري لهو شيءٌ لا يقدرون عليه، لكنني أستطيع قهرهم».

همّت أنتياك بالكلام، لكنها توقّفت حين لمست لويسيال ذراعها.

سألته لويسيال: «هل تحالفت مع الإيكسيّين بالفعل؟ سمعنا أنك تشاورت مُدّة طويلة مع سفيرتهم الجديدة، السّيّدة هِوي نوري».

قال ليتو: «ليس لديّ حُلفاء. لديّ خدم، ومريدون، وأعداء».

أصرّت أنتياك: «وأنت لا تخشى الآلة الإيكسيّة؟».

سألها: «هل الأتمتة مُرادفٌ للذكاء الواعي؟».

اتّسعت عينا أنتياك وغشيتها ضبابيّة وهي تغوص في ذكرياتها. استولى الافتتان على ليتو بماهيّة ما تراه أنتياك الآن في أعماق حشودها الدّاخليّة.

وفكّر: *إننا نتقاسم بعض تلك الذّكريات.*

فجأةً، شعر ليتو بانجذابٍ غاوٍ لفكرة الانتماء إلى مُجتمع الأُمّهات المُوقّرات. كم سيكون هذا المُجتمع مألوفًا وداعمًا له بشِدّة... لكنه سيكون مُميتًا في الوقت نفسه. كانت أنتياك تحاول استدراجه مرّةً

أخرى.

ثم تحدّثت المرأة: «تعجز الآلة عن التنبؤ بكل مُشكلة تمسّ البشر. هذا هو الفرق بين العمليّات المتسلسلة، والكمّ المُتّصل. نحن معشر البشر نمتلك الأخير، أمّا الآلات فمحدودة بالأولى».

قال: «ما زلتِ تتمتّعين بالرُّشد».

قالت لويسيال: «عليك مُشاركة!». كان هذا أمرًا مُوجّهًا إلى أنتياك، وقد كشف بشكل مفاجئ عن المُسيطر الحقيقي على هذا الثنائي: الصغيرة هي التي تقود الكبيرة.

فكّر ليتو: بديع.

قالت أنتياك: «الذّكاء يتكيّف».

فكّر ليتو وهو يُخفي استمتاعه: *إنها مُقترةٌ في كلماتها كذلك.*

ثم قال: «الذكاء خلّاق. وهذا يعني أن على المرء، في حضرته، أن يتعامل مع استجابات لم تخطر له على بال. عليه مواجهة ما هو جديد».

قالت أنتياك: «كإمكانية وجود الآلة الإيكسيّة»، ولم تكن عبارتها سؤالًا.

سألها ليتو: «أليس من اللّافت أن كونك أمًّا مُوقّرةً عُليا لا يكفي؟».

ثم التقطت حواسّه المرهفة الخوف القابض الذي اعترى المرأتين. عزّافتا حقيقة، لا جدال!

قال: «أنتما مُحِقّتان في خشيتي»، ثم رفع صوته متسائلًا: «كيف

تعرفان أنكما على قيد الحياة أصلًا؟».

كما حدث مع مُونِيو مرّاتٍ عِدّة، سمعت المرأتان في صوته العواقب الوخيمة المترتّبة على الفشل في الإجابة عن سؤاله بشكل صحيح، وقد أُخِذ ليتو بحقيقة أن كلتا المرأتين نظرت إلى مُونِيو قبل أن تُجيب أيٌّ منهما.

قالت لويسيال: «أنا مرآة لذاتي»، وهو جواب مُقولب من أجوبة البِني چيسيرِت وجده ليتو مُهينًا.

قالت أنتياك: «لستُ في حاجة إلى أدواتٍ مُعدّة مُسبقًا للتعامل مع مشكلاتي البشريّة. سؤالك غير ناضج!».

ضحك ليتو: «ها ها! ما رأيك أن تستقيلي من البِني چيسيرِت وتنضمّين إليّ؟».

لاحظ أنها فكّرت في دعواه، ثم رفضتها، لكنها لم تُخف سرورها.

نظر ليتو إلى لويسيال المُشتّتة: «إن تجاوز الأمر معاييرك، فاعلمي أنك تتعاملين مع ذكاءٍ حقيقي، لا مع آلية مُبرمجة». ثم فكّر: *لن تتمكّن لويسيال من السّيطرة على أنتياك مُجدّدًا.*

استولى الغضب على لويسيال الآن، ولم تحاول إخفاءه وهي تقول: «يُقال إن الإيكسيّين زوّدوك بآلات تُحاكي التفكير البشري. إن كنت تحتقرهم إلى هذا الحدّ، فلِمَ...».

قال ليتو موجّهًا كلامه إلى أنتياك: «لا ينبغي السماح لها بالخروج من بيت الأخويّة دون وَصيّة عليها. أهي خائفة من مواجهة ذكرياتها؟».

شحب لون لويسيال، لكنها لم تنطق بكلمة.

تفرّس ليتو ملامحها ببرود، ثم قال: «العلاقة الطويلة غير الواعية بين أسلافنا والآلات قد علمتنا شيئًا، أليس كذلك؟».

اكتفت لويسيال بالنّظر إليه شزرًا، إذ لم تكن مستعدّة بعد للمخاطرة بحياتها بتحدي الإمبراطور الإله علنًا.

سألها ليتو: «ألا توافقين أننا على الأقل نعلم جاذبيّة الآلات؟».

أومأت لويسيال.

قال ليتو: «قد يُعتمد على الآلة المُصانة بعناية أكثر من الخادم البشري، إذ يمكن الوثوق بأنها لن تنجرف وراء الانشغالات العاطفيّة».

عثرت لويسيال على صوتها، وقالت: «أيعني هذا أنك تنوي إزالة الحظر البطلري ضد الآلات البغيضة؟».

قال ليتو متحدّثًا بصوته البارد المُفعم بالازدراء: «أقسم إنه إذا أظهرت مزيدًا من هذا الغباء، سآمر بإعدامك علنًا. أنا لستُ عرّافك!».

فتحت لويسيال فمَها لتقول شيئًا، لكنها أغلقته دون أن تنطق.

لمست أنتياك ذراع رفيقتها، ما أرسل رعدة سريعة في جسد لويسيال. تحدّثت أنتياك بهدوء، مُظهرةً تَحكُّمًا رائعًا في قدرة الصّوت: «إمبراطورنا الإله لن يتحدّى محظورات الجهاد البطلري علنًا أبدًا».

ابتسم ليتو لها، وكان في ذلك إشادةٌ لطيفة، إذ كان يشزُه مُشاهدة مُحترفة تؤدّي أفضل ما في جعبتها من أداء.

قال: «يجب أن يكون الآتي واضحًا لأيّ مخلوقٍ يمتلك ذكاءً واعيًا. تُوجد حدودٌ اخترتُها بنفسي، أماكن لن أتدخل فيها».

لاحظ ليتو كيف تتشرّب المرأتان فحوى كلماته المُتشعّبة، وتزنان ما قد تحمله من معانٍ محتملة ومقاصد. هل يصرف الإمبراطور الإله ذهنهما، مُركّزًا اهتمامهما على الإيكسيّين، في أثناء ما يناور هو في مكان آخر؟ هل يُلمّح إلى البِني چيسيرِت أن الوقت قد حان لاختيار جانب ضد الإيكسيّين؟ أمن الممكن ألّا تحمل كلماته أكثر من معانيها السّطحية؟ مهما كانت أسبابه، فلم يكن من الممكن تجاهلها، إذ إنه بلا شك أمكر الكائنات التي أنجبها الكون طُرًّا.

عبس ليتو في وجه لويسيال، عالمًا أنه بذلك يُزيد من حيرتهما: «أُنبّهك أنتِ، يا ماركوس كلير لويسيال، إلى درسٍ من مجتمعاتٍ خلت، أفرطت في اعتمادها على الآلات، وهو درس يبدو أنكِ لم تتعلميه. تلك الآلات برمجت المستخدمين وجعلتهم يستغِلُّ بعضهم بعضًا، تمامًا كما يستغِلُّون الآلات».

ثم أدار انتباهه إلى مُونِيو متسائِلًا: «مُونِيو؟».

- «أراه يا مولاي».

مدّ مُونِيو عنقه مُشرئِبًّا لينظر من فوق حاشية البِني چيسيرِت. دخل دانكن آيداهو من البوّابة البعيدة، وسار بُخطًى واسعةٍ قاطعًا أرض القاعة نحو ليتو. لم يُخفِّف مُونِيو من حذره، ولا من انعدام ثِقته بالبِني چيسيرِت، لكنه أدرك طبيعة محاضرة ليتو. *إنه يمتحنهما، دائمًا يمتحن.*

تنحنحت أنتياك قائلةً: «مولاي، ماذا عن مكافأتنا؟».

قال ليتو: «أنت جريئة، ولا شك في أن لهذا السّبب وقَعَ عليك الاختيار لترؤُس هذه السّفارة. حسنًا، سأستمر في منحكن نفس مقدار حِصّة الاسپايس طوال العقد القادم. أمّا بخصوص الأمور الأخرى، فلسوف أتجاهل ما كنتما تريدان تحقيقه بخُلاصة الاسپايس. أولستُ كريمًا؟».

قالت أنتياك: «لا كرم بعد كرمك يا مولاي»، ولم يكن في صوتها أدنى لمحة من مرارة.

حينئذ، كان آيداهو قد تجاوز المرأتين، ووقف إلى جوار مُونِيو رافعًا بصره إلى ليتو: «مولاي، ثمّة...»، ثم بتر كلامه وألقى نظرة على الأُمّين المُوقَّرتين.

أمره ليتو: «تكلّم».

- «حسنًا يا مولاي»، ثم تردّد قليلًا قبل أن ينصاع للأمر: «لقد تعرّضنا لهجومٍ على حدود المدينة الجنوبيّة الشرقيّة، لكنني أرى أن هذا مُجرّد إلهاء، لأن تقاريرَ أتتنا الآن عن وقوع مزيدٍ من أعمال العُنف في المدينة، وفي الغابة المحرمة، على يد مجموعات مُغيرة عديدة مُتفرّقة».

قال ليتو: «إنهم يطاردون ذئابي؛ يتصيّدونها في الغابة وفي المدينة».

انعقد حاجبا آيداهو في عبوسٍ حائر وقال: «أفي المدينة ذئاب يا مولاي؟».

قال ليتو: «مفترسون أو ذئاب.. لا فارق جوهري في نظري».

شهق مُونِيو.

ابتسم ليتو إليه مُفكرًا في مدى جمال لحظة الإدراك؛ لحظة زوال الحجاب عن الأعين، وانفتاح العقل.

قال آيداهو: «لقد أحضرت قوّةً كبيرةً من الحرس لحماية هذا المكان، وهن منتشرات الآن عبر...».

قال ليتو: «علمت أنك ستفعل ذلك. الآن أنصت إليّ جيّدًا كي أُخبرك أين ترسل بقيّة قوّاتك».

راقبت الأُمّان الموقّرتان، في انبهار، ليتو وهو يعرض على آيداهو نقاط نصب الكمائن بالتحديد، مُفصّلًا حجم كل قوّة، وبعض أفرادها المُعيّنين، والتوقيت المطلوب، والأسلحة اللازمة، وتوزيعها الدّقيق في كل موقع جغرافي. سجّلت ذاكرة آيداهو الواسعة كل التّعليمات، وقد ظلّ مشغولًا بالاستماع، حتّى إنّه لم يناقش شيئًا إلى أن انتهى ليتو من كلامه وصمت، حينها غمرته نظرة من الخوف الحائر.

من جانب ليتو، بدا الأمر كأنه يخترق عُمق وعي آيداهو بعينيه لقراءة الأفكار الكامنة فيه. كان آيداهو يُفكّر: *لقد كنت الجُنديّ المؤتمن لسيّدي ليتو الأصلي. ذلك الرّجل، جدُّ هذا الذي أمامي، انقذني وضمّني إلى عائلته كابنٍ له. لكن مع أن ذلك السّيّد القديم لا يزال يتمتّع بنوع من الوجود داخل هذا الآخر... فإنه ليس هو.*

سأل آيداهو: «مولاي، لماذا تحتاج إليّ؟».

- «لقوّتك وإخلاصك».

هزّ آيداهو رأسه قائلًا: «لكن...».

قال ليتو: «أنت مثالي في طاعة الأوامر»، ولاحظ الطّريقة التي تتشرّب بها الأُمّان المُوقّرتان تلك الكلمات. *الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، إذ إنهما عزّافتا حقيقة.*

قال آيداهو: «لأنني مدين لآل آتريديز».

- «هذا مكمن ثقتنا»، ثم أردف: «بالمناسبة يا دانكن...».

- «مولاي؟». بدا في صوت آيداهو أنه عثر على أرضٍ صلبة ليقف عليها.

قال ليتو: «اترك ناجيًا واحدًا على الأقل في كل موقع، وإلّا ضاعت جهودنا سُدًى».

أومأ آيداهو باقتضاب، وغادر مسرعًا عبر القاعة كما جاء. فكّر ليتو أن الأمر يتطلّب عينًا فائقة الحساسيّة لرؤية أن آيداهو المُغادر يختلف تمامًا عن آيداهو الذي دخل المكان.

قالت أنتياك: «تلك عواقب جلد السّفير».

وافقها ليتو: «بالضّبط! أخبري رَئيستك، الأُمّ الموقّرة الرّائعة سياكسا، الآتي بعناية. أخبريها نيابةً عني أنني أفضل صحبة المُفترسات على صُحبة الفرائس»، ثم نظر إلى مُونِيو، الذي أعاره كامل انتباهه، وقال: «مُونِيو، لقد اختفت الذّئاب من غابتي. يجب استبدال ذئابٍ بشريّة بها. عليك بالأمر».

حالة الغشية التي تصاحب النُّبوءَة لا تُشبه أيّ تجرِبة تبصُّرٍ أخرى. إنها ليست تعطيلًا للحواس أو تخديرًا ليقظتها الطبيعية، كما في كثيرٍ من حالات الغشية، بل هي انغماس في عالم من الحركات الجديدة والمتنوعة. كل شيء فيها يتحرك. إنها تجربة برجماتيّة خالصة في خِضَم الكون اللّا نهائي. إنها وعيٌ مُلِحٌّ يُدرك فيه المرء بوضوحٍ تام أن الكون يتحرك بذاته، وأنه يتغير، وأن قوانينه تتبدل، وأن لا شيء فيه يبقى ثابتًا أو مطلقًا وسط هذا التّغيير المستمر. التفسيرات الميكانيكيّة لأيّ ظاهرة لا تعمل إلّا ضمن حدودٍ ضيّقة، وبمجرد انهيار تلك الجدران المُقيّدة، تتفتّت التفسيرات القديمة وتذوب، ويبدّدها زخم الحركات الجديدة. ما تراه في تلك الغشية يوقظك، وكثيرًا ما يكون صادمًا مُزلزلًا، ويتطلب منك بذل أقصى جهد للحفاظ على تماسكك، وحتّى مع ذلك، تخرج من تلك الحالة وقد تغيّرت بعُمق.

- المذكّرات المسروقة

في ليلة يوم استقبال الوفود، والآخرون إمّا نيامٌ يحلمون، وإمّا يقاتلون ويموتون، آثر ليتو أن ينعم بقسطٍ من الرّاحة في عُزلة قاعته، التي تحرس بوّاباتها مجموعة من مُحاورات الأسماك ذوات الثّقة.

لكنه لم ينم، إذ ظلّ عقله محمومًا يتنقّل بين الضّرورات والإحباطات.

*هِوي! هِوي!*

لقد أدرك لماذا أُرسِلت هِوي نوري إليه في هذا التوقيت! ويا له من

إدراك!

*لقد انكشف أشدُّ أسراري سِرِّيَّةً.*

لقد اكتشفوا سِرّه، وهِوي هي الدليل على ذلك.

راودته أفكارٌ يائسة: هل يمكن أن يعكس هذا التّحوُّل الشنيع؟ هل يمكن أن يعود إلى حالته البشريّة؟

*مستحيل.*

حتّى لو كان الأمر ممكنًا، ستستغرق العمليّة ذات المُدّة التي استغرقها وصوله إلى هذه النُّقطة. أين ستكون هِوي بعد أكثر من ثلاثة آلاف عام؟ مُجرّد تراب وعظام في القبر.

بإمكاني استيلاد أُخرى على هيئتها، وأُعِدُّها لنفسي... لكنها لن تكون عزيزتي هِوي الرّقيقة.

وماذا عن الصِّراط الذّهبي إذ هو انغمس في مثل هذه الأهداف الأنانية؟

*فليذهب الصِّراط الذّهبي إلى الجحيم! هل فكر هؤلاء الحمقى الأغبياء فيّ يومًا؟ لم يحدث!*

لكن هذا ليس صحيحًا. لقد فكّرت هِوي فيه، وشاركته عذابه.

كانت هذه أفكارًا جنونيّة، سعى لتبديدها حين التقطت حواسّه حركةً خافتةً بين الحرس، وجريان الماء تحت قاعته.

*ماذا كنت أتوقّع حين اتّخذتُ هذا القرار؟*

كم ضحك الحشد الدّاخلي على هذا التّساؤل! أليس عليه إتمام المهمّة؟ أليس ذاك جوهر الاتّفاق الذي يضمن بقاء الحشد تحت السيطرة؟

لقد قالوا له: «أمامك مهمّة عليك إتمامها. ليس لك سوى هدفٍ واحدٍ لا غير».

*الهدف الواحد سِمة المتعصّبين، وأنا لست بمتعصبٍ!*

«يجب أن تكون خبيثًا وقاسيًا. لا يمكنك خيانة الثّقة».

*لِمَ لا؟*

«ألم تكن أنتَ مَن أقسم؟ لقد اخترت هذا الطّريق بمحض إرادتك».

*التوقُّعات!*

«التّوقُّعات التي يرسمها التّاريخ لجيل، كثيرًا ما تتحطّم في الجيل التّالي. من أدرى بذلك منك؟».

*أجل... والتوقُّعات الخائبة يمكن أن تؤدّي إلى نفور شعوبٍ بكاملها. وأنا... أنا وحدي شعبٌ بأسرِه!*

«تذكّر القسم الذي أقسمت!».

*أتذكّره. أنا القوة المزعزعة التي أُطلقت على الكون وعبر القرون. أنا من يحدُّ من التّوقُّعات... بما فيها توقُّعاتي الشّخصيّة. أنا من يكبح حركة البندول.*

- «ثم يُطلقه. لا تنس ذلك».

*آهِ، لشِدّة ما أنا مُتعب! فقط لو أستطيع أن أنام... أن أنام حقًّا.*

«أنت أيضًا كثير الرّثاء لحالك».

*ولِمَ لا؟ من أنا؟ أنا المستوحد المجبور على النّظر إلى ما كان يمكن أن يكونه. كل يومٍ أرى شبح ذلك الآخر ماثلًا أمامي... والآن، هِوي!*

«ها هو ذا خيارك الأصلي، النابع من نكران الذات، يملؤك الآن بالأنانية».

*الخطر يحيط بي من كل جانب. يجب أن أرتدي أنانيّتي كدرعٍ واقٍ.*

«كل من يلمسك مُعرّضٌ للخطر. أليس ذلك جوهر طبيعتك؟».

*أنا خطرٌ حتّى على هِوي. هِوي العزيزة الغالية المبهجة.*

«أبنيت أسوارًا عالية من حولك كي تجلس خلفها ترثي لحالك فحسب؟».

*تلك الأسوار بُنيت لأن قوًى هائلة أُطلِق عنانها في إمبراطوريّتي.*

«أنت من أطلق العنان لها، أستتخلّى عنها الآن؟».

*ما أنا فيه الآن هو من فعل هِوي. لم تكن هذه المشاعر بهذه القوة في نفسي من قبل. هذا من فعل الإكسيين الملعونين!*

«يا له من خُبثٍ أن يهاجموك بشخصٍ لا بآلة!».

*لأنهم عرفوا نقطة ضعفي.*

«وأنت تعرف علاجك».

سرت رعدة في جسد ليتو الهائل من جراء هذه الفكرة. كان يعلم جيّدًا العلاج الذي لطالما نجح معه من قبل: أن يذوب في ماضيه لفترة من الزمن. حتّى أخوات البِني چيسيرِت يعجزن عن القيام بمثل هذه الرّحلات؛ أن يضربن في الأراضي الدّاخليّة على طول محور ذكرياتهن؛ رجوعًا إلى ماضٍ موغل في القِدم، حتّى بلوغ حدود الوعي الخلوي ذاته، أو التّسكّع على قارعة الطريق للنّهل من مباهج حِسّيّة مُعقّدة. ذات مرّة، بعد موت غول دانكن استثنائي التميّز، خرج ليتو في جولة بين الحفلات الموسيقيّة العظيمة المحفوظة في ذاكرته. سرعان ما أصابه الملل من موتسارت. *هذا المُدّعي المُتصنّع! لكن باخ... آهٍ من باخ.*

تذكّر ليتو تشنيف أُذنيه.

*جلست أمام الأُرغُن، وتركت الموسيقى تغمرني.*

لم يحدث في ذاكرة البشريّة أن ضاهى أحدٌ باخ إلّا ثلاثة. حتّى ليكالّو لم يكن أفضل منه. كان على قدم المساواة، لكنه ليس أفضل.

هل ستكون المحققات من النساء علاجًا مناسبًا له هذه الليلة؟ لطالما كانت الجدّة چيسيكا من الأفضل في هذا المجال. لكن خبرته أخبرته أن شخصًا قريبًا منه مثل چيسيكا لن يكون العلاج الأمثل لتوتّراته الحالية. يجب أن يقوده بحثه إلى أماكن أبعد بكثير.

تخيل حينها أنه يروي مثل هذه الرحلة لزائرٍ مذهول، زائرٍ مُتخيّل بالكامل، لأن لا أحد في الواقع يجرؤ على سؤاله عن مثل هذه المسألة المقدّسة.

- «تراني أعود إلى الوراء نزولًا عبر مُدرّج الأسلاف، أبحث بطول الرّوافد، أندفع إلى الزّوايا والشُّقوق. لن تتعرف على كثيرٍ من أسمائهم. مَن سَمِع عن نورما سينقا؟ أما أنا فعشتُها!».

فيسأل الزّائر المُتخيّل: «عشتَها؟».

- «قطعًا. لماذا يحتفظ المرء بأسلافه قريبين منه إن لم يكن لهذا؟ هل تظن أن من صمّم أول سفينة من شفْن النقابة كان رجُلًا؟ ألم تخبركم كُتُب التاريخ أن هذا كان أورليوس فِنبورت؟ حسنًا، لقد كذبت الكُتُب عليكم. بل كانت عشيقته، نورما، هي من منحته التّصميم، كما منحته خمسة أطفال. كان يرى أن غروره لا يقبل بأقل من ذلك. في النهاية، أدّت معرفته بأنه لم يُحقّق الصُّورة التي يطمح إليها عن نفسه إلى تدميره».

- «هل عِشتَه هو أيضًا؟».

- «قطعًا. كما زرعتُ الأراضي البعيدة التي اجتازها الفرمِن في ترحالهم. ومن خلال سلالة والدي وآخرين، غُدتُ مباشرة إلى آل أتريوس».

- «يا لها من سلالة مجيدة!».

- «لكنها لا تخلو من الحمقى».

فكّر ليتو: *الإلهاء هو ما أحتاج إليه.*

أيجعلها جولة عبر المغامرات الجنسيّة ومآثرها إذًا؟

- «ليس لديك أدنى فكرة عن كمّ طقوس العربدة الجنسيّة المتاحة

لي! أنا مُشاهِد الإباحيّة الأكبر. أعظم مُراقب ومُشارك في آنٍ واحد! لقد تسبّب الجهل بالجنس وسوء فهمه في كثيرٍ من المعاناة. كم كُنا ضيّقي الأُفُق، شديدي الظّنّ!».

أدرك ليتو أنه لن يستطيع سلك هذا المسار. ليس اللّيلة، ليس في وجود هِوي هنا، في مدينته.

هل سيختار مراجعة شؤون الحرب إذًا؟

طرح ليتو سؤالًا على زائره المُتخيّل: «أيُّ نابليون كان الأجبن؟ لن أُفشي ذلك، لكنني أعرف. آهٍ، كم أعرف».

*إلى أين أذهب؟ مع انبساط الماضي كله أمامي، إلى أين أذهب؟*

المواخر، ويلات الحروب، الطُغاة، البهلوانات، الغُراة، الجزّاحون، البغي من الرّجال، الموسيقيّون، الحواة، المُداهنون، القساوسة، الحرفيّون، الكاهنات...

ثم طرح سؤالًا آخر على زائره المُتخيّل: «هل تعلم أن رقصة الهولا تحتفظ بلُغة إشارة قديمة كانت في الماضي حِكرًا على الذكور؟ ألم تسمع قط عن رقصة الهولا؟ بالطبع، فمن يرقصها الآن؟ لقد حافظ الرّاقصون على أشياء كثيرة، أمّا ترجمة الإشارات فقد ضاعت، لكنني أعرفها».

- «ذات ليلة طويلة، كنت وَحدي سلسلة من الخلفاء، يتقدّمون شرقًا وغربًا ناشرين الإسلام، في رحلةٍ استمرّت قرونًا. لكني لن أزعجك بالتفاصيل. انصرف الآن أيها الزائر!».

ثم فكّر: *كم هو غاوٍ نداء السّيرِنيّات الذي يغريني بالعيش في*

*الماضي فحسب.*

*وكم صار هذا الماضي عديم الفائدة الآن، بسبب صنيعة الإيكسيّين الملعونين. كم يصير الماضي مُملًا حين تكون هِوي هنا. لسوف تأتيني الآن إن استدعيتها. لكني لا أستطيع استدعاءها... ليس الآن... ليس الليلة.*

استمرّ الماضي يناديه.

*بإمكاني الخروج في رحلة حجّ إلى ماضيّ. ليس من الضّروري أن تكون رحلة استكشافيّة. بإمكاني الخروج بمفردي. الحج يُطهّر، أما الرّحلات الاستكشافيّة فتجعل مني سائحًا. هذا هو الفرق. بإمكاني الغوص بمفردي إلى عالمي الداخلي.*

*ولا أعود بعدها أبدًا.*

شعر ليتو بحتمية هذا المآل، بأن حالة الحلم هذه ستسجنه في نهاية المطاف.

*إنني أخلق حالة خاصّة من الحلم في إمبراطوريّتي. داخل هذا الحلم، تتشكّل أساطير جديدة، وتظهر اتّجاهات وحركات جديدة. جديدة... جديدة... جديدة هي الأشياء التي تنبثق من أحلامي، وتتجسّد من أساطيري. من أكثر غُرضة لها مني؟ ها قد وقع الصّيّاد في شراكه.*

أدرك ليتو حينها أنّه أمام حالة لا علاج لها، لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل، فراح جسده العظيم يختلج ويرتعش في ظلام قاعته.

عند البوّابة، همست مُحاورة أسماك إلى أخرى: «هل الرّبُّ منزعج؟».

فأجابتها رفيقتها: «خطايا هذا الكون كفيلة بأن تُزعِج أيّ شخص».

سمعهما ليتو، وبكى في صمت.

حين شرعتُ في هداية البشريّة إلى صِراطي الذّهبي، وعدتهم بتلقينهم درسًا سيرسخ في عِظامهم. إني أعرف في البشر نمطًا متأصّلًا تُنكِرهُ أقوالهم، وإن كانت أفعالهم تُؤكّده. يدّعي البشر أنهم يسعون إلى الأمن والهدوء، إلى تلك الحالة التي يُسمُّونها السّلام. لكن تجدهم حتّى وهم يتحدّثون عن السّلام يبذرون بذور الاضطرابات والعنف. وإن حدث وعثروا على مأمنٍ هادئٍ لفترة، يتلؤون فيه من الملل. انظر إليهم الآن، انظر ماذا يفعلون وأنا أُدوّن هذه الكلمات. عجبًا لهم! ها أنا ذا أمنحهم قرونًا طويلة من الهدوء القَسري الذي يستمر رغم أنف كل جهدٍ يبذلونه للتملّص منه إلى الفوضى. صَدّقوني، لسوف تلازمهم ذكرى حقبة سلام ليتو إلى الأبد، ولن ينشدوا الأمان الهادئ بعد ذلك إلا بحذرٍ شديد واستعداداتٍ صارمة.

- المذكّرات المسروقة

فجرًا، وعلى غير إرادته، وجد آيداهو نفسه إلى جوار سيونا على متن أورنيثوپتر إمبراطوريّة تُقِلّهما إلى «مكان آمن». حلّقت الثوپتر شرقًا باتّجاه قوس أشعة الشّمس الذّهبيّة، المرتفع فوق مساحاتٍ شاسعةٍ مقسّمةٍ إلى مزارع خضراء مستطيلة الشّكل.

كانت الثوپتر ضخمة، تتّسع لفرقة مُحاورات الأسماك الصّغيرة مع ضيفيهم. عرّفت الطيّارة قائدة الفرقة -وهي امرأة متينة ذات وجه لم يكن آيداهو ليجد صعوبة في تصديق أنه لم يبتسم قط- نفسها باسم إنمير. كانت تجلس في مَقعَد القيادة أمام آيداهو مباشرة، وعن يمينها ويسارها حارستان مفتولتان من مُحاورات الأسماك، بالإضافة

إلى خمسة حراس آخرين يجلسون خلف آيداهو وسيونا.

حين أتته إنمير في مركز القيادة أسفل السّاحة المركزيّة، قالت له: «أمرني الرّب أن آخذكما بعيدًا عن المدينة. هذا إجراء من أجل سلامتك. سنعود صباح غدٍ لحضور السِيانوق».

شعر آيداهو، الذي أرهقته اللّيلة المليئة بالاضطرابات، بعدم جدوى نقاش أوامر «الرّبّ ذاته»، خاصّة أن إنمير بدت قادرة تمامًا على حمله أسفل إحدى ذراعيها السّميكتين. خرجت به إنمير من مركز القيادة إلى ظلام اللّيلة البارد المُغطّى بنجومٍ شتّى، تلمع كحبيبات جواهر مُحطّمة متناثرة في قُبّة السّماء. لم يبدأ آيداهو التّساؤل عن غرض هذه الرّحلة إلا حين وصل إلى الثويتر ورأى سيونا تجلس منتظرةً في داخلها.

خلال اللّيلة، أدرك آيداهو أن أعمال العنف في أونْ لم يكن مصدرها جميعًا تنظيمات المتمرّدين. وعندما سأل عن سيونا، أرسل مُونِيو رسالة مُفادها أن «ابنتي خرجت بسلام»، وأضاف في نهاية الرّسالة: «أوصيك برعايتها».

في الثويتر، لم تُجب سيونا عن أسئلة آيداهو، وجلست حتّى اللّحظة في صمتٍ كالح. ذكّرته بنفسه في الأيّام المريرة الأولى حين أقسم على الانتقام من الهراكنة، وتساءل عن سبب ما يعتريها من مرارةٍ. ما الذي دفعها إلى ذلك؟

ودون أن يعرف السّبب، وجد آيداهو نفسه يقارن سيونا بهِوي نوري. لم يكن لقاؤه بهِوي أمرًا يسيرًا، لكنه تمكّن من ذلك، على الرّغم من إلحاح مُحاورات الأسماك المتواصل بأن ينصرفَ إلى مهامّ أخرى.

رقيقة، كانت هذه هي الكلمة المناسبة لوصف هِوي. كانت تصرُّفاتها نابعة من طبعٍ لطيفٍ جوهري، وهو شيءٌ له قوّته الخاصّة الهائلة، وقد وجد آيداهو هذا الشّيء شديد الجاذبيّة.

*يجب أن أراها أكثر من ذلك.*

أمّا الآن، فعليه أن يكافح صمت سيونا الكئيب التي تجلس بجانبه. حسنًا... يمكن مقابلة الصّمت بصمت.

حدّق آيداهو إلى الأراضي التي تمرُّ من تحته. رأى أضواء القُرى المتناثرة هنا وهناك تُطفأ مع دنو ضوء الصّباح. كانت صحراء السّرير تقبع بعيدًا خلف هذه الأرض، التي بدا، من مظهرها، أنها لم تعرف الجفاف قط.

فكّر آيداهو: *بعض الأشياء لا يصيبها تغييرٌ كبير؛ فقط تؤخذ من مكان وتُوضع في مكانٍ آخر.*

ذكّره هذه المشهد بحدائق كلادان الوارفة، وجعله يتساءل عمّا حدث للكوكب الأخضر الخصيب الذي عاش فيه آل آتريديز لأجيالٍ عديدة قبل مجيئهم إلى كثيب. كان بوسعه التعرُّف على الأزِقّة الضّيقة، والأسواق التي تعجُّ بمركبات متناثرة تجرُّها حيواناتٌ لها سِتُّ قوائم، والتي خمن أنها خُيول(12). لقد قال مُونِيو إن الخُيول، تلك البهائم التي هُيِّئت وتكيّفت مع طبيعة هذه الأراضي، هي دواب العمل الرّئيسة، ليس هنا فحسب، بل في مختلف أنحاء الإمبراطورية.

- «يسهل التّحكُّم في شعبٍ يُثقلُه السّعي».

رنّت كلمات مُونِيو في عقل آيداهو وهو يحدّق أسفله.

ثم ظهرت المراعي أمام الثوبتر. هضابٌ خضراء منبسطة تُقسّمها جدرانٌ حجريّة سوداء إلى رُقَعٍ غير منتظمة. رأى آيداهو أغنامًا ترعى، وعِدّة أنواع من الماشية الكبيرة. مرّت الثوبتر فوق وادٍ ضيق ما زال غارقًا في العتمة، لا يجري فيه إلّا مجرى هزيل يكاد يجف ماؤه، ولا تظهر فيه إلّا علامة واحدة تدلُّ على وجود بشر: ضوءٌ وحيد وعمودُ دخان أزرق يرتفع من بين الظِّلال التي تكتنف جنباته.

تحرّكت سيونا فجأة وربّتت على كتف الطّيارة، مُشيرة أمامهم إلى جهة اليمين.

وسألت: «أليست تلك جُويجوا هناك؟».

قالت إنمير دون أن تلتفت: «أجل»، بصوتٍ مُتهدّجٍ تخالطه مشاعر لم يستطع آيداهو تحديدها.

سألت سيونا: «أوليست مكانًا آمنًا؟».

- «إنها آمنة».

نظرت سيونا إلى آيداهو وقالت: «مُرها بأن تأخذنا إلى جويجوا».

قال آيداهو دون أن يعلم سببًا لامتثاله: «خذينا إلى ذلك المكان».

عندها التفت إنمير نحوه، وكشفت ملامحها -التي رأى فيها آيداهو ليلًا كُتلة مُربّعة خالية من الإحساس- عن مشاعر عميقة تختلج في صدرها. التوى فمها في تَجَهُّمٍ، وارتعش عصبٌ في زاوية عينها اليُمنى.

قالت إنمير: «لا أنصح بجويجوا أيُّها القائد. توجد أماكن...».

سألتها سيونا: «هل أمرك الإمبراطور الإله بأن تأخذينا إلى مكانٍ محدّد؟».

اتّقدت عينا إنمير بالغضب لمقاطعتها بهذه الطّريقة، لكنها لم تنظر إلى سيونا مباشرةً: «كلّا، لكنه...».

قاطعها آيداهو: «إذًا خُذينا إلى جويجوا».

أعادت إنمير انتباهها سريعًا إلى مقابض التحكُّم في الثوپتر، فمال جسد آيداهو وانضغط على سيونا مع انحراف المركبة الحاد وتحليقها نحو تجويفٍ دائريّ الشّكل يقع وسط الهضاب الخضراء.

أطلَّ آيداهو من فوق كتف إنمير يتأمّل وجهتهم. في قلب التجويف، قبعت قريةٌ مبنيّةٌ من ذات الحجارة السّوداء التي بُنيت منها الجُدران المحيطة. وعلى جوانب الهضاب المُشرفة على القرية، رأى آيداهو بساتينَ فاكهة مُمتدّة، وحدائقَ متدرّجة تصعد كالمساطب نحو مُنخفَضٍ صغير بين قِمّتين تحلّق فوقه الصقور وتنزلق مع تيارات الهواء الصّاعدة في باكر هذا اليوم.

سأل آيداهو وهو ينظر إلى سيونا: «ما شأن جويجوا هذه؟».

- «سترى».

انزلقت إنمير بالثوپتر على منحدرٍ هوائيٍّ خفيفٍ قادها إلى هبوط سلس فوق فُسحةٍ ممتدّةٍ من العُشب على أطراف القرية. فتحت إحدى مُحاورات الأسماك باب المركبة من جهة القرية، وما إن خرج آيداهو حتّى اجتاح أنفه مزيجٌ قويٌّ من الرّوائح: العشب الموطوء،

وروث الحيوانات، ولذع نيران الظّهو. ترجّل آيداهو من التويتر وألقى نظرةً على شارع في القرية خرج إليه النّاس من منازلهم ليحدّقوا إلى الزوار. رأى آيداهو امرأةً مُسِنّةً ترتدي فستانًا أخضر طويلًا، تنحني لتهمس بشيء في أُذن طفلٍ، استدار على الفور وانطلق مُسرعًا عبر الشارع.

سألته سيونا وهي تنزلق إلى جواره: «هل أعجبك المكان؟».

- «يبدو لطيفًا».

نظرت سيونا إلى إنمير التي انضمّت إليهما، برفقة مُحاورات الأسماك الأخريات، في سيرهما على العُشب. «متى سنعود إلى أونْ؟».

قالت إنمير: «القائد سيعود، أمّا أنت فلا. أوامري أن آخذك إلى القلعة».

أومأت سيونا: «فهمت. متى سنغادر؟».

- «فجر غدٍ. سألتقي زعيم القرية لتجهيز مبيتنا»، قالتها إنمير وسارعت الخُطى باتّجاه القرية.

قال آيداهو: «جويجوا، يا له من اسمٍ غريب! تُرى ما كان هذا المكان في أيّام كتيب؟».

قالت سيونا: «يُصادف أنني أعرف. هذا المكان يظهر في الخرائط القديمة باسم شولوك، وهو ما يعني ‹المكان المسكون›. يذكر التّاريخ الشّفهي أن جرائم كبرى ارتُكِبت هنا قبل إبادة جميع السكان».

همس آيداهو: «چاكوروتو»، متذكّرًا أساطير سارقي الماء القديمة. نظر حوله باحثًا عن أدلّة تشي بوجودٍ سابق للكثبان الرّمليّة وللجروف النّاتئة، لكن لم يكن في الجوار شيء. لم ير غير رَجُلين مُسنّين لهما ملامح هادئة عائدين مع إنمير. كان الرّجُلان يرتديان سراويلَ زرقاء باهتةً، وقمصانًا ممزقة، وكانت أقدامهما حافية.

سألته سيونا: «هل كنت تعرف هذا المكان؟».

- «لم أعرفه إلّا اسمًا في أسطورة».

قالت سيونا: «يقول البعض أن الأشباح تسكنه، لكنني لا أصدّق ذلك».

توقّفت إنمير أمام آيداهو ووجّهت حافيَي القدمين كي يقفا خلفها، ثم قالت: «المبيت متواضع، لكنه مناسب»، ثم استدارت ونظرت إلى سيونا وهي تردف: «إلّا إذا فضّلتِ الإقامة في أحد المساكن الخاصة».

قالت سيونا: «سنقرّر لاحقًا»، ثم أخذت بذراع آيداهو مُضيفةً: «أنا والقائد نريد التجوّل في أرجاء جويجوا، والاستمتاع بالمناظر».

همّت إنمير بالكلام، لكنها أحجمت.

سمح آيداهو لسيونا باصطحابه بعيدًا عن وجهي الرّجُلين المَحلّيّين المُحملقين إليهما.

رفعت إنمير صوتها: «سأرسل معكما حارستين».

توقّفت سيونا والتفتت قائلة: «أليست جويجوا آمنة؟».

قال أحد الرّجلين: «المكان هنا ساكن جدًا».

قالت سيونا: «إذًا، لا حاجة إلى الحراسة. اجعليهما يحرسان الثويتر».

ثم قادت آيداهو مجدّدًا نحو القرية.

قال آيداهو مُملّصًا ذراعه من قبضة سيونا: «حسنًا، ما هذا المكان بالضّبط؟».

قالت سيونا: «على الأرجح ستجده مريحًا تمامًا، فهو لا يتشارك مع شولوك القديم في شيء. إنه هادئ تمامًا».

قال آيداهو وهو يمشي بخطواتٍ سريعة إلى جوارها: «أنتِ تضمرين شيئًا. ما هو؟»

قالت سيونا: «لطالما سمعت أن الغيلان طبعهم التساؤل، أنا أيضًا لديّ أسئلة».

- «حقًّا؟».

- «قل لي، كيف كان ليتو الإنسان في عصرك؟».

- «أيٌّ منهما؟».

- «معك حق، أنسى أنهما كانا اثنين؛ ليتو الجد وليتو الحالي. أقصد ليتو الحالي بالطّبع».

- «كان مُجرّد طفل، هذا كل ما أعرفه».

- «يقول التّاريخ الشّفهي إنّ إحدى عرائِسه الأوائل كانت من هذه

القرية».

- «عرائسه؟ ظننت أنه...».

- «حين كان لا يزال يتمتّع بهيئة بشريّة. كان ذلك بعد وفاة أخته لكن قبل أن يبدأ التّحوّل إلى دودة. يقول التّاريخ الشّفهي إن عرائس ليتو اختفين في متاهة القلعة الملكيّة، ولم يرَهُنّ أحدٌ مجدّدًا إلا في هيئة وجوهٍ وأصواتٍ عبر الهولوجرام. لم يحظ ليتو بعروسٍ منذ آلاف السنين».

كانا قد وصلا إلى ساحةٍ صغيرةٍ في قلب القرية، تبلغ مساحتها نحو خمسين مترًا مُربّعًا، وتتوسّطها بركة ماؤها صافٍ مُحاطةٌ بسورٍ حجريٍّ منخفض. عبرت سيونا السّور وجلست على حافّته الصّخريّة، ثم ربّتت بيدها عليها طالبةً من آيداهو الانضمام إليها. أجال آيداهو بصره في أنحاء القرية أوّلًا، ولاحظ كيف أن النّاس يراقبونه من خلف نوافذَ مُغطّاة بالسّتائر، وكيف يُشير الأطفال نحوه ويهمسون، ثم استدار ووقف ينظر إلى سيونا.

- «ما هذا المكان؟».

- «لقد أخبرتك بالفعل. الآن أخبرني، كيف كان المؤدّب؟».

- «كان أفضلَ صديقٍ يمكن أن يحظى به المرء».

- «التّاريخ الشّفهي لم يكذب إذًا، لكنه نعت الخلافة* من ورثته باسم الدِسپوسيني(13)، وهو اسمٌ له وقعُ شِرّير».

فكّر آيداهو: *إنها تستدرجني*.

ثم سمح لنفسه بابتسامةٍ مُحكمة، متسائلًا عن دوافع سيونا. بدت كأنها تنتظر حدثًا مهمًا. كانت قلقة... بل حتّى خائفة... لكنه خوفٌ مشوب بشيءٍ من النّشوة. وهذا جليٌ تمامًا. ما تقوله الآن لا يتعدّى كونه حديثًا عابرًا، وسيلةً لتمضية الوقت حتّى... حتّى ماذا؟

تسلّل وقعُ خطواتٍ راكضة إلى أفكاره. استدار آيداهو فرأى طفلًا في الثّامنة من عمره تقريبًا يركض نحوه من شارعٍ فرعيٍّ. كانت قدما الطّفل الحافيتان تُثيران موجات غبارٍ صغيرة، وتبعه صياحُ امرأةٍ يائس آتٍ من مكان ما من الشّارع. توقّف العدّاء الصّغير على بُعد عشر خطوات محدّقًا إلى آيداهو بنظرة جائعة فيها حِدّة أربكته. بدا الطّفل مألوفًا على نحوٍ غامض: صبيٌ رابط الجأش داكن الشّعر مُجعّده، وجهه غضٌ بعد لكن تطلُّ منه ملامح الرّجُل الذي سيصيره يومًا: بارز الوجنتين عريض الحاجبين. كان يرتدي بذلةً زرقاء باهت لونها تظهر عليها آثار الغسل المتكرّر، لكن بدا من الواضح أنها كانت رداءً فاخر الخامة فيما سبق. بدت مصنوعة من قُطنٍ يُنچي منسوج في إبزيم متين لم يسمح حتّى للحافات المهترئة بالتفكُّك.

قال الطّفل: «أنت لست والدي»، ثم استدار وركض عائدًا إلى الشّارع وتوارى عند الزّاوية.

استدار آيداهو إلى سيونا عابسًا، يكاد يخشى طرح السّؤال: *أهذا ابن سابقي؟* كان يدرك الإجابة دون أن يسأل. ذلك الوجه المألوف، والسّمات الوراثيّة المنقولة كما هي. *أنا في صورة طفل*. تركه هذا الإدراك خاويًا، مُثقلًا بالإحباط. *ما مسؤوليتي تجاهه؟*

وضعت سيونا يديها على وجهها وأحنت كتفيها. لم يحدث الأمر

كما تخيّلت أنه سيحدث. شعرت بأن رغبتها الخاصة في الانتقام خانتها. لم يكن آيداهو مُجرّد غول أو مخلوق غريب غير جدير بالاعتبار. لقد أحسّت بميله عليها في التويتر والتصاقه بها، ورأت المشاعر الواضحة على وجهه. وذلك الطّفل...

سأل آيداهو بصوتٍ خالي النّبرة فيه اتّهام: «ماذا حدث لسابقي؟».

أنزلت يديها عن وجهها، فبان ما فيه من غضبٍ مكبوت.

قالت: «لسنا متأكّدين، لكنه دخل القلعة ذات يومٍ ولم يغادرها قط».

- «أكان هذا الطّفل ابنه؟».

أومأت سيونا في صمت.

- «هل أنت واثقة بأنك لم تقتلي سابقي؟».

- «أنا...»، ثم بترت عبارتها وهزّت رأسها مصدومةً من شكّه فيها، والاتّهام الكامن في عينيه.

- «هذا الطّفل، أهو سبب مجيئنا إلى هنا؟».

ابتلعت ريقها وقالت: «أجل».

- «ماذا عليّ أن أفعل بشأنه؟».

هزّت كتفيها في حيرة، شاعرةً بالذّنب، وبالتلوّث من أفعالها.

سأل آيداهو: «ماذا عن أمّه؟».

قالت: «تعيش مع الآخرين في نهاية هذا الشّارع»، وأومأت برأسها نحو الاتجاه الذي مضى إليه الصّبي.

- «الآخرون؟».

- «ابن أكبر... وابنة. هل تريد... أعني، بإمكاني أن أرتّب...».

- «كلّا! لقد كان الصّبيّ مُحِقًّا. أنا لستُ والده».

همست سيونا: «أنا آسفة، ما كان يجب أن أفعل هذا».

سألها آيداهو: «لماذا اختار هذا المكان؟».

- «تعني الأب... من...».

- «أجل، أعني سابقي!».

- «لأن هنا منزل إرتي الذي رفضت مغادرته. هذا ما قاله النّاس».

- «إرتي... الأمّ؟».

- «الزّوجة، حسب الطقوس القديمة، تلك التي وردت في التّاريخ الشّفهي».

نظر آيداهو إلى واجهات المباني الحجريّة التي تحيط بالميدان، وإلى النّوافذ ذات الستائر، وإلى الأبواب الضيقة. «كان يعيش هنا إذًا؟».

- «حين يتسنّى له ذلك».

- «كيف مات يا سيونا؟».

- «صِدقًا لا أعرف... لكن الدّودة قتلت آخرين. نحن متأكّدون من ذلك!».

ثبّت نظرةً حادّةً على وجهها، وقال: «كيف تعرفون ذلك؟». أجبرتها

شِدّة نظرته على الإشاحة بوجهها بعيدًا.

ثم قالت: «أنا لا أشك في روايات أسلافي. صحيح أنها نُقِلت إلينا في صورة أحاديثَ متجزِّئةٍ متفرِّقةٍ... عبارة هنا، وقِصّة هامسة هناك، لكنني أصدقها. وأبي أيضًا يصدِّقها!».

- «مُونِيو لم يذكر لي شيئًا عن هذا».

قالت: «شيءٌ واحد يمكن الجزم به عن الآتريديزيّين: أننا أوفياء، وتلك حقيقة. نحن نوفي بوعودنا».

فتح آيداهو فمه ليرد، ثم تراجع وأطبقه دون أن ينطق بكلمة. *بالتأكيد! سيونا أيضًا آتريديزيّة!* هزّته الفكرة. كان يعلم تلك الحقيقة، لكنه لم يتقبّلها. كانت سيونا متمرِّدةً فريدةً من نوعها؛ متمرِّدةً تبدو أفعالها كأنها تحظى بموافقةٍ ضمنيّةٍ من ليتو. لم تكن حدود تلك الإجازة واضحة، لكن آيداهو كان يشعر بوجودها.

لقد قال ليتو له: «يجب ألّا تؤذيها، فلسوف أختبرها».

أعطى آيداهو ظهره إلى سيونا، ثم قال: «أنت لا تعرفين أيّ شيءٍ على وجه اليقين. كل ما لديكِ مُجرّد أحاديث متجزِّئةٍ، محض شائعات!».

لم ترد سيونا.

صاح آيداهو: «ليتو آتريديزي!».

قالت سيونا: «بل هو الدُّودة!»، وفحيح السُّمّ في صوتها يكاد يكون ملموسًا.

قال آيداهو بنبرة فيها اتّهام: «تاريخكم الشّفهي اللّعين ليس إلّا نميمة عتيقة! ولا يصدّقه سوى الشذّج».

قالت: «ما زلت تثق به، لكن هذا سيتغيّر».

استدار آيداهو إليها ورمقها شزرًا.

- «أنتِ لم تتحدّثي إليه قط!».

- «بل فعلت، حين كنت طفلة».

- «وما زلتِ طفلة. إنه كل الآتريديزيّين على مرّ التّاريخ، كلهم! إنه أمرٌ مُروِّع، لكنني عرفت أولئك النّاس. لقد كانوا أصدقائي».

اكتفت سيونا بهزّ رأسها.

أعطاها آيداهو ظهره مُجدّدًا، شاعرًا أن منابع مشاعره استُنزفت حتّى الجفاف، كأن روحه انتُزِع منها عمودها الفقري. وبلا إرادة منه، بدأ يسير قاطعًا السّاحة، وعبر الشّارع الذي اختفى الصّبي فيه. ركضت سيونا خلفه، ثم سارت إلى جواره، لكنه تجاهلها.

كان الشّارع ضيّقًا ومحاطًا بجدرانٍ حجريّة من طابق واحد. كانت أبواب المنازل مُحدّدةً بإطاراتٍ مقوّسةٍ، وجميعها مغلق، أمّا النّوافذ فكانت نُسخًا صغيرةً من الأبواب، وراحت ستائرها تهتزُّ بمروره.

عند أوّل تقاطُع، توقّف آيداهو ونظر إلى اليمين حيث مضى الصّبي. وقفت امرأتان شائِبتا الشّعر، ترتديان تنّورتين سوداوين طويلتين وبلوزتين خضراوين داكنتين، على بعد خطوات قليلة في الشارع، تتبادلان أطراف الحديث برأسين متقاربين. صمتت المرأتان

حين وقعت أعينهما على آيداهو وراحتا تحدّقان إليه بفضولٍ صريح. بادلهما آيداهو التّحديق، ثم نظر إلى الشّارع الجانبي، فوجده خاليًا.

استدار آيداهو نحو المرأتين، ومرّ على بعد خطواتٍ منهما. انكمشت إحداهما في الأخرى، ثم استدارتا لمراقبته، قبل أن تُلقيَا نظرةً على سيونا، ثم أعادتا انتباههما إلى آيداهو. سارت سيونا بهدوء إلى جواره، وعلى وجهها تعبيرٌ غريب.

تساءل آيداهو: *أهو حزن؟ أهو ندم؟ أم فضول؟*

كان من الصّعب تحديد ذلك، وبدا فضول آيداهو مُنصبًا أكثر على الأبواب والنّوافذ التي يمرّون بها.

سألها آيداهو: «هل سبق أن جِئت إلى جويجوا؟».

- «كلّا».

قالتها سيونا بصوتٍ خافت، كأنها تخشاه.

تساءل آيداهو: *لماذا أقطع هذا الشّارع؟* لكنه كان يعرف الإجابة بالفعل وهو يطرح السّؤال على نفسه. تلك المرأة المدعوّة إرتي: *أيّ امرأة هي لتنجح في إحضاري إلى جويجوا؟*

انزاح طرف سِتارٍ إلى يمينه، ورأى آيداهو وجهًا. كان وجه الصّبي من السّاحة. انسدل السّتار ثم أُزيح جانبًا بالكامل ليكشف عن امرأة. توقّف آيداهو فجأة وحدّق إلى وجهها بصمت. كان وجه امرأة يعرفها في أعمق خيالاته فحسب؛ وجهٌ بيضاويٌّ ناعمٌ بعينين داكنتين ثاقبتين وبفمٍ مُمتلئٍ وحِسّيٍّ...

همس آيداهو: «چيسيكا».

سألته سيونا: «ماذا قلت؟».

لم يستطع آيداهو أن يجيبها، إذ وجد نفسه ينظر إلى وجه چيسيكا العائد إلى الحياة من ماضٍ ظنّ أنه انتهى إلى الأبد. كان الأمر أشبه بمزحة چينية: والدة المؤدّب وقد أُعِيد خلقها في جسدٍ جديد.

أغلقت المرأة السّتار، تاركةً ملامحها عالقةً في ذهن آيداهو؛ صورةً باقيةً عَلِمَ أنه لن يستطيع محوها أبدًا. كانت أكبر سِنًّا من چيسيكا التي شاركتهم الأخطار على كثيب، تبدو تجاعيد العُمر على جانبي فمِها وعينيها، ويبدو جسدها أكثر امتلاءً قليلًا...

حدّث آيداهو نفسه: *أمومةٌ أكثر. هل سبق أن أخبرتها... من تُشبِه؟*

جذبته سيونا من كُمّه قائلةً: «أتودُّ الدُّخول ومقابلتها؟».

- «كلّا، المجيء إلى هنا كان خطأً من البداية».

همّ آيداهو بالعودة من حيث جاء، لكن باب منزل إرتي فُتِح على اتّساعه، وخرج منه شابٌّ وأغلقه خلفه، ثم استدار لمواجهة آيداهو.

خمّن آيداهو أن الشّاب في السّادسة عشرة من عُمره، ولم يكن من سبيل لإنكار نسبه: هذا الشّعرُ الوبريُّ الأسود، والملامح القويّة.

قال الشّاب بصوتٍ بدأ يحمل نبرة الرُّجولة بالفعل: «أنت الجديد».

- «أجل»، قالها آيداهو بصعوبة.

سأله الشّاب: «لماذا أتيت؟».

قال آيداهو: «لم يكن المجيء فكرتي»، واجدًا قول هذا أسهل، لأنه نبع من استيائِه من سيونا.

نظر الشّاب إلى سيونا: «سمعنا أن والدي مات».

أومأت سيونا في صمت.

أعاد الشّاب انتباهه إلى آيداهو وقال: «من فضلك ارحل، ولا تعُد ثانيةً. وجودك يُسبّب ألمًا لأمّي».

قال آيداهو: «سأفعل. أرجو أن تعتذر إلى السّيّدة إرتي عن هذا التطفُّل. لقد أُحضِرتُ إلى هنا رغمًا عن إرادتي».

- «من أحضرك؟».

قال آيداهو: «مُحاورات الأسماك».

أومأ الشّاب برأسه إيماءةً مقتضبةً، ثم عاد ينظر إلى سيونا: «لطالما اعتقدت أنكن يا معشر مُحاورات الأسماك تعلّمتن معاملة ذَوِيكن بلُطفٍ أكثر». قالها، ثم استدار وعاد إلى المنزل وأغلق الباب خلفه بقوّة.

عاد آيداهو أدراجه من حيث جاءا، ممسكًا بذراع سيونا وهو يجدُّ الخُطى. تعثّرت سيونا، ثم أسرعت الخُطى لمواكبته، وتركت قبضته.

قالت: «لقد ظنّ أنني مُحاورة أسماك».

ألقى آيداهو نظرة سريعة إليها وقال: «بالتأكيد، فأنت تشبهينهن. لِمَ لم تُخبريني أن إرتي مُحاورة أسماك؟».

- «لم يبدُ الأمر مُهمًّا».

- «آه».

- «هكذا تعارفا».

وصلا إلى نقطة التقاء الشّارع بالسّاحة، فابتعد آيداهو عن الأخيرة، وسار بخُطّى حثيثةٍ إلى نهاية الطّريق حيث تندمج القرية بالحدائق والبساتين. شعر بأنه معزول عن مُحيطه من وقع الصّدمة، وتراجع وعيه من كثرة ما لا يستطيع عقله استيعابه.

كان هناك سورٌ حجريٌ منخفض يسدُّ طريقه، فتسلّقه، وسمع سيونا تتبعه. كانت الأشجار المحيطة بهما مُزهِرةً، تتفتّح فيها أزهارٌ بيضاء تتوسّطها مبايض برتقالية، تَكِدُّ فيها حشراتٌ بُنّية داكنة. امتلأ الهواء بطنين الحشرات ورائحة الأزهار، ما ذكّر آيداهو بغابات كلادان المُزهِرة.

توقّف آيداهو حين بلغ قِمّة الهضبة، حيث يستطيع الالتفات وإلقاء نظرة على بساتين جويجوا المستطيلة الأنيقة. كانت السُّقُف أسفله مُسطّحةً وسوداء.

جلست سيونا فوق العشب الكثيف على قِمّة الهضبة وضمّت ركبتيها إلى صدرها.

سألها آيداهو: «ما حدث لم يكن مقصودًا منك، أليس كذلك؟».

هزّت رأسها نفيًا، ولاحظ آيداهو أنها على وشك البُكاء.

سألها: «لماذا تكرهينه إلى هذا الحدّ؟».

- «لأننا لا نملك مقدّرات حياتنا!».

نظر آيداهو إلى القرية القابعة أسفله: «أتوجد قُرًى كثيرةٌ كهذه؟».

- «هكذا هي إمبراطوريّة الدُّودة!».

- «وما الضّير في ذلك؟».

- «لا ضير، إن كان هذا هو كل ما يريده المرء».

- «أتقولين إن هذا هو كل ما يسمح به للنّاس؟».

- «هذا، وبعض مدن الأسواق... وأونْ. لقد قيل لي إنه حتّى عواصم الكواكب ليست سوى قُرى كبيرة».

- «وها أنا أكرّر: ما الضّير في ذلك؟».

- «إنه سجن!».

- «غادريه إذًا».

- «إلى أين؟ وكيف؟ أتظن أنه يمكننا بسهولة الصُّعود على متن سفينة نقابة والذّهاب إلى أيّ مكانٍ آخر نريد؟»، قالتها وأشارت بيدها نحو قرية جويجوا حيث يمكن رؤية الثوپتر الجاثمة على طرفها، ومُحاورات الأسماك الجالسات على العشب بالقرب منها، ثم أردفت: «سجّاناتنا لن يسمحن لنا بالمغادرة!».

- «لكنهن يغادرن، ويذهبن إلى أيّ مكانٍ يردن».

- «إلى أيّ مكانٍ ترسلهم الدُّودة إليه!».

ثم دفنت وجهها في ركبتيها وتحدّثت بصوتٍ مكتوم: «كيف كانت الحال في الأيّام الماضية؟».

- «كانت الأمور مختلفة تمامًا، وكثيرًا ما تتّسم بالخطورة»، قالها ونظر حوله إلى الجدران التي تفصل بين المراعي والحدائق والبساتين، ثم أردف: «هنا على كثيب، لم يكن للخطوط الوهمية التي تُحدِّد ملكيّة الأراضي وجود. كل ما على مرمى البصر كان دوقيّة آل آتريديز».

- «باستثناء الفرمِن».

- «أجل، لكنهم كانوا يعرفون حدودهم. على الجانب الآخر من جرفٍ مُعيّن... أو وراءه حيث يتحوّل قعر الغور إلى اللّون الأبيض متمايزًا عن الرّمال».

- «كان بإمكانهم التّجوُّل حيثما شاؤوا!».

- «مع بعض الحدود».

قالت: «بعضنا يتوق إلى الصّحراء».

- «لديكم السّرير».

رفعت رأسها لتنظر إليه بحِدّة وقالت: «ذلك النّطاق الضّئيل».

- «ألف وخمسمئة كيلومترٍ في خمسمئة.. ليس ضئيلًا إلى هذا الحدّ».

نهضت سيونا على قدميها: «هل سألت الدّودة لماذا تُضيّق علينا بهذه الطّريقة؟».

- «سلام ليتو، والصّراط الذّهبي الذي سيضمن نجاتنا. هذا هو كل ما يقوله».

- «أتعرف ماذا قال لأبي؟ لقد تجسّست عليهما وأنا طفلة. لقد سمعتهما».

- «ماذا قال؟».

- «قال إنه يحرمنا من معظم الأزمات، للحدّ من قدرتنا على التّحمُّل. قال: ‹يستطيع البشر تحمُّل المِحن، لكنني أنا مِحنتكم الآن. فالآلهة يمكن أن تصير مِحنًا›. تلك كانت كلماته يا دانكن. الدُّودة مرض!».

لم يشك آيداهو في دِقّة روايتها، لكن لم تنجح الكلمات في تأجيج مشاعره، ووجد نفسه يُفكّر في كورينو الذي أمر بقتلِه بدلًا من ذلك. مِحنة. لقد تبيّن أن كورينو، الذي كان من سلالة عائلة حكمت هذا الإمبراطورية يومًا ما، رجلٌ متوسّط العمر والبدانة، يتوق إلى السُّلطة ويتآمر للحصول على الاسپايس. أصدر آيداهو أمرًا لمُحاورة أسماك بقتله، وهو الفعل الذي أثار في نفس مُونِيو كثيرًا من الأسئلة.

- «لماذا لم تقتله بنفسك؟».

- «أردت التأكُّد من كفاءة مُحاورات الأسماك».

- «وما تقييمك لأدائهن؟».

- «فعّال».

لكن مقتل كورينو أصاب آيداهو بشعورٍ من عدم الواقعية. رجلٌ سمين قصير القامة يرقد في بركة من دمائه؛ مُجرّد ظِل غير مُميز وسط ظلال اللّيل على أرضيّة شارع مرصوف بحجارة البلاستون. كان المشهد غير واقعي. تذكّر آيداهو قول المؤدّب: «العقل يفرض

إطارًا مرجعيًا ويُسمّيه ‹الواقع›. هذا الإطار التعسفي يميل إلى أن يكون مستقلًا تمامًا عمّا تخبرك به حواسك». ما طبيعة الواقع الذي يحرّك الإله ليتو؟

نظر آيداهو إلى سيونا الواقفة على خلفية بساتين وهضاب جويجوا الخضراء، ثم قال: «لنهبط إلى القرية ونقصد مبيتنا. أريد الاختلاء بنفسي».

- «ستضعنا مُحاورات الأسماك في الدار نفسها».

- «تقصدين معهن؟».

- «كلّا، كلانا فحسب، والسّبب بسيط. الذّودة تريد مني التناسل مع العظيم دانكن آيداهو».

تذمّر آيداهو: «أنا أختار شريكاتي بنفسي».

قالت سيونا: «أنا واثقة بأن إحدى مُحاورات الأسماك اللاتي برفقتنا ستسعد بذلك»، ثم استدارت مبتعدةً عنه وشرعت في النّزول أسفل الهضبة.

راقبها آيداهو لهوانٍ، ولاحظ جسدها الشّاب يتمايل في مشيته، كما تتمايل أغصان أشجار البستان مع هبّات الريح.

ثم غمغم: «أنا لست فحلَهُ. هذا أحد الأشياء التي سيتعيّن عليه فهمها».

مع كُلِّ يومٍ يمرُّ، تزدادون لا واقعيّة في نظري، تغدون أغرب وأبعد عمّا أكونه أنا في كلِّ فجرٍ جديد. أنا الواقع الوحيد، وكُلّما ازددتم اختلافًا عني، فقدتم واقعيّتكم. وكُلّما اشتدّ فضولي، قل فضول من يعبدونني، إذ يقمع الدّين الفضول. ما أفعله ينتقص من العابد، وبالتالي لن أفعل شيئًا في نهاية المطاف، وسأعيد كل شيء إلى النّاس الخائفين، الذين سيجدون أنفسهم يومئذٍ وحيدين، ومُضطّرين إلى التصرُّف بأنفسهم.

- المذكّرات المسروقة

كان الصّوت المسموع لا مثيل له، صوتَ حشدٍ ينتظر، وكان يأتي من نهاية النّفق الطّويل حيث يسير آيداهو أمام العربة الملكيّة. صوت همساتٍ مشحونةٍ ضخّمها تجويف النّفق ودمجها في همسة جماعيّة واحدة، وحركة قدم عملاقة واحدة، وحفيف رِداءٍ واحد. وما أدراك بالرّائحة! العرق الحلو اللّاذع المختلط بأنفاسٍ دافئة كالحليب تنضح بالإثارة الجنسيّة.

كانت إنمير برفقة مُحاورات أسماك أخريات قد أحضرن آيداهو إلى هنا باكرًا في الفجر، هابطين بالتوبتر إلى ساحة أونْ وهي لا تزال ترقد في ظلالٍ خضراء باردة. ثم انطلقن على الفور بعد تسليمه إلى فرقة أخرى من مُحاورات الأسماك. بدت إنمير غير سعيدة على الإطلاق لاضطرارها إلى اصطحاب سيونا إلى القلعة، ما سيجعلها تُفوّت مراسم طقس السِيانوق.

أخذته برفقة الحراسة الجديدة، المفعمة بمشاعر مكبوتة، إلى منطقةٍ عميقةٍ تحت السّاحة؛ مكانٍ أشبه بالمتاهة غير مدرج في

أيٍّ من الخرائط التي درسها آيداهو. ساروا في اتّجاهٍ يتبعه اتجاه، عبر ممرّاتٍ واسعةٍ ومرتفعةٍ بما يكفي لاستيعاب العربة الملكيّة. فقد آيداهو إحساسه بالمكان، وغرق يُفكّر في اللّيلة السّابقة.

كان مكان المبيت في جويجوا، على تقشّفه وصِغرِه، مُريحًا: سريران في كل غُرفة، وكل غُرفة أشبه بصندوقٍ جدرانه بيضاء، وفيه نافذة واحدة وباب واحد. كانت الغُرف مصطفّةً في ممرٍّ طويل، داخل مبنى مُخصّص باسم «دار ضيافة جويجوا».

كانت سيونا مُحِقّةً. فمن دون أن تسأله إنمير إن كان الأمر يروق له، أُسكِن آيداهو مع سيونا في الغُرفة نفسها، وتصرّفت إنمير كأنّ الأمر طبيعيٌ ومقبول.

حين أُغلِق باب الغُرفة عليهما، قالت سيونا: «إن لمستني، فسأفعل ما بوسعي لقتلك».

نطقت سيونا عِبارتها بصدقٍ جاف حتّى كاد آيداهو يضحك، ثم قال: «أُفضّل الخصوصيّة. عُدّي نفسك بمفردك».

نام آيداهو بشيءٍ من الحذر، مُتذكّرًا اللّيالي الخَطِرة الخالية في خدمة آل آتريديز، التي نصف نومها تأهُبٌ للقتال. لم تكن الغُرفة مظلمةً تمامًا، إذ تسلّل ضوء القمر من النّافذة المُظلّلة، وانعكس ضوءُ النّجوم من الجدران الطّباشيريّة في بياضها. وجد آيداهو نفسه حسّاسًا ومتوتّرًا تجاه وجود سيونا. تجاه رائحتها، وحركاتها، وأنفاسها. استفاق عِدّة مرّات ليصغي، وأدرك في مرّتين أنها مستيقظةٌ تصغي كذلك.

لذا كان الصّباح والرّحلة إلى أونْ بمنزلة إعفاءٍ وراحة. أفطرا على عصيرِ فاكهةٍ بارد، وشزّ آيداهو بقُرب انقشاع ظُلمة ما قبل الفجر، فأسرع الخُطى نحو الثوبتر. لم يتحدّث بشكل مباشر إلى سيونا، ووجد نفسه مُستاءً من نظرات مُحاورات الأسماك الفضوليّة التي تتتبّعه.

تحدّثت سيونا إليه مرّة واحدة، إذ مالت خارج الثوبتر حين ترجّل منها في ساحة أونْ.

قالت: «لن يضايقني أن أكون صديقتك».

كانت طريقة غريبة جدًا للتعبير عن الأمر. انتاب آيداهو شيءٌ من الحرج، فتلعثم قائلًا: «أجل... حسنًا، بالتأكيد».

بعدها، أخذته الحراسة المرافقة الجديدة بعيدًا، حتّى وصل في النّهاية إلى محطّةٍ في المتاهة، ووجد ليتو جالسًا على عربته الملكيّة ينتظره. كان مكانُ اللّقاءِ بُقعةً واسعةً في ممرٍّ يمتد طويلًا من نقطة التّلاقي إلى يمين آيداهو. كانت الجدران بُنّيّة داكنة، تتخلّلها خطوطٌ ذهبيّةٌ تتلألأ في ضوء كُرات الإنارة. اتّخذت الحراسة مواقعها خلف العربة بحركة ذكيّة منتظمة، تاركةً آيداهو يقف منفردًا أمام وجه ليتو المقلنس.

قال ليتو: «دانكن، ستتقدّمني ونحن في طريقنا إلى السِيانوق».

حدّق آيداهو إلى عيني الإمبراطور الإله، داكنتي الزُرقة كبئرين عميقتين، غاضبًا من هذا الغموض والسّرّيّة، ومن الإثارة الواضحة العالقة في هواء هذا المكان. شعر بأن كل ما قيل له عن السِيانوق لم

يزده إلّا غموضًا.

سأله آيداهو بصوتٍ مُثقلٍ بالاستياء: «هل أنا حقًّا قائد حرسك يا مولاي؟».

- «قطعًا! وها أنا ذا أمنحك شرفًا عظيمًا الآن، فقِلّة فحسب من الذُّكور البالغين شاركوا في طقس السِيانوق».

- «ماذا حدث في المدينة ليلة أمس؟».

- «أعمال عُنفٍ دامية في بعض الأماكن، لكن الأجواء هادئة هذا الصّباح».

- «هل من خسائر في الأرواح؟».

- «ما لا يستحق الذِّكر».

أومأ آيداهو برأسه. كانت قدرات ليتو الاستبصاريّة قد حذّرته من بعض المخاطر التي قد تُهدِّد حياة غوله دانكن، وكان هذا سبب تهريبه إلى ملاذ جويجوا الرّيفي الآمن.

قال ليتو: «لقد ذهبت إلى جويجوا. فهل أغراك البقاء؟».

- «كلّا!».

قال ليتو: «لا تغضب مني، فلستُ من أرسلك إلى جويجوا».

تنهّد آيداهو قائلًا: «ما الخطر الذي دفعك إلى إرسالي بعيدًا؟».

قال ليتو: «لم يكن الأمر من أجلك، لكن وجودك يثير في حارساتي الرّغبة في استعراض قدراتهن بشكل مفرط، وأنشطة اللّيلة الماضية

لم تتطلّب هذا».

قال آيداهو مصدومًا من الفكرة: «حقًّا؟»، إذ لم يخطر بباله يومًا أنه ممّن يُلهِمون البطولة في غيرهم، ممّن يحفِّزون الجنود على القتال، ما لم يأمرهم بذلك صراحةً. القادة أمثال ليتو الأصلي، جدّ هذا الإمبراطور، كان حضورهم مُلهمًا بذاته.

قال ليتو: «أنت شديد الأهمّية لي يا دانكن».

- «أجل... لكنني لست بعد فحل تزاوج!».

- «رغباتك ستُحترم بلا شك. سنناقش ذلك الأمر في وقتٍ لاحق».

ألقى آيداهو نظرة على فرقة مُحاورات الأسماك المرافقة، كلّهنّ منتبهات متّسعات الأعين.

سأله آيداهو: «أتقع أعمال العنف دومًا حين تأتي إلى أونْ؟».

- «الأمر يحدث في دورات. لقد خمدت حِدّةُ السُخطِ الآن. سيكون الوضع أهدأ لبعض الوقت».

نظر آيداهو إلى وجه ليتو الغامض وقال: «ماذا حدث لسابقي؟».

- «ألم تخبرك مُحاورات الأسماك؟».

- «قُلنَ إنه مات دفاعًا عن ربِّه».

- «لكنك سمعت إشاعة تقول عكس ذلك».

- «ماذا حدث؟».

- «لقد مات لأنه كان قريبًا جدًّا منّي. لم أُرسِله إلى مكانٍ آمن في

الوقت المناسب».

- «مكان مثل جويجوا».

- «كنت أُفضِّل أن يقضي بقيّة حياته في سلام هناك، لكنك يا دانكن تعلم جيدًا أنك لست من الباحثين عن السلام».

شعر آيداهو بِغصّة في حلقه حين حاول ابتلاع ريقه، ثم قال: «ما زلت أريد معرفة تفاصيل موته. كان لديه أُسرة...».

- «ستحصل على التّفاصيل، ولا تخش على أُسرته. إنهم تحت وصايتي، وسأبقيهم آمنين بعيدًا عني. أنت تعرف كيف تدبُّ أعمال العُنف في إثري. هذه إحدى وظائفي، وإنه لمن المؤسف أن من أُعجَبُ بهم وأُحِبُّهم يجب أن يعانوا جراء هذا...».

زمّ آيداهو شفتيه، غير راضٍ عمّا سمع.

قال ليتو: «أرِح بالك يا دانكن، لقد مات سابقك لأنه كان قريبًا جِدًّا مني».

بدأت فرقة مُحاورات الأسماك التململ في وقفتهن. ألقى آيداهو نظرة عليهن، ثم نظر إلى اليمين عبر النفق.

قال ليتو: «أجل، لقد حان الوقت. علينا ألّا نجعل النّساء ينتظرن. تقدّمني يا دانكن وكن قريبًا مني، وسأجيب عن أسئلتك بشأن السِيانوق».

أطاع آيداهو الأمر، إذ لم يسعه التفكير في بديل مناسب. استدار على عقبيه وقاد الموكب، وسمع من خلفه صرير عجلات العربة،

ووقع خطوات الحرس المرافق.

ثم طغى الصّمتُ على أصوات العربة فجأة، ما أثار انتباه آيداهو فنظر خلفه، ليتّضح له السّبب على الفور.

قال وهو يعيد انتباهه إلى الأمام: «أنت تستخدم نظام التّعليق بمضادّات الجاذبيّة».

- «سحبتُ العجلات لأن النّساء سيقتربن مني بشِدّة، ولا يصحُّ أن نسحق أقدامهن».

سأله آيداهو: «ما السِيانوق؟ ما هو حقًّا؟».

- «سبق أن أخبرتك، إنه المشاركة الكُبرى».

- «أتلك رائحةُ اسپايس التي أشمُّ؟».

- «أنفك حسّاس. في الزّقائق كمٌّ ضئيلٌ من المِزّاج».

هزّ آيداهو رأسه في عدم فهم.

في محاولة لفهم هذا الحدث، سأل آيداهو ليتو سؤالًا مباشرًا في أوّل فرصة سنحت بعد وصولهم إلى أونْ: «ما المقصود بوليمة السِيانوق؟».

- «إننا نقتسم رقاقة، لا أكثر. حتّى أنا أقتسمها معهم».

- «أهو كالطّقس الكاثوليكي البرتقالي؟».

- «كلا! لا يتعلّق الأمر بمُشاركة جسدي، بل بمبدأ المُشاركة نفسها، وفيها يُذكّرن بأنهن مُجرّد إناث، كما أنك مُجرّد ذكر، أمّا أنا فكل

شيء. وهن يتقاسمن الطّعام مع الكُلّ».

لم تعجب آيداهو هذه النّبرة: «مُجرّد ذكر؟».

- «أتَعرِف من يَهجين في الوليمة يا دانكن؟».

- «من؟».

- «الرّجال الذين أساؤوا إليهن. استمع إليهن حين يتحدّثن بصوتٍ خفيض فيما بينهن».

فهم آيداهو هذا القول على أنه تحذير: *لا تُسئ إلى مُحاورات الأسماك، وإياك أن تثير غضبهن، ففي ذلك خطورة على حياتك!*

والآن، وبينما هو يسير أمام ليتو في النّفق، شعر آيداهو أنه سمع الكلمات جيّدًا ولم يتعلّم منها شيئًا، فتحدّث قائلًا من فوق كتفه.

- «لا أفهم بعد طقس المشاركة هذا».

- «سنكون معًا في الطقس. ستراه بنفسك، وستشعر به. مُحاورات الأسماك هُن حُماة علمٍ خاص، صائنات خطٍ متّصل لا يشاركه سواهن. الآن ستشاركهن إيّاه، ولسوف يُحببنك من أجل ذلك. استمع إليهن بعناية. إنهن منفتحات لأفكار التودّد والتقارب، ومحبّة بعضهن لبعض غير مشروطة».

فكّر آيداهو: *مزيد من الكلمات، مزيد من الغموض.*

لاحظ آيداهو اتّساعًا تدريجيًا في بدن النّفق، إذ بدأ السّقف يميل مرتفعًا إلى أعلى، وازداد عدد كُرات الإنارة، التي ضُبِطَ ضوؤها على اللّون البرتقالي الفاقع. استطاع رؤية قوسٍ عالٍ يؤطّر مدخلًا يبعُد

نحو ثلاثمئة متر، خلفه ضياءٌ أحمر غني يغمر مساحة تسنّى له أن يُميّز فيها وجوهًا لامعة تتمايل برفق ذات اليسار وذات اليمين، أمّا الأجساد التي تحمل الوجوه فمثّلت جدارًا داكنًا من الملابس. كان عرق الإثارة كثيفًا هناك.

مع اقترابه من النّسوة المنتظرات، رأى آيداهو ممرًا بين أجسادهن، ومنحدرًا صاعدًا إلى حافّة مُنخفضةٍ إلى يمينه. كان سقف القاعة العظيم مقوّسًا فوق رؤوس النّسوة، يُقبّب مساحةً عملاقةً تُضيئها كُرات إنارة تتوهّج باللّون الأحمر.

قال ليتو: «اصعد المنحدر إلى يمينك، وتوقّف بعد وصولك إلى منتصف حافّة، واستدر لمواجهة النساء».

رفع آيداهو يده اليُمنى تأكيدًا. كان يدخل إلى المساحة الواسعة الآن، وقد أذهلته ضخامة هذا المكان المغلق. أعطى عينيه المُدرّبتين مهمّة تقدير أبعاد القاعة المُربّعة ذات الزّوايا المستديرة وهو يصعد إلى الحافّة، وخمّن أن طول كل ضلعٍ من أضلاعها يبلغ ألفًا ومئة متر على الأقل. كان المكان مكتظًّا بالنّساء، وذكّر آيداهو نفسه بأن النّسوة الحاضرات هن الممثّلات المختارات من أفواج مُحاورات الأسماك المنتشرة في جميع أرجاء الإمبراطوريّة: ثلاث نساء من كل كوكب. كانت النّسوة واقفات الآن، وأجسادهن متلاصقةٌ بشِدّة حتّى إنّ آيداهو شك في إمكانيّة سقوط إحداهن. لم تترك أجسادهن حيّزًا في القاعة إلّا فُرجةً خاليةً لا تزيد على خمسين مترًا بامتداد الحافّة، حيث وقف آيداهو الآن يراقب المشهد. كانت الوجوه مُشرئبّةً تنظر إليه. وجوه، وجوه تُعد فلا تُحصى.

أوقف ليتو عربته خلف آيداهو مباشرةً، ورفع إحدى ذراعيه فِضّيّتا القشرة.

وعلى الفور، رجّ ضجيجُ صيحةٍ هائلةٍ جنباتِ القاعةِ الكُبرى: «سِيانوق! سِيانوق!».

أُصيب آيداهو بصممٍ مؤقّت، وفكّر: *لا شك في أن الصّوت هزّ أرجاء المدينة، ما لم نكن على عُمقٍ هائل تحت الأرض.*

قال ليتو: «عرائسي، أُرحّب بكن في السِيانوق».

رفع آيداهو بصره إلى ليتو، ورأى لمعة عينيه الدّاكنتين، وتهلّل أساريره. لقد سبق أن ادّعى ليتو كُرهه لألوهيّته، مُعلّقًا: «تلك القُدسيّة اللّعينة»، لكن ها هو ذا ينغمس في لذّتها.

تساءل آيداهو: *هل رأى مُونِيو هذا التجمُّع من قبل؟* كانت فكرة غريبة، لكن آيداهو عَلِم مصدرها. إنه يحتاج إلى إنسان آخر يستطيع مناقشة الأمر معه. أخبرته الحارسات أن مُونِيو قد أُوفِد لإدارة بعض «شؤون الدّولة»، التي لا يعرفن تفاصيلها. عند سماع هذا، شعر آيداهو بأنه فَهِم عُنصرًا آخر في حكومة ليتو. إن خيوط السُلطة تمتدُّ من ليتو إلى عامة النّاس مُباشرةً، لكن هذه الخطوط لا تتقاطع كثيرًا. يتطلّب هذا أشياء كثيرة، بما فيها وجود خَدمٍ مؤتمنين يقبلون تنفيذ الأوامر دون طرح أسئلة.

لقد قالت له سيونا: «قِلّة من يرون الإمبراطور الإله يرتكب أفعالًا مؤذية، أهذا هو الآتريديزي الذي عرفته؟».

مدّ آيداهو بصره إلى أعداد مُحاورات الأسماك الغفيرة، وتلك

الأفكار تتسابق في عقله. يا للتذلُّل البادي في أعينهن! يا للرّهبة! كيف استطاع ليتو تحقيق ذلك؟ وما الغاية؟

قال ليتو: «حبيباتي». مضى صوته فوق الأعناق المُشرئبّة، وحملته مُكبّرات الصوت الإيكسيّة الدقيقة المُخبّأة في العربة الملكيّة إلى أبعد أركان القاعة.

أثارت صور وجوه النّساء المتلاحقة في ذهن آيداهو تحذير ليتو: *إياك أن تثير غضبهن، ففي ذلك خطورة على حياتك!*

كان من السّهل عليه تصديق ذلك التّحذير في هذا المكان، فبكلمة واحدة من ليتو ستُمزَّق تلك النّسوة المُخالف إربًا. لن يتردّدن في الأمر لحظةً، بل سينفّذن على الفور. شعر آيداهو بتقديرٍ جديدٍ لذلك الجيش النّسائي، فهؤلاء لن يُثنيهن أيُّ تهديدٍ لحياتهن، فهُن إماء الرّب، وفي خدمته!

صرّت العربة الملكيّة قليلًا حين قوّس ليتو فصوص جسده الأماميّة إلى الأعلى رافعًا رأسه.

قال ليتو: «أنتن حُماة الإيمان!».

رددن في صوتٍ واحد: «مولانا، نحن نطيعك!».

قال ليتو: «في داخلي، أنتن تعشن بلا نهاية!».

صِحن: «نحن الخالدات!».

قال ليتو: «أُحبُّكن كما لم أُحِبّ أحدًا!».

صرخن: «الرّبُّ محبّة!».

ارتجف آيداهو.

قال ليتو: «أُهديكُن عزيزي دانكن!».

صَرَخن: «الرَّبُّ محبَّة!».

ارتجف جسد آيداهو بالكامل، وشعر بأنه قد يسقط منهارًا من ثِقَل هذا التذلُّل. أراد أن يهرب، وفي الوقت نفسه أراد أن يبقى، وأن يتقبّل هذا. يا للطاقة التي تملأ هذه الغُرفة! يا للطاقة!

قال ليتو في صوتٍ منخفض: «غَيِّرن الحراسة».

أحنت النِّساء رؤوسهن في حركةٍ واحدةٍ دون تردُّد. وإلى يمين آيداهو، ظهر صفٌّ من النِّساء يرتدين ثيابًا بيضاء، وسِرن إلى المساحة المفتوحة أسفل الحافَة. لاحظ آيداهو أن بعضهن يحملن رُضَّعًا وصِغارًا، لا تتجاوز أعمارهم العام أو العامين.

من الشَّرح العام الذي تلقَّاه من قبل، فهم آيداهو أن هؤلاء النِّسوة هن من سيتركن الخدمة المباشرة في صفوف مُحاورات الأسماك. بعضهن سيصبحن كاهنات، وأخريات أُمّهات... لكن أيًّا منهن لن تترك خدمة ليتو فعليًا.

نظر آيداهو إلى الأطفال، وفكّر كيف ستظلُّ ذكرى هذه التّجربة محفورة في أذهان الذُّكور منهم. سيحمل أولئك غموض هذه التّجربة في هيئة ذكرى مطمورة في اللّا وعي لكنها حاضرة دومًا، وسيستمرُّ تأثيرها في تصرُّفاتهم من اللّحظة فصاعدًا، طوال حياتهم.

توقَّفت آخر الوافدات الجُدد أسفل ليتو ونظرن إليه. رفعت النساء الأخريات في القاعة وجوههن وركّزن أبصارهن على ليتو.

ألقى آيداهو نظرة ذات اليمين وذات اليسار. كانت النّساء المُتّشحات بالأبيض يملأن المساحة أسفل الحافّة لمسافة لا تقل عن خمسمئة متر في كلا الاتجاهين. رفعت بعضهن أطفالهن نحو ليتو. كانت رهبتهن وخضوعهم تامّين. شعر آيداهو أنه لو أمرهن ليتو، لضربت تلك النّسوة أجساد أطفالهن على الحافّة حتّى الموت. كُنّ سيفعلن أيّ شيءٍ يُؤمرن به!

أنزل ليتو قطاع جسده الأمامي على العربة بحركة متموّجة لطيفة، ثم نظر إلى أسفل بكرم نفس، وقال في صوتٍ ناعم: «سأمنحكن المكافأة التي اِستَحقَقْتُنّها بجزيل إيمانكن وخدمتكن. اطلبن، ولسوف تُعطين فترضين».

تردد صدى الرّدّ في القاعة بكاملها: «ولسوف تُعطين فترضين!».

قال ليتو: «كُلُّ ما أملك.. ملكٌ لكُن».

ردّدت النّساء: «كُلُّ ما أملك.. ملكٌ لكُن».

قال ليتو: «صَلّينَ معي الآن الصّلاة الصّامتة، كي تشمل شفاعتي كل شيء، كي لا تنتهي البشريّة أبدًا».

انحنت جميع الرُّؤوس في القاعة كرأسٍ امرأةٍ واحدة. احتضنت النّساء المتّشِحات بالبياض أطفالهن، ونظرن إلى الجمع أسفلهن. شعر آيداهو بوِحدةٍ صامتةٍ، بقوّةٍ تسعى إلى تخلّله والسّيطرة عليه. فتح فاه على اتّساعه وتنفّس بعمق، مقاومًا ما شعر بأنه غزوٌ لجسده. بحث عقله محمومًا عن شيءٍ يستطيع التشبّث به، شيءٍ يحميه.

كانت تلك النّسوة جيشًا ذا قوّةٍ وترابُطٍ لم يتوقّعهما آيداهو، وقد

أدرك أنه لا يفهم مصدر تلك القوّة. كل ما بإمكانه فعله هو مُراقبتها، والاعتراف بوجودها.

هذا ما خلق ليتو.

تذكّر آيداهو كلمات ليتو التي سمعها منه في اجتماعه به في القلعة: «ينصبُ الولاء في الجيش الذُكوري على الجيش نفسه، أكثر من الحضارة التي نشأ في كنفها. أمّا الولاء في جيش الإناث فينصبُ على القائد».

حدّق آيداهو إلى الدّليل الملموس أمامه على ما خلق ليتو، مُدركًا دِقّة كلماته النّافذة، خائفًا من تلك الدّقّة.

وفكّر: *إنه يعرض عليّ نصيبًا في هذا.*

بدا ردُ آيداهو على كلمات ليتو طفوليًا له الآن.

إذ قال آيداهو: «لا أعقل السّبب».

- «مُعظم البشر ليسوا مخلوقات عقلانية».

- «لا جيشَ، ذكوريًا كان أم أنثويًا، يضمن السّلام! إمبراطوريّتك ليست إمبراطوريّة سلام! أنت فقط...».

- «هل أطلعتك مُحاورات الأسماك على تاريخنا؟».

- «أجل، لكنني تجوّلت في مدينتك ورأيت رعيّتك. إن شعبك عدواني!».

- «ألا تفهم يا دانكن؟ السّلام يُشجّع على العدوان».

- «وأنت تقول إن صراطك الذّهبي...».

- «ليس سلامًا بالضّبط. إنه هدنة وهدوء، أرضٌ خصبةٌ لنمو تيّاراتٍ متشدّدةٍ وأشكالٍ عديدةٍ أُخرى من العدائيّة».

- «كلامك كله ألغاز!».

- «كلامي نابع من ملاحظات متراكمة تخبرني أن الوضعَ السلمي هو وضعُ المهزوم، وضعُ الضّحيّة، والضّحايا يستنفرون العدوان».

- «ذلك الهدوء القسري اللعين الذي تفرضه وتتشدّق به! ما الفائدة منه؟».

- «إذا انعدم العدو، فلا بُدّ من اختراعه. القوّة العسكرية التي تُحرَم من عدوٍّ خارجي تنقلب دائمًا ضد شعبها».

- «ما هدفك؟».

- «أنا أُعدّل رغبة الإنسان في إشعال الحروب».

- «النّاس لا يريدون الحروب!».

- «يريدون الفوضى، والحرب هي أقرب وأيسر وسيلة متاحة لها».

- «لا أُصدّق أيًّا من هذا! أنت تُمارس لعبة خَطِرة تخُصُّك».

- «بل شديدة الخطورة. أنا أخاطب ينابيع السّلوك البشري العتيقة بهدف إعادة توجيهها. الخطر يكمن في أنني بذلك قد أقمع قُدرة البشر على البقاء، لكني أؤكّد لك أن صِراطي الذّهبي صامد».

- «أتقمع البقاء ولم تقمع العداء!».

- «أنا أشتّت الطاقات من مكان ما وأوجّهها إلى مكانٍ آخر. ما لا يمكنك التّحكّم فيه، يمكنك استغلاله».

- «ما الذي يمنع جيشك النّسائي من الاستيلاء على السلطة؟».

- «أنني قائدهن».

راح آيداهو يتطلّع إلى النّساء المحتشدات في القاعة الكُبرى، ولم يستطع إنكار تأثير قيادته. لاحظ أيضًا أن جزءًا من هذا التّبجيل موجّهٌ إليه هو. جمّدَهُ الإغراءُ في مكانه. أيُّ شيءٍ قد يطلبه منهن سيناله... أيُّ شيءٍ! كانت القوّة الكامنة في القاعة الكُبرى هائلة، وقد دفعه هذا الإدراك إلى تساؤلٍ أعمق حول كلام ليتو السّابق.

كان ليتو قد قال شيئًا عن اندلاع العُنف. تذكّر آيداهو ما قاله ليتو وهو يراقب النّساء في صلاتهن الصّامتة: «الرّجال عُرضة للهوسِ الطّبقي، ويميلون إلى خلقِ مجتمعاتٍ طبقيّة، والمجتمع الطّبقي هو أكبر داعٍ للعنف، فهو لا ينهار من الدّاخل، بل ينفجر كالقنابل».

- «والنّساء لا يفعلن ذلك أبدًا؟».

- «ليس إلا إذا كُن خاضعات لهيمنة ذكوريّة شبه كاملة، أو مُقيّدات بالتفكير الذُّكوريّ».

- «مُحال أن تكون الاختلافات بين الجنسين بهذا الاتّساع».

- «بل هي كذلك. النّساء يتّحدن بِناءً على جنسهن، وهو اتّحاد يتجاوز القيود الطّبقيّة والطّائفيّة. لهذا أترك زمام الأمور في أيدي نسائي».

لم يجد آيداهو بُدًّا من الاعتراف بأن أولئك النّسوة المُصلّيات يمسكن بزمام الأمور.

*أيّ جزء من السُلطة سينتهي زمامه إلى يديّ؟*

كان الإغراء كاسحًا إلى درجة أرعدت فصائل آيداهو! الذي أدرك فجأةً، وعلى نحوٍ مخيف، أن هذا هو مقصد ليتو.. *أن يغويني!*

على أرضيّة القاعة الكُبرى، ختمت النّسوة صلاتهن، ورفعن أبصارهن نحو ليتو. أحسّ آيداهو أنه لم يسبق أن رأى مثل هذا الافتتان على وجوه البشر؛ لا في نشوة الجنس، ولا في بهجة النّصر في أعقاب المعارك. لم يرَ قط شيئًا يقارب هذا التّبجيل الجارف.

قال ليتو: «ها هو ذا دانكن يقف إلى جواري اليوم، وقد حضر لإعلان فروض ولائه لي كي يسمعها الجميع. دانكن؟».

شعر آيداهو بقشعريرةٍ باردةٍ تسري في أمعائه. لقد أعطاه ليتو خيارًا سهلًا: *إعلان ولائه للإمبراطور الإله، أو الموت!*

*إن استهزأت أو تردّدت أو اعترضت بأيّ شكلٍ من الأشكال، فستمزّقني تلك النّسوة بأيديهن العارية.*

اعتمل غضبٌ شديدٌ في صدر آيداهو، لكنه ابتلع ريقه، وتنحنح، ثم قال: «لا يُشككن أحدٌ في إخلاصي. أنا أدين بالولاء لآل آتريديز».

سمع صوته يتردّد في جنبات القاعة، مُضخّمًا بجهاز ليتو الإيكسيّ.

أذهل التّأثير آيداهو.

صرخت النساء: «سنقتسم! معًا! معًا!».

قال ليتو: «سنقتسم».

توافدت متدرّبات مُحاورات الأسماك الشّابّات -اللاتي يمكن التّعرف عليهن من أرديتهن الخضراء القصيرة- إلى القاعة من جميع الجهات، وخلقن موجات حركة صغيرة بين صفوف الوجوه المفتونة. حملت كل متدرّبة صينيّة مكدّسة برقائق بُنّيّة صغيرة. وفيما راحت الضّواني تطوف على الحشد، امتدّت الأيدي برشاقة إليها، في رقصة أذرع متمايلة. كل يد تأخذ رقاقة وترفعها عاليًا، وحين وصلت إحدى حاملات الضّواني إلى الحافة ومدّت ذراعيها نحو آيداهو، قال ليتو:

- «خذ اثنتين، وأعطني واحدة في يدي».

انحنى آيداهو وأخذ رقاقتين. كانت القطعتان مقرمشتين وهشّتين. ثم اعتدل وناول واحدة إلى ليتو برفق.

صاح ليتو بصوتٍ جهير: «هل اخْتير الحرس الجديد؟».

هتفت النّساء: «اخْتير يا مولانا».

- «هل تحرسن الإيمان بي؟».

- «نحرسه يا مولانا».

- «هل تسرن على الصّراط الذّهبي؟».

- «نسير يا مولانا!».

كانت صيحات النّساء ترجُّ جسد آيداهو، وتصعقه من حِدّتها.

سألهن ليتو: «هل نقتسم؟».

- «نقتسم يا مولانا!».

مع استجابة النّساء، وضع ليتو الزُّقاقةَ في فمه. أخذت كل أمٍّ تقف أسفل الحافّة قضمة من زُقاقتها وأعطت الباقي لطفلها. أنزلت جموع مُحاورات الأسماك المحتشدة خلف النّسوة المُتّشحات بالبياض أذرعهن وأكلن رقائقهن.

قال ليتو: «دانكن، التهم رقاقتك».

وضع آيداهو الشّيء في فمه. لم يكن جسده المُستنسخ مُعتادًا على المِزّاج، لكن ذكرى مذاقه خاطبت حواسّه. كان طعمُ الزُّقاقةِ مُرًّا قليلاً، وفيه أثر اسپايس خفيف. أثار الطّعم ذكريات قديمة في وعي آيداهو: وجبات في السييتش في الأيّام الخالية، وحفلات في مقرّ الإقامة الآتريديزي... حينما كانت نكهة الاسپايس تتخلّل كل شيء.

شعر آيداهو بالصّمتِ المُفاجئ الذي خيّم على القاعة وهو يبتلع الزُّقاقة، سكون تام كأن الأنفاس قد حُبِسَت، حتّى قطعته قرقعةٌ عاليةٌ صدرت من عربة ليتو. التفت آيداهو بحثًا عن مصدر الصّوت، فوجد ليتو قد فتح إحدى الحاويات في بطن عربته وأخرج منها صُندوقًا بِلّوريًا. كان الصُّندوق يتلألأ بضوءٍ داخليٍّ رماديٍّ مزرق. وضع ليتو الصُّندوق على صدر عربته، وفتح الغِطاء المتلألئ وأخرج سكّينًا عاجيّةً. ميّز آيداهو النّصل الذي يراه على الفور: ذلك الصّقر المحفور في طرف المقبض، وتلك الجواهر الخضراء التي تُزيّنه.

*إنها سكّين پول المؤدّب العاجيّة!*

تأثّر آيداهو بعُمق من مرأى النّصل، وحملق إليه كأن الصُّورة التي

في عينيه قد تعيد صاحبها الأصلي.

حمل ليتو النّصل ورفعه عاليًا، كاشفًا عن انحناءته الأنيقة، ولمعانه الحليبي.

قال ليتو: «تميمة حيواتنا».

ظلّت النّساء على صمتهن، مرهفات السّمع.

قال ليتو: «سكّين پول المؤدّب. سِنُّ شَي هُولود. تُرى، هل ستعود شَي هُولود؟».

جاء الرّد على هيئة همهمةٍ خافتةٍ، أبرزها وشدّد من وقعها تضادها مع الهتاف السّابق. «ستعود يا مولانا».

أعاد آيداهو انتباهه إلى وجوه مُحاورات الأسماك المفتونة.

سأل ليتو: «من تكون شَي هُولود؟».

مرّةً أخرى سرت الهمهمة العميقة: «أنت يا مولانا».

أومأ آيداهو لنفسه. ها هو ذا الدّليلُ الحيّ الذي لا يمكن إنكاره على أن ليتو استغل مخزونًا هائلًا من السّلطة لم يُطلق له العنان من قبل بهذه الطّريقة. لقد أخبره ليتو بذلك، لكن كلماته كانت محض ضجيجٍ أجوفَ مُقارنة بالطّاقة التي تُرى وتُحسّ في هذه القاعة العظيمة. لكن آيداهو استعاد كلمات ليتو كأنها كانت تنتظر هذه اللّحظة لتكشف له عن معناها الحقيقي. تذكّر آيداهو أنهما كانا في السرداب آنذاك، ذلك المكان الرطب المظلم الذي يبدو أن ليتو يُحبّه كثيرًا، فيما كان آيداهو يجده منفّرًا تمامًا... هناك، حيث يتراكم غبار القرون

وتترسخ روائح التحلُّل العتيقة.

قال ليتو: «أنا أصوغ المجتمع البشري وأُشكِّله منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام. إني أفتح بابًا للجنس البشري كله ليتجاوز مرحلة المراهقة».

وقتها اعترض آيداهو قائلًا: «لا شيء ممّا تقول يُسوِّغ فكرة الجيش النّسائي!».

- «الاغتصاب فعلٌ غريب على النّساء يا دانكن. ألم تسأل عن اختلافٍ سلوكيٍّ نابع من الجنس؟ هاك واحدًا».

- «كُفَّ عن تغيير الموضوع!».

- «أنا لا أُغير الموضوع. لطالما كان الاغتصاب هو مكافأة الرِّجال في الغزو العسكريِّ الذُّكوريِّ، إذ ليس على الذُّكور التّخلّي عن أيٍّ من خيالات مراهقتهم حين ينخرطون في فعل الاغتصاب».

تذكّر آيداهو الغضب الشّديد الذي اجتاحه بسبب هذا الطّعن.

قال ليتو: «حُوريّاتي يرفُضن الذُّكور. هذا هو التّدجين، وهو أمرٌ تألفه الإناث بسبب عصورٍ طويلةٍ من الحاجة والضّرورة».

حدّق آيداهو إلى وجه ليتو المقلنس في صمت.

قال ليتو: «الترويض يعني التّكيُّف مع نمطٍ معيشيٍّ مُنظَّم. تعلّمت النّساء ذلك على أيدي الرِّجال. الآن يتعلّم الرجال ذلك على أيدي النّساء».

- «لكنك قُلت...».

- «كثيرًا ما تخضع خُورِيّاتي لأحد أشكال الاغتصاب، وذلك في البداية فقط، ليحوّلن هذه الحالة إلى تبعيّة عميقة ورابِطة متبادلة».

- «تبًّا! أنت...».

- «رابِطة يا دانكن! رابِطة».

- «لا أشعر برابطة مع...».

- «التّعليم يحتاج إلى وقت. أنت المعيار القديم الذي يُقاس عليه الجديد».

أفرغت كلمات ليتو للحظات نفسَ آيداهو من كل المشاعر، باستثناء شعورٍ عميق بالخسارة.

قال ليتو: «خُورِيّاتي يُعلّمن النّضج. هن يدركن أن عليهن الإشراف على نضج الذُّكور، إذ يجدن في ذلك نضجهن هن أنفسهن. وفي نهاية المطاف، تصير الخُورِيّات زوجات وأُمّهات، أمّا نحن فنروّض نزعاتنا العنيفة ونفصلها عن هوس المُراهقة».

- «يجب أن أرى ذلك لأُصدّقه».

- «سترى ذلك في المشاركة الكُبرى».

والآن وهو يقف إلى جوار ليتو في قاعة السِيانوق، اعترف آيداهو لنفسه بأنه شَهِد شيئًا ذا قوّةٍ هائلةٍ، شيئًا رُبّما يخلق بالفعل الكون البشري الجديد الذي ترسمه كلمات ليتو.

كان ليتو يُعيد السّكّين العاجيّة إلى الصُّندوق، ويُعيد الصُّندوق إلى حاويته في بطن العربة الملكيّة. راقبته النّساء في صمت؛ حتّى

الأطفال الصّغار ظلّوا هادئين. كان الجميع خاضعين للقوّة التي يمكن الشّعور بها في جنبات هذه القاعة الهائلة.

نظر آيداهو إلى الأطفال من علٍ، عالمًا من شرح ليتو أن هؤلاء الأطفال سيُكافؤون بمناصب شلطويّة، ذكورًا وإناثًا، كلًّا في رُكنٍ مهيب. ستهيمن الإناث على الأطفال الذُّكور طوال حياتهم، الأمر الذي سيمهّد -على حدّ تعبير ليتو- لـ«انتقالٍ سلِس من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرُّجولة الخصيبة».

تعيش مُحاورات الأسماك وذُرّيتهن حياة «بها قدرٌ من الإثارة غير متاح لمعظم البشر».

تساءل آيداهو: *ماذا سيحدث لأبناء إرتي؟ هل وقف سابقي هنا وشاهد زوجته في رداءٍ أبيض تشارك في طقوس ليتو؟*

*ما الذي يعرضه ليتو عليّ هنا؟*

بهذا الجيش النّسائي، يمكن لقائدٍ طموحٍ أن يستولي على إمبراطورية ليتو. لكن هل يستطيع حقًّا؟ كلّا... ليس في حياة ليتو. لقد قال ليتو إن النّساء «بفطرتهن» لسن عدوانيات عسكريًّا.

لقد قال: «أنا لا أُنمّي هذا فيهن. لقد نشأن على نمطٍ دوري، يرتبط بإقامة المهرجان الملكي كل عشر سنوات. يتغيّر الحرس، وتُمنح البركة للجيل الجديد، وتُوهَب لحظة صمت حدادًا على الأخوات الرّاحلات، وعلى الأحِبّة الذين رحلوا إلى الأبد. يتوالى السِيانوق تلو السِيانوق، بإيقاعٍ محسوب، حتّى يصبح التّغيير نفسه نمطًا ثابتًا».

أشاح آيداهو ببصره بعيدًا عن النّساء المُتّشِحات بالبياض

وأطفالهن، وألقى نظرة شاملة على حشد الوجوه الصّامتة، وأخبر نفسه أن ما يراه ليس إلّا نواةً صغيرةً من القوّات النّسائية الغفيرة التي تنشر شبكتها الأنثويّة في أرجاء الإمبراطوريّة. صار بإمكانه الآن تصديق كلمات ليتو:

«القُوّة لا تَضعَف، بل تشتدُّ مع مرور كل عقد».

وسأل آيداهو نفسه: *إلى أيّ مُنتهى؟*

ثم ألقى نظرة على ليتو الذي كان يرفع يديه مباركًا قاعة خُوريّاته.

قال ليتو: «سنمر عبركن الآن».

فتحت النّساء الواقفات أسفل الحافّة طريقًا بين صفوفهن، متكدّسات إلى الوراء، وراحت الفُرجة تتعمّق في صفوف الحشد كشقٍّ ينتشر عبر الأرض في أعقاب زلزالٍ أرضيٍّ هائل.

قال ليتو: «دانكن، سوف تتقدّمني».

حاول آيداهو ابتلاع ريقه لكن جفاف حلقه منعه، ثم وضع راحة يده على شفّة الحافّة ونزل إلى السّاحة وتقدّم نحو الشّق، إذ عَلِم أن هذا وحده هو ما سينهي هذا الاختبار.

ألقى نظرةً سريعةً خلفه فرأى عربة ليتو تهبط بشموخٍ منزلقةً على مضادّات الجاذبيّة.

استدار آيداهو وأسرع من خُطاه.

ضيّقت النّساء الممرّ المفتوح بين صفوفهن. حدث ذلك بهدوء غريب، وبانتباهٍ مُركّز: أوّلًا على آيداهو، ثم على الجسدِ الفَظّ

المحمول خلف آيداهو على العربة الإيكسيّة.

وبينما راح آيداهو يتقدّم بثبات، امتدت أذرع النّساء من كل جانبٍ ليلمسنه، وليلمسن ليتو، بل حتّى ليلمسن العربة الملكيّة. شعر آيداهو بالرّغبات المكبوتة في لمساتهن، وتأكّد من أعمق مخاوفه.

معضلة الحُكم تكمن في سؤالٍ واحد لا مفر منه: من سيُمارس دور الرّبّ؟

- پول المؤدّب

من التّاريخ الشّفهي.

تبعت هِوي نوري دليلةً شابّةً من مُحاورات الأسماك الشّابة أسفل مَنزلٍ عريضٍ يهبط حلزونيًا إلى أعماق مدينة أونْ، بعد أن أتاها استدعاء ليتو في وقتٍ متأخّر من مساء ثالث أيّام المهرجان ليقطع عليها لحظةً كانت تكافح فيها للحفاظ على توازنها العاطفي.

لم يكن مساعدها الأوّل، عُتوي ياكِه، رجلًا دَمِثًا. كان شعره أشقر بلون الرّمال، وذا وجه طويلٍ رفيع، وعينين لا تستقران على شيء. لم يسبق له قط أن نظر مباشرة في أعين من يخاطبهم. كان قد أعطاها ورقة واحدة من ورق المِمراز تحتوي على ما وصفه بأنه «مُلخّص لأحداث العنف الذي أُبلِغ عن وقوعها مؤخّرًا في مدينة المهرجان».

كان يقف بالقرب من المكتب الذي تجلس عليه، ويحدّق إلى نقطةٍ ما إلى يسارها حين قال: «إن مُحاورات الأسماك يذبحن راقصي الوجوه في جميع أنحاء المدينة»، وقد قالها بنبرة جافّة لا تُظهر أيّ انفعال.

سألته: «لماذا؟».

- «قيل إن بِني تليلاكس حاولوا اغتيال الإمبراطور الإله».

سرت في جسدها رعدةُ خوفٍ. أراحت هِوي ظهرها إلى مقعدها

ونظرت حولها إلى أرجاء المكتب الدبلوماسي: كانت الغُرفة دائريّةً وتضم مكتبًا نصف دائري يخفي تحت سطحه المصقول اللّامع أجهِزةً إيكسيّة عديدة. كان المكان خافت الإضاءة ويُوحي بالأهمّية، جدرانه مكسوّة بألواحٍ خشبيّةٍ داكنةٍ تخفي خلفها أجهزةً إلكترونيّةً تحمي الغُرفة العديمة النّوافذ من محاولات التجسّس.

رفعت هِوي نظرها إلى ياكِه وحاولت إخفاء ضيقها منه وهي تقول: «والإله ليتو الآن...».

- «يبدو أن محاولة اغتياله لم تفلح، لكنها قد تُفسّر واقعة الجلد».

- «أتظن إذًا أن مثل هذه المحاولة حدثت بالفعل؟»

- «أجل».

في تلك اللّحظة، اقتحمت مُحاورة الأسماك، مبعوثة الإله ليتو، الغُرفة ما إن وصلت إلى المكتب الخارجي، تتبعها حيزبونٌ من البِني چيسيرِت، وهي امرأة قدّمتها باسم الأمّ المُوقّرة أنتياك. حدّقت أنتياك بحِدّة إلى ياكِه، فيما ألقت مُحاورة الأسماك، وهي شابة ناعمة الوجه ذات ملامح تشبه ملامح الأطفال تقريبًا، رسالتها إلى هِوي:

- «الإله ليتو أخبرني أن أذكّرك بكلماته: ‹عودي على الفور إن استدعيتك›. حسنًا، إنه يستدعيك».

وفيما كانت مُحاورة الأسماك تتحدّث، بدأ ياكِه يتململ بعصبيّة، وأخذ ينقل بصره في جميع أرجاء الغُرفة كأنه يبحث عن شيءٍ غير موجود. انصاعت هِوي للأمر على الفور، متمهّلةً فقط لتضع رداءً أزرق داكنًا فوق ثوبها، وأمرت ياكِه بالبقاء في المكتب إلى حين

عودتها.

في ضوء المساء الضّارب إلى البرتقالي خارج السّفارة، وفي شارعٍ خالٍ على نحوٍ غريب من حركة المرور، نظرت أنتياك إلى مُحاورة الأسماك وقالت: «أجل». بعدها تركتهما أنتياك، واصطحبت مُحاورة الأسماك هِوي عبر الشّوارع الخالية إلى مبنًى شاهقٍ بلا نوافذ، يتوسّطه هذا المَنزَل الحلزوني.

أصابت دوائر المَنزَل الضّيّقة المتراكبة هِوي بالدُّوار. طفت كُرات إنارة بيضاء صغيرة في البئر المركزيّة، وأضاءت تعاريش كَرْمةٍ بأوراقٍ ضخمةٍ خضارها مائل إلى الأرجواني. كانت الكَرْمة مُعلّقة بأسلاكٍ ذهبيّة لامعة.

ابتلع سطح المَنزَل الأسود النّاعم وقع أقدامهما، ما جعل هِوي واعية تمامًا للحفيف الخشن الخافت النّاتج عن حركة ردائها.

سألت هِوي: «إلى أين تأخذينني؟».

- «إلى الإله ليتو».

- «أعرف، لكن أين هو؟».

- «في حُجرته الخاصّة».

- «إنها عميقةٌ جدًا تحت الأرض».

- «أجل، كثيرًا ما يُفضّل الرّب المكوث في الأعماق».

- «هذا الهبوط الحلزوني الطّويل يصيبني بالدُّوار».

- «ستشعرين بتحسُّنٍ إن لم تنظري إلى الكَرْمة».

- «ما هذه النّبتة؟»

- «إنها تُسمّى كَزمة تُنيون، ويُفترض أنها عديمة الرّائحة تمامًا».

- «لم أسمع بها من قبل. من أين أتت؟».

- «وحده الإله ليتو يعلم».

واصلت المرأتان سيرهما في صمتٍ، حاولت فيه هِوي أن تفهم حقيقة مشاعرها. كان الإمبراطور الإله قد ملأ قلبها بالحزن. لقد أحسّت بالرّجُل الكامن فيه، الرّجُل الذي كان يمكن أن يكونه. لماذا اختار رَجُلٌ كهذا هذا المسار لحياته؟ هل يعرف مُونيو؟ هل يعرف أحد؟

رُبّما دانكن آيداهو يعرف.

هنا وجدت أفكارها تنجرف نحو آيداهو، ذلك الرّجُل ذو الجسد الجذّاب. يا لفحولته! وشعرت بنفسها تنجذب نحوه. آهٍ لو كان ليتو يتمتّع بجسدِ آيداهو ومظهره. أمّا ذلك المدعو مُونِيو، فهو قِصّة أخرى. حدّقت هِوي إلى ظهر مُحاورة الأسماك المرافقة، ثم سألت:

- «أيمكنكِ أن تُحدّثيني عن مُونِيو؟».

ألقت مُحاورة الأسماك نظرةً إليها من فوق كتفها، ولاح في عينيها تعبيرٌ غريب: خوف أو نوع غريب من الرّهبة.

سألتها هِوي: «أتوجد مُشكلة؟».

أعادت مُحاورة الأسماك انتباهها إلى المَنزل الحلزوني.

ثم قالت: «لقد أخبرني الرّبُّ أنك ستسألين عن مُونِيو».

- «حدّثيني عنه إذًا».

- «وماذا عساي أن أقول؟ إنه أقرب المقرّبين إلى الرّبّ».

- «أقرب من دانكن آيداهو؟».

- «بالتأكيد، فمُونِيو آتريديزي».

قالت هِوي: «لقد جاءني مُونِيو أمس، وقال إن عليّ معرفة شيءٍ عن الإمبراطور الإله. قال إن الإمبراطور الإله قادر على أيّ شيء، أيّ شيءٍ على الإطلاق، ما دام يُرجى منه تثقيف النّاس».

قالت مُحاورة الأسماك: «هكذا يؤمن الكثيرون».

- «وأنت لا تؤمنين بذلك؟».

طرحت هِوي السّؤال، والمَنزَل يأخذ الانعطاف الأخير لينفتح على غُرفة انتظار صغيرة، لها مدخل مُقوّس يبعد خطوات قليلة.

قالت مُحاورة الأسماك: «سيلتقي الإله ليتو بكِ على الفور»، ثم عادت أدراجها صعودًا دون أن تفصح عن إيمانها الخاص.

خَطَت هِوي من أسفل القوس لتجد نفسها في غُرفة منخفضة السّقف أصغر كثيرًا من قاعة الاستقبال. كان الهواء بها جافًّا ونقيًا، ويخترقها ضوءٌ أصفرُ شاحبٌ من مصدر ما مخفي في الزوايا العُليا. سمحت هِوي لعينيها بالتّكيُّف مع الإضاءة الخافتة، ولاحظت السّجّاد والوسائد النّاعمة المبعثرة حول كومة منخفضة من الـ...

كتمت هِوي فمها بيدها حين تحرّكت الكومة وأدركت أنها

الإمبراطور ليتو ذاته على عربته، لكن العربة غائصة في تجويفٍ مُنخفض. عرفت هِوي على الفور لماذا ضمّمت الغُرفة بهذا الشّكل. كانت تهدف إلى تخفيف هيبته في نظر ضيوفه البشر؛ ما يجعله أقل هيمنة بجسده المارد. ومع ذلك، لم يكن يُوجد ما يمكن فعله بشأن طولِه وكتلةِ جسدِه المستفحلة سوى إبقائها في الظلال، وتوجيه معظم الضوء نحو وجهه ويديه.

قال ليتو: «ادخلي واجلسي». كان يتحدّث بصوتٍ خفيض لطيف الأسلوب.

قطعت هِوي الغُرفة إلى وسادةٍ حمراء تبعد أمتارًا قليلة عن وجه ليتو، وجلست عليها.

راقب ليتو حركتها باستمتاعٍ واضح. كانت ترتدي ثوبًا ذهبيًا داكنًا، وشعرها معقوصٌ إلى الخلف في ضفائر؛ ما جعل وجهها يبدو صبيًا وبريئًا.

قالت هِوي: «لقد أبلغت إيكس برسالتك، وأخبرتهم بأنك تريد معرفة سِنّي».

قال: «رُبّما سيجيبون، ورُبّما تكون إجابتهم صادقة».

قالت: «أُريد معرفة متى وُلِدتُ، وكل الظُّروف التي أحاطت بولادتي، لكنني لا أعرف لماذا يثير هذا اهتمامك».

- «كل ما يخصُّك يُثير اهتمامي».

- «لن تعجبهم حقيقة أنك نصّبتني سفيرةً دائمةً».

قال: «إن ساداتك لمزيج مثير للاهتمام من التمسّك الصّارم بالرّسميّات والتّراخي في الأساسيات، وأنا لا أتحمّل الحمقى بصدرٍ رحب».

- «أتراني حمقاء يا مولاي؟».

- «لم يكن مالكي أحمق، ولا أنت من بعده يا عزيزتي».

- «انقطعت أخبار عمّي منذ سنوات. أحيانًا أتساءل إن كان لا يزال حيًّا».

- «قد نعرف ذلك يومًا ما. هل سبق أن تحدّث معك مالكي عن ممارستي للتقيّة*؟».

فكرت في الأمر لحظة، ثم قالت: «أليست هي ما كان يُسمّيه قدماء الفرمِن الكتمان*؟».

- «بلى، إنها فنُّ إخفاء الهُويّة حين يكون في كشفها مَضرّة».

- «أتذكّر الآن. لقد أخبرني أنك كتبت سيرًا تاريخيّة بأسماء مستعارة، بعضها مشهور جدًّا».

- «كان هذا مدخلنا إلى الحديث عن مفهوم التقيّة».

- «لِمَ تأتي إلى ذكر هذا الأمر الآن يا مولاي؟».

- «لتجنّب مواضيع أخرى. أتعرفين أنني من ألّف كُتُب نوح أركرايت(14)؟».

لم تستطع هِوي كتم ضحكة فلتت منها وهي تقول: «يا لها من

مُفارقة! لقد طلبوا مني أن أقرأ عن حياته».

- «أنا من كتب سيرته كذلك. أيّ أسرارٍ طلب منك الإيكسيّون انتزاعها مني؟».

لم يطرف لِهوي جفنٌ أمام تغييره التّكتيكي للموضوع.

- «لديهم فضول بشأن البنية الدّاخليّة لعقيدة الإله ليتو».

- «حقًّا؟».

- «يريدون معرفة كيف اِنتزَعتَ السّلطة الدّينية من قبضة البِني چيسيرِت».

- «لا شك في أنهم يطمعون في تكرار ما فعلت، أليس كذلك؟».

- «أنا واثقة بأن هذا في أذهانهم يا مولاي».

- «هِوي، أنت مُمثّلةٌ سيّئةٌ للإيكسيّين».

- «أنا خادمتك يا مولاي».

- «ألا تحملين فضولًا خاصًا بك؟».

قالت: «أخشى أن فضولي قد يزعجك».

حدّق إليها لحظات، ثم قال: «فهمت. أجل، أنت مُحِقّة. علينا تجنّب الخوض في مُحادثات حميميّة في الوقت الحالي. أتريدين مني أن أحدّثك عن الأخوات؟».

- «أجل، سيكون ذلك جيّدًا. أتعلم أنني التقيت إحدى عضوات وفد البِني چيسيرِت اليوم؟».

- «لا شك في أنها أنتياك».

- «إني أخشاها يا مولاي».

- «ليس لديك ما تخشينه من أنتياك. لقد ذهبت إلى سفارتكم بأمرٍ مني. هل نما إلى عِلمك أن راقصي الوجوه تسلّلوا بينكم؟».

شهقت هِوي، ثم تمالكت نفسها وهي تشعر بأن قبضةً باردةً تعتصر صدرها.

سألته: «غتوي ياكِه؟».

- «أتشكّين فيه؟».

- «كل ما في الأمر إنني لا أُحِبُّه، وقد قيل لي إنه...»، ثم بترت عبارتها حين أدركت الحقيقة: «ماذا حدث له؟».

- «تقصدين ياكِه الأصلي؟ لقد مات. هذا ما يفعله راقصو الوجوه في هذه الظُروف عادةً حين ينتحلون صِفة شخصٍ ما.. إنهم يقتلونه. لدى حارساتي مُحاورات الأسماك أوامر صريحة بعدم ترك أيّ راقصٍ وجه على قيد الحياة في سفارتك».

ظلّت هِوي صامتةً، لكن بدأت الدُموع تسيل على وجنتيها. *هذا يُفسّر الطرقات الخالية، وإجابة أنتياك الغامضة «أجل»، وأمورًا عديدة أخرى.*

قال ليتو: «سأعيّن لك مُساعِدة من مُحاورات الأسماك حتّى تتمكّني من تدبير أمورك. ستعمل حارساتي على حمايتك جيّدًا».

مسحت هِوي الدُموع عن وجهها. ستكون غضبة مُحقّقي إيكس

على بَني تليلاكس شديدة. لكن هل سيصدق الإيكسيُون تقريرها؟ أحقًا اِستُبدِل بأفراد سفارتها راقصو وجوه! من الصّعب تصديق ذلك.

سألته: «كلهم قُتلوا؟».

- «لا يملك راقصو الوجوه سببًا للإبقاء على أيٍّ من بني جلدتك الأصليّين أحياء. كنتِ ستكونين التّالية».

اعترتها رجفةٌ.

قال: «لقد أرجؤوا ذلك، إذ علموا أنهم سيُضطرون إلى تقليدك بدقّةٍ بالغةٍ لخداع حواسي، فهم لا يطمئنون إلى حدود قدرتي».

- «ثم أنتياك...».

- «أنا وأخوات البِني چيسيرِت نتشارك القدرة على اكتشاف راقصي الوجوه. أنتياك خصوصًا... حسنًا، لنقل إنها بارعة فيما تفعل».

قالت: «ما من أحدٍ يثق بالتِليلاكسو. لِمَ لم تُستأصل شأفتهم منذ زمنٍ بعيد؟».

- «للاختصاصيّين منافعهم، مثلما لهم حدودهم. لقد فاجأتني يا هِوي، فلم أظن أن فيكِ هذا القدر من القسوة».

- «التِليلاكسو... أقسى من أن يُعدّوا بشرًا. هؤلاء ليسوا بشرًا!».

- «أؤكّد لك أن البشر يمكن أن يكونوا بذات القسوة. أنا نفسي أقسو في بعض الأحيان».

- «أعرف يا مولاي».

- «فقط حين يُستَفزُّ غضبي. لكن من فكرتُ في إبادتهن حقًّا هن البِني چيسيرِت».

ألجمتها الصّدمة وأفقدتها الكلمات.

قال: «إنهن قريبات جدًّا ممّا يجب أن يكُنّ عليه، وفي الوقت نفسه بعيدات جدًّا».

عثرت هِوي على صوتها وقالت: «لكن التّاريخ الشّفهي يقول...».

- «أجل، لنعد إلى ديانة الأُمّهات المُوقّرات. لقد صمّمن في الماضي ديانات مُحدّدة لمجتمعات مُحدّدة، وكُنّ يطلقن على ذلك هندسةً. ما قولك في هذا؟».

- «غِلظة».

- «بالفعل، وقد جاءت النّتائج على قدر الخطأ. فحتّى بعد كل المحاولات الكُبرى للتوفيق بين الأديان، ظل في أرجاء الإمبراطورية عددٌ لا حصر له من الآلهة، وأنصاف الآلهة، والطّامحين في النُّبوّة».

- «وأنت غيّرت هذا يا مولاي».

- «إلى حدٍّ ما. لكن الآلهة لا تموت بسهولة يا هِوي. صحيح أن ديانتي التّوحيديّة مهيمنة، لكن شجرة الآلهة الأصليّة باقية؛ فقط توارت إلى الظّل في هيئات مختلفة».

- «مولاي، أشعر في كلامك بأنك... آه...»، ثم بترت عبارتها وهزّت رأسها.

- «بأنني أبدو باردًا في حساباتي كالأخويّة؟».

أومأت هِوي.

- «الفرمِن هم الذين ألّهوا والدي، وأطلقوا عليه المؤدّب العظيم، في حين أنه لم يهتم حقًا بلقب العظيم».

- «لكن هل كان الفرمِن...».

- «مُحقّين؟ هِوي يا عزيزتي، لقد كانوا حسّاسين تجاه استخدامات السُلطة، وجشعين في حفاظهم على تفوُقهم».

- «أجد هذا الأمر... مزعجًا يا مولاي».

- «أرى ذلك. أنت لا تُحبّين فكرة أن يصير التّحوُل إلى إله بهذه السُهولة، كأن أيّ شخصٍ يستطيع فعل ذلك».

- «هذا يجعل الأمر يبدو عاديًا جدًا يا مولاي». كان في صوتها نبرةٌ بعيدةٌ، كأنها تختبره.

- «أؤكّد لك أن لا أحد يستطيع فعل ذلك».

- «لكنك تُلمّح إلى أنك ورثت ألوهيتك من...».

قال: «إيّاك أن تقترحي الفكرة على إحدى مُحاورات الأسماك، فردّة فعلهن تجاه الهرطقة عنيفة».

حاولت هِوي ابتلاع ريقها، لكن جفاف حلقها منعها.

قال: «لا أقول ذلك إلّا لحمايتك».

خرج صوتها خافتًا وهي تقول: «أشكرك يا مولاي».

- «لقد بدأت ألوهيّتي حين أخبرت الفرمِن بأنني لم أعد أستطيع

إعطاء ماء الأجل للقبائل. تعرفين ماء الأجل، أليس كذلك؟».

- «في أيّام كتيب، هو الماء المُستعاد من جثث الموتى».

- «آه، لقد قرأت كلام نوح أركرايت بالفعل».

ابتسمت هِوي ابتسامةً خافتةً.

- «أخبرت الفرمِن أن الماء سيُكرّس لإلهٍ أعلى، تركته غير مُسمًّى، وسمحت بكرمي أن يظلّ ذلك الماء تحت سيطرة الفرمِن».

- «أخال أن الماء كان عزيزًا جدًّا في تلك الأيّام».

- «إلى أقصى درجة! وأنا، بصفتي مُفوّض هذا الإله المجهول، حظيت ببعض السّيطرة على ذلك الماء الثّمين لمدة تقارب ثلاثمئة عام».

عضّت هِوي شفتها السُّفلى.

سألها: «هل ما زال كلامي يبدو كأنه حسابات باردة؟».

أومأت مُجيبةً.

- «كان كذلك. حين جاء وقت تكريس ماء أُختي، أشهدت الفرمِن مُعجزةً. تعالت أصوات الآتريديزيّين جميعًا من جَرّة غنيمة، وهكذا اكتشف الفرمِن أنني كنت ربّهم الأعلى».

تكلّمت هِوي بخوف، ونضح صوتها بالشُّكوك والحيرة مع هذا الكشف: «مولاي، أتخبرني بأنك لست إلهًا حقًّا؟».

- «أخبرك بأنني لا أعبث مع الموت».

حدّقت إليه لعِدّة دقائق قبل أن ترد عليه بطريقة أكّدت له أنها فهمت المعنى الأعمق في كلامه، وقد زاد رَدُّها من تعلُّقه بها حين قالت: «لن يكون مماتك كغيره من الميتات».

تمتم ليتو: «العزيزة الغالية، هِوي».

قالت: «أتساءل كيف لا تخشى أن يحاكمك إله أعلى حقيقي؟».

- «هل تصدرين أنت حُكمًا عليّ يا هِوي؟».

- «كلّا، بل أخاف عليك».

قال لها: «فكّري في الثّمن الذي أدفعه. كل جزء سينحدر مني سيحمل في داخله جزءًا من وعيي، محبوسًا فيه، ضائعًا وعاجزًا».

وضعت كلتا يديها على فمها وحدّقت إليه دون أن تنطق.

- «هذا هو الرُّعب الذي جَبُن والدي عن مواجهته، وسعى جاهدًا لمنع حدوثه: الانقسام الدّائم لهويّة مطموسة إلى أجزاءٍ فأجزاءٍ فأجزاء... إلى ما لا نهاية».

أنزلت هِوي يديها وهمست: «هل ستكون واعيًا؟».

- «بطريقةٍ أو بأخرى... لكن أخرس. سأرافق لؤلؤة صغيرة من وعيي كل دودة رمال، وكل يرقة رمال. سأكون واعيًا، لكنني عاجزٌ عن تحريك خليّة واحدة، دائم الإدراك في حلمٍ لا نهائي».

اعترت جسدها رجفة.

راقبها ليتو وهي تحاول أن تستوعب طبيعة هذا الوجود. هل في وسعها أن تتخيّل وقعَ الصّخب الأخير، حين ستتكالب مُتعضّيات

هويّته المُجزّأة على التحكُّم في الآلة الإيكسيّة التي تُسجّل مذكّراته؟ ذلك التحكُّم الآفل، المتفلّت من قبضتها؟ هل في وسعها الشُّعور بالصّمتِ المُزلزل الذي سيعقب ذلك التّفتيت المُروّع؟

- «مولاي، إن أفصحت لهم عن هذه المعرفة فسيستخدمونها ضدّك».

- «وهل ستفصحين أنت؟».

هتفت: «بالقطع لا!»، ثم هزّت رأسها من جانبٍ إلى آخر. لماذا قَبِل بمثل هذا التّحوُّل الرّهيب؟ ألم يكن من سبيلٍ آخر؟

في النّهاية قالت: «تلك الآلة التي تُدوّن أفكارك، ألا يمكن توليفها مع...».

- «مع مليون جزءٍ مني؟ مليار جزء؟ مع ما هو أكثر؟ يا عزيزتي هِوي، لن تكون أيٌّ من تلك اللّآلئ الواعية أنا حقًّا».

اغرورقت عيناها بالدُّموع، فطرفت عينيها وأخذت نفسًا عميقًا. ميّز ليتو تدريب البِني چيسيرِت في هذا الفعل، في الطّريقة التي استقبلت بها تدفُّق الهدوء.

- «مولاي، لقد أيقظتَ فيّ رُعبًا عظيمًا».

- «لكنّكِ لم تُدرِكي بعدُ لمَ حمَلتُ على عاتقي هذا الأمر».

- «وهل لي أن أدرِك؟».

- «بلا شك. يمكن لكثيرين إدراكه، أمّا ما يصنعه الناس بما يُدرِكونه فهو مسألةٌ أخرى».

- «هلا تعلّمني ماذا أفعل؟».

- «أنت تعرفين بالفعل».

استغرقت هِوي لحظات في صمتٍ لاستيعاب إجابته، ثم قالت: «الأمر له علاقة بديانتك. أشعر بذلك».

ابتسم ليتو: «بإمكاني أن أغفر لساداتك الإيكسيّين أيّ شيءٍ تقريبًا مقابل تلك الهديّة الثّمينة التي قدّموها لي، التي هي أنتِ. اسألي ما شِئت، وسأجابين».

مالت هِوي نحوه، مُنحنيةً فوق وسادتها: «حدّثني عن البنية الدّاخليّة التي تقوم عليها ديانتك».

- «قريبًا جدًّا ستعرفين كل شيء عني يا هِوي. أعدك بذلك. فقط تذكّري أن عبادة الشّمس التي مارسها أسلافنا الأوائل لم تكن بعيدة تمامًا عن الحقيقة».

مالت إلى الوراء وقالت: «عبادة... الشّمس؟».

- «الشّمس التي تتحكّم في كل أشكال الحركة، ولا يمكن لمسها. تلك الشّمس هي الموت».

- «تعني... موتك؟».

- «أيّ دينٍ يدور كالكوكب حول الشّمس، ويستخدمها للحصول على الطّاقة التي يعتمد عليها وجوده ذاته».

لم يتجاوز صوتها الهمس وهي تقول: «ماذا ترى في شمسك يا مولاي؟».

- «كونٌ ذو نوافذ عديدة أستطيع أن أُطلّ من خلالها. ما تُؤَطِّرُه النّوافذ، هو ما أراه».

- «تقصد المستقبل؟».

- «الكون في جوهره لا يعرف الزّمن، لذا فهو يحتفظ بكُلّ الأوقات وكُلّ المستقبليّات في تزامن».

قالت: «الأمر صحيح إذًا»، ثم أشارت إلى جسده الطّويل ذي الفصوص: «لقد رأيت شيئًا... هذا التحوُّل هو ما يمنع وقوعه».

- «هل يمكنك أن تجدي في نفسك ما يدفعك إلى الاعتقاد بأن هذا الجسد قد يكون، بطريقةٍ ما، مُقدّسًا؟».

لم تقو إلّا على الإيماء برأسها.

قال لها: «إذا أردتِ مُشاركتي الأمر كله، فأنا أُحذّرك من أنه سيكون عِبئًا رهيبًا».

- «هل سيخفّف ذلك من عبئك يا مولاي؟».

- «لن يخفّفه، لكنه سيهوّن تقبّله».

- «سأشاركك إذًا. أخبرني بكُلّ شيءٍ يا مولاي».

- «ليس بعد يا هِوي. عليك أن تتحلّي بالصّبر مُدّة أطول».

ابتلعت هِوي إحباطها، وتنهّدت.

قال ليتو: «الأمر فقط أن صبر دانكن آيداهو بدأ ينفد، ويجب أن أتعامل معه».

نظرت هِوي خلفها، لكن الغُرفة الصّغيرة ظلّت خالية.

- «أتريدني أن أغادر الآن؟».

- «أتمنّى ألّا تغادري مجلسي أبدًا».

حدّقت إليه، ولاحظت الشّدة في نظرته، وامتلأ صدرها بالحزن من الجوع والخواء في تعبيره. «مولاي، لماذا تطلعني على أسرارِك؟».

- «لن أطلب منك أن تكوني عروسًا لإله».

اتّسعت عيناها من هول المُفاجأة.

قال لها: «لا تُجيبي».

ألقت هِوي نظرة على الجسد الطويل القابع في الظّلال دون أن تُحرّك رأسها تقريبًا.

قال لها: «لا تبحثي عن أجزاء مني لم تعد موجودة، فبعض أشكال القُرب الجسدي صرت عنها عاجزًا».

أعادت هِوي انتباهها إلى وجهه المقلنس، ولاحظت بشرة وجنتيه الورديّة، وقوّة التّأثير البشري لملامحه في هذا الإطار الغريب.

قال لها: «إن كان لكِ رغبة في الأطفال، فلن أطلب منك سوى أن تسمحي لي باختيار الأب. لكنني لم أطلب منك شيئًا بعد».

خرج صوتها خافتًا وهي تقول: «مولاي، لا أعرف ماذا أ...»

قال لها: «سأعود إلى القلعة قريبًا. ستأتينني هناك وسنتكلّم. سأخبرك حينها بالشأن الذي أحول دون وقوعه».

- «أنا خائفة يا مولاي، أكثر ممّا تخيّلت أني قد أخاف يومًا».

- «لا تخافيني. فأنا لا أستطيع التّعامل إلّا برفقٍ مع هِوي الرّقيقة. أمّا بخصوص المخاطر الأخرى، فستذود عنك حارساتي مُحاورات الأسماك بحياتهن، ولن يسمحن لأذًى بأن يصيبك».

نهضت هِوي على قدميها ووقفت ترتجف.

رأى ليتو مدى تأثير كلماته فيها وشعر بألمها. كانت عيناها تلمعان بالدُّموع، وقد ضمّت يديها بإحكام لتهدئة ارتعاش جسدها. كان يعلم أنها ستأتي إليه طوعًا في القلعة. إذا طلب منها أيّ شيءٍ، فلن يختلف ردُّها عن ردّ مُحاورات الأسماك:

«أمرك يا مولاي».

خطر لليتو أنه إذا كان بوسعها تبديل الأدوار معه، وتحمُّل عِبئِه، لعرضت نفسها عن طيب خاطر. وحقيقة أنها كانت عاجزةً عن فعل ذلك زادت من ألمها. كانت هِوي محض ذكاءٍ مبني على حساسيّة عميقة، لكن دون أيٍّ من ميل نفس مالكي وضعفه أمام الملذّات. كانت مُخيفة في كمالها، وكل شيءٍ فيها أكّد له أنها بالضّبط المرأة التي، لو أنه نضج ليصبح رَجُلًا طبيعيًا، لأرادها (كلّا، بل لطالب بها!) شريكةً له.

والإيكسيئون يعلمون ذلك.

همس ليتو قائلًا لها: «اتركيني الآن».

أنا لرعيّتي الأبُ والأمُّ معًا. لقد ذُقتُ نشوات الميلاد، ونشوات الموت، وأعرف الأنماط التي ينبغي لكم أن تتعلّموها. أولم أتجوّل ثملًا في كونٍ غاصٍ بالمظاهر؟ بلى! وقد رأيتكم فيه بوضوح، مُحدّدين بالضِّياء. ذلك الكون الذي تزعمون أنكم ترونه وتشعرون به، إنّما هو حُلمي. طاقاتي تتركّز عليه، فأكون في كُلِّ عالمٍ، وأيِّ عالمٍ. وهكذا تُولدون.

- المذكّرات المسروقة

قال ليتو: «أخبرتني مُحاورات الأسماك أنك عُدتَ إلى القلعة مباشرةً بعد مهرجان السِيانوق».

كان يحدّق إلى آيداهو بنظرة اتّهام، الذي وقف قُرب المكان الذي فيه جلست هِوي منذ ساعة واحدة مضت. كانت بُرهة قصيرة من الوقت، لكن ليتو شعر خلالها بفراغ قرون.

قال آيداهو: «احتجت إلى بعض الوقت لأُفكّر»، ناظرًا إلى التجويف المُظلم حيث تستقر عربة ليتو.

- «وإلى التحدُّث إلى سيونا؟».

- «أجل». قالها آيداهو ورفع بصره إلى وجه ليتو.

قال ليتو: «لكنك طلبت رؤية مُونِيو».

سأله آيداهو: «هل تخبرك حارساتك بكُلِّ تحرُّكاتي؟».

- «ليس كُلّها».

- «النّاس يحتاجون أحيانًا إلى الانفراد بأنفسهم».

- «بلا شك. لكن لا تلُم مُحاورات الأسماك على قلقهن عليك».

- «أخبرتني سيونا بأنك ستمتحنها».

- «ألهذا طلبت رؤية مُونِيو؟».

- «ما طبيعة هذا الاختبار؟».

- «مُونِيو يعرف. أفترض أنك أردت رؤيته لهذا السّبب».

- «أنت لا تفترض شيئًا! بل تعلم يقينًا».

- «لقد انزعجتَ من مهرجان السِيانوق يا دانكن. أنا آسف».

- «ألديك أيّ فكرة عمّا أشعر به لكوني أنا... هنا في هذا المكان؟».

قال ليتو: «حياة الغول ليست سهلة. بعض الحيوات أصعب من غيرها».

- «لا أريد سماع أيّ فلسفة طفوليّة!».

- «ماذا تريد إذًا يا دانكن؟».

- «أريد معرفة بعض الأمور؟».

- «أمور مثل؟».

- «أنا لا أفهم أيًا من المحيطين بك! لقد أخبرني مُونِيو، دون أن يظهر عليه أثرٌ لدهشة، أن سيونا كانت ضلعًا في التمرُّد ضدك. ابنته ذاتها!».

- «كان مُونِيو متمرِّدًا هو الآخر في شبابه».

- «أترى ما أقصد؟ هل اختبرته أيضًا؟».

- «أجل».

- «وهل ستختبرني؟».

- «إني أختبرك بالفعل».

نظر آيداهو إليه شزرًا، ثم قال: «أنا لا أفهم حكومتك، ولا إمبراطوريّتك، ولا أيّ شيءٍ آخر. وكلما اكتشفت المزيد، أدركت أنني لا أعرف شيئًا ممّا يجري».

قال ليتو: «كم أنت محظوظ لعثورك على بداية طريق الحكمة».

- «ماذا؟». ضجّت الغُرفة الصّغيرة بصدى صيحة آيداهو الغاضبة المشوبة بالحيرة.

ابتسم ليتو: «دانكن، ألم أخبرك بأن وهم المعرفة هو أعظم عائق أمام التعلُّم؟».

- «أخبرني إذًا بحقيقة ما يجري».

- «ها هو ذا عزيزي دانكن آيداهو يكتسب عادةً جديدةً. إنه يتعلّم أن ينظر دومًا إلى ما وراء ما يظن أنه يعرف».

- «حسنًا، حسنًا»، قالها آيداهو وهو يومئ برأسه ببطء تزامنًا مع الكلام، ثم أردف متسائلًا: «ما الذي يكمن إذًا وراء السّماح لي بالمُشاركة في ذلك الشّيءِ المُسمّى سِيانوق؟».

- «أردت تعزيز ارتباط مُحاورات الأسماك بقائدهن».

- «وتركت لي التصدّي لنزواتهن! الحارسات اللاتي رافقنني إلى القلعة أردن التوقُّف للانخراط في جنسٍ جماعي. أمّا اللّواتي أعدنني إلى هنا حين كنتَ...».

- «إنهن يعلمن كم أُسرُّ لرؤية ذُريّة دانكن آيداهو».

- «تبًا لك! أنا لست فحلك!».

- «لا داعي للصياح يا دانكن».

استنشق آيداهو أنفاسًا عميقة عِدّة، ثم قال: «حين أصارحهن برفضي، يتظاهرن أوّلًا بأنهن جُرِحن، ثم يعاملنني كأنني...»، ثم هزّ رأسه وأردف: «... وليْ تقيْ لعينْ أو ما شابه».

- «ألا يطعن أوامرك؟».

- «هؤلاء لا يُشككن في أيّ شيءٍ... إلّا إذا كان مخالفًا لأوامرك. لم تكن رغبتي أن أعود إلى هنا».

- «وهن اللّاتي أحضرنك».

- «أنت تعلم تمام العلم أنهن لن يعصين لك أمرًا!».

- «أنا سعيد بمجيئك يا دانكن».

- «أوه، أرى ذلك!».

- «فحاورات الأسماك يعلمن مدى تفرُّدك في نظري، ومدى محبتي لك، ويعلمن كم أنا مدينٌ لك. الأمر بيني وبينك لم يكن يومًا مسألةَ طاعةٍ أو عصيانٍ».

- «مسألة ماذا إذًا؟».

- «إخلاص».

خزّ آيداهو في صمتٍ عميق.

سأله آيداهو: «هل شعرت بقوّة السِيانوق؟».

- «محض رطانة وكلام فارغ».

- «لماذا انزعجت منه إذًا؟».

- «حارساتك، مُحاورات الأسماك، لسن جيشًا، بل قوّة شرطة».

- «أؤكّد لك بأن هذا غير صحيح، ففساد رجال الشُرطة حتمي».

اتّهمه آيداهو: «لقد أغريتني بالسُلطة».

- «هذا هو عين الاختبار يا دانكن».

- «ألا تثق بي؟».

- «أثق بولائك الكامل لآل آتريديز، دون أدنى شك».

- «ما هذا الكلام إذًا عن الفساد والاختبار؟».

- «أنت من اتّهمني بامتلاك قوة شرطة. الشُرطة تحمي ازدهار المجرمين. يحتاج الأمر إلى رَجُل شرطة شديد الغباء ليفوت عليه أن المنصب السُلطوي هو المنصب الإجرامي الأكثر ازدهارًا».

بلّل آيداهو شفتيه بلسانه وحدّق إلى ليتو في حيرةٍ واضحةٍ: «ولكن التدريب الأخلاقي لـ... أعني، التدريب القانوني... السجون الـ...».

- «وما فائدة القوانين والسجون حين لا تكون مخالفة القانون خطيئة؟».

أمال آيداهو رأسه إلى اليمين قليلًا وقال: «أتحاول أن تخبرني أن دينك اللعين...».

- «عقاب الخطايا يمكن أن يكون باهظًا جدًا».

أشار آيداهو بإصبعه من فوق كتفه، نحو العالم الواقع خارج الباب: «كل هذا الحديث عن عقوبات الإعدام... وواقعة الجلد و...».

- «أحاول الاستغناء عن القوانين العارضة والسجون كلما أمكن ذلك».

- «يجب أن يكون لديك بعض السجون على الأقل!».

- «حقًا؟ كل وظيفة السجون هي خلق وهم بأن رجال القضاء والشرطة ذوو تأثير. إنها نوع من التأمين على الوظائف».

استدار آيداهو قليلًا وأشار بإصبعه نحو الباب الذي دخل منه إلى الغُرفة الصّغيرة: «لديك كواكب كاملة ليست إلّا سجونًا!».

- «إذا أضلّك عقلك بأوهام السير في هذا الاتجاه، فمن الممكن أن تعدّ أيّ مكانٍ سجنًا».

- «أوهام!»، قالها آيداهو وأسقط ذراعه إلى جانبه ووقف مذهولًا.

- «أجل. أنت تتحدّث عن السّجون والشُّرطة والشّرعية القانونيّة. إنها الأوهام المثالية التي يمارس هيكل السّلطة عمله خلفها، وهو واثق تمامًا بأنه فوق القوانين التي وضعها».

- «وأنت ترى أن التعامل مع الجرائم يكون من خلال...».

- «ليست جرائم يا دانكن، بل خطايا».

- «وأنت تظن أن دينك بإمكانه...».

- «هل لاحظت الخطايا الأساسيّة؟».

- «ماذا؟».

- «إنها محاولة إفساد أحد أعضاء حكومتي، والإفساد على يد أحد أعضاء حكومتي».

- «وما طبيعة هذا الإفساد؟».

- «في جوهره، هو الفشل في إخلاص الشهادة والعبادة للإله ليتو المقدّس».

- «أنت؟».

- «أنا».

- «لكنك أخبرتني منذ البداية أن كُلّ ذلك محض...».

- «أتظن أنني لا أومن بألوهيّتي؟ احذر يا دانكن».

خرج صوت آيداهو غاضبًا، رتيب النّبرة: «لقد أخبرتني أن إحدى مهامي هي المساعدة في الحفاظ على سِرّك، أنك لست...».

- «أنت لا تعرف سِرّي».

- «سِرُّك أنك طاغية؟ هذا ليس...».

- «الآلهة لديهم سُلطة أكبر من الطُغاة يا دانكن».

- «لا يعجبني ما أسمع».

- «متى طلب منك أحدُ الآتريديزيّين أن تعجبك وظيفتك؟».

- «أنت تطلب مني أن أقود مُحاورات الأسماك اللاتي هُن القاضي والمحلف والجلّاد و...»، بتر آيداهو عبارته.

- «وماذا؟».

ظلّ آيداهو صامتًا.

حدّق ليتو إلى المسافة الباردة التي تفصل بينهما. كانت قريبة جدًا، ومع ذلك شديدة البعد.

فكّر ليتو: *الأمر يشبه صيد السّمك بالصِنّارة. عليك أن تحسب نقطة ضعف كل عنصر في التّحدي.*

لطالما كانت المشكلة مع آيداهو أن اصطياده لاصطفائه يُعجّل دومًا بنهايته، والأمر يحدث بسرعة كبيرة هذه المرة. شعر ليتو بالحزن.

قال آيداهو: «لن أنخرط في عبادتك».

قال ليتو: «مُحاورات الأسماك يدركن أنك تتمتّع بامتيازٍ خاص».

- «مثل مُونِيو وسيونا؟».

- «مع اختلاف كبير».

- «المتمرّدون إذًا حالة خاصّة».

ابتسم ليتو وقال: «كل المسؤولين الذين أثق بهم كانوا متمرّدين في وقتٍ ما».

- «لم أكن...».

- «بل كنت متمرّدًا عبقريًا! لقد ساعدت آل آتريديز على انتزاع إمبراطورية من قبضةِ عاهلٍ مهيمن».

زاغت عينا آيداهو في لحظة تفكير ذاتي، بعدها قال: «حقًا فعلت»، ثم هزّ رأسه بجِدّة كمن ينفض شيئًا عن شعره: «وانظر ماذا فعلت بهذه الإمبراطوريّة!».

- «أرسيت فيها نمطًا... نمطًا للأنماط».

- «هذا ما تدّعيه».

- «المعلومات مُجمّدة في أنماط يا دانكن. بإمكاننا استخدام نمط لحل نمطٍ آخر. الأنماط المتدفقة هي الأصعب في التعرّف عليها وفهمها».

- «مزيد من الرّطانة والكلام الفراغ».

- «لقد ارتكبت مثل هذا الخطأ من قبل».

- «لماذا تسمح للتِليلاكسو بالاستمرار في إعادتي إلى الحياة، الغول تلو الآخر؟ أين النّمط الذي تدّعي في ذلك؟».

- «بسبب الصّفات المتوافرة فيك بكثرة. سأدع والدي يقولها لك».

زمّ آيداهو شفتيه في تجهُّمٍ.

تحدّث ليتو بصوت المؤدّب، حتّى إنّ وجهه المقلنس اكتسى بمُحَيّا الأب: «لقد كنت صديقي المؤتمن يا دانكن. كنت أقرب إليّ حتّى من جيرني هاليك. لكنني ماضٍ انتهى».

ابتلع آيداهو ريقه بصعوبة: «يا للأشياء التي تفعلها!».

- «أتتعارض مع شيم آل آتريديز؟».

- «بالضّبط!».

استعاد ليتو صوته الطّبيعي: «لكنني ما زلت آتريديزيًا».

- «حقًّا؟».

- «ما الذي يمكن أن أكونه غير هذا؟».

- «أتمنّى لو عرفت!».

- «أتظن أنني أمارس الألاعيب بالكلمات والأصوات؟».

- «ما الذي تفعله حقًّا بحق الجُحَم السّبع؟».

- «أحافظ على استمرار الحياة، فيما أُعدُّ المسرح للدورة التّالية».

- «أتحافظ عليها بالقتل؟».

- «لطالما كان الموت نافعًا للحياة».

- «هذا ليس نهج الآتريديزيين».

- «لكنه كذلك. لطالما عرفنا قيمة الموت. الإيكسيُون من الناحية الأخرى لم يروا هذه القيمة قط».

- «ما علاقة الإيكسيّين بما نـ...»

- «لهم كل العلاقة. إنهم يصنعون آلة ستعمل على إخفاء مكايدهم الأخرى».

قال آيداهو بنبرة تأمُّليّة: «ألهذا السّبب كانت السفيرة الإيكسيّة هنا؟».

قال ليتو: «أعرف أنك قابلت هِوي نوري».

أشار آيداهو إلى أعلى: «كانت تغادر حين وصلت».

- «هل تحدّثت معها؟».

- «سألتها ماذا كانت تفعل هنا، فقالت إنها كانت تختار صفًّا».

انفجر ليتو في موجة من الضّحك، ثم قال: «يا ويلتي، إنها بارعة. وهل أفصحت عن اختيارها؟».

- «قالت إنها تخدم الإمبراطور الإله الآن. لم أصدّقها بالطّبع».

- «حريٌّ بك أن تصدّقها».

- «لماذا؟».

- «آه، صحيح. نسيت أنك شككت يومًا في جدّتي ذاتها، الليدي چيسيكا».

- «كان لدي سبب وجيه!».

- «هل تشك في سيونا كذلك؟».

- «بدأت أشك في الجميع!».

قال ليتو في اتّهام: «وتقول إنك لا تعرف قيمتك عندي».

سأله آيداهو: «ماذا عن سيونا؟ إنها تقول إنك تريدنا أن... أعني، اللعنة...».

- «ما يجب أن تثق به دائمًا بشأن سيونا هو إبداعها. إنها قادرة على خلق كل ما هو جديد وجميل، والمرء يثق دومًا بالمبدع الحقيقي».

- «بما في ذلك مكايد الإيكسيّين؟».

- «ليس ما يفعلونه إبداعًا. الإبداع يُعرف دومًا لأنه يُعرض على الملأ، أمّا الإخفاء فيَكشِف عن قوّة أخرى تمامًا».

- «إذًا أنت لا تثق بتلك المدعوّة هِوي نوري، لكنك...».

- «بل أثق بها، وتحديدًا للأسباب التي ذكرتها لك لتوّي».

عبس وجه آيداهو، ثم ارتاحت ملامحه وتنهّد قائلًا: «حريٌّ بي أن أتعرّف عليها أكثر ما دامت شخصًا أنت...».

قاطعة ليتو على الفور: «كلّا! ابتعد عن هِوي نوري! ففي ذهني أمرٌ خاص أعُدّه لها».

لقد عزلتُ تجربةَ المدينة في أعماقي، ودرستها من كتب. فكرة المدينة تَفْتِنُنِي، فتشكيل مجتمع إحيائي دون مجتمع اجتماعي فعّال داعم يقود إلى الفوضى. كواكب كاملة صارت مجتمعات إحيائيّة موحّدة دون بنية اجتماعيّة مترابطة، وهذا أدّى دومًا إلى الخراب. هذا الدّرس يصبح أوضح في ظل ظروف الاكتظاظ السكّاني. نموذج الجيتو قاتل، فالتوتُّرات النفسية الناجمة عن الاكتظاظ تولّد ضغوطًا لا مفر من أن تنفجر. المدينة محاولة لإدارة هذه القوى، والأنماط الاجتماعية التي تعتمدها المدن في هذه المحاولة جديرة بالدراسة. تذكّروا أن في تشكيل أيّ نظامٍ اجتماعيّ قدرٌ من الضّغينة. إنه صراع من أجل البقاء يخوضه كيانٌ مُصطنع، ويحوم الاستبداد والعبوديّة على أطرافه. في هذه البيئة المضطربة، تقع مكاره وأضرارٌ عديدة، ومن هنا تنشأ الحاجة إلى القوانين. لكن القانون يُطوَّر بنيته السّلطوية الخاصة، ما يخلق جِراحًا جديدة ومظالم أخرى. مثل هذه الفواجع لا تُشفى بالصدام، بل بالتعاون. والدّعوة إلى التعاون هي ما تُميّز المُعالِج الحقيقي.

- المذكّرات المسروقة

دخل مُونِيو غُرفة ليتو الصّغيرة في حالة من الانفعال الواضح. كان في الواقع يُفضّل هذا المكان للاجتماع به لأن عربة الإمبراطور الإله كانت في تجويفٍ يصعب منه شَنُّ هجومٍ قاتلٍ من الدُّودة. ضِف إلى ذلك أن ليتو سَمح لقهرمانه بالنزول إلى هنا في مصعد أنبوبي إيكسيّ الصُّنع، بدلًا من استخدام ذلك المَنزَل الحلزوني اللا مُتناهي. لكن مُونِيو شعر أن الأخبار التي يحملها هذا الصّباح كفيلة باستثارة *الدُّودة التي هي الإله*.

*كيف يَزُفُّ تلك الأخبار إليه؟*

لم يكن مضى على بزوغ فجر اليوم الرابع من المهرجان سوى ساعة، وهي حقيقة لم يكن مُونِيو ليستقبلها برباطة جأشٍ لولا أنها تُقرِّبه من نهاية هذه البلايا.

تقلقل ليتو حين دخل مُونِيو إلى الغُرفة الصَّغيرة. أضاءت الأنوار بإشارةٍ منه، وتركَّزت على وجهه لا غير.

قال ليتو: «صباح الخير يا مُونِيو. أخبرتني حارساتي بأنك أصررت على الدُّخول على الفور. ماذا لديك؟».

كان مونيو يعلم من واقع خبرته أن الخطر، كل الخطر، يكمن في التسرُّع بكشف ما لا ينبغي كشفه مُبكِّرًا.

قال: «لقد أمضيت بعض الوقت مع الأُمِّ الموقَّرةِ أنتياك. على الرَّغم من براعتها في إخفاء الأمر، فأنا متأكِّد من أنها مِنتاتةٌ».

- «أعرف. لا مناص من أن تعصيَني نساء البِني چيسيرِت أحيانًا. أجد في هذا النَّوع من العصيان تسلية».

- «لن تعاقبهن إذًا؟».

- «مُونِيو، أنا الرَّاعي الوحيد لشعبي، وعلى الرَّاعي أن يكون كريمًا وصارمًا في الوقت نفسه».

فكَّر مُونِيو: *إنه في مزاجٍ طيِّب*. أفلتت تنهيدة ارتياح صغيرة من مُونِيو ابتسم ليتو لها.

- «أبدت أنتياك اعتراضها حين أخبرتها بأنك أمرت بالعفو عن حفنة

مختارة من راقصي الوجوه من بين أسرانا».

قال ليتو: «لدي استخدامٌ احتفاليٌ لهم».

- «مولاي؟».

- «سأخبرك لاحقًا. أثحِفني بالأخبار التي جعلتك تقتحم خلوتي في هذه السّاعة».

«أنا... آه...»، تلعثم مُونِيو عاضًا على شفته العُليا، ثم أردف: «التِليلاكسو أكثروا من الثّرثرة في سعيهم لكسب ودي».

- «لا شك في ذلك. وماذا كشفوا لك؟».

- «أنهم... آه، قدّموا للإيكسيين المشورة والمُعدّات الكافية لصُنع... آه، ليس غولًا بالضّبط، ولا حتّى مُستنسخًا. رُبّما يجدر بنا استخدام المصطلح ذاته الذي يستخدمه التِليلاكسو: إعادة هيكلة خلوية. أُجريت الـ... آه، التجربة داخل جهازٍ حاجِب من نوعٍ ما، أكد لهم أعضاء النقابة أنك لا تستطيع اختراقه بقدراتك».

- «والنّتيجة؟». شعر ليتو أنه يسأل السّؤال في فراغٍ بارد.

- «ليسوا متأكدين. لم يُسمح للتّليلاكسو بمراقبة التجربة. ومع ذلك، فقد لاحظوا أن مالكي دخل هذه الـ... آه، الغُرفة، وأنه خرج منها لاحقًا ومعه طفل رضيع».

- «أجل! أعرف!».

- «حقًّا؟». بدا مُونِيو حائرًا.

- «بالاستنتاج. وكل هذا حدث منذ نحو ستة وعشرين عامًا

مضت؟».

- «هذا صحيح يا مولاي».

- «وقد منحوا الرّضيعة اسم هِوي نوري؟».

قال مُونِيو: «ليسوا متأكّدين يا مولاي، لكن...»، ثم بتر عبارته وهزّ كتفية.

- «مفهوم. ماذا تستنتج من ذلك يا مُونِيو؟».

- «أن وراء تعيين هذه السفيرة الإيكسيّة الجديدة هدفًا خفيًا».

- «بالتأكيد يوجد هدف. مُونِيو، ألم يبدُ لك غريبًا كيف أن هِوي، الرّقيقة هِوي، تبدو كأنها انعكاس لمالكي الخطر؟ إنها نقيضه في كل شيء، حتّى في جنسها».

- «لم أفكّر في الأمر يا مولاي».

- «أنا فكّرت».

قال مُونِيو: «سآمُر بإعادتها إلى إيكس على الفور».

- «لن تفعل شيئًا من هذا القبيل!».

- «لكن يا مولاي، إن كانوا...».

- «مُونِيو، لقد لاحظت أنك نادرًا ما تدير ظهرك للخطر. الآخرون يفعلون ذلك كثيرًا، أمّا أنت فنادرًا. أتريدني أن أرتكب مثل هذا الغباء الواضح؟».

ابتلع مُونِيو ريقه.

قال ليتو: «جميل. يعجبني حين تدرك خطأك».

- «شكرًا لك يا مولاي».

- «يعجبني أيضًا حين تُعبِّر عن امتنانك بصدق، كما فعلت حالًا. الآن، هل كان أنتياك معك وأنت تتلقّى تلك الأخبار؟».

- «كما أمرت يا مولاي».

- «ممتاز. سيتسبّب ذلك في تحريك المياه الرّاكدة بعض الشّيء. ستذهب الآن إلى السّيّدة هِوي وتخبرها بأنني أرغب في رؤيتها على الفور. سيقلقها ذلك، فهي تظن أننا لن نلتقي مجدّدًا إلا حين أستدعيها إلى القلعة. أريدك أن تهدّئ من قلقها».

- «بأيّ طريقة يا مولاي؟».

قال ليتو بحزن: «لماذا تطلب النُّصح في أمرٍ أنت خبير فيه يا مونيو؟ هَدِّئها وأحضرها إلى هنا مطمئنّةً إلى نيّاتي الطّيّبة تجاهها».

- «أمر مولاي». قالها مُونِيو وانحنى متراجعًا خطوة.

- «لحظة واحدة يا مُونِيو!».

تصلّب عود مُونِيو، وثبّت نظرته على وجه ليتو.

قال ليتو: «أنت مرتاب يا مُونِيو. أحيانًا تحتار في أمري. هل أنا كُلّي القدرة وكُلّي البصيرة حقًّا؟ تأتي إليّ بتفاصيل صغيرة طوال الوقت وأنت تسأل نفسك: *هل يعلم بها مسبقًا؟ إن كان يعرفها، فلماذا أتكلّف عناء إبلاغه؟* لكنني أمرتك بالإبلاغ عن مثل هذه الأشياء يا مُونِيو. أليس في طاعتك لي حكمة تتعلّمها؟».

همّ مُونِيو بهزّ كتفيه لكنه تراجع، وارتعشت شفتاه.

قال ليتو: «الزّمن يمكن أن يكون مكانًا يا مونيو. فكُلُّ شيءٍ يعتمد على موقعك، أو زاوية نظرك، أو ما تسمع. مقياس الحُكم على الأمور موجود في الوعي ذاته».

بعد بُرهة صمتٍ، تجرّأ مُونِيو وسأل: «أهذا كل شيء يا مولاي؟».

- «كلّا، ليس هذا كل شيء. ستستلم سيونا اليوم طردًا سيحمله إليها أحد شعاة النّقابة. لا يَعترِضَنّ شيءٌ تسليم ذلك الطّرد. هل تفهم؟».

- «ماذا... في هذا الطّرد يا مولاي؟».

- «بعض الترجمات. مادة للقراءة أودُّ لها أن تتطّلع عليها. لن تفعل شيئًا من شأنه اعتراض ذلك. لا يُوجد مِزّاج في ذلك الطّرد».

- «كيف... عرفت ما خشيت أن يكون في الـ...».

- «لأنك تخشى المِزّاج. بإمكانه أن يطيل عُمرَك، لكنك تتحاشاه».

- «لأنني أخشى آثاره الأخرى».

- «لقد قضت الطّبيعة المنّانة بأن يُضيء المِزّاج لبعضنا أغوارًا غير متوقعة في أعماق النّفسِ البشريّة، ومع ذلك تخشاه؟».

- «لأنني آتريديزي يا مولاي!».

- «ولأنك آتريديزي، قد يميط المِزّاج لك اللّثام عن أسرار الزّمن، عبر وَحيٍ داخليٍّ فريدٍ من نوعه».

- «كل ما أحتاج إلى تذكُّرِه هو اختبارك لي يا مولاي».

- «ألا ترى ضرورة في أن تستشعر الصِّراط الذَّهبي؟».

- «ليس هذا ما أخشاه يا مولاي».

- «أنت تخشى العجيبةَ الأخرى، الأمر الذي دفعني إلى اتِّخاذ خياري».

قال مُونِيو: «كل ما عليّ فعله لأستشعر ذلك الخوف هو النَّظر إليك يا مولاي. نحن معشر آل آتريديز...»، ثم منعه جفاف فمه من استكمال كلامه.

- «أنت لا تريد عِبء ذكريات الأسلاف، وكُلّ الآخرين الذين يجيشون في داخلي!».

- «أحيانًا يا مولاي... أشعر بأن الاسپايس هو لعنة الآتريديزيّين!».

- «أتتمنّى لو أنني لم أوجد؟».

ظلّ مُونِيو صامتًا.

- «لكن للمِزَاج أهمّيته يا مُونِيو. ملّاحو النّقابة يحتاجون إليه. ومن دونه، ستضمحل جماعة البِني چيسيرِت إلى محض عِصابة عاجزة من النّساء المُتذمّرات!».

- «علينا أن نحيا به أو من دونه يا مولاي. هذا ما أعرفه».

- «هذه فطنة شديدة منك يا مُونِيو. لكنك اخترت العيش من دونه».

- «أليس لي هذا الخيار يا مولاي؟».

- «بلى، في الوقت الحالي».

- «مولاي، ماذا...».

- «في اللُّغة الجلاكيّة الشائعة ثمانية وعشرون اسمًا مختلفًا للمِزَاج، تُطلق عليه بحسب الغرض من استخدامه، أو درجة نقائِه، أو عُمرِه، أو كيفية الحصول عليه: أكان بشراءٍ نزيه أم بسرقةٍ أو نهب، وإن كان قد قُدِّم مهرًا لذكر أو لأنثى. كما يُسمَّى بطرائق أُخرى عديدة. ماذا تستنتج من ذلك يا مُونِيو؟».

- «أننا مُنحنا خيارات عديدة يا مولاي».

- «فيما يتعلّق بالمِزَاج فحسب؟».

قطب مُونِيو جبينه مُفكِّرًا، ثم قال: «لا».

قال ليتو: «نادرًا ما تقول ‹لا› في حضرتي. أستمتع برؤية شفتيك وهما تُشكِّلان الكلمة».

اختلج رُكن فم مُونِيو وهو يحاول الابتسام.

قال ليتو سريعًا: «حسنًا! عليك أن تذهب الآن إلى السّيِّدة هِوي. سأعطيك نصيحة أخيرة قد تساعدك».

راقب مُونِيو وجه ليتو بعناية شديدة.

- «نشأ علم العقاقير في الغالب بين الذُّكور، لأنهم أكثر ميلًا إلى المغامرة، التي هي امتدادٌ للعدوانيّة الذكوريّة. بما أنك قرأت إنجيلك الكاثوليكي البرتقالي، فأنت تعرف قصة حوّاء والتفاحة. إليك حقيقة

مثيرة عن تلك القصة: لم تكن حوّاء أول من قطف الثّفاحة وتذوّقها، بل آدم، وقد تعلّم من تلك التجربة كيف يلقي باللّوم على حواء. قصتي هذه تكشف لك شيئًا عن الطّريقة التي ترى بها مجتمعنا البشريّة ضرورة هيكلية لتصنيف المجموعات الفرعية إلى درجات».

أمال مُونِيو رأسه إلى اليسار قليلًا وقال: «مولاي، فِيمَ سيفيدني هذا؟».

- «سيفيدك في التّعامل مع السّيّدة هِوي!».

التنوّع الفريد لهذا الكون يجذب انتباهي بشدّة. إنه غاية في الجمال.

- المذكّرات المسروقة

سمع ليتو صوت مُونِيو في حُجرة الانتظار الخارجيّة قبل أن تدخل هِوي قاعة الاستقبال. كانت ترتدي بنطالًا أخضر فضفاضًا، مربوطًا بإحكام عند الكاحلين بأشرطة خضراء داكنة تتماشى مع صندلها. تمكّن ليتو من رؤية بلوزة واسعة من نفس درجة الأخضر الدّاكن تبرز من تحت عباءتها السّوداء.

بدت هِوي هادئة وهي تقترب من ليتو، ثم جلست دون انتظار دعوة وقد اختارت وسادةً ذهبيةً بدلًا من الوسادة الحمراء التي جلست عليها سابقًا. استغرق الأمر أقل من ساعة كي يحضرها مُونِيو إلى هنا. التقط سمع ليتو الحاد صوت تحرّكات مُونِيو في الغُرفة الخارجيّة، فأرسل إشارة أغلقت المدخل المقوس الفاصل بينهما.

قالت هِوي: «مُونِيو منزعج من شيءٍ ما. لقد حاول جاهدًا إخفاء

انزعاجه عني، لكنه كلّما حاول تهدئتي، زاد فضولي».

- «أولم يخيفك؟».

- «أوه، كلّا. لكنه قال شيئًا مثيرًا للاهتمام. قال إن عليّ دومًا تذكُّر أن الإله ليتو ذاتٌ مختلفة مع كل واحدٍ منا».

سألها ليتو: «وما المثير للاهتمام في هذا؟».

- «المثير للاهتمام هو السؤال الذي كان ذلك تمهيدًا له. قال إنه يتساءل كثيرًا عن الدّور الذي نلعبه نحن في خلق هذا الاختلاف فيك».

- «هذا مثير للاهتمام بالفعل».

قالت هِوي: «أرى أنه مُصيب في إدراكه. ما سبب استدعائك لي؟».

- «في وقتٍ ما، فكّر ساداتك...».

- «لم يعودوا ساداتي يا مولاي...».

- «سامحيني. سأشير إليهم من الآن فصاعدًا بالإيكسيّين».

أومأت برأسها بوقار، ثم حثّته لاستكمال كلامه: «في وقتٍ ما...».

- «فكّر الإيكسيّون في صنع سلاح، أشبه بالصّيّادة المتعقّبة. آلة موت ذاتية الحركة مُزوّدة بعقلٍ آلي. كان من المفترض أن تكون كيانًا قادرًا على تطوير نفسه بنفسه، يبحث عن أشكال الحياة ويفنيها بردّها إلى مادّة غير عضويّة».

- «لم أسمع بهذا الشّيء يا مولاي».

- «أعرف. الإيكسيُّون لا يدركون أن صانعي الآلات يواجهون دائمًا خطر التّحوُّل إلى آلات أنفسهم. هذا هو العُقم الكامل، إذ بمرور الوقت تَكُفُّ الآلات عن أداء وظائفها. وحين تتعطّل تلك الآلات، لن يبقى شيء، لن يبقى أثرٌ للحياة».

قالت: «أحيانًا أشعر بأنهم مخابيل».

- «هذا رأي أنتياك. المشكلة المُلحّة الآن أن الإيكسيُّين منخرطون في مشروعٍ سرّي يخفونه عن الجميع».

- «حتّى عنك؟».

- «حتّى عني. سأرسل الأُمّ الموقَّرةَ أنتياك للتحقيق بالنيابةِ عني. ولمساعدتها، أريدك أن تخبريها بكل ما يسعك تذكُّره عن المكان الذي أمضيتِ فيه طفولتك. لا تغفلي أيّ تفاصيل مهما كانت صغيرة. ستساعدك أنتياك على التذكُّر. نريد معرفة كل صوت وكل رائحة، أشكال الزُّوّار وأسماءهم، الألوان، بل حتّى الشعور بالوخز على بشرتك. قد يكون لأبسط التّفاصيل أهمّيّة بالغة».

- «أتظن أن هذا هو مكان الإخفاء؟».

- «أنا متأكّد من ذلك».

- «وتظن أنهم يصنعون ذلك السّلاح في...».

- «كلّا، لكن ستكون هذه ذريعتنا لاستكشاف مكان مولدك».

فتحت فمَها ورسمت عليه ابتسامةً بالتدريج، ثم قالت: «إن مولاي لماكر. سأتحدّث مع الأُمّ الموقَّرة على الفور». همّت هِوي بالنهوض،

لكنه أوقفها بإشارة من يده.

وقال: «يجب ألا نظهر بمظهر المتعجِّل».

عادت هِوي وغاصت في وسادتها.

قال: «وفقًا لملاحظة مُونِيو، كل واحد منا مُختلف. الخلق عمليّة مستمرّة، وإلهك لا ينفك عن تشكيلك».

- «ماذا ستكتشف أنتياك؟ أنت تعرف، أليس كذلك؟».

- «لِنَقُل إن لديّ يقينًا راسخًا. الآن، أنت لم تأتي إلى ذكر الموضوع الذي تطرّقتِ إليه سابقًا. ألا يدور في ذهنك أيّ سؤال؟».

- «لسوف تمنحني الأجوبة حين أحتاج إليها».

كان تصريحها ينضح بثقةٍ مطلقةٍ أعجزت ليتو عن الكلام. لم يسعه سوى النّظر إليها، مدركًا مدى استثنائية هذا الإنجاز الذي حقّقه الإيكسيُون... هذه الأنثى البشريّة. ظلت هِوي وفية تمامًا لمبادئها الأخلاقيّة التي وضعتها بنفسها، لنفسها. كانت مليحةً ودافئةً وصادقةً وتمتلك تعاطفًا قويًا يجبرها على مشاركة كل ألمٍ يلمُّ بمن تتماهى معهم. استطاع ليتو أن يتخيّل مدى ارتباك مُعلّمات البِني چيسيرِت حين اصطدمن بهذا الجوهر الثّابت، النّزيه، الصّادق مع الذّات. من الواضح أن أقصى ما استطعن فعله هو إضافة لمسة هنا، وأخرى هناك، وتعزيز بعض القدرات، وهو ما لم يُؤدِّ إلّا إلى تقوية تلك القوّة الداخليّة التي حالت دون انضمامها إليهن. يا له من أمرٍ لا بُدّ أنه أثار حنقهن!

قالت: «مولاي، أريد معرفة الدّوافع التي حتّمت عليك اختيار هذه

الحياة».

- «في البداية، عليك أن تفهمي كيف يختلف منظورك بعد رؤيتك لمُستقبل البشريّة».

- «بمساعدتك، سأحاول».

- «لا شيء ينسلخ عن مصدره أبدًا. رؤية المستقبل أشبه بالنّظر إلى سلسلةٍ متّصلةٍ، تتشكّل الأشياء فيها كما تتشكّل الفُقّاعات أسفل شلّالٍ هادر: ترينها لحظة، ثم تذوب في اللّحظة التالية مع التّيّار. فإذا انقطع التّيّار، غدت تلك الفُقّاعات كأن لم تكن. ذلك التّيّار هو صراطي الذّهبي... وقد رأيته ينتهي».

- «واختيارك هذا...»، قالتها وهي تشير إلى جسده: «... غيّر ذلك؟».

- «إنه يعمل على تغييره. فالتغيير لن يأتي من مِنوال حياتي فحسب، بل من طريقة مماتي أيضًا».

- «أتعرف كيف ستكون نهايتك؟».

- «لا أعرف الكيفية، إنما أعلم أنها ستكون في نطاق الصّراط الذّهبي».

- «مولاي، أنا لا...».

- «الأمر صعب الفهم، أعرف هذا. لسوف أموت أربع ميتات: ميتة الجسد، وميتة الرّوح، وميتة الأسطورة، وميتة العقل. كل تلك الميتات تحمل في باطنها بذور الإحياء».

- «ستعود من الـ...».

- «البذور هي التي ستعود».

- «ماذا سيحدث لدينك بعد رحيلك؟».

- «الأديان كلُّها مِلَّةٌ واحدة. هذا الخيال الدّيني سيظلُّ متّصلًا ما دام الصّراط الذّهبي قائمًا، إنّما يتكشّف للبشر على مراحل، المرحلة تلو الأُخرى. الأوهام يُمكن أن تُسمّى زَلّاتٍ في الإدراك».

قالت: «إذًا سيظلُّ النّاس يعبدونك».

- «أجل».

قالت: «لكن حين تنقضي الأبدية التي عرفها الناس، سيسود الغضب، وسيظهر التّكذيب بالدّين، وسيزعم البعض أنك لم تكن سوى طاغيةٍ آخر».

وافقها قائلًا: «وهم».

منعتها غُصّة في حلقها من الكلام للحظات، ثم قالت بعدها: «كيف ستُغيّر حياتك وموتك الـ...»، ثم توقّفت وهزّت رأسها.

- «الحياة ستستمر».

- «أُصدّق هذا يا مولاي، لكن كيف؟».

- «كل دورة حياة ما هي إلّا ردّة فعل للدورة السّابقة. إذا تأمّلتِ في حال إمبراطوريتي، فستعرفين شكل الدّورة التّالية».

أشاحت ببصرها بعيدًا عنه وقالت: «كل ما تعلّمته عن عائلتك أوحى إليّ بأنك ستفعل هذا...»، وأشارت نحوه دون أن تنظر إليه، «بدافع من نكران الذات. لكني لا أظن أنني أفهم حقيقة ‹حال›

إمبراطوريتك».

- «تقصدين سلام ليتو الذّهبي؟».

قالت وقد عادت تنظر إليه: «السّلام الذي نعيشه أقل بكثير مما يُراد لنا تصديقه».

فكّر ليتو: *يا لصدقها! لا شيء يُثنيه!*

ثم قال: «هذا زمن الضّرورات، زمن الغرائز والبطون. إنه الزّمن الذي نتكاثر فيه كما تتكاثر الخليّة الواحدة».

قالت: «لكن، ثمّة شيءٌ ناقص».

فكّر ليتو: *إنها كالدّناكنة. ثمّة شيءٌ ناقص بالفعل، وهم يستشعرونه على الفور.*

قال: «الأجساد تنمو، لكن الأنفس لا تنمو».

- «الأنفس؟».

- «الوعي الذّاتي الذي يخبرنا إلى أيّ مدى بإمكاننا أن نصبح أحياءً. أنت تعرفين النّفس جيّدًا يا هِوي. إنها تلك الجائشة التي تهدي المرء إلى الصّدق مع نفسه».

قالت: «ألا يكفي دينك؟».

- «لا دين يمكن أن يكفي أبدًا. إنها مسألة اختيار؛ اختيار فردي ووحيد. أتفهمين الآن لماذا تعني لي صداقتك وصحبتك كل هذا القدر؟».

رمشت بعينيها لتكبح دموعها، وأومأت، ثم قالت: «لِمَ لا تُطلع النّاس على هذا الأمر؟».

- «لأن الظُّروف لا تسمح».

- «الظُّروف التي تفرضها؟».

- «بالضّبط. تأمّلي في إمبراطوريّتي وأخبريني، هل تميّزين حقيقة حالها؟».

أغلقت عينيها وفكّرت.

سألها: «بعض الناس يريدون العيش على ضفاف نهرٍ واصطياد السّمك يومًا بعد يوم؟ حسنًا، هذا أحد أنماط الحياة. هناك من يطمح إلى التنقُّل بقارب صغير بين الجزر البحريّة ليتعرّف على القبائل والشعوب؟ جميل! ما المُتاح أمام النّاس لفعله أكثر من ذلك؟».

سألت وفي صوتها نبرة تحدٍّ: «السّفر عبر الفضاء؟»، ثم فتحت عينيها.

- «أظن أنك لاحظتِ أنني، والنّقابة، لا نسمح بذلك».

- «أنت الذي لا تسمح بذلك».

- «صحيح، وإن عصتني النّقابة، فسأحرم من الاسپايس».

- «لأن إلزام النّاس كواكبَهم يبقيهم بعيدًا عن الأذى».

- «بل يفعل شيئًا أهمّ من ذلك. إنه يملؤهم بالرّغبة في السفر، ويخلق فيهم الحاجة إلى الخروج في رحلات بعيدة ورؤية أشياء غريبة. في النهاية، يصبح السّفر مرادفًا للحُرّيّة».

قالت: «لكن الاسپايس يتناقص».

- «والحُرّيّة تصبح أغلى كل يوم».

قالت: «هذا لن يؤدّي إلّا إلى اليأس والعنف».

- «لاحظ رجلٌ حكيم بين أسلافي... في الحقيقة، كنت أنا ذلك الشّخص، أتفهمين؟ هل تستوعبين فكرة أنه لا يوجد غُرباء في ماضيّ؟».

أومأت برأسها في انبهار.

- «هذا الرّجل الحكيم لاحظ أن الثّروة مفتاح من مفاتيح الحُرّية، لكن السّعي وراء الثّروة طريقٌ للعبوديّة».

- «النقابة والأخويّة يستعبدون أنفسهم!».

- «والإيكسيُون وبنو تِليلاكس والآخرون جميعًا. إنهم يعثرون بين الحين والآخر على بعض المِزَاج المخفي، وهذا يبقي انتباههم مشدودًا. إنها لعبة مثيرة جدًا، أليس كذلك؟».

- «لكن عندما يحل العنف...».

- «ستنتشر المجاعات والأفكار القاتمة».

- «هنا على أزّاكس أيضًا؟».

- «هنا، وهناك، وفي كل مكان. سينظر الناس إلى عهدي الاستبدادي على أنه الأيّام الخالية الطّيّبة. سأكون المرآة التي تعكس مستقبلهم».

اعترضت قائلةً: «لكن الأمر سيكون فظيعًا!».

فكّر ليتو: *لا يمكن أن يكون لها ردّة فعل غير هذا.*

قال: «مع لفظ الأرض للناس، سيتكدّس النّاجون في ملاجئ أصغر فأصغر، وستتكرّر عملية اصطفاء رهيبة على كواكب كثيرة: مُعدّل مواليد متزايد، وموارد غذائيّة متناقصة».

- «لكن ألا تستطيع النّقابة...».

- «ستكون النّقابة عاجزة إلى حدٍّ كبير دون وجود مِزاج كافٍ لتشغيل وسائل النّقل المتاحة».

- «ألن يهرب الأثرياء من هذه الجحيم؟».

- «بعضهم سيفعل».

- «إذًا أنت لم تغيّر شيئًا حقًّا. سنواصل الصّراع والموت فحسب».

- «إلى أن تسود ديدان الرّمال أرّاكس مرّةً أخرى. سنكون حينئذٍ قد امتحنّا أنفُسنا بتجربة عميقة خاضها الجميع، وسنتعلم أن ما يمكن أن يحدث على أحد الكواكب، يمكن أن يحدث على أيّ كوكب».

همست قائلة: «كل هذا الألم والموت».

سألها: «ألا تفهمين معنى الموت؟ عليك أن تفهمي، على البشرية أن تفهم، على جميع أشكال الحياة أن تفهم».

همست: «اِهدني يا مولاي».

- «الموت هو أعمق تجربة يمكن أن يمرّ بها أيّ مخلوق. وقبله تأتي تجاربُ تعكسه أو تقاربه: الأمراض الخطِرة، الإصابات، الحوادث... الولادة في حال النّساء... كما كان القتال يومًا تجربة مماثلة للرجال».

- «لكن حارساتك مُحاورات الأسماك...».

قال: «إنهن يعلّمن أساليب النّجاة».

اتّسعت عيناها بفهمٍ مفاجئ: «الناجون! بالتأكيد!».

قال: «يا لغلوّك يا هِوي! كم أنت نادرة وغالية! ألا بورك الإيكسيئون!».

- «وألا لُعِنوا؟».

- «لا جدال».

قالت هِوي: «لم أظن أنني قد أفهم يومًا حقيقة مُحاورات الأسماك».

قال: «حتّى مُونِيو لم يفهم، وقد يئست من إفهام الدّناكنة».

قالت: «عليك أن تقدّر قيمة الحياة قبل أن تحاول الحفاظ عليها».

- «الناجون هم من يملكون أوثق وأرهف صلة بجمال الحياة. النّساء يدركن ذلك أكثر من الرجال، لأن الولادة انعكاس للموت».

- «كان عمي مالكي يقول دائمًا إن لديك أسبابًا وجيهة لحرمان الرّجال من المشاركة في القتال، وأعمال العنف العارضة. يا له من درس مريرا».

قال ليتو: «في غياب العنف المُتاح بسهولة، لا يملك الرّجال سوى قليل من السُبل لاختبار مدى قدرتهم على مواجهة تجربة الموت النّهائية. ثمّة شيء مفقود. لا يُوجد ما يُنقّي النّفس. ماذا يقول النّاس

عن سلام ليتو؟».

- «يقولون إنك تتركنا نتمرّغ في انحلالٍ لا طائل من ورائه، كأننا خنازير تتمرّغ في قذارتها».

قال: «لاحظي دومًا دِقّة الحِكمة الشّعبيّة. انحلال».

قالت: «معظم الرّجال بلا مبادئ. النّساء على إيكس يشتكينَ من هذا باستمرار».

قال: «حين أريد تحديد المتمرّدين، فإنني أبحث عن رجالٍ ذوي مبادئ».

حدّقت إليه في صمت، ففكّر كيف تُعبّر ردّة الفعل البسيطة هذه عن مدى ذكائها.

سألها: «أين تظنين أنني أعثر على أفضل المسؤولين الإداريين في بلاطي؟».

فلتت منها شهقةٌ خافتةٌ.

قال: «المبادئ هي ما يقاتل المرء من أجله. معظم الرّجال يقضون حياتهم دون مواجهة تَحدٍّ، إلّا في اللّحظة الأخيرة. إنهم لا يملكون سوى مساحات ضئيلة من المياه الباردة لاختبار أنفسهم فيها».

قالت: «لديهم أنت».

قال: «لكنني ذو بأسٍ شديد. أنا ما يعادل الانتحار. من الذي سيسعى إلى موتٍ مؤكّد؟».

- «المجانين... أو اليائسون. أم تقصد المتمرّدين؟».

قال: «أنا ما يعادل الحرب في نظرهم. المُفترس الأعتى. القوّة المُستحكمة التي تحطّمهم».

قالت: «لم أفكّر في نفسي كمتمرّدة قط».

- «أنت شيء أفضل بكثير».

- «وسوف تستخدمني بطريقةٍ ما؟».

- «سأفعل».

- «ليس كمسؤولة إداريّة؟».

- «لديّ مسؤولون إداريّون أكفاء بالفعل. وهم أذكياء، نزهاء لا يفسدون، متبصّرون، صريحون بشأن أخطائهم، وسريعو الحسم في اتّخاذ القرارات».

- «أكانوا فيما مضى متمرّدين؟».

- «معظمهم».

- «كيف وقع اختيارك عليهم؟».

- «أستطيع أن أقول إنهم هم من اختاروا أنفسهم».

- «بقدرتهم على البقاء؟».

- «هذا صحيح. لكن الأمر ينطوي على ما هو أكثر من ذلك. الفارق بين الإداري الكُفء والإداري السّيّئ لا يتعدّى طرفتي عين. الإداريّون الأكفاء يتّخذون قراراتهم على الفور».

- «أيتّخذون قراراتٍ رشيدة؟».

- «عادةً ما يمكن إنجاحها. أما الإداريُّ السّيّئ فيتردد، ويماطل، ويطالب بتشكيل لجان، وإجراء أبحاث، وكتابة تقارير. وفي النهاية، يتصرف بطرائق تؤدّي إلى مشكلاتٍ خطِرة».

- «لكن ألا يحتاج المرء أحيانًا إلى مزيدٍ من المعلومات لاتّخاذ...».

- «الإداري السّيّئ يهتم بالتّقارير أكثر من اهتمامه باتّخاذ القرارات. إنه يريد سجلًا موثّقًا يستطيع استخدامه كذريعة لأخطائه».

- «ماذا عن الإداريين الأكفاء؟».

- «أولئك يعتمدون على إصدار أوامر شفهيّة، ولا يكذبون بشأن ما فعلوه إذا نتج عن أوامرهم مشكلات، ويحيطون أنفسهم بأشخاص قادرين على التصرُّف بحكمة بناءً على التّعليمات الشّفهيّة. كثيرًا ما تكون أهم معلومة هي إدراك أن خطأً ما قد وقع. أما الإداريُّون السّيّئون فيخفون أخطاءهم إلى أن يفوت أوان تصحيحها».

راقبها ليتو وهي تفكّر في الأشخاص الذين يعملون في خدمته، بالأخص في مُونِيو.

قالت: «رجال قرارات».

قال: «أحد أصعب الأشياء التي يمكن للطّاغية أن يعثر عليها هو الأشخاص القادرون على اتّخاذ القرارات».

- «ألا تمنحك معرفتك الوثيقة بالماضي بعضًا من...».

- «إنها تمنحني بعض التّسلية. أغلب البيروقراطيات السّابقة سعت إلى تجنيد الأشخاص الذين يتجنّبون اتّخاذ القرارات وترقيتهم».

- «فهمت. كيف ستستخدمني إذًا يا مولاي؟».

- «هل تقبلين الزّواج بي؟».

حطّت ابتسامة خافتة على ثغرها: «النّساء أيضًا قادرات على اتّخاذ قراراتٍ حاسمة. أجل، أقبل الزّواج بك».

- «اذهبي إذًا وأرشدي الأمّ الموقّرة في مسعاها، وتأكّدي من أن تدرك تمامًا ما الذي تبحث عنه».

قالت: «ستبحث عن موطن نشأتي. أمّا غايتي، فأنت وأنا نعرفها جيدًا».

قال: «تلك التي لم تنسلخ عن مصدرها».

نهضت هِوي من مجلسها، ثم قالت: «مولاي، أيمكن أن تكون مخطئًا بشأن صراطِك الذّهبي؟ هل احتمال الفشل...».

- «فشلُ كُلِّ شيءٍ وكُلِّ شخصٍ وارد، لكن وجود الأصدقاء الطّيبين الشجعان يُعين المرء».

تميل الجماعات إلى تكييف بيئتها بما يضمن لها البقاء، وحين تحيد عن هذا النّشاط، فقد يُعدُّ ذلك علامةً على مرضٍ أصابها. تُوجد عديد من الأعراض الدّالة على ذلك المرض، أراقب من بينها طريقة تشاركهم للطّعام. هذا النّشاط ليس مُجرّد تبادل غذائي، بل هو أحد أشكال التّواصل، وعلامة واضحة على التّعاون المُتبادل الذي يحمل في طيّاته أيضًا دلالة خطيرة على التّبعية. من المثير للاهتمام أن الرّجال هم من يعتنون بالبيئة في زمننا هذا، أنهم هم الفلّاحون. بينما كان هذا الدّور، فيما مضى، حِكرًا على النّساء.

- المذكّرات المسروقة

كتبت الأمُّ الموقّرةُ أنتياك: «أرجو أن تعذرنني على ما في هذا التّقرير من قصور، وأن تعزينه إلى عُجالة فرضتها ضرورة السّفر. سأغادر في اليوم التّالي إلى إيكس، والغرض من رحلتي هو عينه الذي فصّلته في تقريري السّابق. إن الاهتمام العميق والصّادق الذي يبديه الإمبراطور الإله بكوكب إيكس لا يمكن إنكاره، غير أن ما يلزمني ذكره هنا هو الزّيارة غير المتوقّعة التي تلقّيتها قبل قليل من السّفيرة الإيكسيّة، هِوي نوري».

أعادت أنتياك ظهرها إلى الوراء في جلستها على الكرسي القصير غير المريح، وهو أفضل ما أمكنها توفيره في تلك الحُجرات المتقشّفة. كانت وحيدةً في مخدعها الصغير، ذلك الحيّز المحدود في غرفتها الضّيّقة، التي أبى الإله ليتو تغييرها حتّى بعد تحذير البِني چيسيرِت من خيانة التِليلاكسو.

على حِجر أنتياك استقر مربّع صغير حالك السّواد، لا يتجاوز طول

أضلاعه عشرة ملّيمترات، ولا يزيد سمكه على ثلاثة ملّيمترات. كانت تكتب على هذا المربّع بإبرةٍ لامعةٍ، الكلمة فوق الأخرى، فتمتصُّها المادّة السّوداء. بعد اكتمال الرسالة، ستُطبع على المستقبلات العصبيّة في عينَي مبعوثة من المتدرّبات، وستظلُّ كامنة هناك حتّى تتسنّى استعادتها في بيت الأخويّة.

إن هِوي نوري تُمثّل لغزًا حقيقيًا!

كانت أنتياك قد اطّلعت على تقارير مُعلّمات البني چيسيرِت اللواتي أُرسلن لتعليم هِوي على إيكس، لكن تلك التّقارير أغفلت أكثر ممّا ذكرت، وأثارت تساؤلات أكبر.

*ما المغامرات التي خُضتِها يا صغيرة؟*

*ما الصّعاب التي واجهتِها في شبابك؟*

تشمّمت أنتياك الهواء وألقت نظرةً على المربّع الأسود الذي ينتظرها. ذكّرتها هذه الأفكار بمعتقد الفرمِن القديم بأن مكان ميلادك هو ما يُحدّد من ستكون.

«هل توجد حيوانات غريبة على كوكبك؟». هكذا كان الفرمن يسألون.

لقد أتتها هِوي بصحبة فرقة مَهيبة من مُحاورات الأسماك، أكثر من مِئة امرأة قويّة البنية، جميعهن مسلّحات تسليحًا ثقيلًا. نادرًا ما رأت أنتياك استعراض أسلحة مثل هذا: بنادق ليزر، وسكاكين طويلة، ونصال فِضّيّة، وقنابل صاعقة...

كان ذلك في منتصف الصباح. اقتحمت هِوي حُجرتها، وتركت

خلفها مُحاورات الأسماك لتطويق جميع مساكن البني چيسيرِت، باستثناء هذا المخدع المُتقشّف.

جالت أنتياك بنظرها في أرجاء مخدعها. الإله ليتو يلقّنها درسًا ما بإبقائها هنا.

«هكذا تقيسين قيمتك لدى الإمبراطور الإله!».

لكن ها هو ذا الآن يُرسل أمًا موقّرةً إلى إيكس، والهدف المُعلن لتلك الرّحلة يكشف الكثير عن الإله ليتو. رُبّما الحال على وشك أن تتغيّر. رُبّما تنتظر الأخوية امتيازات جديدة وكمّيات أكبر من المِزّاج.

*كل شيء يعتمد على حُسن أدائي.*

دخلت هِوي إلى الحُجرة بمفردها، وجلست بتواضع على حشية أنتياك، خافضةً رأسها إلى مستوى أدنى من مستوى رأس الأمّ الموقّرة. لفتة لطيفة، وليست من قبيل المصادفة. كان من الواضح أن مُحاورات الأسماك قادرات على ترتيب الجلسة بطريقةٍ تجعل هِوي تبدو في موقع السّيطرة، متفوّقةً على أنتياك، إذا ما أعطتهن هِوي الأمر. وكلمات هِوي الأولى الصادمة لم تترك مجالًا للشّك في ذلك.

- «في البداية عليك أن تعلمي أنني سوف أتزوّج الإله ليتو».

تطلّب الأمر تحكّمًا عميقًا من أنتياك كي لا تفتح فمها كالبلهاء. نقلت إليها حاسّة كشف الحقيقة صدق كلمات هِوي، لكن لم يكن من الممكن استيعاب المعنى الكامل بعد.

أضافت هِوي: «الإله ليتو يأمرك بألّا تتحدّثي عن هذا الأمر مع أيّ

شخص».

فكّرت أنتياك: *يا له من مأزق! ألا يمكنني حتّى إبلاغ أخواتي في بيت الأخويّة؟*

قالت هِوي: «سيعلم الجميع في الوقت المناسب، وهذا ليس الوقت المناسب. أخبرك بذلك لأنني أريد أن أُعمّق فيك أهمّية ثقة الإله ليتو».

- «ثقته بكِ؟».

- «بكلتينا».

أثارت الكلمة الأخيرة رجفة في قلب أنتياك، بالكاد أخفتها. يا للقوّة الكامنة في مثل هذه الثّقة!

سألتها أنتياك: «أتعرفين لماذا اختارك الإيكسيُون سفيرةً لهم؟».

- «أرادوا مني غوايته وتضليله».

- «ويبدو أنك نجحت في هذا المسعى. أيعني ذلك أن الإيكسيّين يصدّقون قصص التِليلاكسو عن عادات الإله ليتو المقزّزة؟».

- «التِليلاكسو أنفسهم لا يصدّقونها».

- «أأفهم من هذا أنك تؤكّدين زيف تلك القصص؟».

تحدّثت هِوي بنبرة فاترة غريبة، أعجزت حاسّة كشف الصّدق لدى أنتياك وقدراتها المِنتاتيّة.

- «لقد تحدّثتِ إليه وراقبتِه بنفسك. أجِيبِي أنت عن هذا السّؤال».

قمعت أنتياك موجة ضيق صغيرة انتابتها. على صِغر سنِّها، لم تكن هِوي مثل المتدرِّبات... ولم تكن لتصلح أبدًا لتكون بِني چيسيرِتية جيِّدة. يا للخسارة!

سألت أنتياك: «هل أبلغت الأمر إلى حكومتك على كوكب إيكس؟».

- «لا».

- «لماذا؟».

- «سيعرفون قريبًا جدًا. قد يؤذي الإعلان المبكِّر الإله ليتو».

إنها صادقة، هكذا ذكَّرت أنتياك نفسها.

سألتها أنتياك: «أليس ولاؤك الأوَّل لإيكس؟».

- «ولائي الأوَّل للحقيقة»، ثم ابتسمت وأردفت: «صنيعة الإيكسيِّين كانت أفضل ممَّا توقَّعوا».

- «هل يظن الإيكسيُّون أنك تشكِّلين تهديدًا للإمبراطور الإله؟».

- «أظن أن شغلهم الشَّاغل هو حيازة المعرفة. لقد ناقشت هذا الأمر مع أمپريه قبل مغادرتي».

- «أتقصدين أمپريه مدير شؤون اتِّحاد إيكس الخارجية؟».

- «نعم. أمپريه مقتنع بأن الإله ليتو لا يسمح بالتهديد لشخصه إلَّا في حدود معينة».

- «أمپريه قال هذا؟».

- «أمپريه لا يؤمن بأن المستقبل يمكن إخفاؤه عن الإله ليتو».

قالت أنتياك: «لكن مهمّتي إلى إيكس تتضمّن اقتراحًا مفاده...»، ثم بترت عبارتها وهزّت رأسها وسألت: «لماذا يمدّ الإيكسيُون الرّب بالآلات والأسلحة؟».

- «أمپريه يرى أنهم لا يملكون خيارًا آخر، فقوّة ليتو السّاحقة تقضي على من يشكّلون تهديدًا كبيرًا».

- «وإن رفض الإيكسيُون، فسيكون ذلك تجاوزًا للحدود التي وضعها الإله ليتو. لا يُوجد حل وسط. هل فكّرتِ في عواقب الزّواج بالإله ليتو؟».

- «أتقصدين الشكوك التي سيثيرها مثل هذا الفعل حول ألوهيّته؟».

- «البعض سيصدّقون قصص التِليلاكسو».

ابتسمت هِوي لا أكثر.

فكّرت أنتياك: *اللّعنة! كيف فقدنا هذه الفتاة؟*

قالت أنتياك بنبرة فيها اتّهام: «إنه يغيّر من شكل ديانته، هذا هو الأمر بلا شك».

قالت هِوي: «لا ترتكبي خطأ الحكم على الآخرين وفقًا لمعاييركن»، وحين أبدت أنتياك انزعاجها، أضافت هِوي: «لكنني لم آتِ إلى هنا لأجادلك بشأن الرّب».

- «كلا، بالطبع لا».

قالت هِوي: «لقد طلب منّي الرّب أن أخبرك بكل تفصيلة في

ذاكرتي عن المكان الذي وُلِدتُ وترعرعتُ فيه».

تأمّلت أنتياك كلمات هِوي وهي تحدّق إلى المربّع الأسود المُخبّأ في حجرها. واصلت هِوي سرد التفاصيل التي أمرها ربُّها (وعريسها الآن!) بنقلها، وهي تفاصيل كان يمكن أن تبدو مُملّة لولا قدرات أنتياك المِنتاتيّة على استيعاب البيانات.

هزّت أنتياك رأسها في حيرة وهي تفكّر في ما يجب إبلاغ أخواتها به في بيت الأخويّة. لا بُدّ أنهن عاكفات الآن على دراسة فحوى رسالتها السابقة. آلة قادرة على حجب نفسها ومحتوياتها عن بصيرة إمبراطورهم الإله النّافذة؟ أهذا ممكن؟ أم أن الأمر في لُبّه اختبارٌ من نوع آخر. اختبار لمدى صدق البِني چيسيرِت مع مولاهن ليتو؟ لكن، إن لم يكن يعرف بالفعل أصل وفصل هذه الشّابة الغامضة هِوي نوري...

عزّز هذا التطوُّر الجديد من استنتاجِ أنتياك المِنتاتي بشأن سبب اختياره لها للذهاب إلى إيكس في هذه المهمّة. الإمبراطور الإله لا يستأمن مُحاورات الأسماك على الأمر. إنه لا يريد أن يعتريهن شكٌّ في وجود نقطة ضعف في ربِّهم!

أم أن الأمر ليس بالبساطة التي يبدو بها؟ إذ من شيم الإله ليتو إحاكة الخطط داخل الخطط للتضليل.

مجدّدًا، هزّت أنتياك رأسها في حيرة، ثم انحنت واستأنفت كتابة تقريرها الذي سترفعه إلى بيت الأخويّة، ولم تأتِ إلى ذكر أن الإمبراطور الإله قد اختار لنفسه عروسًا.

سيعرفن ذلك عن قريب. وفي غضون ذلك، ستفكّر أنتياك بنفسها في تبعات الأمر.

إن كنت تعرف جميع أسلافك، فهذا يعني أنك شهدت بنفسك الأحداث التي صنعت أساطير الماضي وأديانه. في ضوء هذا، لا بُدّ من أنك تراني صانع أساطير.

- المذكّرات المسروقة

جاء الانفجار الأول بمُجرّد حلول الظّلام على مدينة أونْ. وقع الانفجار عندما كان بعض المحتفلين المتهوّرين يمرّون أمام السّفارة الإيكسيّة في طريقهم إلى حفلٍ وُعدوا فيه بعرضٍ مسرحيٍّ قديمٍ يؤدّيه راقصو الوجوه، عن ملك قتل أبناءه. بعد أحداث العنف التي شهدتها الأيّام الأربعة الأولى من المهرجان، تطلّب الأمر شجاعة حقيقيّة من أولئك المُحتفلين ليغادروا أمانَ مساكنِهم النّسبيّ. كانت قصص القتلى والجرحى بين المارّة الأبرياء قد انتشرت في المدينة، ليأتي الانفجار الجديد ويؤجّج مخاوف النّاس مرّةً أخرى.

لم يكن أيٌّ من الضّحايا والنّاجين ليُقدّر ملاحظة ليتو بأن الأبرياء بين المارة كانوا عملةً نادرةً نسبيًا.

التقطت حواس ليتو الحادّة المرهفة وقع الانفجار وحدّدت مكانه. بغضبٍ عارمٍ ندم عليه لاحقًا، صاح ليتو في وجه حارساته مُحاورات الأسماك بأن «يقضين على كل راقصي الوجوه»، حتّى أولئك الذين عفا عنهم في وقت سابق.

بعد تفكيرٍ سريع، ذُهل ليتو من هذا الغضب العارم في حدّ ذاته. لقد مرّ وقتٌ طويل منذ آخر مرّة شعر فيها ولو بغضبٍ عابر. كان أقصى ما ينتابه هو الإحباط والانزعاج. أمّا الآن، وفي ظِلّ التّهديد الذي يحيط بهِوي نوري، فقد استبدّ به غضبٌ عارم!

نتج عن تفكيره هذا تعديل أمره المبدئي، لكن جاء ذلك متأخّرًا قليلًا، إذ إن بعض مُحاورات الأسماك كنّ قد غادرنَ الحضرة الملكيّة بالفعل، تتملّكهن أعتى رغباتهن عنفًا، ممّا رأين في ربّهن من استشاطة.

صاحت بعضهن: «الرّبُّ غاضب!».

أطاح الانفجار الثّاني ببعض مُحاورات الأسماك حين خرجن إلى الساحة؛ ما حدّ من انتشار أمر ليتو المُعدّل، وأجّج مزيدًا من العنف. أما الانفجار الثالث -الذي وقع بالقرب من الأول- فقد أطلق العنان لليتو نفسه، الذي اندفع بعربته كعملاقٍ هائج خارجًا من مخدعه نحو المِصعَد الإيكسيّ، متّجهًا إلى السّطح.

خرج ليتو إلى العراء بالقرب من حافّة السّاحة، ليقابله مشهدٌ فوضويٌ مُضاء بآلاف كرات الإنارة الطّافية التي أطلقتها مُحاورات الأسماك. كان مسرح السّاحة المركزي قد تدمّر ولم يبقَ منه سوى قاعدته المصنوعة من البولاذ، التي ظلّت سليمة أسفل الأرضيّة المرصوفة. تناثرت قطع البناء المحطّمة في كل مكان، مختلطةً بجثث القتلى وأجساد الجرحى.

في اتّجاه السّفارة الإيكسيّة، على الجانب المقابل من السّاحة، اندلع قتال عنيف.

صاح ليتو هادرًا: «أين دانكن؟».

جاءت حارسة برتبة باشار مُسرعةً عبر السّاحة ووقفت إلى جواره وقالت عبر أنفاسها المتقطعة: «أخذناه إلى القلعة يا مولاي!».

سألها ليتو: «ما الذي يحدث هناك؟»، وهو يشير إلى المعركة المحتدمة خارج سفارة إيكس.

- «المتمرّدون والتِليلاكسو يهاجمون السّفارة الإيكسيّة يا مولاي، ومعهم متفجّرات».

اندلع انفجارٌ آخر أمام واجهة السّفارة المحطّمة وهي تتحدّث. رأى ليتو جثثًا تتلوّى في الهواء، وتُقذف إلى الخارج، ثم تسقط على بقعة أشعلها وميضٌ ساطع ترك خلفه وهجًا برتقاليًا مرصّعًا بنقاطٍ سوداء.

دون أدنى تفكيرٍ في العواقب، نقل ليتو عربته إلى وضع الدّفع بمضادّات الجاذبيّة، وأطلقها كالقذيفة عبر الساحة، فصارت كوحشٍ مندفع يجتذب من فرط سرعته كُرات الإنارة في أثره. عند حافّة المعركة، قفز متجاوزًا حارساته وانقض على جناح المهاجمين، وحينها فقط أدرك وجود بنادق اللّيزر، التي أرسلت نحوه سهامًا ضوئيّة زرقاء متوهّجة. شعر بعربته ترتطم بالأجساد، وتبدّدها في كل اتّجاه.

لفظته العربة أمام مبنى السّفارة مباشرةً، ودفعته يتدحرج فوق الأرض الصّلبة حين اصطدمت بالحطام هناك. شعر بأشعة اللّيزر تداعب فصوص جسده، ثم اجتاحته موجة من الحرارة الدّاخليّة، أعقبها تفريغ مفاجئ للأكسچين من ذيله، كأنما أطلق ضرطةً مُدوّية. دفعته غريزته إلى دفن وجهه عميقًا بين طيّات جلده، وجعلته يطوي ذراعيه في أعماق قطاع جسده الأمامي الواقي. استحوذ جسد الدّودة عليه، خافقًا وملتويًا، وأخذ يتدحرج كعجلةٍ مجنونة في كل صوب، ضاربًا في جميع الاتّجاهات. دفعته غريزته إلى دفن وجهه

عميقًا بين طيّات جلده، وطوى ذراعيه داخل القطاع الأمامي الواقي من جسده. استحوذ عليه جسد الدُّودة، وراح يتقوّس ويخبط، ويتدحرج كعجلةٍ مجنونةٍ، ضاربًا في كل اتجاه.

تفجّر الدّم في كل مكان ملطّخًا أرضيّة الشّارع. كانت الدماء الحيّة في العروق ماءً محجوبًا عن جسده، لكن القتل أطلق سراح هذا الماء. انزلق جسده المتخبّط يسعى كحيّة فوق الدّماء، فتصاعد دُخانٌ أزرق من كل ثنية لامس الماء فيها جلد يرقات الرّمال. كان عذاب الماء مؤلمًا لا يُطاق، ما أجّج مزيدًا من العُنف في جسده العظيم المتخبط.

حين شنّ ليتو هجومه الأوّل، تراجع نطاق مُحاورات الأسماك إلى الخلف. الآن، رأت باشار متأهِبة أن الفرصة سانحة، فصاحت فوق ضجيج المعركة:

- «أجهزن على المتفرّقين!».

فاندفعت صفوف الحارسات إلى الأمام.

في ضوء كُرات الإنارة السّاطع، دامت لعبةٌ داميةٌ في صفوف مُحاورات الأسماك لبضع دقائق، اندفعت فيها النّصال، ورقصت فيها أشعة بنادق اللّيزر، حتّى الأيدي وأصابع الأقدام راحت تحفِر بوحشيّة في لحم الأجساد الواهنة. لم تُبدِ مُحاورات الأسماك رحمةً، ولم تُبقِ على أحد.

تدحرج جسد ليتو متجاوزًا العجين الدّموي الذي فرشته المجزرة أمام مبنى السفارة، بالكاد قادرًا على التفكير وسط موجات العذاب

المائي التي تمزّق كيانه. كان الهواء من حوله مُشبّعًا بالأكسچين؛ ما ساعد حواسّه البشريّة. استدعى عربته، فانزلقت نحوه متمايلة عن نحوٍ خطر على مضادات جاذبيّة أتلفتها المعركة. وببطء، التوى صاعدًا إلى العربة المائلة، ثم وجّه لها أمرًا عقليًا بالعودة إلى جناحه العميق أسفل السّاحة.

كان قد أعدّ نفسه لمواجهة أخطار الماء منذ زمنٍ بعيد، وجهّز غُرفة تنفث هواءً جافًا شديد الحرارة لتطهير جسده واستعادة عافيته. كانت الرّمال قادرةً على تأدية هذا الدّور، لكن لم تكن توجد مساحة كافية من الرّمال داخل حدود أونٍ تتيح له تسخين سطح جسده ثم تبريده حتّى يستعيد نقاءه الطّبيعي.

راودته أفكارٌ عن هِوي وهو في المصعد، فأرسل أمرًا بجلبها إليه على الفور.

*إن كانت قد نجت.*

لم يكن يملك الوقت لإجراء مسحٍ تبصُّري في أراضي المستقبل. كل ما كان يستطيع فعله الآن هو أن يأمل في أن تكون على قيد الحياة، في الوقت الذي كان جسده فيه، بشِقّيه البشري والدُّودي، يتوق إلى حرارة التّطهير.

بمُجرّد دخوله غُرفة التّطهير، فكّر في إعادة تأكيد أمره المُعدّل: «احتفظوا ببعض راقصي الوجوه أحياء!». لكن في تلك الأثناء، كانت مُحاورات الأسماك الهائجات ينتشرن في أنحاء المدينة، ولم يكن يملك القوّة الكافية لإجراء مسحٍ تبصُّري يوجّه به رُسُله إلى نقاط اللّقاء المناسبة بالقوّات المنتشرة.

في أثناء خروجه من غُرفة التّطهير، جاءته إحدى قائدات الحرس بخبرٍ مُفاده أن هِوي نوري، على إصابتها الطّفيفة، بأمان، وأنها ستُجلب إليه ما إن ترى القائدة المحلّيّة أن الوقت مناسب.

رقّى ليتو قائدة الحرس إلى رُتبة نائب باشار على الفور. كانت امرأة ضخمة البنية من نوعيّة نائلة، لكن دون وجهها المربّع، إذ كانت ملامحها أكثر استدارة وأقرب إلى الصّفات الأقدم. ارتجف جسد المرأة من رضا مولاها عليها، وحين أمرها بالعودة و«التأكُّد التّام» من عدم تعرُّض هِوي لأيّ أذىً آخر، استدارت على عقبيها وغادرت حضرته على وجه السُّرعة.

فكّر ليتو: *لم أسألها حتّى عن اسمها*، وهو يدحرج جسده على العربة الجديدة القابعة في تجويف غُرفة استقباله الصّغيرة. استغرق الأمر منه بضع لحظات من التأمُّل قبل أن يتذكر اسم نائبة الباشار الجديدة: كيويمو. لا بد من تأكيد الترقية رسميًا لاحقًا. سجل في ذهنه تذكيرًا بأن يفعل ذلك بنفسه. عليه أن يغرس في أذهان جميع مُحاورات الأسماك مدى تقديره لِهِوي نوري، على أنه لم يعد يوجد مجالٌ كبيرٌ للشّكّ في ذلك بعد أحداث الليلة.

بعدها أجرى مسحه التبصُّري وأرسل الرُّسُل إلى حارساته الهائجات. بحلول ذلك الوقت، كان الضرر قد وقع بالفعل، وتناثرت الجثث في كل مكان في أونْ. بعضها لراقصي الوجوه، وبعضها لمن اشتُبه في أنه من راقصي الوجوه.

فكّر ليتو: *وقد رآني الكثيرون وأنا أقتل.*

راح ليتو يراجع ما حدث وهو ينتظر وصول هِوي. لم يكن هذا هجومًا تِليلاكسيًا تقليديًا، لكن الهجوم السّابق الذي وقع وهم في طريقهم إلى أونْ كان يتناغم مع هذا النّمط الجديد، وكل ذلك يوجِّه الأنظار إلى عقل واحد يسعى لتحقيق هدفٍ قاتل.

فكّر ليتو: *كان من الممكن أن أقضي نحبي في الخارج.*

بدأ هذا يفسّر له لماذا لم يتوقّع الهجوم، لكن كان في الأمر سببٌ أعمق. راقب ليتو هذا السّبب يتصاعد في وعيه، وكان أشبه بتلخيصٍ لكل القرائِن. من أكثر شخص يعرف الإمبراطور الإله؟ من الإنسان الذي يمتلك مكانًا خفيًا يمكنه التآمر منه؟

*مالكي!*

استدعى ليتو إحدى الحارسات وطلب منها أن تسأل إن كانت الأمُّ الموقّرة أنتياك قد غادرت أزّاكس بعد أم لا. عادت الحارسة بعد لحظات لتبلغ عن الأمر.

- «لا تزال أنتياك في غرفتها. قائدة مُحاورات الأسماك هناك تقول إنهن لم يتعرّضن للهجوم».

قال ليتو: «ابعثن لأنتياك واسألنها إن كانت تفهم الآن لماذا أنزلت وفدها مقامًا بعيدًا عني. ثم أخبروها بأن عليها أن تجد مالكي في أثناء وجودها على إيكس، وأن تبلغ موقعه إلى حاميتنا هناك».

- «مالكي، السّفير الإيكسيّ السّابق؟».

- «هو بعينه. يجب ألّا يبقى مالكي على قيد الحياة. أبلغن قائدة حاميتنا على إيكس بضرورة التّنسيق الوثيق مع أنتياك وتقديم

كل ما يلزم من مساعدة لها. يجب إحضار مالكي أمامي أو إعدامه، الخيار متروك لما تراه قائدتنا هناك أنسب».

أومأت الحارسة الرّسول برأسها والظّلال ترتسم على ملامحها حيث وقفت على طرف دائرة الضّوء المحيطة بوجه ليتو. لم تطلب إعادة الأوامر على مسمعيها، فكل واحدة من حارساته المقرّبات قد دُرِّبت لتكون مُسجِّلًا بشريًا. كان بإمكانهن تكرار كلماته بدقة، وصولًا إلى النّبرة التي نُطقت بها، ولم يكن لهن أن ينسين شيئًا ممّا قاله.

حين غادرت الحارسة، أرسل ليتو إشارة خاصة للاستفسار، وفي غضون ثوانٍ، تلقّى ردًّا من نائلة. أعاد الجهاز الإيكسيّ الصّنع في عربته إنتاج نسخةٍ من صوتها لا يمكن تمييزها؛ تلاوةٍ معدنيّةٍ لا نبرة فيها لن يسمعها أحدٌ غيره.

أجل، كانت سيونا في القلعة. كلّا، لم تتواصل مع رفاقها المتمرّدين. *«لا، إنها لا تعرف بعد أنني هنا أراقبها»*. ماذا عن الهجوم على السّفارة؟ المنفّذون جماعة منفصلة تُدعى «عناصر الاتّصال بالتِليلاكسو».

أطلق ليتو تنهيدةً في سِرّه. دائمًا ما يمنح المتمرّدون مجموعاتهم أسماء مُدّعيةً.

ثم سأل: «هل من ناجين؟».

- «لم يُسجّل وجود ناجين».

وجد ليتو الأمر مُسليًا؛ إذ مع خلو الصّوت المعدني من أيّ نبرة، أضفت ذاكرته عليه واحدة.

قال ليتو: «أريدك أن تتواصلي مع سيونا. أخبريها بحقيقة أنك مُحاورة أسماك. وَضِّحي لها أنك لم تكشفي عن هذا الأمر من قبل لأنك كنت تعلمين أنها لن تثق بك، ولأنك كنت تخشين أن ينكشف سِرُّك، كونك الوحيدة بين مُحاورات الأسماك التي تقف إلى جانب سيونا. أعيدي تأكيد قسمك لها. أخبريها أنك تقسمين على طاعتها في كل ما تأمر به، بكل ما هو مُقدّس لك، وأنها إن أصدرَت أمرًا، فستنفذينه على الفور. كل هذا حقيقي بالطبع، كما تعلمين».

- «أمر مولاي».

زوّدته ذاكرته بنبرة الخضوع التّام في ردّ نائلة. لسوف تطيعه.

- «وإن سنح الأمر، وفّري المجال أمام سيونا ودانكن آيداهو للاختلاء».

- «أمر مولاي».

وفكّر: *لندع قُرب الجوار يعمل عمله الطّبيعي.*

أنهى ليتو الاتّصال مع نائلة، وفكّر للحظات، ثم استدعى قائدة قوّاته في الساحة. وصلت الباشار بعد قليل في زِيِّها الدّاكن الملطّخ بالغبار، وآثار الدماء لا تزال على حذائها. كانت امرأة طويلة، نحيلة كالعظم، تحمل ملامحها الحادّة وخطوط العمر التي حُفِرت في وجهها مسحة من الهيبة القوية. تذكّر ليتو اسمها العسكري، آيليو، الذي يعني في لغة الفرمِن القديمة «الجديرة بالثّقة»، لكنه ناداها باسم نسبها من جهة الأُم، نيشيه، أي «ابنة شيه»، ليضفي على اللّقاء شيئًا من الأُلفة.

قال: «استريحي على وسادة يا نيشيه، لقد أديت عملًا مجهدًا اليوم».

- «شكرًا لك يا مولاي».

غاصت نيشيه في الوسادة الحمراء التي استخدمتها هِوي. لاحظ ليتو خطوط التّعب حول فم نيشيه، لكن عينيها ظلّتا متيقّظتين. حدّقت المرأة إلى أعلى نحوه، متلهّفةً لسماع كلماته.

- «عادت الأمور هادئة في مدينتي مجدّدًا». قالها بصيغة ليست سؤالًا بالضّبط، تاركًا لنيشيه حُرّيّة تأويله.

- «الأمور هدأت، لكنها لم تغد بخير بعد يا مولاي».

نظر إلى الدّماء التي تلطّخ حذاءها.

- «كيف حال الشّارع أمام السّفارة الإيكسيّة؟».

- «يُجرى تطهيره يا مولاي، والإصلاحات بدأت بالفعل».

- «والسّاحة؟».

- «ستعود في الصّباح كما كانت تبدو دائمًا».

ظلّت نظرتها ثابتةً على وجهه. كان كلاهما يعلم أنه لم يتطرّق بعد إلى جوهر هذا اللّقاء، لكن ليتو استطاع قراءة الشّعور الكامن خلف تعبير ملامح نيشيه بالفعل.

*الفخر بريّها!*

لقد شاهدت، للمرّةِ الأولى، الإمبراطور الإله يقتل، وقد زرع هذا في

داخلها بذور اتّكالٍ مُريع. *إذا ما وقعت كارثة، لسوف يتدخّل رَبّي.* هذا ما بدا في عينيها. لم تعد تتصرّف باستقلاليّةٍ تامةٍ، مستمِدّةً قوّتها من الإمبراطور الإله، وفي الوقت نفسه مسؤولة شخصيًا عن استخدامها تلك القوة. كان في تعبيرها شيءٌ من التملُّك. ثمّة آلة قتل رهيبة تنتظرها في الكواليس، مُتاحة إذا استدعتها.

لم يُعجَب ليتو بما رأى، لكن الضّرر قد وقع بالفعل، وأيُّ علاج سيتطلّب ضغوطًا بطيئةً ودقيقة.

سألها: «من أين حصل المهاجمون على بنادق اللّيزر؟».

- «من مخازننا الخاصّة يا مولاي. حارسات التّرسانة اسثبدِلن».

اسثبدِلن! كان ذلك تعبيرًا مُلطّفًا ينطوي على قدر من التهذيب. كانت العاصيات من مُحاورات الأسماك يُعزلن ويُحتجزن، حتّى يجد ليتو مُشكلةً تستدعي تدخُّلَ «الفرقة الانتحاريّة». هؤلاء سيضحينَ بحياتهن عن طيب خاطر معتقدات أنهن بذلك يُكفّرن عن خطاياهن. كانت مُجرّد شائعة أن هاته النّسوة المسعورات قد أُرسلن إلى مكان ما كفيلة بتهدئة بؤرة الاضطراب.

سألها: «هل اخترِقت التّرسانة بالمتفجّرات؟».

- «بالتسلُّل والمتفجّرات يا مولاي. حارسات التّرسانة كُنّ مهملات».

- «من أين أتوا بالمتفجّرات؟».

بدا بعضٌ من إرهاق نيشيه في هزّة كتفيها الحائرة.

لم يسع ليتو إلّا الموافقة على هذا. كان يعلم أنه يستطيع البحث

عن مصادر هذه المواد وتحديدها، لكنه أدرك أن ذلك لن يجدي نفعًا كبيرًا. فالدواهي من النّاس يمكنهم دائمًا العثور على مكوّنات تصنيع المتفجّرات اليدويّة في أشياء شائعة مثل السّكّر والمبيّضات والزّيوت العادية والأسمدة البريئة والمواد البلاستيكية ومذيّبات الدّهون، وما يتخمّر في التّراب أسفل أكوام السّماد. القائمة لا نهائية تقريبًا، وتتوسّع مع كل إضافة إلى التجارب البشريّة ومعارفها. حتّى في مجتمع كالذي أنشأه في ظلّ حُكمِه، المجتمع الذي يحاول الحدّ من امتزاج التكنولوچيا بالأفكار الجديدة، لا سبيل حقيقي للقضاء على الأسلحة الصّغيرة شديدة الخطورة قضاء تامًا. فكرة السّيطرة على هذه الأمور مُجرّد وهم، خرافة خطِرة ومُضلّلة. المفتاح الحقيقي هو الحدّ ممّا يؤجّج الرّغبة في ارتكاب العُنف. ومن تلك الزّاوية، كانت اللّيلة نكبةً حقيقيّة.

فكّر ليتو في سِرّه: *كم من ظُلمٍ جديد قد ظهر.*

تنهّدت نيشيه كما لو أنها قرأت أفكاره.

بالطّبع، لقد تدرّبت مُحاورات الأسماك منذ الطّفولة على تجنّب الظّلم قدر الإمكان.

قال لها: «علينا أن نهتم بالنّاجين من العوام، وأن نحرص على تلبية احتياجاتهم، وأن نجعلهم يدركون أن بني تليلاكس هو المسؤولون عمّا حدث».

أومأت نيشيه في تفهُّم، فلم تكن لتصل إلى رتبة باشار وهي تجهل قواعد اللّعبة. وبعد كل هذا الوقت الذي قضته تمارسها، باتت تُصدّقها. لذا، ما إن سمعت ليتو يَنطِق مقوله، آمنت بجريرة

التِليلاكسو. وقد انطوى فهمها على قدر من الحكمة البرجماتيّة، وأدركت لماذا طُلِب منهن عدم إبادة جميع التِليلاكسو.

*ليس من الحكمة القضاء على كل كبش فداء.*

قال ليتو: «كما علينا أن نخلق ملهاةً للتشتيت. لحسن الحظ، قد يكون ثمّة واحدة بالفعل. سأستدعيك مُجدّدًا بعد التّشاور مع السّيّدة هِوي نوري».

- «السّفيرة الإيكسيّة يا مولاي؟ أليست متورّطةً في...».

قاطعها قائلًا: «إنها بريئة كلّيًا».

رأى الإيمان يهبط على ملامح نيشيه كبطانة جامدة شدّت فكّها وجمّدت نظرتها. حتّى *نيشيه*. كان يعرف الأسباب، لأنه مَن ابتدع هذه الأسباب، لكنه كان يشعر أحيانًا بشيءٍ من الرّهبة أمام صنيعة يديه.

قال: «أسمع صوت السّيّدة هِوي في غُرفة الانتظار. أرسليها إليّ وأنت في طريقك إلى الخارج، ويا نيشيه...».

كانت قد نهضت على قدميها بالفعل، لكنها وقفت في صمتٍ منتظرةً.

- «لقد رقّيت كيويمو اللّيلة إلى رُتبة نائب باشار. تأكّدي من جعل الأمر رسميًا. أمّا بالنسبة إليك، فأنا راضٍ عنك. اطلبي وستجابين».

رأى الصّيغة التي قال بها كلامه ترسل موجة من النّشوة في جسد نيشيه، لكنها كبحتها على الفور، ما أثبت له قيمتها مجدّدًا.

قالت: «سأختبر كيويمو، وإن أثبتت جدارة، قد آخذ إجازة. منذ سنوات لم أر عائلتي على سالوسا سوكاندس».

قال: «في أيّ وقتٍ تشائين».

وفكّر: *سالوسا سوكاندس. لا عجب إذًا!*

تلك الإشارة الوحيدة إلى موطنها ذكّرته بمن تشبه: خرق *العادة. إن دماء آل كورينو تجري في عروقها. نحن أقارب أقرب ممّا ظننت.*

قالت: «مولاي واسع الكرم».

غادرت بعدها وقد بدت خطواتها تنبض بالحياة، ثم سمع صوتها من غُرفة الانتظار يقول: «سيدة هِوي، مولانا سيقابلك الآن».

دخلت هِوي بخطواتٍ متردّدةٍ في هالة من الضّوء السّاقط من خلفها. وقفت عند المدخل المقوّس للحظة، وحين اعتادت عيناها عتمة الغُرفة الدّاخليّة، اتّجهت كفراشةٍ منجذبةٍ نحو الضّوء المحيط بوجه ليتو، ولم تلتفت عنه إلا لتتفحّص جسده الطّويل الغارق في الظّلال، بحثًا عن أيّ علامة تشير إلى إصابة. كان يعلم أن مثل هذه العلامة لا تظهر عليه، على ما يعتمل فيه من ألمٍ خفيّ وارتجاف.

رصدت عيناه عرجًا طفيفًا فيها، إذ اتّكأت هِوي على قدمها اليمنى، لكن الرّداء الطّويل الأخضر بلون اليشم الذي ترتديه أخفى الإصابة. توقّفت هِوي عند حافة التجويف الذي يحتضن عربته دون أن تفارق عيناها عينيه.

- «أخبروني أنك أُصبتِ يا هِوي. هل تتألّمين؟».

- «جرح بسيط في ساقي أسفل ركبتي يا مولاي، من شظية حجر صغيرة من الانفجار. مُحاورات الأسماك طبّبنه بمرهم أزال الألم. خفت عليك يا مولاي».

- «وأنا خفت عليك أيّتُها الرّقيقة هِوي».

- «باستثناء ذلك الانفجار الأول، لم أتعرّض للخطر يا مولاي. لقد اندفعوا بي نحو غُرفة عميقة تحت السّفارة».

فكّر ليتو: *إذًا لم تُشاهد ما فعلت. كم أنا شاكر لذلك.*

قال لها: «أرسلت في طلبك لأطلب منك العفو».

غاصت في وسادة ذهبيّة: «العفو عن ماذا يا مولاي؟ أنت لست السّبب في ما...».

- «إني أختبر يا هِوي».

- «أنت؟».

- «هناك من يرغب في معرفة مدى اهتمامي بسلامتك يا هِوي نوري».

أشارت إلى أعلى وقالت: «ما حدث... كان بسببي؟».

- «بسببنا».

- «أوه، لكن من فعلها؟».

- «لقد وافقت على الزّواج بي يا هِوي، وأنا...»، ثم رفع يده ليسكتها إذ همّت بأن تتكلّم: «لقد أخبرتني أنتياك بما كَشَفتِه لها، لكن ما حدث

لم يكن من صُنع أنتياك».

- «من إذًا...».

- «السُؤال عمن ليس مهمًا. المُهم أن تعيدي النّظر. عليّ أن أتيح لكِ هذه الفرصة لتغيير رأيك».

خفضت هِوي عينيها.

ففكّر ليتو: *يا لعذوبة ملامحها!*

كان بوسعه أن يخلق في خياله حياةً بشريةً كاملةً مع هِوي، إذ بين فوضى ذكرياته تكمن أمثلةٌ كافيةٌ ليبني عليها حُلمًا عن حياة زوجيّة سعيدة. تلك الحياة راحت تتشكّل في مخيلته بتفاصيلها الدقيقة: اللمسات، القُبل، مشاركة التجارب.. كل تلك اللّحظات العذبة شكّلت شيئًا مُوجع الجمال راح يؤلمه أعمق من تلك الإصابات الجسديّة النّاتجة عن بطشه عند السّفارة.

رفعت هِوي ذقنها ونظرت إلى عينيه، فرأى فيهما شوقًا عطوفًا ساعده على تخفيف الألم.

- «ولكن كيف لي أن أخدمك بغير ذلك يا مولاي؟».

ذكّر ليتو نفسه بأنها من رُتبة الرّئيسيّات، فيما لم يعد هو من الرّئيسيّات بالكامل. الاختلافات بينهما تزداد عمقًا مع كل دقيقة.

ظلّ الألم ينبض داخله.

كانت هِوي حقيقةً لا مفر منها؛ شيئًا جوهريًا لا يمكن للكلمات التّعبير عنه بشكل كامل. بات الألم في داخله أكثر من قدرته على

التّحمّل.

- «أنا أُحبّك يا هِوي. أُحبّكِ كما يُحبّ رجلٌ امرأة... لكن هذا الزّواج لا يمكن أن يحدث، ولن يحدث أبدًا».

انهمرت الدّموع من عينيها: «هل أغادر؟ هل أعود إلى إيكس؟».

- «سيؤذونكِ محاولين معرفة ما الخطأ الذي أصاب خطتهم».

ثم فكّر: *لقد رأت ألمي، وتدرك مدى عجزي وإحباطي. ماذا ستفعل؟ لن تكذب. لن تقول إنها تبادلني حُب امرأةٍ لرجل. إنها تدرك العجز، وتعرف حقيقة مشاعرها تجاهي: شفقة، وانبهار، وفضول يتجاهل الخوف.*

قالت: «إذًا سأبقى. سنستنزف ما استطعنا من سعادة من وجودنا معًا. أظن أن هذا هو أفضل خيار نفعله. وإن كان هذا يعني أن نتزوج، فليكن».

قال لها: «إذًا عليّ أن أشاركك معرفةً لم أشاركها مع شخصٍ آخر، تلك المعرفة ستمنحك سلطةً عليّ، يوالتي...».

- «لا تفعل ذلك يا مولاي! ماذا لو أجبرني أحدهم على...».

- «لن تغادري منزلي مرةً أخرى أبدًا. ستكون حجرتي هذه، والقلعة، وبقاع السّرير الآمنة، هي موطنك».

- «ما تشاء سيكون».

فكّر ليتو: *يا لوداعة قبولها الهادئ! ويا لرحابته!*

كان لا بُدّ من تهدئة هذا النّبض المؤلم في داخله، إذ كان، في حدّ

ذاته، يشكّل خطرًا عليه وعلى الصّراط الذّهبي.

*يا لدهاء أولئك الإيكسيّين!*

لقد فهم مالكي كيف أن كُلّيي القوّة مجبرون على مقاومة نداءٍ ساحر لا ينقطع: الرّغبة في الانغماس في المُتع.

*إدراك متواصل للقوّة الكامنة في أتفه نزواتك.*

عدّت هِوي صمته تردّدًا، فسألت: «هل سنتزوّج يا مولاي؟».

- «أجل».

- «أيجب فعل أيّ شيءٍ تجاه قصص التِليلاكسو التي...».

- «كلّا».

حدّقت إليه، متذكّرةً محادثتهما السّابقة. إن بذور نهايته تُزرع.

قالت: «أخشى يا مولاي أنني سأضعفك».

- «إذًا عليك أن تجدي طرائق لتقويتي».

- «هل ستقوى إن نحن أضعفنا من الإيمان بالإله ليتو؟».

سمع ليتو شيئًا من نبرة مالكي في صوتها؛ ذلك الاتّزان العاقل الذي جعله ساحرًا إلى حدٍّ مُنفّر. *لا أحد يفلت قط من تأثير مُعلّمي طفولته.*

قال لها: «سؤالك يحتاج إلى إجابة. كثيرون سيستمرّون في عبادتي وفقًا لخُطّتي، فيما سيصدّق آخرون الأكاذيب».

- «مولاي... هل ستطلب مني أن أكذب من أجلك؟».

- «بالقطع لا. لكنني سأطلب منك أن تلتزمي الصّمت حين تتملّكك الرّغبة في الكلام».

- «لكن إذا حقّروا...».

- «لن تعترضي».

بدأت الدّموع تسيل على خدّيها مجدّدًا. ودّ ليتو أن يلمسها، لكن الدّموع ماء... والماءُ مؤلم.

قال لها: «هكذا يجب أن يسير الأمر».

- «هل يمكنك أن تشرح لي يا مولاي؟».

- «بعد رحيلي، يجب أن ينعتونني بالشّيطان*، إمبراطور جهنم*. لا بُدّ للعجلة أن تدور وتدور بلا توقُّف على امتداد الصّراط الذّهبي».

- «مولاي، ألا يمكن توجيه ذلك الغضب إليّ وحدي؟ لن...».

- «كلّا، لقد أتقن الإيكسيُون صُنعك إلى حدٍّ يفوق تصوُّرهم. أنا أُحبُّكِ حقًّا، ولا أستطيع منع نفسي عنك».

- «لا أريد أن أُسبِّب لك ألمًا!». كانت الكلمات تُنتزعُ منها انتزاعًا.

- «ما حدث قد حدث، فلا تحزني».

- «ساعدني أن أفهم».

- «الكراهية التي ستزدهر بعد رحيلي، ستذبل هي الأُخرى في ماضٍ محتومٍ آت. سيمر وقت طويل، ثم في يومٍ بعيد جدًّا، سيُعثر على مذكّراتي».

- «مذكّراتك؟». أدهشها ما بدا كأنه تغييرٌ مفاجئ للموضوع.

- «سِجلٌ تأريخي لزماني. حُججي ودفاعاتي. تُوجد نسخٌ منها حاليًا، وستنجو شظايا متفرّقة منها هنا وهناك، بعضها في صورةٍ مُحرّفة، لكن المذكّرات الأصليّة ستنتظر طويلًا جدًا، ولن تملّ الانتظار. لقد أخفيتها جيّدًا».

- «ماذا سيحدث عند اكتشافها؟».

- «سيعرف النّاس أنني كنت شيئًا مختلفًا تمامًا عمّا افترضوه».

خرج صوتها مرتجفًا وهي تقول: «أعلم بالفعل ماذا سيعرفون».

- «أجل يا عزيزتي هِوي، أظن أنك تعلمين».

- «أنك لست شيطانًا ولا إلهًا، بل شيءٌ لم نره من قبل ولن نراه مجددًا أبدًا، لأن وجودك يزيل الحاجة إلى ذلك».

قالتها ومسحت الدُموع عن وجنتيها.

قال لها: «هِوي، هل تدركين مدى خطورتك؟».

ظهر القلق على ملامحها، ولاح في توتُّر ذراعيها.

قال لها: «أنت تمتلكين كل مقوّمات القديسين. أتدركين مدى الألم الذي قد يلمُّ بالمرء حين يقابل قدّيسًا في المكان والوقت الخاطئين؟».

هزّت هِوي رأسها.

قال: «يجب إعداد النّاس لظهور القدّيسين، وإلا سيصبحون مُجرّد

تابعين وصاغرين ومتسوّلين، وأذلّةً متملّقين رازحين إلى الأبد في ظلّ القِدّيس. هذا يقوّض المجتمع، لأنه لا يغذّي إلّا الضّعف».

بعد لحظة تفكير، أومأت ثم قالت: «هل سيكونون بعد رحيلك قدّيسين؟».

- «هذا هو الغرض من صِراطي الذّهبي».

- «ابنة مُونِيو، سيونا.. هل ستكون...».

- «في الوقت الحالي، هي مُجرّد متمرّدة. أما بخصوص صِفة القداسة، فسنترك لها القرار. رُبّما ستفعل فقط ما استولدت من أجله».

- «وما هو يا مولاي؟».

صاح فيها: «كُفّي عن مناداتي بمولاي. سنكون دودةً وزوجةً. ناديني ليتو إن شئتِ. كلمة مولاي تضع بيننا حاجزًا».

- «حسنًا يا مـ... يا ليتو. لكن ماذا...».

- «سيونا استولدت لتحكُم، وفي مثل هذا الاستيلاد خطرٌ كامن. فحين يحكم المرء، يذوق القوّة، وقد يقوده هذا إلى طيشٍ وانعدام مسؤوليّة، وإلى تجاوزات مؤلمة قد تجعل منه مُفسدًا رهيبًا، عاكفًا على اللّذات».

- «سيونا سوف...».

- «كل ما نعرفه عن سيونا هو أنها قادرة على تكريس نفسها لهدفٍ معيّن؛ للنمط الذي يُشبع جوع حواسّها. إنها أرستقراطيّة بالضّرورة

في طبعها وعاداتها، لكن الشّخصيّة الأرستقراطيّة ترنو إلى الماضي أغلب الوقت، وذلك إخفاق. لا يمكن للمرء رؤية الطّريق كاملًا إلا إذا كان مثل يانوس(15)، ينظر إلى الماضي والمستقبل في آنٍ واحد».

قالت: «يانوس؟ آه، الإله ذو الوجهين المتقابلين»، ثم بلّلت شفتيها بلسانها وسألت: «أأنت يانوس يا ليتو؟».

- «أنا يانوس مُضاعفًا مليار ضِعف، وفي الوقت نفسه أقل من ذلك بكثير. على سبيل المثال، أنا ما يُقدّره المسؤولون الإداريّون أكثر من أيّ شيءٍ آخر: صانع القرار الذي تُصيب كل قراراته».

- «لكن إن خذلتهم...».

- «أجل، سينقلبون ضِدّي».

- «هل ستحل سيونا محلّك لو...».

- «يا لها من ‹لو› هائلة! أنت تلاحظين أن سيونا تشكّل تهديدًا على شخصي، لكنها لا تهدّد الصّراط الذّهبي. وهناك أيضًا حقيقة أن مُحاورات الأسماك يحملنَ قدرًا من *التعلُّق* بدانكن».

- «سيونا تبدو... يافعةً جدًّا».

- «وأنا ديكتاتورها المُفضّل. الدّجال المُستأثر بالسّلطة وفقًا لادّعاءات زائفة، ولا يلتفت إلى حاجات شعبه قط».

- «ألا يمكن أن أتحدّث إليها و...».

- «كلّا! لا تحاولي إقناع سيونا بأيّ شيءٍ. عِديني يا هِوي».

- «إن كان هذا مطلبك، فقطعًا لن أفعل، لكن أنا...».

- «جميع الآلهة يواجهون هذه المشكلة يا هِوي. في إدراكي للحاجات الأعمق، عليّ كثيرًا أن أتجاهل الحاجات الآنيّة. والشّباب يرون في عدم الاستجابة للحاجات الآنية إهانةً».

- «ألا يمكنك التفاهم معها وإقناعها بالعقل أن...».

- «لا تحاولي أبدًا إقناع الواثقين بأنهم على حق!».

- «لكن حين تكون مدركًا بأنهم مخطئون...».

- «هل تؤمنين بي؟».

- «أجل».

- «ماذا لو حاول شخص إقناعك بأنني الشّرّ الأعظم في كل العصور...».

- «سأستشيط غضبًا. سـ...» ثم بترت كلامها.

قال: «ليس للعقل قيمة حقيقيّة إلّا وهو يُفكّر في حقائق الكون المادّيّة الصّمّاء».

قطبت جبينها في تفكير، وافتتن ليتو حين استشعر فهمها يتنامى. «آاااه»، تنفّست الكلمة بهدوء.

قال: «لن يجرؤ أيّ مخلوقٍ عاقل على إنكار تجربة ليتو بعد ذلك. أرى أنك بدأت تفهمين. البدايات! إنها جوهر الحياة!».

أومأت برأسها.

فكّر ليتو: *لم تجادل. فهي حين ترى الأدلّة، تتبعها إلى حيث تقود.*

قال: «ما دامت الحياة، فإن كل نهاية تُمثّل بدايةً جديدةً. وأنا سوف أنقذ البشريّة، حتّى من نفسها».

أومأت من جديد. ما زالت الأدلّة تقودها قُدُمًا.

- «لهذا، لا يمكن أن يُعدّ الموت في سبيل استمرار البشرية فشلًا كاملًا، لهذا تمشّ لحظات الميلاد شيئًا عميقًا فينا، لهذا أفجع الموت هو موت الشّباب».

- «أما زال الإيكسيُون يهدّدون صِراطك الذّهبي؟ لطالما عرفت أنهم يحيكون لك شرًّا».

*لقد صارت تتحدّث عنهم كأنهم غرباء. هِوي لا تُدرك فحوى الرّسالة الفُبطنة في كلماتها، ولا حاجة إليها ولا داعي لأن تدركها.*

حدّق ليتو إليها مفتونًا بها. كانت تمتلك نوعًا من الصّدق قد يصفه البعض بالسّذاجة، لكن ليتو أدرك أنه ليس إلّا عفويةً خالصةً. لم يكن الصّدق جوهرها، بل هو هِوي ذاتها.

قال ليتو: «إذًا سأرتّب لإقامة عرض في السّاحة غدًا، سيؤدّيه النّاجون من راقصي الوجوه. بعده، سنُعلن خِطبتنا».

لا ينبغي الشّكّ في أنني مجموع أسلافنا، وأنني السّاحة التي يختبرون من خلالها زماني. هُم خلاياي وأنا جسدهم. هذا هو الفاقراشي(16) الحق: الرّوح، اللّا وعي الجمعي، منبع الأنماط الأصليّة، مستودع كل الآلام والسّعادات. أنا خيارهم الواعي. صَمادِيُّ صَمادِيهم(17). تجاربهم خبراتي! وخلاصة معرفتهم إرثي! تلك المليارات أنا.

- المذكّرات المسروقة

استغرق عرض راقصي الوجوه قُرابة ساعتين من الصّباح. بعدها جاء الإعلان الذي هزّ جنبات مدينة المهرجان.

- «لقد مرّت قرونٌ منذ أن اتّخذ لنفسه عروسًا!».

- «أكثر من ألف سنة يا عزيزتي».

كان استعراضُ مُحاورات الأسماك قصيرًا، وقد هتفن له بحماسٍ شديد، لكنّ الاضطراب كان باديًا عليهن.

لقد سبق أن قال لهن: «*أنتن وحدكن عرائسي*». ألم يكن ذلك هو معنى السِيانوق؟

رأى ليتو أن راقصي الوجوه قد أدّوا عرضهم ببراعة، على رُعبِهم الواضح. لقد عُثِر في أعماق أحد متاحف الفرمِن على أردية سوداء قديمة ذات قلانس وأحزمةٍ بيضاء، تُزيِّن أكتافها من الخلف صقورٌ خضراء باسطةً أجنحتها. كانت ثيابًا تعود إلى كهنة المؤدّب الرّحّل. بسحناتٍ داكنة مكفهرّة، ارتدى راقصو الوجوه هذه الأردية، وأدّوا رقصة تحكي كيف نشرت جحافل المؤدّب دينها في أرجاء

الإمبراطوريّة.

جلست هِوي إلى جوار ليتو على العربة الملكية طوال الطّقس، مرتديةً ثوبًا فِضّيًا برّاقًا، ويزيّن جيدَها عِقدٌ من اليشم الأخضر. في لحظة ما، اقتربت منه وهمست: «أليست هذه محاكاة ساخرة؟».

- «بالنسبة إليّ، رُبّما».

- «أيعرف راقصو الوجوه ذلك؟».

- «يشكّون في الأمر».

- «إذًا فهم ليسوا خائفين كما يبدو عليهم».

- «أوه، بلى إنهم خائفون. لكنهم أشجع ممّا يتوقّعه معظم النّاس منهم».

همست: «أحيانًا تكون الشجاعة حماقة».

- «والعكس بالعكس».

رمقته بنظرة متفحّصة قبل أن تعيد انتباهها إلى العرض. لقد نجى ما يقرب من مِئتي راقص وجه دون أن يصابوا بأذًى، وقد زُجّ بهم جميعًا في هذه الرّقصة. كان تشابك حركاتهم وتناسق أوضاعهم كفيلين بأن يأسرَا البصر، ويتيح لمن يشاهدهم أن ينسى -ولو للحظات- ما سبق هذا النّهار من مجازر دامية.

تذكّر ليتو كلّ ذلك وهو مستلقٍ بمفرده في قاعة استقباله الصّغيرة قبل الظّهيرة بقليل، حين وصل مُونِيو. كان مُونِيو قد شاهد صعود الأمّ الموقّرة أنتياك إلى متن إحدى سفُن النّقل الفضائي التّابعة

للنّقابة، وأجرى محادثات مع قيادات مُحاورات الأسماك حول ما حدث من عنف في اللّيلة الماضية، وخرج في رحلة سريعة إلى القلعة للتأكُّد من أن سيونا تحت رقابةٍ مُشدّدةٍ، وأنها غير متورّطة في الهجوم على السفارة، وعاد إلى أونْ بعد إعلان الخطوبة، دون سابق عِلم أو إخطار بها.

كان مُونِيو مستشيطًا غضبًا. لم يسبق لليتو أن رآه بمثل هذا الغضب، إذ دخل القاعة مُسرِعًا وتوقّف على بعد مترين فقط من وجه ليتو، ثم قال: «الآن سيصدّق الجميع أكاذيب التِليلاكسوا».

ردّ ليتو بنبرةٍ رزينة: «ما أشد إصرارنا على أن يكون آلهتنا مثاليين. اليونانيّون كانوا أعقل في نظرتهم إلى مثل هذه الأمور».

سأل مُونِيو: «أين هي؟ أين تلك المدعوّة...».

- «هِوي تأخذ قِسطًا من الرّاحة. كانت الليلة عصيبةً والنهار طويلًا. أريدها أن تحظى بقسطٍ كافٍ من الرّاحة قبل عودتنا إلى القلعة هذا المساء».

سأله مُونِيو: «كيف نجحت في فعل ذلك بك؟».

- «حقًّا يا مُونِيو؟ ألهذه الدّرجة فقدت حِسّك بالحذر؟».

- «أنا قلقٌ عليك! ألديك أيُّ فكرة عمّا يقولونه في المدينة؟».

- «أنا على دراية كاملة بالقصص».

- «ما مُرادك ممّا تفعل؟».

- «أتعلم يا مُونِيو؟ أظن أن الوثنيين القدامى وحدهم من كانوا

على صواب بشأن الآلهة، إذ رأوا فيها عيوبًا بشريّة تتلفّع بهيئةٍ خالدة».

رفع مُونِيو ذراعيه إلى السّماء وقال: «لقد رأيت النّظرات على وجوههم!»، ثم خفض ذراعيه وأردف: «سينتشر الأمر في جميع أرجاء الإمبراطوريّة في غضون أسبوعين».

- «قطعًا سيستغرق الأمر وقتًا أطول من ذلك».

- «إن كان أعداؤك بحاجة إلى شيءٍ واحد ليؤلّف بينهم، فأنت قد...»

- «إن الخوض في الآلهة وتدنيسها لتقليدٌ إنسانيٌ قديم يا مُونِيو. ما الذي يجعلني استثناءً للقاعدة؟».

حاول مُونِيو أن يتكلّم، لكنه لم يستطع أن ينطق بشيء، فوطِئ بقدمه حافّة التّجويف الذي يحتضن عربة ليتو، ثم عاد إلى موقعه السّابق وهو ينظر شزرًا إلى وجه ليتو.

ثم قال: «إن كنت سأساعدك، فأنا أحتاج إلى تفسير. لماذا نفعل ذلك؟».

- «المشاعر».

كزّر فمُ مُونِيو الكلمة دون أن ينطقها.

قال ليتو: «لقد عاودتني المشاعر في اللّحظة التي ظننت فيها أنها اختفت إلى الأبد. يا للذّة تلك الرّشفات الأخيرة من كأس الإنسانية!».

- «مع هِوي؟ لكنك غير قادر على...».

- «ذكريات المشاعر وحدها لن تكفي أبدًا يا مُونِيو».

- «هل تخبرني أنك تُشبع نفسك بـ...».

- «إشباع؟ بالقطع لا! لكن الحامل الثُلاثي الذي تتأرجح عليه الأبدية يتكوّن من الجسد والفكر والشُعور. وقد شعرت أنني قد أختزلت إلى جسدٍ وفكرٍ لا أكثر».

قال مُونِيو بنبرة اتّهام: «لقد مارست نوعًا من السّحر عليك».

- «قطعًا فعلت، وكم أنا ممتن لذلك. إن أنكرنا الحاجة إلى الفِكر يا مُونِيو، كما يفعل البعض، فسنفقد ملكة التأمُل، ولن نستطيع تحديد ما تخبرنا به حواشنا. وإن أنكرنا الجسد، فكأنّنا نخرّب العربة التي تحملنا. لكننا إن أنكرنا المشاعر، فإننا نفقد كل صِلة مع عالمنا الدّاخلي. المشاعر هي أكثر ما أفتقده».

- «أنا مُصرٌ يا مولاي على أنك...».

- «أنت تستثير غضبي يا مُونِيو، والغضب شعور».

رأى ليتو غضب مُونِيو المُحبَط يهدأ كمكواة ساخنة تُغمس في ماء مثلج، لكن بعضًا من البخار ظلّ يعتمل فيه.

- «أنا لا أهتم لنفسي يا مولاي، بل اهتمامي منصبٌ عليك في المقام الأوّل، وأنت تعرف ذلك».

تحدّث ليتو بلطف: «تلك مشاعرك يا مُونِيو، وأنا أقدّرها».

أخذ مُونِيو نفسًا عميقًا مرتجفًا. لم يسبق له أن شاهد الإمبراطور الإله في هذه الحالة المزاجيّة، مظهرًا هذه المشاعر. بدا ليتو كأنه في

حالة من الفرح والاستسلام معًا، إن كان مُونِيو قد فهم الأمر فهمًا صحيحًا. لكن لم يكن من الممكن الجزم بذلك.

قال ليتو: «ذلك الشّيء الذي يجعل الحياة حُلوة في أعين الأحياء، ما يجعلها دافئة ومليئة بالجمال، هو ما أودُّ أن أحفظه للبشر، حتّى لو حُرِمت أنا منه».

- «إذًا هِوي نوري تلك...».

- «إنها تجعلني أتذكّر الجهاد البطلري بطريقة شجيّة. إنها النّقيض لكل ما هو ميكانيكي وغير إنساني. كم هو غريب يا مُونِيو أن يكون الإيكسيُون -من بين جميع البشر- هم الذين أنتجوا هذه الإنسانة التي تتجسّد فيها كل الصّفات التي أعتز بها، وعلى أكمل وجه».

- «لم أفهم إشارتك إلى الجهاد البطلري يا مولاي. لا مكان للآلات المُفكّرة في...».

قال ليتو: «لم يكن هدف الجهاد محاربة الآلات فحسب، بل محاربة العقليّة الآليّة التي تبنّاها البشر. لقد برمج البشر الآلات لاغتصاب إحساسنا بالجمال، للاستيلاء على جوهرنا الإنساني الذي نستمد منه قراراتنا وأحكامنا المصيريّة. لذا كان من الطبيعي أن تُدمّر الآلات».

- «مولاي، ما زلتُ مستاءً من حقيقة ترحيبك بهذه...».

- «مُونِيو! مُجرّد وجود هِوي إلى جانبي يُطمئنني. لأوّل مرة منذ قرون، لا أشعر بالوحدة إلا حين تغيب عنّي. لو لم يكن لدي دليلٌ آخر على شعوري، لكان هذا كافيًا».

خرّ مُونِيو صامتًا، وقد بدا عليه التأثّر ببلاغة كلمات ليتو عن

الوِحدة. لا شك في أن مُونِيو يفهم معنى غياب العلاقة الحميميّة في هذا الحُب، إذ كشف تعبير وجهه عن ذلك.

لأوّل مرّة منذ وقتٍ طويل، لاحظ ليتو كم شاخ مُونِيو.

وفكّر: *الأمر يصيبهم بغتةً.*

هذه الملاحظة جعلت ليتو يدرك مدى حرصه على مُونِيو.

ينبغي ألّا أسمح لنفسي بأن أتعلّق بأحد، لكنني لا أستطيع منع ذلك... خصوصًا الآن، بعد أن صارت هِوي هنا.

قال مُونِيو: «سيضحكون عليك، وسيطلقون نكاتًا بذيئة».

- «خير».

- «ما الخير في ذلك؟».

- «إنه شيءٌ جديد، ولطالما كانت مهمتنا الوصول بالجديد إلى حالة التّوازن، وبالتالي تعديل السّلوك دون قمع قدرات البقاء».

- «ولو، كيف تُرحّب بذلك؟».

قال: «تقصد بإطلاق البذاءات؟ ما عكس البذاءة؟».

اتّسعت عينا مُونِيو بفهمٍ مفاجئ، كأن شيئًا جديدًا بدأ يتّضح له. لقد شهد كثيرًا من التناقضات، والأشياء تُعرف بتضادها.

فكّر ليتو: *التضادُ يُبرز المعنى، ومن المؤكّد أن مُونِيو سيفهم ذلك.*

قال مُونِيو: «هذا أمرٌ شديد الخطورة».

*حكمه يعكس أقصى درجات التحفُّظ!*

لم يقتنع مُونِيو، وتنهّد بعمق كأن ثِقلًا يجثم على صدره.

فكّر ليتو: *يجب أن أتذكّر دومًا ألّا أزيل شكوكهم، فهكذا أخفقت مع مُحاورات الأسماك في السّاحة. يتعلّق الإيكسيُون بأطراف الشّكّ البشري المهترئة باستماتة. هِوي هي الدّليل على ذلك.*

ترامت جلبة من غُرفة الانتظار الأماميّة، فأغلق ليتو البوّابة لمنع أيّ تطفُّلٍ طائش.

ثم قال: «لقد جاء دانكن».

- «من المحتمل أنه سمع بأمر زفافك...».

- «من المحتمل».

راقب ليتو مُونِيو وهو يصارع شكوكه، وبدت له أفكاره مكشوفة تمامًا. في تلك اللحظة، بدا مُونِيو في حالة بشريّة تامّة حتّى إنّ ليتو ودّ لو عانقه.

إنه يتمتّع بطيف المشاعر كاملًا: من الشّكّ إلى الثّقة، ومن الحب إلى الكراهية... كل شيء! كل تلك الصّفات العزيزة التي تُثمِر في دفء العواطف، وفي الاستعداد لبذل النّفس في سبيل الحياة.

سأل مُونِيو: «لماذا قَبِلت هِوي ذلك؟»

ابتسم ليتو مفكّرًا: *لا يمكن لمُونِيو أن يشُكّ في ذاتي، لذا يشُكّ في الآخرين.*

- «أعترِف أنه ليس ارتباطًا تقليديًا. فهي من الرّئيسيّات، وأنا لم أعد من تلك السّلالة بالكامل».

مرّةً أخرى، راح مُونِيو يصارع أشياءَ لا مفر من أن يشعر بها، ولا يستطيع التعبير عنها.

شعر ليتو بحالة من تدفُّق «الوعي الرّاصد» وهو يراقب مُونِيو، وهي عملية فكرية نادرًا ما تحدث، لكنها تتضخّم بجلاءٍ هائل حين تحدث، إلى درجة أن ليتو لم يُحرّك ساكنًا خوفًا من أن يتسبّب في إحداث تموُّجٍ في سريان هذا التّدفُّق.

*هذا الكائن من الرّئيسيّات يُفكّر، وبالتفكير يبقى على قيد الحياة. تحت هذا التّفكير يكمن شيءٌ جاء مع خلاياه. إنها نزعة البشر إلى الحرص على نوعهم. أحيانًا، يغطون هذه النّزعة، ويطوّقونها بالموانع، ويخفونها خلف حواجز سميكة، لكنني تعمّدت أن أجعل مُونِيو حسّاسًا لهذه النّزعة التي تعتمل في أعماقه. وهو يتبعني لأنه يعتقد أنني أمسك بالمسار الأفضل لبقاء البشريّة. إنه يعلم بوجود وعي خلوي في داخلي، وهو ما أكتشفه حين أمشّط الصّراط الذّهبي. إنه المسار الإنساني الوحيد، وكلانا يتّفق على وجوب استمراره!*

سأله مُونِيو: «أين سيُقام حفل الزّفاف، ومتى، وكيف؟».

لاحظ ليتو أنه لم يسأل *لماذا*. لم يعد مُونِيو يسعى لفهم السّبب. لقد عاد إلى نطاقه الآمن. إنه الآن القهرمان، ومدير شؤون أُسرة الإمبراطور الإله، ووزيره الأوّل.

يمتلك مُونِيو الأسماء والأفعال والصّفات التي يستطيع استخدامها في الكلام. هذه الكلمات ستخدمه بالطريقة المعتادة. قد لا يدرك

مُونِيو الأبعاد الأعمق لكلماته، لكنه يفهم تمامًا استخداماتها في الأمور اليومية المعتادة.

ألحّ مُونِيو في طلبه: «لم تُجِب عن سؤالي؟».

رمش ليتو ناظرًا إليه وهو يُفكّر: *أما أنا، فأرى أن الكلمات تكون أفيد إذا أعطتني لمحة عن مناطقَ جديدةٍ وجذابةٍ لم تُكتشف بعد. لكن استخدام الكلمات نادرًا ما يُفهم من حضارة ما زالت تؤمن إيمانًا مطلقًا بأننا نعيش في كونٍ ميكانيكيٍّ قائم على السّبب والنتيجة، كون يمكن اختزاله، كما هو واضح، في سببٍ أصلي واحد ونتيجة أولية واحدة.*

قال ليتو: «لكم تلتصق السفسطة الإيكسيّة التِليلاكسويّة بشؤون البشر، كما يلتصق المحار بالصخر!».

- «مولاي، أنزعج بشدة حين لا تولي انتباهك».

- «لكنني أولي انتباهي يا مُونِيو».

- «ليس لي».

- «بلى، حتّى لك».

- «اهتمامك ينصرف يا مولاي. ليس عليك أن تخفي ذلك عني، فإني سأخون نفسي قبل أن أخونك».

- «أتظن أنني أجمع الصُوف؟».

- «ماذا تعني بجمع الصُوف يا مولاي؟». لم يشكّك مُونِيو في ذلك التّعبير سابقًا، لكن الآن...

شرح ليتو التّعبير، مُفكّرًا: *كم هو عتيق!* واسترجع في ذهنه أصوات الأنوال والمغازل. *من الفرو الحيواني إلى الثياب البشريّة... من حياة الصّيادين إلى حياة الرُّعاة... كلُّ القفزات الطّويلة على سُلّم الوعي البشري... والآن، على البشريّة أن تقفز قفزةً أخرى أبعد من كل القفزات الماضية.*

اتّهمه مُونِيو قائلًا: «أنت تستسلم لأفكارٍ فارغة».

- «لأنني أملك الوقت للأفكار الفارغة. هذا أحد أكثر الأشياء المثيرة للاهتمام حول طبيعة وجود الحشد الواحد».

- «لكن يا مولاي، ثمّة أمور تتطلّب منا...».

- «ستدهش ممّا قد ينتج عن التفكير في الأمور التافهة يا مُونِيو. لم أكترث قط بإضاعة يوم كامل في التّفكير في أمورٍ قد لا يهتم الإنسان العادي بالتفكير فيها ولو لدقيقة. ولم لا أفعل؟ فمع متوسّط عمري الذي يمتد لأربعة آلاف عام تقريبًا، ما الذي يعنيه يومٌ إضافي أو ناقص؟ كم تساوي حياة إنسانٍ واحدة بحساب الدّقائق؟ مليون دقيقة؟ لقد عشت هذا العدد، ولكن بحساب الأيام».

وقف مُونِيو مُتجمّدًا في صمته، وقد قزّمته هذه المقارنة. شعر بأن حياته محض قذية في عين ليتو. ولم يَفُته مصدر التّلميح.

فكّر مُونِيو: *كلام... كلام... كلام.*

قال ليتو: «كثيرًا ما تكون الكلمات عديمة الفائدة في الأمور المتعلّقة بالكائنات العاقلة».

حبس مُونِيو أنفاسه إلى أقصى درجة. *الرّبُّ قادر على قراءة*

*الأفكار.*

قال ليتو: «على مدار تاريخنا البشري، كان أكثر استخدام فعّال للكلمات هو للتعبير عن الأحداث الكبرى عند حدوثها، وتوثيقها في السّجلات التّاريخيّة المُعترف بها، وشرحها بطريقة تسمح لنا باستخدام تلك الكلمات لاحقًا لنقول: ‹هذا ما كانت تعنيه›».

شعر مُونِيو بالإنهاك من كلام ليتو، مرعوبًا من الأشياء المسكوت عنها التي قد تدفعه كلماته للتفكير فيها.

قال ليتو: «هكذا تُفقد الأحداث من صفحات التّاريخ».

بعد صمت طويل، تجرّأ مُونِيو قائلًا: «لم تُجب عن سؤالي بخصوص الزّفاف يا مولاي».

فكّر ليتو: *كم يبدو متعبًا، كم يبدو الانهزام في صوته.*

تحدّث ليتو بسرعة: «لم أكن في حاجة إلى خدماتك الطيبة أكثر من هذه اللّحظة يا مُونِيو. يجب أن يُنظّم حفل الزّفاف بأقصى قدرٍ من العناية والدقة التي لا يقدر عليها غيرك».

- «أين سيُقام يا مولاي؟».

*ها قد تسلّل إلى صوته بعض الحيويّة.*

- «في قرية تابر، في صحراء السّرير».

- «متى؟».

- «سأترك تحديد تاريخ اليوم لك. أعلنه حين تنتهي من كل التّرتيبات».

- «وماذا عن مراسم الحفل نفسه؟»

- «سأؤدّيها بنفسي».

- «هل ستحتاج إلى مساعدين يا مولاي؟ وإلى أغراض من أيّ نوع؟».

- «تقصد زخارف الطُقوس؟».

- «أيّ شيءٍ قد لا أكون...».

- «لن نحتاج إلى الكثير من أجل تمثيليّتنا الصّغيرة».

- «مولاي! أتوسّلُ إليك! أرجوك...».

قال ليتو: «سوف تقف إلى جانب العروس، وتُسلّمها إلى زوجها. سنمارس الطّقس الفرمني القديم».

قال مُونِيو: «سنحتاج إلى حلقات الماء إذًا».

- «أجل! سأستخدم حلقات الماء الخاصّة بغنيمة».

سأل مُونِيو: «من سيكون في قائمة المدعوّين يا مولاي؟».

أجاب ليتو: «مُحاورات الأسماك، والطّبقة الأرستقراطيّة».

حدّق مُونِيو إلى وجه ليتو، ثم سأل: «ماذا... ماذا يقصد مولاي بالطّبقة الأرستقراطيّة؟».

- «أنت، وأسرتك، وحاشية المنزل، وموظّفو البلاط».

- «أسرتـ...»، قالها مُونِيو وابتلع ريقه، ثم: «هل ستدعو سيونا؟».

- «إن نجت من الاختبار».

- «ولكن...».

- «أوليست من العائلة؟».

- «بالطّبع يا مولاي، إنها آتريديزيّة و...».

- «إذًا اشملها ضمن المدعوّين بكل تأكيد».

أخرج مُونِيو من جيبه جهازَ تسجيلٍ صغيرًا؛ جسمٌ أسود باهت من صنع الإيكسيّين، يكاد وجوده يخرق محظورات الجهاد البطلري. حطّت ابتسامةٌ خفيفة على شفتي ليتو. يعرف مُونِيو واجباته جيّدًا، وقد حان الآن وقت تنفيذها.

تعالى ضجيج دانكن آيداهو من خارج الغُرفة، لكن مُونِيو تجاهل الصوت.

فكّر ليتو: *يدرك مُونِيو الثّمن المدفوع مقابل امتيازاته. هذا شكل آخر من أشكال الزّواج.. زواج الامتياز بالواجب. إنه التّفسير الذي يسوقه الأرستقراطي، وعُذره كذلك.*

أنهى مُونِيو تدوين ملاحظاته.

قال مُونِيو: «بعض التّفاصيل الأخيرة يا مولاي. هل سيكون لِهوي زيٌّ خاصٌ؟».

- «بذلة تقطير، ورداء عرائس الفرمِن. كلاهما أصلي».

- «ماذا عن الجواهر الأخرى والحُلِيّ؟».

تركّزت عينا ليتو على أصابع مُونِيو وهي تعبث بالمُسجِّل الصّغير، ورأى فيها وهنًا.

*القيادة، والشّجاعة، والإلمام بالمعرفة والنظام.. كلها صفات يملكها مُونِيو بوفرة، وتحيط به كهالة مقدّسة تخفي عن أعين الجميع -باستثناء عينيّ- الوهن الذي يدبُّ في عظامه وينخرها من الدّاخل. هذا أمر لا مفر منه. ولو رحلت، فسيراه الجميع بوضوح.*

ألحّ مُونِيو للحصول على إجابة: «مولاي؟ هل تجمع الصُّوف؟».

*آها! إنه يُحبُّ هذا التّعبير!*

قال ليتو: «هذا كل شيء. الرّداء وبذلة التّقطير وحلقات الماء».

انحنى مُونِيو احترامًا واستدار مبتعدًا.

فكّر ليتو: *إنه ينظر إلى الغد الآن. لكن حتّى هذا الأمر الجديد سيزول، وسيعود ليُركّز على الماضي مجدّدًا. وأنا الذي كنت أُعلّق عليه آمالًا كبيرة ذات يوم. حسنًا... رُبّما الخير في سيونا...*

قال أبي: «لا تصنعوا الأبطال».

- صوت غنيمة

من التّاريخ الشّفهي.

ما إن رأى ليتو طريقة مشي آيداهو وهو يعبر الحُجرة الصّغيرة، بعد أن لُبِّيَت جعجعته طلبًا بالمثول أمامه، أدرك أن تحولًا مهمًا قد طرأ على الغول. هذا المشهد قد تكرّر كثيرًا جدًا حتّى صار مألوفًا تمامًا له. لم يكلّف دانكن نفسه ولو عناء تبادل التّحية مع مُونِيو وهو يغادر. كل شيء يجري بالنّمط المعتاد. كم صار هذا التّكرار مملًا!

كان ليتو يطلق على هذا التّحول الذي يطرأ على الدّناكنة اسم: «متلازمة مُنذ».

كثيرًا ما كانت تراود الغيلان الشّكوك حول «الأسرار» التي قد تكون نشأت وتطوّرت عبر قرون طواها النّسيان «منذ» آخر مرة كانوا فيها أحياء. ماذا كان الناس يصنعون طوال ذلك الزمن؟ ولماذا يحتاجون إليّ، أنا الذي لا أزيد على كوني أثرًا من ماضيهم؟ لا يمكن لأي نفسٍ أن تكبِت مثل هذه الشّكوك إلى الأبد، خاصةً إذا كان صاحبها رجلًا ميّالًا إلى الشّك بطبعه.

أحد الغيلان اتّهم ليتو قائلًا: «لقد زرعت أشياء في جسدي، أشياء لا أعلم عنها شيئًا! هذه الأشياء تخبرك بكل أفعالي! أنت تتجسّس عليّ أينما ذهبت!».

واتّهمه آخر بامتلاك «آلةِ تلاعُبٍ نفسيٍ تجعلنا نرغب في فعل كل ما تريد».

ما إن تبدأ «متلازمة مُنذ»، لا يمكن القضاء عليها تمامًا. يمكن كبحها، وأحيانًا تحويل مسارها، لكن البذرة الكامنة قد تنبت من جديد مع أقل استفزاز.

توقّف آيداهو في الموضع الذي وقف مُونِيو فيه منذ قليل، وفي عينيه، وانشداد كتفيه، نزعةٌ خفيّةٌ تنطوي على شكوكٍ غير محددة. ترك ليتو الموقف يغلي على نار هادئة حتّى ينضج. تبادل آيداهو النّظر معه، ثم أشاح بعينيه وجال بهما في أرجاء الغُرفة. كان ليتو يعرف ما يعتمل خلف تلك النظرة بالضّبط.

الذّناكنة لا ينسون أبدًا!

راح آيداهو يتفحّص الحُجرة، مستخدمًا الأساليب البصريّة التي تعلّمها منذ قرون مضت على يد الليدي چيسيكا والمِنتات ظفير حوّاط، وبدأ ينتابه إحساس غائم بالتشتّت. كأن الغُرفة، بكُلّ ما فيها، ترفض وجوده: الوسائد النّاعمة، تلك الكتل الضّخمة المنتفخة بألوان الذّهب والأخضر، وأحمر يكاد يكون بنفسجيًا. والسّجّاد الفرمِني المتراكم فوق بعضه في أكوامٍ سميكة حول تجويف ليتو، كُلُّ قطعةٍ منه أثريّة. وضوء النّهار الزّائف المنبعث من كرات الإنارة الإيكسيّة؛ الضوء الذي يشمل وجه الإمبراطور بدفءٍ جاف؛ ما يجعل الظّلال من حوله أعمق وأكثر غموضًا، ورائحة شاي الاسپايس التي تفوح من مكانٍ قريب، ورائحة المِزَاج الغنيّة المنبعثة من جسد الدُّودة.

شعر آيداهو بأن أشياء كثيرة قد حدثت له في وقتٍ قصير منذ أن تركه وفد تِليلاكس تحت رحمة لولي و«الصّديقة» في تلك الزّنزانة عديمة الملامح.

أشياء كثيرة... كثيرة جدًا...

تساءل آيداهو: *هل أنا هنا حقًا؟ أهذا أنا؟ وما تلك الأفكار التي تراودني؟*

نظر إلى جسد ليتو السّاكن، تلك الكتلة الضخمة القابعة في الظّلال والمُمدّدة بصمتٍ تام على عربتها داخل التّجويف. كان سكون تلك الكتلة الجسديّة، في حدّ ذاته، يوحي بطاقات غامضة كامنة فيها؛ طاقات رهيبة قد تتفجّر بطرائق لا يمكن لأحدٍ توقُّعها.

لقد سمع آيداهو حكايات المعركة التي دارت أمام السّفارة الإيكسيّة، لكن روايات مُحاورات الأسماك تفوح منها رائحة *الإعجاز الإلهي* الذي يطمس الحقائق المادّيّة.

«لقد هبط عليهم من علٍ، وأوقع بين صفوف المذنبين مذبحةً رهيبةً».

وعندها سأل آيداهو: «كيف فعل ذلك؟».

قالت له من أخبرته: «كان إلهًا غاضبًا».

فكّر آيداهو: *أكان غاضبًا من تعرُّض حياة هِوي للخطر؟* لقد سمع أخبارًا لا تُصدّق. هِوي ستتزوّج بهذا الكيان المقزّز... مستحيل! ليس هِوي الجميلة، ليس هِوي الوادعة اللّطيفة. إنه يلعب بنا لُعبةً رهيبةً. إنه يختبرنا... دومًا يختبرنا. لا تُوجد حقيقة راسخة في هذه الأوقات، ولا سلام إلّا في وجود هِوي. كل شيء آخر محض جنون.

حين أعاد آيداهو انتباهه إلى وجه ليتو، ذلك الوجه الآتريديزي الذي ينتظر في صمت، ازداد شعور التّشتّت في ذهنه، وبدأ يتساءل

إن كان يستطيع، بمجهودٍ عقليٍّ بسيطٍ إضافيٍّ، عبر مسارٍ جديدٍ غير مألوف، اختراق الحواجز الشّبحيّة وتذكُّر جميع تجارب غيلان آيداهو الأخرى.

فيمَ كانوا يفكّرون حين دخلوا هذه الغُرفة؟ هل شعروا بذلك التّشتُّت والرّفض؟

*فقط بعض المجهود الإضافي.*

شعر بالدوار، وتساءل إن كان على وشك أن يفقد وعيه.

قال ليتو بنبرة عاقلة مُهدّئة: «أبِك خطبٌ يا دانكن؟».

قال آيداهو: «كل هذا ليس حقيقيًا. أنا لا أنتمي إلى هنا».

تعقّد ليتو أن يسيء الفهم: «لكن حارستي أخبرتني بأنك أتيت إلى هنا بمحض إرادتك، بأنك حلّقت آتيًا من القلعة وطلبت لقاءً فوريًّا».

- «أعني بهُنا.. الآن! هذا الزّمن!».

- «لكنني أحتاج إليك».

- «لِمَ؟».

- «انظر حولك يا دانكن. الطرائق التي يمكنك مساعدتي بها عديدة جدًّا، حتّى إنّك لن تتمكّن من تنفيذها جميعها».

- «لكن نساءك لا يسمحن لي بالقتال! كل مرّة أريد فيها الذّهاب إلى...».

- «أينتابك شَكٌّ في أن قيمتك وأنت حي أكبر من قيمتك وأنت

ميت؟»، قالها ليتو وأصدر صوتًا يشبه النّقيق، ثم أردف: «استخدم ذكاءك يا دانكن! فهذا ما أُقدّره أكثر من غيره».

- «ماذا عن نُطَفي؟ أظن أنك تُقدّرها أيضًا».

- «نُطفُك ملكك لتضعها حيثما تشاء».

- «لن أترك خلفي أرملةً ويتامى مثل...».

- «دانكن! لقد أخبرتك أن الخيار متروك لك!».

ابتلع دانكن ريقه ثم قال: «لقد ارتكبت جريمة في حقّنا يا ليتو، في حقّنا جميعًا، نحن الغيلان الذين أحييتهم دون أن تسألنا إذا كانت تلك رغبتنا أم لا».

كان هذا تحوُّلًا جديدًا في تفكير الدّناكنة. حدّق ليتو إلى آيداهو باهتمام جديد.

- «أيُّ جريمة؟».

قال آيداهو مُتّهمًا: «أوه، لقد سمعتك تتفوّه بأفكارك العميقة»، ثم أشار بإصبعه إلى المدخل خلفه، وأردف: «أتعلم أنه من الممكن سماعك من غُرفة الانتظار؟».

قال ليتو: «نعم، حين أرغب في أن أسمع». *لكن مذكّراتي وحدها هي التي تسمع كل شيء!* ثم أردف: «ما زلت أودُّ معرفة طبيعة جُرمي».

- «للمرء عصره يا ليتو، عصره الذي يشعر فيه بأنه حيٌّ حقًّا. هذا العصر يكون له سحره الخاص، وتعلم وأنت تعيش حوادثه أن مثله

لن يأتي أبدًا».

طرف ليتو عينيه، وقد تأثّر من الضّيق الذي يُثقِل صدر دانكن. كانت كلماته مثيرةً للمشاعر.

رفع آيداهو كلتا يديه إلى مستوى صدره، وفتح كفّيه، كمتسول يطلب شيئًا يعلم أنه لا يستطيع الحصول عليه.

- «ثم... تستيقظ ذات يوم وتتذكّر موتك... وتتذكّر حوض الاستنساخ... والتِليلاكسو الأقذار الذين أيقظوك... ويُفترض أن يبدأ كل شيءٍ من جديد، كما كان. لكن هذا لا يحدث، لا يحدث أبدًا يا ليتو. هذه جريمة!».

- «تقول إنني سلبتك ذلك السّحر؟».

- «أجل!».

أعاد آيداهو يديه إلى جانبيه وضمّ قبضتيه. شعر بأنه يقف وحيدًا في طريق مدٍّ عاتٍ قد يغمره إذا أبدى أدنى استرخاء.

فكّر ليتو: *ماذا عن عصري أنا؟ هذا أيضًا لن يعود ثانيةً أبدًا. لكن الغول لن يفهم الفارق.*

سأله ليتو: «ما الذي حملك على الإسراع بالمجيء من القلعة؟».

أخذ آيداهو نفسًا عميقًا ثم قال: «أحقًّا ستتزوّج؟».

- «هذا صحيح».

- «بِهوي نوري. السّفيرة الإيكسيّة؟».

- «صحيح».

ألقى آيداهو نظرةً سريعةً على جسد ليتو الطّويل الهامد.

فكّر ليتو: *دائمًا ما يبحثون عن الأعضاء التناسليّة... رُبّما يتحتّم عليّ أن آمُر بصنع انتفاخٍ شنيع المنظر ليصدمهم!* ثم كتم ليتو ضحكةً صغيرةً أوشكت أن تفلت من حنجرته. *ها هو ذا شعورٌ آخر قد ضُخّم. شكرًا لكِ يا هِوي. شكرًا لكم يا معشر الإيكسيّين.*

هزّ آيداهو رأسها: «لكنك...».

قال ليتو: «للزواج جوانب أخرى مهمّة بخلاف الجنس. هل سيكون لنا ذُرّية من صلبنا؟ قطعًا لا. لكن آثار هذا الزّواج ستكون عميقة».

قال آيداهو: «سمعتك وأنت تتكلّم إلى مُونِيو، وظننت أنها مُزحةٌ ما، نوعًا من...».

- «دانكن، احذر!».

- «هل تُحبّها؟».

- «حُبًّا لم يعرفه رجلٌ لامرأة قط».

- «حسنًا، ماذا عنها؟ هل...».

- «إنها تشعر نحوي... بتعاطُف شديد، وحاجة إلى مشاركتي، ومنحي كل ما تستطيع منحه. هذه طبيعتها».

قمع آيداهو شعوره بالاشمئزاز.

- «مُونِيو مُحق. سيصدّق النّاس قصص التِليلاكسو».

- «هذا أحد الأثار العميقة التي ذكرت».

- «وفي الوقت ذاته، لا تزال تريدني أن... أنكح سيونا!».

- «أنت تعلم رغبتي، لكنني سأترك الخيار لك».

- «من تلك المرأة المدعوّة نائلة؟».

- «أقابلت نائلة؟ جميل».

- «هي وسيونا تتصرّفان كالأختين. تلك المرأة الضّخمة! ماذا وراءها يا ليتو؟».

- «ما الذي تريد أن تسمع أنه وراءها؟ ولماذا يشغلك ذلك؟»

- «لم أقابل مثل هذه البهيمة البشرية من قبل! إنها تذكّرني برابان الوحش. لن تعرف أبدًا أنها أنثى إن لم...».

قال ليتو: «لقد قابلتها من قبل، في الواقع. لكنك عرّفتها باسم *الصّديقة*».

حدّق آيداهو إليه في صمتٍ مفاجئ، كصمت قارضِ شعر باقترابِ صقر.

قال آيداهو: «أنت تثق بها إذًا».

- «أثق بها؟ ما الثّقة؟».

فكّر ليتو: *ها هي ذي اللحظة تقترب*، إذ رآها تتشكّل في أفكار آيداهو.

قال آيداهو: «الثّقة هي ما يترتّب على التعهّد بالولاء».

سأله ليتو: «كتلك الثّقة المتبادلة بيني وبينك؟».

حطّت ابتسامة مريرة على شفتي آيداهو: «إذًا هذا ما تفعله مع هِوي نوري؟ الزّواج، التعهُّد...».

- «أنا وهِوي بيننا ثِقة متبادلة بالفعل».

- «هل تثق بي يا ليتو؟».

- «إن لم أستطع الثّقة بدانكن آيداهو، فلن أستطع الثّقة بأيّ شخص».

- «وإن لم أتمكّن من الوثوق بك؟».

- «حينها، سأشفق عليك».

تلقّى آيداهو الرّد في صورة صدمة جسديّة تقريبًا. فُتِحت عيناه على اتّساعهما بمطالب غير منطوقة. كان يريد أن يثق به. كان يريد استعادة ذلك السّحر الذي لن يعود أبدًا.

لاحظ آيداهو أن أفكاره بدأت تنحرف في اتجاه غريب.

فسأل: «أيتسنّى لمن في الغُرفة الأماميّة سماعنا؟».

- «لا». *لكن مذكّراتي تسمع!*

- «لقد جاءك مُونِيو وهو يغلي غضبًا، كان من السّهل على أيّ شخص ملاحظة ذلك، لكنه رحل كحملٍ مُطيع».

- «مُونِيو أرستقراطي، لذا هو متزوّج بواجبه، وبمسؤولياته. وحين يُذكّر بهذه الأمور، يتلاشى غضبه».

قال آيداهو: «هكذا إذًا تتحكّم فيه».

قال ليتو: «هو من يتحكّم في نفسه»، متذكّرًا كيف رفع مُونِيو ناظريه عن تدوين ملاحظاته، ليس لطمأنة نفسه، بل لتذكيرها بواجبه.

قال آيداهو: «كلا، إنه لا يتحكّم في نفسه. أنت من يتحكّم فيه».

- «لقد قَصَر مُونِيو نفسه على ماضيه، لست أنا من فعل ذلك».

- «لكنه أرستقراطي... آتريديزي».

استحضر ليتو ملامح مُونِيو التي بدأت تشيخ، مُفكّرًا في حتمية رفض الأرستقراطي واجبه الأخير، وهو حتميّة التنحّي والاختفاء في غياهب التاريخ. ستتعيّن إزاحته جانبًا، وهذا ما سيحدث حتمًا، فلم يسبق لأرستقراطي أن تغلّب على متطلبات التغيير.

لم يكن آيداهو قد انتهى بعد: «هل أنت أرستقراطي يا ليتو؟».

ابتسم ليتو قائلًا: «الأرستقراطي الأعظم يموت في داخلي»، ثم فكّر: *يتحوّل الامتياز إلى غرور. ويوطّد الغرورُ الظُّلمَ. حينئذٍ تُزهِر بذور الخراب.*

قال آيداهو: «رُبّما لن أحضر زفافك. لم أعُدّ نفسي أرستقراطيًا يومًا».

- «لكنك كنت كذلك. كنت أرستقراطيًا في فن النّزال».

- «پول كان أفضل مني».

تكلّم ليتو بصوت المؤدّب: «لأنك من علّمني!»، ثم أردف بصوته

العادي: «الواجب الخفي للأرستقراطي هو أن يُعلّم، وأحيانًا عن طريق أن يكون قدوةً شنيعةً».

ثم فكّر: *ينتهي التّفاخر بالنسب إلى فقرٍ وضعف بسبب تفشّي نزاوج الأقارب، ما يمهّد الطّريق أمام التّفاخر بالثّروة والإنجاز. هكذا يصعد محدثو النّعمة إلى السّلطة على أنقاض النّظام القديم، كما فعل الهراكنة.*

تلك الدّورة تواصل التّكرار بعناد حتّى إنّ ليتو شعر أن على كل شخص أن يدرك أنه جزءٌ من أنماط بقاءٍ قديمة نُسيت منذ زمن بعيد وتجاوزها النّوع البشري، لكنه لم يفقدها قط.

*ما زلنا نحمل في نفوسنا هذا الرّكام الذي يتعيّن عليّ اقتلاعه من جذوره.*

سأله آيداهو: «ألا يُوجد مفر؟ ألا تُوجد أرضٌ نائيةٌ يمكنني الذّهاب إليها وألّا أعود جزءًا من كل هذا أبدًا؟».

قال ليتو: «إن كان لمثل هذا المفر أن يُوجد، فعليك أن تساعدني في خلقه، فلم يعد في الكون مكان تستطيع الذّهاب إليه دون أن يتمكّن بشرٌ آخرون من تتبّعك والعثور عليك».

- «إذًا لن تسمح لي بالمغادرة».

- «اذهب إن شئت، لقد حاول دناكنة آخرون من قبل، لكني أؤكّد لك: لا مفر، ولا ملاذٌ آمن للاختباء؛ فالجنس البشري الآن -كما كانت الحال منذ زمن طويل جدًا- أشبه بكائن أحادي الخلية، يلتصق بعضه ببعضٍ بغراءٍ خطِر».

- «لا كواكب جديدة؟ لا عوالم غريبة...».

- «نحن ننمو ونتوسّع، لكننا لا ننفصل».

قال آيداهو باتّهام: «أنت من يبقينا في هذا الرّباط!».

- «لا أعلم إن كنت تستطيع فهم هذا يا دانكن، لكن إن كان في الأُفُق مفر، أيًا كان هذا المفر، فما خلفك لا يجوز أن يكون أهمّ ممّا أمامك».

- «أنت الماضي!».

- «كلّا، مُونِيو هو الماضي. هو من يُسارع إلى إقامة الحواجز الأرستقراطيّة التقليديّة في وجه كل أُفُقٍ جديد. عليك أن تفهم قوّة هذه الحواجز يا دانكن، فهي لا تطوّق الكواكب والأراضي التي تشملها فحسب، بل الأفكار كذلك. إنها تقمع التّغيير».

- «أنت من يقمع التّغيير!».

فكّر ليتو: *لن يحيد عن رأيه. سأحاول مرّةً أخيرة.*

- «أوضح علامة على وجود الأرستقراطيّة هي اكتشاف الحواجز التي تعيق التّغيير، سواءٌ أكانت ستائر من حديد، أم من فولاذ، أم من حجر، أم من أيّ مادةٍ أخرى تستبعد كل ما هو جديد ومختلف».

قال آيداهو: «أنا متأكّد من وجود أُفُقٍ جديد في مكانٍ ما، وأنت من يخفيه».

قال ليتو «أنا لا أُخفي أيّ آفاقٍ، بل أنا في حاجةٍ إلى الآفاق! في حاجة إلى المفاجآت!».

ثم فكّر: *يصلون إلى عتبة التّغيير، ثم يرفضون العبور.*

وكما تنبّأ ليتو، حادت أفكار آيداهو إلى موضوعٍ جديد: «أصحيح أنك أمرت راقصي الوجوه بتأدية عرض في حفل إعلان خِطبتك؟».

ماج صدر ليتو بالغضب، ثم سرعان ما تبع ذلك متعة منحرفة، إذ استطاع اختبار هذا الشُعور بمثل هذه القوّة. أراد أن يصرخ في وجه دانكن... لكن ذلك لن يحل شيئًا.

قال: «أجل، أدّى راقصو الوجوه عرضًا».

- «لماذا؟».

- «أردت أن يشاركني الجميع سعادتي».

رمقه دانكن كمن رأى حشرةً مُنفّرةً في شرابه، ثم قال بصوتٍ أجوف: «هذا أكثر ردٍّ ساخر سمعته من آتريديزي في حياتي».

- «لكنه صدر عن آتريديزي».

- «أنت تحاول تثبيطي عمدًا! وتتجنّب سؤالي!».

فكّر ليتو: *إلى المعترك مرّةً أخرى،* ثم قال: «حين يجتمع راقصو الوجوه من بني تليلاكس، يكونون كائنات مُستعمِرة. أمّا فرادى، فهم بغال عقيمة. هذا ما اختاروه لأنفسهم وبأنفسهم».

ثم انتظر ليتو مُفكّرًا: *يتحتّم عليّ التحلّي بالصّبر، فعلى الدّناكنة أن يدركوا الأمر بأنفسهم دون تصريح منّي، وإلّا لن يصدّقوه. فكّر يا دانكن، فكّرا*

بعد صمتٍ طويل، قال آيداهو: «لقد تعهّدت لك بالولاء. هذا أمرٌ

مهم في نظري، وما زال كذلك. لا أفهم ماذا تفعل، ولا المغزى منه. كل ما يمكنني قوله هو أنني لا أحب ما يحدث. ها قد قُلتُها!».

- «أهذا ما أتى بك من القلعة؟».

- «أجل».

- «هل ستعود إلى القلعة الآن؟».

- «وهل لي مكانٌ آخر أذهب إليه؟».

- «أحسنت يا دانكن! غضبك يدرك ما يعجز عقلك عن إدراكه. ستذهب هِوي إلى القلعة الليلة، وسألحق بها إلى هناك غدًا».

قال آيداهو: «أريد أن أتعرّف إليها أكثر».

- «بل ستتجنّبها تمامًا. هذا أمر. هِوي ليست لك».

قال آيداهو: «لطالما عرفتُ بوجود السّاحرات. جدتك كانت واحدة منهن».

ثم استدار على عقبيه، دون أن يطلب الإذن، وعاد مُسرعًا الخُطى من حيث أتى.

فكّر ليتو وهو يراقب صلابة ظهر آيداهو: *كم يشبه الصّبي الصّغير في طباعه! إنه أطعن الرّجال سِنًّا في كوننا وأصغرهم في الوقت نفسه، الاثنان في جسدٍ واحد.*

الأنبياء لا ينخدعون بأوهام الماضي أو الحاضر أو المستقبل، فجمود اللُّغة هو ما يرسم هذه الفروق الزّمنية. ولأن الأنبياء يحملون مفاتيح فك شيفرات اللُّغة، يدركون أن التّصوُّر الماديّ للكون ليس إلّا صورةً زائفةً. هذا الكون ليس آلةً تخضع لحتميّة خَطيّة، والتّسلسل الظّاهري لمجرياته ليس سوى انعكاسٍ لنظرة المراقب. تسأل عن مبدأ السّبب والنّتيجة؟ الأمر في جوهره أعقد من ذلك بكثير. حين ينطق النّبي بكلماته القدريّة، يتراءى لك ما تظن أنه «أمرٌ حتميُّ الحدوث»، لكن في تلك اللّحظة النبويّة تتولّد آيةٌ فائقةُ القوّة؛ مُعجزةٌ تُحدِثُ تحوُّلًا خفيًا في الكون. لذا يخفي النّبيُّ الحكيم الحقيقة وراء كلماتٍ برّاقة، يظن بعدها الجاهل أن لغة النُّبوّة غامضة، ويرتاب المستمع في رسالته. لكن الفهم الفطري يَدلُّك على أن النُّطق في حدِّ ذاته قد يَحِدُّ من قوّة الكلمات. أعظم الأنبياء لا يخبرونك بالحقيقة صراحةً، بل يقودونك إلى السّتار، ويدعونك تزيحه بنفسك لتكتشف ما خلفه.

-المذكّرات المسروقة

خاطب ليتو مُونِيو بنبرةٍ باردةٍ لم يستخدمها من قبل: «لقد عصاني الدّانكن».

كانا في غُرفة العَليّاء الفسيحة ذات الحجارة الذهبيّة أعلى بُرج القلعة الجنوبي، في ثالث أيّام عودة ليتو من مهرجان أونُ العشري. كانت البوّابة المفتوحة بجانب ليتو تطلُّ على قيظ الظّهيرة الذي يلهب صحراء السّرير بسياطه. أصدرت الرّياح طنينًا عميقًا وهي تدخل من الفتحة، مثيرةً الغبار والرمال؛ ما جعل مُونِيو يطرف عينيه في انزعاج، في حين لم يبدُ أن ليتو مكترثٌ بذلك. كان يحدّق

عبر السّرير، حيث تَدِبُّ تموُّجات الحرارة الحياة في بدن الهواء، كما يعطي انسياب رمال الكثبان في الأفق البعيد للمشهد حركةً لم تلتقطها سوى عينيه.

وقف مُونِيو غارقًا في روائح خوفه النفّاذة، مدركًا أن الرّيح تنقل رسالتها إلى حواس ليتو. ترتيبات الزّواج، والاستياء المستشري في صفوف مُحاورات الأسماك. كل شيءٍ فيه مفارقة. أعاد هذا إلى ذهن مُونِيو شيئًا قاله الإمبراطور الإله له في أيّام خدمته الأولى.

*المفارقة مؤشرٌ يدعوك إلى النّظر إلى ما خلفها. فإن كانت تثير فيك الضّيق، فذاك دليل على توقٍ دفينٍ في نفسك إلى المطلق. أمّا الجانح إلى النّسبيّة، فيرى في المفارقة فكرةً طريفة، وربّما مدهشة، أو مخيفة، أو حتّى ذات طابعٍ تعليمي.*

قال ليتو: «أنت لا تجيب»، ثم أشاح ببصره عن تأمُّل صحراء السّرير، وركّز جُلّ انتباهه على مُونِيو.

هزّ مُونِيو كتفيه لا أكثر، وتساءل في سِرّه: *إلى أيّ مدى الدُّودة قريبة؟* لاحظ مُونِيو أن العودة من أونْ إلى القلعة أحيانًا ما تثير حفيظة الدُّودة. لم تَظهر علامة على حدوث هذا التّحوُّل المريع في شخصيّة الإمبراطور الإله بعد، لكن مُونِيو أحسّ باقترابه. أيمكن أن تأتي الدُّودة دون سابق إنذار؟

قال ليتو: «عَجِّل بترتيبات الزّفاف، أنجزه في أسرع وقتٍ ممكن».

- «قبل أن تُخضع سيونا للاختبار؟».

صمت ليتو لحظة، ثم قال: «كلّا. ماذا ستفعل بخصوص الدّانكن؟».

- «ماذا تريد مني أن أفعل يا مولاي؟».

- «طلبتُ منه ألا يرى نوري، أن يتجنبها، وأخبرتُه أن هذا أمر».

- «إنها متعاطفة معه يا مولاي، لا أكثر».

- «لماذا تتعاطف معه؟».

- «إنه غول، لا رابط يربطه بعصرنا، لا جذور له».

- «جذوره بعمق جذوري!».

- «لكنه لا يعرف هذا يا مولاي».

- «أتجادلني يا مُونِيو؟».

تراجع مُونِيو نصف خطوة، مدركًا أن ذلك لن يدرأ عنه الخطر، وقال: «حاشاني يا مولاي. إنما أحاول دومًا أن أُصدِقك القول بما أراه يحدث».

- «أنا الذي سأخبرك بما أراه يحدث. إنه يتودّد إليها».

- «لكنها من تبادر بتلاقيهما معًا يا مولاي».

- «أنت تعلم بالأمر إذًا!».

- «لم أعلم أنك زجرته عن لقائها زجرًا مطلقًا يا مولاي».

تحدّث ليتو بنبرة تأمُّليّة: «إنه بارعٌ في التّعامُل مع النّساء يا مُونِيو، شديد البراعة. إنه يتسلّل إلى نفوسهن ويجبرهن على فعل ما يُريد. لطالما كان الدّناكنة كذلك».

قال مُونِيو بصوتٍ يكاد يصرخ: «لم أعرف أنك حظرت جميع

اللّقاءات بينهما يا مولاي».

قال ليتو: «إنه أشدُّ خطرًا من كل سابقيه. إنها جريرة عصرنا».

- «مولاي، لا يملك التِليلاكسو بديلًا جاهزًا له».

- «وهل نحن بحاجة إلى هذا الدّانكن تحديدًا؟».

- «لقد قُلتها بنفسك يا مولاي، إنها مفارقة أعجز عن فهمها. لكنك من قُلت ذلك».

- «كم من الوقت سيستغرق الأمر للحصول على بديل؟».

- «ما لا يقل عن عام يا مولاي. هل ترغب في أن أستفسر عن موعد محدد؟».

- «افعل ذلك اليوم».

- «دانكن قد يسمع بالأمر يا مولاي، مثلما حدث مع سابقه».

- «لا أريد أن يتمّ الأمرُ بهذه الطّريقة يا مُونِيو!».

- «أعرف يا مولاي».

قال ليتو: «ولا أجرؤ على التّحدُّث بهذا لنوري. الدّانكن ليس من نصيبها»، ثم أضاف وقد كاد صوته يتحوّل إلى نحيب: «ومع ذلك، لا أستطيع إيذاءها!».

وقف مُونِيو مشدوهًا في صمت.

قال ليتو بنبرة مُلحّة: «ألا ترى حيرتي يا مُونِيو؟ ساعدني».

- «أفهم أن الأمر مختلف مع نوري، لكنني لا أعرف ماذا أفعل».

قال ليتو بنبرةٍ حادّةٍ اخترقت مُونِيو كأنها نصلٌ: «ما المختلف في الأمر؟».

- «أعني أسلوبك معها يا مولاي، إنه مختلف تمامًا عن أيّ شيءٍ عَهِدته منك».

عندها لاحظ مُونِيو إرهاصات أولى العلامات. رعشة يدي الإمبراطور الإله، وبداية النّظرة المُزجّجة الزّائغة في عينيه. بحقّ *الآلهة! الدُّودة آتية!* شعر مُونِيو بأنه مكشوف تمامًا. حركةٌ بسيطةٌ من هذا الجسد الهائل يمكن أن تسحقه إلى الحائط. يجب *أن أناشد الجانب البشري فيه...*

قال مُونِيو: «مولاي، لقد اطّلعت على السّجلّات، كما سمعت منك شخصيًا مسألة زواجك بشقيقتك، غنيمة».

قال ليتو: «ليتها كانت إلى جواري الآن».

- «لم تكن زوجتك بحق يا مولاي».

سأله ليتو: «إلام تُلمّح؟».

ازداد ارتعاش يدي ليتو حتّى صار تشنُّجًا متقطّعًا.

- «كانت... أعني يا مولاي... غنيمة كانت زوجة خرق العادة».

- «بالقطع كانت كذلك! وجميعكم يا معشر الآتريديزيين الحاليين تنحدرون من نسلهما».

- «أثقة ما لم تخبرني به يا مولاي؟ أمن الممكن... أنك تستطيع... التّناسل مع هِوي نوري؟».

تشنّجت يدا ليتو بعنفٍ شديد حتّى إن مُونِيو تعجّب من كونه لم يلاحظ ذلك، وازداد تغلغل النّظرة المزجّجة في عينيه الزّرقاوين الواسعتين.

تراجع مُونِيو خطوة أخرى نحو الباب المؤدّي إلى الدّرَج الذي ينزل بالمرء بعيدًا عن هذا المكان المُميت.

قال ليتو بنبرة مُرجفة: «لا تسألني عن الاحتمالات». كان صوته بعيدًا على نحوٍ مرعب، كأنه تائه في طبقات ماضيه السّحيق.

قال مُونِيو: «لن أفعلها مجدّدًا يا مولاي». ثم تراجع منحنيًا حتّى لم يعد يفصله عن الباب سوى خطوةٍ واحدةٍ، وأردف: «سأتحدّث إلى نوري يا مولاي... وإلى الدّانكن».

قال ليتو: «افعل ما بوسعك». كان صوته بعيدًا كأنه يتردّد في أروقة داخليّة لا يستطيع أحدٌ سواه السّير فيها.

بهدوء، تسلّل مُونِيو خارجًا من الباب، ثم أغلقه خلفه وأسند ظهره إليه مرتجفًا. *يا للهول! كانت هذه المرّة الأقرب على الإطلاق!*

وظلّت المفارقة بلا إجابة. تُرى، إلى أيّ شيءٍ تشير؟ ما معنى قرارات الإمبراطور الإله الغريبة والمؤلمة؟ ما الذي تسبّب في حضور *الدّودة التي هي الإله*؟

تردّد دوي خفقانٍ عنيفٍ من داخل عَليَاء ليتو.. ضرباتٍ ثقيلةٍ على الحجر. لم يجرؤ مُونِيو على فتح الباب للتقصّي، وأزاح نفسه بعيدًا عن سطح الباب الذي يسري فيه ذلك الإيقاع المروّع، ثم نزل الدّرَج بحذر، متحرّكًا ببطء، ولم يستطع التقاط أنفاسه بسهولة إلّا حين بلغ

الطّابق الأرضي حيث تقف حارسة من مُحاورات الأسماك.

سألته وهي تنظر أعلى الدّرَج: «أهو منزعج؟».

أومأ مُونِيو. كان بإمكانهما سماع الضّربات بوضوح تام.

سألته الحارسة: «ما الذي أزعجه؟».

قال مُونِيو: «هو إله، ونحن مُجرّد بشر». كانت هذه الإجابة ترضي مُحاورات الأسماك عادةً، لكن قوًى جديدة كانت تعمل الآن.

حدّقت الحارسة إليه مباشرةً، فرأى مُونِيو سمات القاتلة الكامنة خلف ملامحها الرّقيقة. كانت امرأة شابّةً نسبيًا، بشعرٍ كستنائيٍّ ووجهٍ يُميّزه أنفٌ أشمُّ وشفتان ممتلئتان، لكن بدت عيناها في هذه اللّحظة قاسيتين، وتنضحان بتساؤلٍ مُلِح. لا عاقلَ يتجرّأ على إعطاء ظهره لهاتين العينين.

قال مُونِيو: «لست من أزعجه».

وافقته قائلة: «لا شك في ذلك»، ثم خفّت حِدّة نظرتها قليلًا وهي تقول: «لكنني أودُّ معرفة من أو ما الذي فعلها».

قال مُونِيو: «أظن أنه مُتلهّفٌ لزواجه، هذا كل ما في الأمر».

قالت: «إذًا عَجّل باليوم».

قال مُونِيو: «هذا ما أنا على وشك فعله»، ثمّ استدار مُسرعًا عبر الرّواق الطّويل عائدًا إلى جناحه في القلعة. يا للآلهة! لقد باتت مُحاورات الأسماك خطِرات كالإمبراطور الإله نفسه.

*تبًا لذلك الدّانكن الأحمق! إنه يعرّضنا جميعًا للخطر. وهِوي نوري!*

## ماذا أفعل بشأنها؟

تحمل النُّظم الملكيّة، وما شابهها، رسالةً قيّمةً لكل أشكال الحُكم، وذكرياتي تؤكّد لي أن أيّ شلطة، مهما كان طرازها، قد تستفيد من تلك الرسالة. لا تكون الحكومات نافعةً لرعاياها إلّا حين تكبح ميولها الفطريّة نحو الاستبداد. للأنظمة الملكيّة بعض المزايا، بخلاف بريقها الظاهر، فهي قادرة على تقليص حجم البيروقراطيّة الإداريّة وطابعها الطُفيلي، واتّخاذ قرارات سريعة عند الضّرورة. كما أنّها تتوافق مع حاجة بشريّة قديمة ألا وهي وجود نظامٍ أبويّ (قبليّ/ إقطاعيّ) يُحدّد لكل شخصٍ مكانه في السُلّم الاجتماعي. من المفيد أن تعرف مكانك، ولو كان مؤقّتًا، لكن من المُهين أن تُجبر على البقاء فيه رغم إرادتك. لذلك، أعطيكم درسًا في الاستبداد بأبسط الطّرائق الممكنة: بأن أكون مثالًا حيًا له. حتى وإن قرأتم هذه الكلمات بعد أحقابٍ طويلة، فلن تُنسى عهود حُكمي الاستبدادي، إذ يضمن صِراطي الذّهبي ذلك. وبتدبُّركم لفحوى رسالتي، أتوقّع منكم أن تكونوا شديدي الحذر في الصّلاحيات التي تمنحونها لأيّ حكومة.

- المذكّرات المسروقة

استعدّ ليتو، بعنايةٍ وصبرٍ، للقائه الأوّل مع سيونا منذ أن زُجّت في طفولتها إلى مدارس مُحاورات الأسماك في مدينة المهرجان. أُخبر ليتو مُونِيو أنه سيلتقيها في «القلعة الصُغرى»، وهي بُرجُ مراقبة مرتفع شيّده وسط صحراء السّرير. كان اختيار الموقع مقصودًا ليُوفّر إطلالات على المشاهد القديمة والجديدة وما بينهما. لم تكن تُوجد طرقٌ تقود إلى «القلعة الصُغرى»، لذا كان الزُّوار يصلون إليها بالثوبترات. أمّا ليتو، فبدا كأنه يصل إليها مستخدمًا سحرًا ما.

في الأيّام الأولى من اعتلائِه العرش، استخدم ليتو آلةً إيكسيّة بنفسه لحفر نفقٍ سرّي تحت السّرير يصل إلى بُرجه، مُنجزًا العمل كلّه بنفسه. في ذلك الوقت، كانت بعض ديدان الرّمال البرّيّة لا تزال تجوب الصّحراء. بطّن ليتو نفقه بجدرانٍ هائلة من السّليكا المنصهرة، وزرع في طبقاته الخارجيّة فُقّاعاتٍ لا حصر لها من الماء الطّارد للدّيدان. كان النّفق مُعدًّا لاستيعاب أقصى حجمٍ سيبلغه جسده في المستقبل، ومُعدًّا كذلك لاحتواء العربة الملكيّة، التي لم تكن حينها سوى صورةٍ تتشكّل في عقله.

في السويعات الباكرة قبل فجر اليوم المخصّص للقاء سيونا، نزل ليتو إلى السّرداب وأصدر أوامره إلى حارساته بألّا يُزعجه أحد. انطلقت عربته به عبر أحد الممرات المُعتمة في السّرداب، حيث فُتح بوابةً خفيّة، وخرج في أقل من ساعة عند القلعة الصُّغرى.

كانت إحدى مُتعِه أن يخرج وحده إلى الرّمال، بلا عربة، مُعتمدًا فقط على جسده الدُّودي البِدائي. أثار ملمس الرّمال حواسّه وأترفها، وخلّفت حرارة مروره عبر الكثبان في أول ضياء النّهار أثرًا من البخار وراءه، ما دفعه لمواصلة الحركة لما فيه من رطوبته، ولم يتوقّف إلا حين وجد جيبًا جافًا نسبيًا على بُعد نحو خمسة كيلومترات. هناك استلقى، وسط رطوبة غير مريحة خلّفها النّدى الطّفيف، مُمدّدًا جسده خارج ظلّ البُرج الطّويل المُلقى شرقًا عبر الكثبان.

من مسافةٍ بعيدةٍ، بدا البُرج، الذي يبلغ ارتفاعه ثلاثة آلاف متر، كإبرةٍ أسطوريّة تخترق السماء. لم يكن لمثل هذا الصّرح أن يُدرك لولا المزيج البديع بين أوامر ليتو وخيال الإيكسيّين. بقُطرٍ يبلغ مئة

وخمسين مترًا، ارتكز البُرج على أساسٍ غائر في الرّمال بعمق يساوي ارتفاعه فوقها، وقد جعله سحر البولاذ والسّبائكِ فائقةِ الخفةِ مَرِنًا أمام الرّياح، ومقاومًا لعوامل التّعرية وسفع الرّمال.

كان ليتو يستمتع بالمكان ويُحبّه إلى درجة أنه قنّن زياراته إليه، واضعًا قائمة طويلة من القواعد التي ألزم نفسه فعلها قبل كل زيارة. هذه القواعد كانت تُختزل في مفهومٍ واحد: «الضّرورة القصوى».

لبضع لحظات في استلقائه، أسقط ليتو أعباء الصّراط الذّهبي عن كاهله. سيحرص مُونِيو المُخلص، الجدير بالثّقة، على أن تصل سيونا في الوقت المحدد، وذلك بحلول الليل. ما يعني أن أمام ليتو يومًا كاملًا ليسترخي فيه ويُفكّر، ليلعب ويتظاهر بأنه بلا هموم، ليرتشف قوت الأرض الخام في نهمٍ لا يستطيع الانغماس فيه في أونٍ ولا في القلعة. في تلك الأماكن، يُضطر ليتو إلى حصر نفسه في جحورٍ خفيّة عبر ممرّاتٍ ضيقة، لا يحول بينه وبين جيوب الماء فيها إلّا حذر بصيرته الاستباقيّة. أمّا هنا، فبوسعه أن يسري عبر الرّمال ويتمرّغ فوقها، وأن يتغذّى وينمو ويزداد قوّة.

انسحقت حبيبات الرّمال أسفل جسده وهو يتدحرج ويتمطّى بمتعةٍ حيوانيّة خالصة. شعر بذاته الدُّوديّة تستعيد عافيتها، ونبض في أوصاله عنفوانٌ عارم غمره بالعافية والنّشاط.

كانت الشّمس قد ارتفعت عاليًا فوق الأُفُق، ورسمت خطًّا ذهبيًّا على جانب البُرج. تعبّق الهواء برائحةِ غُبارٍ لاذعة، وعبير نباتات شوكية بعيدة استجابت لندى الصّباح الخفيف.

بدأ ليتو يتحرّك في دائرة واسعة حول البُرج، في البداية برفق ثم

بوتيرة أسرع، مفكّرًا في سيونا وهو يسري.

لم يعد المجال يسمح لمزيد من التّأجيل. لا بُدّ من اختبارها. كان مُونِيو يعلم ذلك بقدر ما يعلمه ليتو.

ذلك الصّباح، قال له مُونِيو: «مولاي، إن عُنفًا رهيبًا يعتمل في داخلها».

فأجابه ليتو: «لقد بدأت تُظهر بوادر إدمان الأدرينالين. حان وقت الفُطام المُفاجئ».

- «ماذا يا مولاي؟».

- «إنه تعبيرٌ قديم، يعني أنها يجب أن تخضع لانقطاع تام. عليها أن تمرّ بصدمة الاحتياج».

- «آه... فهمت».

لأوّل مرة، أدرك ليتو أن مُونِيو قد فهم. لقد مر مُونِيو بتجربة الانقطاع التّام نفسها من قبل.

شرح له ليتو: «الشّباب، في أغلب الأحيان، لا يملكون القدرة على اتّخاذ قراراتٍ صعبة، ما لم ترتبط تلك القرارات بعنفٍ مباشر وتدفُّقٍ حادٍّ للأدرينالين».

التزم مُونِيو صمتًا متأمّلًا مستغرقًا في الذّكريات، ثم قال: «إنه لخطرٌ عظيم».

- «هكذا هو العنف الذي تراه في سيونا. كبار السّن أنفسهم يتشبّثون ببقاياه، أما الشّباب فيتمرّغون فيه».

استرجع ليتو حديثه السّابق وهو يطوف ببُرجِه في أشعة الشّمس المتزايدة، مستمتعًا أكثر فأكثر بملمس الرّمال وهي تجف. أبطأ ليتو من حركته فوق الرّمال، فيما حملت الرّياح القادمة من خلفه رائحة الأكسچين المُنبعث، وشيئًا من مذاق الصّوّان المحترق إلى أنفه البشري. استنشق ليتو بعُمق، ساميًا بوعيه المُتّقد إلى مستوًى جديد.

كان لهذا اليوم التّحضيري أغراض متعدّدة. فكر ليتو في اللّقاء القادم كما يفكّر مصارع ثيران قديم في أوّل مواجهة له مع خصمه المُسلّح بقرنين. كانت سيونا تمتلك نسختها الخاصة من القرون، وإن كان مُونِيو سيتأكّد من أنها لن تحمل أيّ سلاحٍ مادّيٍّ إلى هذا اللّقاء. ومع ذلك، كان على ليتو أن يضمن معرفته بكل نقاط القوّة في سيونا، ونقاط الضّعف، كما أن عليه أن يستحدث فيها نقاطَ ضعفٍ محدّدة كُلّما أمكن. لا بُدّ من إعدادها للاختبار، وإضعاف عضلاتها النّفسية بأشواكٍ مغروسة بعناية.

بعد الظّهيرة بقليل، بعدما أشبع جانبه الدّودي، عاد ليتو إلى البُرج، وصعد زاحفًا إلى عربته، ثم ارتفع بها على مضادّات الجاذبيّة حتّى وصل إلى بوّابة عند القِمّة لا تنفتح إلا بأمرٍ منه. ثم قضى بقيّة اليوم في عليائِه، غارقًا في التّفكير والتخطيط.

بحلول الظّلام، تناهى إلى مسمعيه رفرفة أجنحة الأورنيثوپتر في الهواء، مُعلنةً وصول مُونِيو.

*مُونِيو المُخلص.*

مدّ ليتو حافة للهبوط من حُجرة عليائه. انزلقت الأورنيثوپتر طاويةً أجنحتها واستقرّت بلطف على الحافّة. حدّق ليتو إلى الخارج

عبر العتمة المتزايدة. خرجت سيونا من الثويتر بسرعة وتقدّمت نحوه، متوجّسةً من المهبط المرتفع الذي لا يحميه سورٌ. كانت ترتدي رداءً أبيض فوق زيٍّ أسود بلا شارة. ألقت نظرة خاطفة إلى الخلف حين توقّفت عند مدخل البُرج، ثم ركّزت انتباهها على جسد ليتو الضّخم المنتظر فوق عربته في منتصف العَليَاء. ارتفعت الأورنيثوپتر مُبتعدةً وانطلقت في ظلام الليل، لكن ليتو أبقى المهبط ممتدًا والبوّابة مفتوحة.

ثم قال لها: «تُوجد شُرفة على الجانب الآخر من البُرج، سنذهب إلى هناك».

- «لماذا؟».

كان في صوت سيونا نبرةُ ارتيابٍ لا لبس فيها.

قال ليتو: «قيل لي إنه مكان منعش. وحقًّا أشعر ببرودة خفيفة على وجنتيّ حين أعرّضهما للنسيم هناك».

جذبها الفضول فاقتربت منه، فأغلق ليتو البوّابة خلفها.

ثم قال: «منظر اللّيل من الشُرفة رائع».

- «لماذا نحن هنا؟».

- «لأن أحدًا لن يسمعنا هنا».

استدار ليتو بعربته وحرّكها بصمت نحو الشُرفة. أظهرت لها إضاءة العَليَاء المخفيّة شديدة الخفوت اتّجاه حركته، أمّا هو فسمع وقع أقدامها يتتبّعه.

كانت الشُّرفة على هيئة نصف دائرة، وتحتلُّ قوس البُرج الجنوبي الشرقي، ويحيط بها درابزين مزخرف يصل ارتفاعه إلى الصّدر. تقدّمت سيونا نحو الدرابزين وألقت نظرة شاملة على الأرض المفتوحة أمامها.

استشعر ليتو فيها حالة من الانفتاح الصّامت. ما سيُقال هنا لهو كلامٌ موجّه إلى أذنيها وحدها. ومهما كان محتوى الحديث، فلسوف تنصت إليه جيّدًا وتردُّ عليه بدوافعها الخاصة. تجاوزها ليتو ببصره ناظرًا نحو أطراف صحراء السّرير، حيث ظهر الجدار الحدودي الصّناعي كخطٍّ منخفض مُسطح بالكاد يُدرك في ضوء القمر الأوّل الذي بدأ يعلو فوق الأُفُق. بحاسّة رؤيته الحادّة، ميّز ليتو قافلةً بعيدة عند مدينة أونْ، ورأى الوهج الخافت المنبعث من مصابيح العربات التي تجرُّها الدّواب وهي تتقدّم على الطّريق الرّئيس نحو قرية تابر.

استحضر ليتو صورة في ذاكرته عن القرية المتوارية بين النباتات التي تنمو في المنطقة الرطبة عند قاعدة الجدار الدّاخلية. هناك، يعتني الفرمِن الأثريُّون التّابعون له بأشجار النّخيل، والأعشاب الطويلة، وحتّى الحدائق الزراعيّة. لم يكن الأمر أشبه بالأيّام الخالية، فحين كان أيُّ مكانٍ مأهول -حتّى لو كان مُجرّد منخفض صغير فيه بضعة نباتات تتغذى من خزّان منفرد ومصيدة رياح- يبدو واحةً خصبة مقارنةً بالرّمال المفتوحة. كانت قرية تابر جنّة غنيّة بالمياه إذا ما قورنت بسييتش تابر. كل شكّان القرية اليوم يعلمون أن نهر آيداهو يجري جنوبًا في خطٍّ مستقيم خلف جدار السّرير، الذي قد يبدو في ضوء القمر نهرًا فِضّيًا. لم يكن بإمكان الفرمِن الأثريّين

تسلّق جانب الجدار شديد الانحدار، لكنهم كانوا يعلمون أن الماء هناك. الأرض تعلم ذلك أيضًا. فإذا ما وضع أحد قاطني تابر أُذنه على الأرض، فستهمس له الأرض بصوت جنادلَ بعيدة.

خطر لليتو بأن طيور اللّيل لا بُدّ أنها تحلّق فوق ضِفّة النّهر الآن، وهي كائنات كانت لتعيش في دفء أشعة الشّمس على كوكبٍ آخر. لقد أعمل كوكب كثيب سِحرَه التطوّري فيها، لكنها لا تزال تعيش تحت رحمة صحراء السّرير. كان ليتو قد شاهد هذه الطّيور من قبل تلقي ظلالًا خرساء على سطح الماء، وحين تغمس رأسها لتشرب منه، تخلق دوائر صغيرة في الماء سرعان ما يُبدّدها جريان النّهر.

حتّى من هذه المسافة، أحسّ ليتو بقوّة في ذلك الماء البعيد، شيئًا عاتيًا من ماضيه يبتعد عنه كذلك التيّار المتدفّق جنوبًا نحو المزارع والغابات. كان الماء يشق طريقه عبر تلال متعرّجة، بمحاذاة نباتاتٍ وفيرةٍ ابتلعت صحراء كثيب بكاملها... باستثناء هذه البقعة الأخيرة، هذا السّرير، الملاذ الأخير من ماضٍ بائد.

تذكّر ليتو هدير الآلات الإيكسيّة التي أقحمت ذلك المجرى المائي على المشهد. بدا كأن الأمر حدث منذ زمنٍ قريب، لا يزيد على ثلاثة آلاف عام.

تململت سيونا ونظرت نحوه من فوق كتفها، لكن ليتو ظلّ صامتًا، صابًا انتباهه إلى ما وراءها. تألّق شعاع ضوء كهرماني شاحب فوق الأفق: هذا انعكاش إحدى الفُذن على غيومٍ بعيدة. من اتّجاهها ومسافتها، عرف ليتو أنها مدينة وولپورت، التي نُقلت بعيدًا إلى مناخٍ أكثر دفئًا في الجنوب من موقعها السّابق القاسي الذي يشرق

عليه ضوء الشّمال البارد الضّعيف. كان توهُّج المدينة أشبه بنافذة تطل على ماضيه. شعر بشعاعها يخترق صدره مباشرةً، نافذًا عبر الغشاء الحرشفي السّميك الذي حلّ محلّ جلده البشري.

فكّر ليتو: *كم أنا واهن.*

ومع ذلك، كان يعلم أنه سيّئ هذا المكان. لكن الكوكب كان سيّده.

*أنا جزءٌ منه.*

كان يلتهم التُّربة مباشرة، رافضًا منها الماء فحسب. أما فمه ورئتاه البشريّتان فقد نُكّست في الخلق، وعُهِد إليها بالتنفُّس بما يكفي للحفاظ على ما تبقّى من إنسانيّته فحسب... والكلام.

تحدّث ليتو إلى ظهر سيونا: «أنا أهوى التحدُّث، وأخشى اليوم الذي لن أتمكن فيه من إجراء المُحادثات».

بشيءٍ من التردد، استدارت سيونا وحدّقت إليه في ضوء القمر، وعلى وجهها تعبير اشمئزاز واضح.

قال لها: «أعرف أنني مسخٌ في كثيرٍ من الأعين البشريّة».

- «ماذا أفعل هنا؟».

في *صُلب الموضوع!* إنها لا تحيد. لطالما كان معظم آل آتريديز على هذه الشاكلة. كانت هذه سمة يأمل الحفاظ عليها في عملية استيلادهم، إذ تدل على وعيٍ داخلي قوي بالهوية.

قال لها: «أريد رؤية ماذا فعل الزّمن بك».

- «ولماذا تريد ذلك؟».

*فكّر ليتو: صوتها يحمل شيئًا من الخوف. تظن أنني سأتقصّى نمرُدها التّافه، وأسعى خلف أسماء رفاقها الذين ما زالوا على قيد الحياة.*

ولمّا ظلّ ليتو على صمته، قالت سيونا: «أتنوي قتلي كما قتلت أصدقائي؟».

*إذًا لقد أتاها حديث القتال عند السّفارة، وهي تفترض أنني على علمٍ تامٍّ بأنشطتها الثّوريّة الماضية. لا بد أن مُونِيو ما فتئ يلقّنها دروسه. تبًا له! في الواقع... لرُبّما كنت سأفعل الشّيء ذاته لو كنت مكانه.*

سألت بإلحاح: «أأنت إلهٌ حقًّا؟ لا أفهم لماذا يصدّق أبي ذلك».

فكّر ليتو: *إنها تحمل شكوكًا. ما زال لديّ مساحة للمناورة.*

قال لها: «تختلف التّعريفات حسب الشّخص. في نظر مُونِيو، أنا إله... وهذه حقيقة».

- «وقد كنت بشرًا يومًا».

بدأ ليتو يستمتع بقفزات عقلها المُتّقد. كان لديها ذلك الفضول الباحث المُلِح؛ السّمة المُميّزة لآل آتريديز.

قال لها: «أنت فضوليّة بشأني، وأنا كذلك فضولي بشأنك».

- «ما الذي يجعلك تظن أنني فضوليّة بشأنك؟».

- «لقد اعتدتِ مراقبتي باهتمام شديد وأنت طِفلة، وها أنا ذا أرى النّظرة ذاتها الليلة في عينيك».

- «أجل، لطالما تساءلت عن شعور المرء إن كان مكانك».

تأمّلها ليتو هنيهة. رسم ضياء القمر ظلالًا تحت عينيها، ما أخفاهما. سمح لنفسه بأن يتخيل أن عينيها بزُرقة عينيه التّامة، زُرقة إدمان الاسپايس. وبهذا الخيال، بدا له أن سيونا تحمل شبهًا غريبًا بأخته غنيمة التي رحلت منذ أحقاب بعيدة. كان هذا بسبب ملامح وجهها ومكان عينيها. كاد يخبر سيونا بذلك، لكنه أحجم.

سألته سيونا: «هل تأكل طعام البشر؟».

قال لها: «شعرت بالجوع البشري لمُدّةٍ طويلةٍ بعد أن قبلت جلد يرقات الرّمال بشرةً لي. حاولت أن آكل أحيانًا، لكن معدتي في الغالب لم تكن تقبل الطعام. أهداب يرقات الرّمال كانت قد امتدّت في معظم أنحاء جسدي البشري، فصار الأكل شيئًا مزعجًا. هذه الأيام، لا أتناول سوى المواد الجافة التي تحتوي أحيانًا على نفحة من الاسپايس».

- «أتأكل... المِزّاج؟».

- «أحيانًا».

- «لكنك لم تعد تشعر بالجوع البشري؟».

- «لم أقل ذلك».

حدّقت سيونا إليه، منتظرةً ردًّا.

أعجب ليتو بقدرتها على استغلال أسئلتها الصّامتة. كانت لامعة، وقد تعلّمت الكثير خلال حياتها القصيرة.

قال ليتو: «كان جوع المعدة شعورًا أسود، ألمًا لم أستطع تخفيفه، وأركض حين يقرصني، أركض ككائن مسعور عبر الكثبان الرّمليّة».

- «كنت... تركض؟».

- «كانت ساقاي أطول مقارنةً بجسدي في تلك الأيّام، وكنت أتحرّك بسهولة. لكن ألم الجوع لم يفارقني إلى الآن. أظن أنه جوعٌ لإنسانيتي المفقودة».

رأى فيها بدايات تعاطفٍ مُتردد، وتساؤلات.

- «أما زلت تشعر بهذا... الألم؟».

- «إنه مُجرّد قرصٍ خفيف الآن. هذه إحدى علامات تحوُّلي النّهائي. بعد بضع مئات من السّنين، سأعود إلى عالم ما تحت الرّمال».

رآها تضم قبضتيها إلى جانبيها، ثم سألت بإلحاح: «لماذا؟ لماذا تفعل كل هذا؟».

- «هذا التّحوُّل ليس سيّئًا كله. اليوم، على سبيل المثال، كان ممتعًا تمامًا. أشعر باسترخاءٍ شديد».

قالت له: «بعض التّحوُّلات لا نراها، أنا متأكّدة من ذلك»، ثم أرخت قبضتيها.

- «صارت حاسّتا بصري وسمعي حادّتين جدًا، لكن حاسّة اللّمس لم تعد كذلك. باستثناء وجهي، لم أعد أشعر بالأشياء كما كنت أشعر بها سابقًا، وكم أفتقد ذلك».

مرّةً أخرى، لاحظ ذلك التّعاطُف المتردّد فيها.. كفاحها نحو فهمٍ

مُتعاطف. كانت تريد أن تعرف!

قالت له: «كيف يشعر المرء بالزّمن حين يعيش المرء كل تلك المُدّة؟ أيمضي الوقت بسرعة أكبر مع مرور السّنوات؟».

- «إنه أمرٌ غريب يا سيونا. أحيانًا، يندفع الزّمن من حولي كالتيّار، وأحيانًا أخرى يمرُّ زحفًا».

بالتدريج، وبينما كانا يتحدّثان، أخذ ليتو يُخفت الأضواء المتوارية في عليائه، ويُحرّك عربته أقرب فأقرب إلى سيونا. الآن، كانت الأضواء قد غابت تمامًا ولم يبقَ سوى ضوء القمر. برزت مُقدّمة عربته إلى الشرفة، وصار وجهه على بُعد مترين فحسب من سيونا.

قالت له: «يقول أبي إنه كُلّما تقدّم بك الزّمن، صار أبطأ. أأخبرته بهذا؟».

*إنها تختبر صِدقي. إذًا هي ليست عرّافة حقيقة.*

قال لها: «كل الأمور نسبيّة، لكن مقارنةً بشعور البشر بمرور الوقت، فهذا صحيح».

- «لماذا؟».

- «إنه أمر له علاقة بما سأصير إليه. في النّهاية، سيتوقّف الزّمن من منظوري، وسأتجمّد كلؤلؤة محبوسة في الجليد. ستتبعثر أجسادي الجديدة، كل واحد منها يحمل لؤلؤة مخفية في داخله».

استدارت وأشاحت ببصرها بعيدًا عنه نحو الصّحراء، وتكلّمت دون أن تنظر إليه.

- «وأنا أتحدّث إليك هنا، في هذا الظّلام، أكاد أنسى حقيقتك».

- «لهذا اخترت هذا التّوقيت للقائنا».

- «لكن لماذا هذا المكان؟».

- «لأنه المكان الأخير الذي أشعر فيه أنني في دياري».

استدارت سيونا مُتّكئةً على الدرابزين، وحملقت إليه. «أريد رؤيتك».

أضاء ليتو كُلّ أنوار عَليّائه دُفعةً واحدةً، بما فيها كُرات الإنارة البيضاء الكاشفة الموزّعة بطول حافات سقف الشُّرفة الخارجي. ومع اتّقاد الضّوء، انزلق حجابٌ شفّافٌ إيكسيّ الصُّنعِ من تجاويف الجدار مُغلقًا الشُّرفة خلف سيونا. شعرت سيونا بحركته خلفها فأجفلت لوهلة، لكنها أومأت برأسها كما لو كانت تفهم. ظنّت أن الحجابَ وسيلةٌ دفاعيةٌ ضد أيّ هجوم، لكنه لم يكن كذلك، فالجدار لم يكن سوى حاجزٍ لمنع حشرات اللّيل من الدُّخول بما تحملها من رطوبة.

حدّقت سيونا إلى ليتو، وحرّكت نظرتها على طول جسده، وتوقّفت عند الطّرفين الضّامرين اللذين كانا ذات يومٍ ساقيه، ثم حوّلت انتباهها إلى ذراعيه ويديه، وأخيرًا إلى وجهه.

قالت: «يُخبرنا تأريخك المُعتمد بأن كُلّ الآتريديزيّين الحاليين ينحدرون منك ومن أختك غنيمة. لكن التّاريخ الشّفهي يخالف ذلك».

- «التّاريخ الشّفهي هو الصّحيح. أنتِ من نسل خرق العادة. زواجي أنا وغنيمة كان صوريًا فحسب، مُجرّد خطوة لترسيخ السُّلطة».

- «كزواجك بتلك المرأة الإيكسيّة؟».

- «هذا أمرٌ مختلف».

- «أسيكون لكما ذُرّية؟».

- «لم أمتلك القدرة على إنجاب الأطفال قط. لقد اخترت التّحوُّل قبل أن يصير ذلك ممكنًا».

سألت في استنكار وهي تشير نحوه: «كنت طفلًا، ثم انتقلت من الطُّفولة إلى... هذا؟».

- «دون المرور بشيءٍ بينهما».

- «كيف لطفلٍ أن يعرف ماذا يختار؟».

- «كنت ثاني أعجز طفلين عرفهما الكون. الآخر كان غنيمة».

- «ماذا عن مسألة ذكريات الأسلاف تلك؟!».

- «إنها حقيقة. جميعنا هنا. ألا يقرُّ تاريخك الشّفهي ذلك؟».

استدارت وأعطته ظهرها، وقد اشتدّ عودها. مجدّدًا، وجد ليتو نفسه مفتونًا بهذه الإيماءة البشرية: الرّفض المُقترِن بضعف. بعد بُرهة، التفتت نحوه، وركّزت نظرها على ملامحه البشريّة الغائصة في طيّات مقلنسة.

ثم قالت: «في مُحيّاك الملامح الآتريديزية».

- «ورثتها باستحقاق، مثلك تمامًا».

- «أنت طاعنٌ في السّنّ... كيف لا تظهر في وجهك التّجاعيد؟».

- «لا شيء من جانبي البشري يشيخ بطريقة طبيعيّة».

- «ألهذا فعلت هذا بنفسك؟».

- «تقصدين لأتمتّع بحياةٍ طويلة؟ كلّا».

غمغمت: «لا أفهم كيف لشخصٍ أن يتّخذ مثل هذا القرار»، ثم بصوتٍ أعلى: «ألّا يذوق طعم الحُبّ...».

قال لها: «أنت تتظاهرين بالغباء! فأنت لا تقصدين الحُبّ، بل الجنس».

هزّت كتفيها.

- «أتظنّين أن الجنس هو أكثر ما خسرت؟ كلّا، الخسارة الأعظم كانت شيئًا مختلفًا تمامًا».

سألته على مضض: «وماذا كانت؟»، كاشفةً عن مدى تأثيره فيها.

- «العجز عن المشي بين بني جنسي دون لفت الأنظار. لم أعد واحدًا منكم. أنا كائنٌ وحيد. أتتحدّثين عن الحُبّ؟ الكثيرون يحبّونني، لكن هيئتي تحول بيننا. ثمّة هُوّة بيني وبين البشر يا سيونا، هُوّة لا يجرؤ إنسانٌ على عبورها».

- «ولا حتّى امرأتك الإيكسيّة؟».

- «لو استطاعت لعبرتها، لكنها لا تستطيع. فهي ليست آتريديزيّة».

قالت: «أتقصد أنني... أستطيع؟»، وهي تشير بإصبعها إلى صدرها.

- «فقط إذا وُجِد ما يكفي من يرقات الرمال... لكنها جميعًا تحيط

بجسدي للأسف. أمّا إن مُتّ...».

هزّت رأسها في جزعٍ صامت من مُجرّد الفكرة.

قال: «التّاريخ الشّفهي يسرد الرّواية بدِقّة، ويجب ألّا ننسى إيمانك بصدق التّاريخ الشّفهي».

استمرّت سيونا في هزّ رأسها من جانب إلى آخر.

قال: «ليس في الأمر سِرّ. اللّحظات الأولى من التحوّل هي الأهم، إذ على وعيك أن يتوغّل باطنيًا وخارجيًا في آنٍ واحد، ويتّحد مع اللا نهائيّة. بإمكاني أن أمُدّكِ بكمّيةٍ كافيةٍ من المِزَاج لتحقيق ذلك. مع جرعةٍ كافيةٍ من الاسپايس، يمكنكِ اجتياز تلك اللّحظات الأولى الزّهيبة... وجميع اللّحظات الأخرى».

راحت سيونا ترتجف بعُنف، ونظرتها ثابتة على عينيه لا تحيد.

- «تدركين أنني أقول لك الحقيقة، أليس كذلك؟».

أومأت برأسها، ثم أخذت نفسًا عميقًا مرتعشًا، وقالت: «لماذا فعلتها؟».

- «لأن البديل أشدّ هولًا بكثير».

- «أيّ بديل؟».

- «مع الوقت، قد تفهمين. مُونِيو فهم».

- «صراطك الذّهبي اللّعين!».

- «ليس لعينًا على الإطلاق، بل مُقدّس».

- «أتظنني حمقاء لا أعرف...».

- «أظن أنك تفتقرين إلى الخبرة، لكنك تمتلكين قدرة عظيمة لم تكتشفيها بعد، ولا تدركين إمكانياتها».

أخذت ثلاثة أنفاس عميقة واستعادت بعضًا من رباطة جأشها، ثم قالت: «إن كنت لا تستطيع نكاح المرأة الإيكسيّة، فماذا...».

- «يا بُنيّتي، لماذا تصرّين على سوء الفهم؟ الأمر لا يتعلّق بالجنس. قبل هِوي، لم أكن قادرًا على الاقتران بأحد. لم يكن يُوجد أحدٌ آخر مثلي. في ذلك الفراغ الكوني الشّاسع، كنت الوحيد».

- «وهي... مثلك؟».

- «عن عمد. هكذا هندسها الإيكسيّون».

- «هندسوها...».

صاح بحِدّة: «لا تكوني بهذا الغباء. إنها الفخ الإلهي المثالي؛ قوّة جاذبة تعجز ضحيّتها نفسها عن مقاومتها».

همست: «لماذا تخبرني بهذه الأمور؟».

قال: «لقد سرقتِ نسختين من مُذكّراتي، وقرأتِ ترجمة النّقابة، وبالتالي تعرفين تمامًا طبيعةَ الفخّ الذي قد أقع في شباكه».

- «أكُنت تعرف؟».

رأى في وقفتها عودةً للجرأة، ولشعورها بقوّتها. ثم قالت سيونا مُجيبةً سؤالها بنفسها: «بالطبع كنت تعرف».

قال لها: «كان هذا سرّي. لا يمكنك تخيُّل عدد المرّات التي أحببت فيها رفيقًا، ثم رأيت هذا الرّفيق يتلاشى... تمامًا كما يتلاشى والدك الآن».

- «أأنت... تُحِبُّ أبي؟».

- «كما أحببتُ أمّك. أحيانًا يرحل أحِبّائي سريعًا، وأحيانًا يكون رحيلهم بطيئًا مُعذِّبًا، وفي كل مرة يحطّمني الألم. رُبّما أتصرّف ببرودٍ، وأتّخذ اللّازم من القرارات -حتّى تلك التي تزهق الأرواح- لكنني لا أستطيع الفرار من العذاب. لوقتٍ طويل جدًّا لم أعرف سوى العذاب، كما هو واردٌ بصِدق في الدّفترين اللذين سرقتِهما».

رأى تلألؤ الدّموع في عينيها، لكن ظلّ فكُّها الصّارم يعكس إصرارًا غاضبًا.

قالت له: «لا شيء من هذا يمنحك أحقّية الحُكم».

أخفى ليتو ابتسامته. أخيرًا وصلا إلى لُبّ تمرُّد سيونا.

*بأيّ حق؟ أين العدل في حكمي؟ أأنا مُنصف لمسار التطوُّر البشري وأنا أفرض قوانيني عليهم تحت تهديد أسلحة مُحاورات الأسماك؟ أعرف كل تلك الشّعارات الثّوريّة، والعبارات الرنّانة، والكلام الأجوف.*

قال لها: «أما ترين أثرَ تمرُّدِك في السّلطة التي أمارسها؟».

طالب اندفاع الشّباب فيها بحقّه في التعبير، فقالت: «لم أخترك حاكمًا لي قط».

- «لكنك تقوّينني».

- «كيف؟».

- «بمعارضتك لي. إنني أشحذ بأمثالك مخالبي».

ألقت نظرة خاطفة على يديه.

قال لها: «أتحدّث مجازًا».

قالت: «إذن، نجحت في إزعاجك أخيرًا»، ولم تسمع سوى الغضب اللّاذع في كلماته ونبرته.

- «لم تزعجيني. أنا وأنت تربطنا صِلة قرابة، وبإمكاننا التحدّث بصراحة في نطاق العائلة. في الحقيقة، أنا أخشاكِ أكثر بكثير مما تخشينني».

أدهشها كلامه لوهلة، لكنها سرعان ما استعادت تماسكها. رأى الإيمان يشدّ كتفيها، ثم أرخاهما الشك. خفضت ذقنها قليلًا ونظرت إليه من أسفل.

- «ما الذي يمكن للإله ليتو العظيم أن يخشاه مني؟».

- «ميلك الجاهل إلى العُنف».

- «أتقول إنك ضعيف جسديًا؟».

- «لن أُحذّرك مُجدّدًا يا سيونا. تُوجد حدود للألاعيب اللفظية التي يمكنني قبولها. أنتِ والإيكسيئون تعلمون أن من أُحِبّهم هم الضّعاف جسديًا، لا أنا. وسرعان ما سيعرف معظم سكّان الإمبراطورية ذلك، فهذه من المعلومات التي تنتشر سريعًا».

- «حينئذٍ سيسأل الجميع: بأيّ حقٍّ تحكم؟».

كان في صوتها طربٌ أثار غضبًا مفاجئًا في ليتو وجد صعوبة في كبحه. كان هذا جانبًا يمقته في المشاعر البشريّة: *الشّماتة!* استغرق الأمر بُرهةً قبل أن يجرؤ على الرد، ثم اختار أن يخترق دفاعاتها مباشرة عبر نقطة ضعفٍ كان قد لمحها بالفعل.

- «أنا أحكُم بحقِّ ما أعيشه من وحدة، فوحدتي مزيجٌ من الحُرّيّة والعبوديّة. حُرّيتي تعصمني من أن تشتريني أيُّ جماعة بشرية، أمّا عبوديتي فتعني أنني سأخدمكم جميعًا بأفضل ما في قدراتي الإلهيّة».

قالت: «لكن الإيكسيّين أوقعوك في شِركهم».

- «كلّا، بل أعطوني هديّة تزيدني قوّة».

- «بل تضعفك!».

اعترف قائلًا: «ذاك أيضًا. لكن قوًى عظيمة ما زالت تأتمر بأوامري».

أومأت قائلة: «أوه، أجل، ذلك أفهمه جيّدًا».

- «أنت لا تفهمين شيئًا».

قالت ساخرة: «أنا واثقة بأنك ستُفسّر لي».

تحدّث ليتو بصوتٍ خافت حتّى إنّها اضطرّت إلى الميل نحوه لتسمعه: «لا يوجد أيُّ شخص في أيّ مكان قادرٌ على أن يدعوني إلى أيّ شيء.. لا إلى المشاركة، ولا إلى التسوية، ولا حتّى إلى فكرة بداية حكومة أخرى. أنا الوحيد القادر على ذلك».

- «ولا حتّى المرأة الإيكسيّة...».

- «إنها تشبهني كثيرًا، لذا لن تضعفني بتلك الطريقة».

- «لكن حين هُوجمت السّفارة الإيكسيّة...».

قال ببرود: «ما زال الغباء يثير حفيظتي».

عبست وحدّقت إليه.

في ذلك الضّوء، بدا تعبيرها جميلًا وعفويًا تمامًا في نظر ليتو. كان يعلم أنه جعلها تفكّر، وكان واثقًا بأنها لم تفكّر يومًا في أن الوحدة بحد ذاتها قد تمنح صاحبها حقوقًا خاصّة.

ردّ على عبوسها الصّامت قائلًا: «على مدار تاريخنا كله، لم يسبق أن ظهرت حكومة كحكومتي. أنا مسؤول أمام نفسي وحدها، وأطالب بثمنٍ كاملٍ نظير ما ضحّيت به».

سخرت قائلةً: «ما ضحّيت به!»، لكنه سمع الشكوك الخفيّة في نبرتها: «كل طاغية يردد كلامًا كهذا. أنت مسؤول عن نفسك فقط!».

- «وهذا يجعل كُلّ كائنٍ حيٍّ مسؤوليّتي. أنا من يراقبكم ويحميكم خلال تلك الأوقات».

- «أيّ أوقات؟».

- «الأوقات التي كان من الممكن أن تكون، ثم لم تعد كذلك».

رأى التّردّد في عينيها. لم تكن تثق بحدسها، ولا بقدراتها غير المُدرّبة على التنبؤ. قد تُقدم سيونا على مجازفة بين الحين والآخر،

كما فعلت حين استولت على مذكّراته، لكن دافعها للمجازفة تلاشى بعد التكشّف الذي تلاها.

قالت: «أبي يقول إنك بارع في التّلاعُب بالكلمات».

- «لا شك في أنه يعلم ذلك. لكن بعض المعارف لا تُكتسب إلّا بالمشاركة فيها، ولا سبيل إلى تعلُّمها بالوقوف والاكتفاء بالمراقبة والكلام».

قالت: «هذا ما كان يقصده بالضّبط».

وافقها قائلًا: «معك حق. قد لا يبدو كلامي منطقيًا، لكنه نور؛ عينٌ ترى، لكنها لا ترى نفسها».

قالت: «لقد سئمت الحديث».

قال: «وأنا كذلك»، ثم فكّر: *لقد رأيت ما يكفي، وفعلت ما يكفي. إنها مستسلمة تمامًا لشكوكها. يا للهشاشة التي يورثها لهم جهلهم!*

قالت: «كلامك لم يقنعني بشيء».

- «لم تكن تلك الغاية من هذا اللقاء».

- «وماذا كانت إذًا؟».

- «أن أعرف إن كنت جاهزةً للاختبار أم لا».

مال رأسها إلى اليمين قليلًا وحدّقت إليه: «اختبار...».

قال لها: «لا تتظاهري بالبراءة. لقد أخبرك مُونِيو، وها أنا ذا أقول لك إنك جاهزةٌ!».

حاولت بلع ريقها: «ماذا...».

قاطعها قائلًا: «لقد أرسلت في طلب مُونِيو ليُعيدكِ إلى القلعة. وحين نلتقي مجددًا، سنكتشف حقيقة معدنكِ».

أسمعتم بأسطورة مخزون الاسپايس العظيم؟ أجل، أنا أيضًا سمعت بها. لقد نقلها إليّ كبير خدمي ذات يومٍ ليُسلّيني. تحكي القصة عن مخزونٍ هائلٍ من المِزَاج، كنزٍ ضخمٍ بحجم جبلٍ عظيم، مُخبّأ في أعماق كوكبٍ بعيد. ذلك الكوكب ليس أرّاكس.. ليس كثيب. يُقال إن ذلك الاسپايس قد خُبّئ هناك منذ زمن بعيد، قبل عهد الإمبراطوريّة الأولى، وقبل تأسيس نقابة الفضاء. تقول الأسطورة إن پول المؤدّب ذهب إلى هناك، وإنه ما زال يعيش بجوار ذلك الكنز، مُستمدًّا منه حياته، في انتظار شيءٍ ما. لم يفهم كبير خدمي سبب انزعاجي من تلك القصة.

- المذكّرات المسروقة

كان جسد آيداهو يرتجف غضبًا وهو يشقُّ طريقه بخطواتٍ واسعةٍ عبر الممرّات المرصوفة بحجارة البلاستون الرمادية، متجهًا إلى جناحه داخل القلعة. في كل نقطة حراسة مرّ بها، انتفض الحرس فورًا في وضع الانتباه، لكنه لم يُعر أيًّا منهن اهتمامًا. أدرك آيداهو أنه يشيع الاضطراب بينهن، إذ لم يكن من الممكن لإحداهن ألّا تلحظ مزاج القائد العَكِر. لكن هذا لم يثنه عن المواصلة بخطواتٍ واسعة مُتعمّدة، يتردّد صدى ضربات حذائه الثّقيل فيها عبر الجدران.

كان مذاق وجبة الغذاء لا يزال في فمه، وهي وجبة آتريديزيّة مألوفة تؤكل بالعِصي، مكوّنة من حبوبٍ مختلطةٍ مُتبّلةٍ بالأعشاب، ومخبوزة حول قطعة صغيرة ذات نكهة قويّة من اللّحم البديل، يُرافقها كوبٌ من عصير السّيدرِت الصّافي لتسهيل هضمها. لقد عثر عليه مُونِيو جالسًا بمفرده في زاوية قاعة الحرس يتناول وجبته،

وإلى جوار طبقه جدول عمليّات إقليميّة.

ومن دون انتظار دعوة، أجلس مُونِيو نفسه قبالة آيداهو، وأزاح جدول العمليّات جانبًا.

ثم قال: «أحمل رسالة من الإمبراطور الإله».

أدرك آيداهو من نبرة مُونِيو الحازمة أن هذا ليس لقاءً عابرًا. شاركه من في المكان الشُّعور نفسه، إذ ساد صمت مترقّب بين النّساء الجالسات على الطّاولات القريبة، وانتشر تدريجيًا في أرجاء المقصف.

وضع آيداهو عصوي الطّعام جانبًا وقال: «خير؟».

قال مُونِيو: «إليك ما قاله الإمبراطور الإله نصًّا: ‹إنه من سوء حظي أن يقع دانكن آيداهو في حب هِوي نوري. هذه البليّة يجب ألّا تستمر›».

زمّ آيداهو شفتيه غضبًا، لكنه حافظ على صمته.

قال مُونِيو: «غباؤك هذا يُعرّضنا جميعًا للخطر. نوري خطيبة الإمبراطور الإله».

حاول آيداهو السّيطرة على غضبه، لكن خانته الكلمات: «لا يمكن له الزّواج بها!».

- «ولِمَ لا؟».

- «أيُّ لُعبةٍ يمارسها يا مُونِيو؟».

قال مُونِيو: «أنا مُجرّد رسول مُحمّل برسالة واحدة، لا أكثر».

قال آيداهو في صوتٍ خفيضٍ مُهدِّد: «لكنه يثق بك».

كذِب مُونِيو قائلًا: «الإمبراطور الإله متعاطفٌ معك».

صاح آيداهو: «متعاطف!»، فأكسب رنين الكلمة صمتَ الغُرفة عُمقًا جديدًا.

قال مُونِيو: «نوري امرأة ذات جاذبيّة واضحة، لكنها ليست لك».

قال آيداهو ساخرًا: «لقد قال الإمبراطور الإله كلمته، ولا يجوز الطّعن فيها».

قال مُونِيو: «أرى أنك فهمت الرّسالة».

همّ آيداهو بالنُّهوض من الطّاولة.

أوقفه مُونِيو قائلًا: «إلى أين أنت ذاهب؟».

- «سأتحدّث معه في الأمر الآن!».

قال مُونِيو: «هذا انتحارٌ مؤكّد».

نظر آيداهو شزرًا إلى مُونِيو، مُدركًا فجأة شِدّة انتباه النّساء الجالسات إلى الطّاولات المجاورة، واعتلى وجهه ذلك التّعبير الذي كان المؤدّب ليدركه على الفور إن كان حاضرًا، والذي قد سبق أن وصفه بـ«مُغازلة الشّرّ الكامن في النُّفوس».

سأله آيداهو وفي صوته نبرة ساخرة: «أتدري ما الذي كان يقوله دوقات آل آتريديز الأصليّون دائمًا؟».

- «ألهذا صلة بما نقول؟».

- «كانوا يقولون إن كُلّ الخُرّيّات تختفي حين ينظر المرء إلى الحاكم المستبد بإجلال».

تصلّب مُونِيو خوفًا، ثم انحنى نحو آيداهو، وقال وهو بالكاد يُحرّك شفتيه: «لا تتفوّه بمثل هذا الكلام».

- «لأن إحدى هؤلاء النّسوة ستنقله إليه؟».

هزّ مُونِيو رأسه في عدم تصديق: «أنت أكثر تهوّرًا من كل الآخرين».

- «حقًّا؟».

- «أرجوك! في تبنّي هذا السّلوك خطورةٌ شديدةٌ».

سمع آيداهو الهمهمة العصبيّة التي اجتاحت الغُرفة.

ثم قال: «أقصى ما يستطيع فعله هو قتلنا».

قال مُونِيو في همسٍ حانق: «أنت أحمق! الدُّودة قد تسيطر عليه مع أقل استفزاز!».

جاء صوت آيداهو عاليًا من غير داعٍ وهو يقول: «أتقول الدُّودة؟».

قال مُونِيو: «عليك أن تثق به».

نظر آيداهو إلى يمينه وإلى يساره، ثم قال: «أجل، أظن أنهن سمعن هذا جيّدًا».

قال مُونِيو: «إنه مليارات ومليارات من البشر، مُتّحدين في ذلك الجسد الواحد».

- «هكذا قيل لي».

قال مُونِيو: «هو إله ونحن بشرٌ فانون».

سأله آيداهو: «كيف يمكن لإله أن يرتكب الشُرور؟».

دفع مُونِيو مقعده إلى الخلف، وقفز واقفًا وهو يقول: «أُبرِّئ يديّ منك!»، ثم استدار واندفع خارجًا من الغُرفة.

أجال آيداهو بصره في الغُرفة، ووجد نفسه محط أنظار جميع الحارسات.

قال آيداهو: «مُونِيو لا يطلق أحكامًا، لكنني أفعل».

ثم تفاجأ حين رأى بعض الابتسامات السّاخرة تتلاعب على ثغور النّساء، قبل أن يَغدن جميعًا إلى طعامهن.

وبينما هو يخطو مسرعًا في ردهة القلعة، استرجع آيداهو حديثه مع مُونِيو، محاولًا تحليل غريبِ تصرُّفات الأخير. كان من السهل ملاحظة الرُّعب الذي تملّكه، بل وفهمه، لكن رُعبه كان يفوق بكثير الخوف الطّبيعي من الموت.. يفوقه بكثير جدًّا.

*الدُودة قد تُسيطر عليه.*

شعر آيداهو أن هذا القول فلت من مُونِيو دون قصدٍ منه.. زلّة لسان غير مُتعمّدة. تُرى، ما الذي تعنيه؟

*أنت أكثر تهوُّرًا من كل الآخرين.*

انزعج آيداهو من مقارنته بنفسه بصيغة المجهول. إلى أي مدى كان أولئك الآخرون حذرين؟

وصل آيداهو إلى باب جناحه، ووضع كفّه على قفل راحة اليد، ثم وقف متردّدًا. شعر كأنه حيوان مُطارد ينسحب إلى جُحرِه. لا شك في أن الحارسات في المقصف قد نقلوا ما دار أمامهن من حديث إلى ليتو بالفعل. كيف ستكون ردّة فعل الإمبراطور الإله؟ تحرّكت يد آيداهو على القفل فانفتح الباب ودخل منه إلى غُرفة الاستقبال في شقّته، ثم أغلقه خلفه، وراح يحملق إليه.

*هل سيرسل مُحاورات الأسماك خلفي؟*

نظر آيداهو إلى مدخل شقّتِه. كانت مساحةً تقليديةً بها رفوفٌ للملابس والأحذية، ومرآة بارتفاع القامة، وخِزانة للأسلحة. نظر آيداهو إلى باب الخزانة المغلق. لا أسلحة وراء ذلك الباب تصلح لتشكيل تهديدٍ حقيقيٍّ للإمبراطور الإله. لم يكن في الخزانة حتّى بُندقيّة ليزر... مع أن بنادق اللّيزر ذاتها غير فعّالة ضد *الدُّودة*، حسب جميع الروايات.

*إنه يعلم أنني سأتحدّاه.*

تنهّد آيداهو ونظر نحو المدخل المقوّس المؤدّي إلى منطقة الجلوس. كان مُونِيو قد استبدل بالأثاث النّاعم قطعًا أثقل وأكثر صلابة، بعضها يحمل طابعًا فرمِنيًا مميّزًا، كلها مقتنيات من خزائن الفرمِن الأثريّين.

الفرمِن الأثريّون!

بصق آيداهو، وأسرع الخُطى عابرًا المدخل، لكنه توقّف مصدومًا بعد خطوتين من دخوله الغُرفة. كشف الضّوء النّاعم السّاقط من

النّوافذ المُطلّة شمالًا عن هِوي نوري. كانت جالسة على الأريكة المنخفضة، ترتدي فستانًا أزرق متلألئ ينسدل على جسدها بطريقة تبرز تفاصيله. رفعت هِوي بصرها إليه مع دخوله.

ثم قالت: «حمدًا للآلهة أنك لم تُصَب بأذى».

ألقى آيداهو نظرةً سريعةً خلفه نحو الباب المؤمّن بقفل راحة اليد، وعاد ينظر إلى هِوي بنظرةٍ متسائلةٍ. لا ينبغي لأحد أن يتمكّن من فتح ذلك الباب إلّا حفنة من الحارسات المختارات.

ابتسمت هِوي لحيرته، ثم قالت: «نحن -الإيكسيّين- من صنعنا تلك الأقفال».

اعترى آيداهو خوفٌ كبيرٌ عليها: «ماذا تفعلين هنا؟».

- «يجب أن نتحدّث».

- «عمّ نتحدّث؟».

هزّت رأسها قائلة: «عنّا... يا دانكن».

قال لها: «لقد حذّروكِ».

- «أجل، طُولبت بنبذك».

- «مُونِيو هو الذي أرسلك، أليس كذلك؟».

- «بل أحضرتني حارستان ممّن سمعا حديثكما في المقصف، إذ شعرا أنك في خطر كبير».

- «ألهذا أنتِ هنا؟».

نهضت هِوي بحركةٍ واحدةٍ رشيقةٍ ذكّرته بالطريقة التي كانت تتحرّك بها چيسيكا جدّة ليتو: نفس السّيطرة السّلسة على العضلات، كل حركة آية في الجمال.

ثم هبط عليه الإدراك كالصّاعقة: «أنت من البِني چيسيرِت...».

- «كلّا! صحيح أنهن كُن من ضمن مُعلّماتي، لكنني لستُ بِني چيسيرِتيّة».

خيّمت الشُّكوك على عقله. أيّ تحالُفاتٍ تعمل في إمبراطورية ليتو؟ وماذا يمكن لغولٍ أن يعرف عن مثل هذه الأمور؟

*يا للتغيُّرات التي حدثت منذ أن كنت حيًّا!*

قال لها: «أفترض أنك ما زلتِ مُجرّد مواطنة إيكسيّة».

- «أرجوك يا دانكن، لا تسخر مني».

- «من أنتِ؟».

- «أنا عروس الإمبراطور الإله المرتقبة».

- «وستخدمينه بإخلاص!».

- «سأفعل».

- «إذن ليس بيننا ما نتحدّث بشأنه».

- «باستثناء ما بيننا».

تنحنح آيداهو ثم قال: «وما بيننا؟».

- «هذا الانجذاب»، ثم رفعت يدها لتسكته إذ همّ بالكلام، وواصلت:

«أريد أن أرتمي في أحضانك، لأجد الحُبّ والملاذ اللذين أعلم أنهما ينتظرانني هناك. وأنت أيضًا تريد ذلك».

شدّ جسده قائلًا: «الإمبراطور الإله قضى بتحريم ذلك!».

قالت: «لكن ها أنا ذا، هُنا»، ثم تقدّمت نحوه ورداؤها يتموّج على جسدها.

بلع آيداهو ريقه بصعوبة قائلًا: «هِوي... من الأفضل أن ترحلي».

قالت: «من الحكمة، لكن ليس من الأفضل».

- «إذا اكتشف أنكِ كنت هنا...».

- «ليس من طبيعتي أن أتركك هكذا»، ثم رفعت يدها لتُسكته مرّةً أخرى: «لقد استُولدت وذُرّبت لغايةٍ واحدةٍ فحسب».

ملأته كلماتها بحذرٍ شديد: «أيّ غاية؟».

- «إغواء الإمبراطور الإله. إنه يعرف ذلك، ويقبلني كما أنا، ولن يُغيّر فيّ شيئًا».

- «ولا أنا».

اقتربت منه خطوةً أخرى، فشعر بأنفاسها الدّافئة كالحليب.

قالت: «لقد أتقنوا صُنعي. لقد خُلِقت لإرضاء الشّخصيّة الآتريديزية، وليتو يقول إن دانكنه آتريديزي أكثر من كثيرين وُلدوا بهذا اللّقب».

- «ليتو؟».

- «بأي اسم آخر يجب أن أنادي من سأتزوج؟».

مالت هِوي إلى آيداهو وهي تتحدّث إليه. تحرّك كلاهما مع الآخر، كأن مغناطيسًا قد وجد أقوى نقطة تجاذب. ألصقت خدّها بقميصه، ولفّت ذراعيها حوله، متحسّسةً صلابة عضلاته. أراح آيداهو ذقنه على شعرها، وملأت رائحة المسك حواسّه.

همس قائلًا: «هذا جنون».

- «أعرف».

رفع ذقنها إليه، ثم قبّلها.

ألصقت جسدها به أكثر.

كانا يدركان تمامًا إلى أين سيقودهما هذا، ولم تقاومه حين رفعها عن الأرض، وحملها إلى غُرفة النوم.

لم يتكلّم آيداهو إلّا مرّةً واحدةً: «أنتِ لست عذراء».

- «ولا أنت يا حُبّي».

قال هامسًا: «حُبّي»، ثم راح يكرّر: «حُبّي.. حُبّي.. حُبّي...».

- «أجل... أجل!».

***

في هدوء ما بعد الجماع، عقدت هِوي يديها خلف رأسها وتمطّت ملتويةً على الفراش المُبعثر. جلس آيداهو معطيًا لها ظهره، ناظرًا عبر النّافذة.

سألها: «من كان عُشّاقُك الآخرون؟».

رفعت نفسها، واستندت إلى كوعٍ واحد، ثم قالت: «ليس لديّ عُشّاق آخرون».

- «لكن...»، ثم استدار ونظر إليها.

قالت له: «في سنوات مراهقتي، رغب فيّ شابٌ بشِدّة»، ثم ابتسمت وأردفت: «بعد أن حدث ما حدث، شعرت بخزيٍ شديد. كم كنت ساذجة! فقد ظننتُ أنني خذلت من كانوا يعتمدون عليّ، لكنهم اكتشفوا الأمر وابتهجوا له. أظن أنني كنتُ أخضع لاختبار».

عبس آيداهو قائلًا: «ألهذا فعلتِ ما فعلتِ معي؟ لأنني كنت أريدك؟».

اعتلى الجدُّ ملامحها وهي تقول: «كلّا يا دانكن، لقد منح كلٌّ منا السّعادة للآخر، لأن هذا هو الحُب».

ردّد آيداهو بمرارة: «الحُب!».

فقالت له: «كان عمّي مالكي يقول إن الحُبّ صفقةٌ سيّئة، إذ لا تُوجد به ضمانات».

- «عمُّك مالكي كان رجلًا حكيمًا».

- «بل كان أحمق! الحُبُّ لا يحتاج إلى أيّ ضمانات».

ارتجف زُكن ثغر آيداهو بابتسامة.

ابتسمت له هِوي قائلةً: «يعلم المرء أنه يُحبُّ حين يريد منح السّعادة دون تفكير في العواقب».

أومأ قائلًا: «لا أُفكّر إلّا في الخطر الذي يحيق بكِ».

قالت له: «لا أحد يغيّر مصيره».

- «ماذا سنفعل؟».

- «سنرعى هذا الحُبّ ما دمنا على قيد الحياة».

- «تبدين... حاسمة تمامًا».

- «أنا كذلك».

- «لكننا سنلتقي كل...».

- «لن نلتقي هكذا مجدّدًا».

- «هِوي!»، قالها دافعًا بنفسه عبر الفراش، ودفن وجهه في نهديها.

راحت تداعب شعره.

قال بصوتٍ مكتوم لالتصاقه بها: «ماذا لو كنتِ قد حملتِ منـ...».

- «صه! إن كان مقدّرًا لطفلٍ أن يأتي إلى الدُنيا، فلسوف يأتي».

رفع آيداهو رأسه ونظر إليها: «لكنه قطعًا سيعرف!».

- «في كل الأحوال سيعرف».

- «أتعتقدين حقًا أنه يحيط بكل شيءٍ علمًا؟».

- «ليس بكل شيء، لكنه سيعرف ما حدث هنا».

- «كيف؟».

- «لأنني أخبره».

دفع آيداهو نفسه بعيدًا عنها، ثم اعتدل جالسًا على الفراش والغضب يصارع الحيرة على وجهه.

قالت له: «يجب أن أخبره».

- «لو انقلب عليك يا هِوي... ألم تسمعي القصص؟ قد تصبحين في خطرٍ داهم!».

- «كلّا، أنا أيضًا لديّ احتياجات. إنه يعرف ذلك، ولن يؤذي أيًا منا».

- «لكنه...».

- «ليتو لن يدمّرني. وهو يعلم أنّه سيدمّرني إن آذاك».

- «كيف ستتزوّجين به؟».

- «يا عزيزي دانكن، ألم ترَ أنه يحتاج إليّ أكثر من احتياجك إليّ؟».

- «لكن غير قادر على... أعني، لا يمكنكِ أن...».

- «لن أجد مع ليتو السّعادة التي وجدناها أنا وأنت أحدنا في الآخر. إنه عاجز عن ذلك. لقد اعترف بذلك لي».

- «إذًا لماذا لا يمكنه... إن كان يُحبّك...».

قالت: «لديه خطط واحتياجات أكبر»، ثم مدّت ذراعيها وأمسكت بيد آيداهو اليمنى بكلتا يديها: «لقد علمت بذلك منذ أن بدأت بدراسته. احتياجاته أكبر من احتياجات أيٍّ منّا».

- «أيّ خطط؟ أيّ احتياجات؟».

- «اسأله».

- «هل تعرفين؟».

- «أجل».

- «تعنين أنك تصدّقين تلك القصص عن...».

- «في داخله صدقٌ وطيبة. أعرف ذلك من ردود أفعالي تجاهه. أظن أن ما خلقه المُعلّمون الإيكسيئون في داخلي كاشفٌ أكثر ممّا أرادوا لي أن أعرفه».

قال آيداهو بنبرة مُتّهمة: «إذن فقد صدّقتِ كلامه!». ثم حاول انتزاع يده منها.

- «إذا ذهبت إليه يا دانكن، و...».

- «لن يراني مُجدّدًا أبدًا...».

- «سيفعل».

ثم جذبت يده قُرب فمها وقبّلت أصابعه.

قال لها: «لقد صرت رهينة... لقد جعلتماني أخاف... كلاكما...».

قالت له: «لم أظن يومًا أن خدمة الرّب ستكون سهلة، لكنني لم أظن أنها ستكون بهذه الصُعوبة».

للذاكرة معنًى غريبٌ من منظوري؛ معنًى كنت آمل أن يشاركني آخرون إيّاه. لطالما أدهشني كيف يتوارى النّاس من ذكريات أسلافهم، محتمين خلف حاجز سميك من الأساطير. قطعًا لا أتوقّع منهم أن يسعوا وراء كل لحظة حياة من تلك التي يتحتّم عليّ اختبارها دومًا على نحوٍ مُريع، إذ أفهم أنهم قد لا يرغبون في الانغماس في فوضى تفاصيل أسلافهم التّافهة. لدى الإنسان سببٌ كافٍ للخوف من أن يستولي آخرون على لحظات حياته. ولكن المعنى الحقيقي يكمن في تلك الذكريات. نحن نحمل نَسَبنا الماضي كله إلى المستقبل كأنه موجة حيّة: كل الآمال والأفراح والأحزان، كل الآلام والابتهاجات. لا شيء في تلك الذّكريات يبقى خاليًا تمامًا من المعنى أو التّأثير ما دامت البشريّة مستمرّة في مكان ما. الأبديّة المُشرقة تحيط بنا من كل جانب، متمثّلةً في الصّراط الذّهبي الذي نستطيع، بولائِنا الضّعيف لكن المُلهم، أن نتعهّد بالسّير عليه.

- المذكّرات المسروقة

قال ليتو: «لقد استدعيتك بسبب ما نقلته إليّ حارساتي يا مُونِيو».

كانا يقفان في عتمة السّرداب، حيث -كما ذكّر مُونِيو نفسه- وُلِدت مجموعة من أكثر قرارات الإمبراطور الإله إيلامًا. كان مُونِيو قد سمع التّقارير هو الآخر، وقد ظلّ يتوقّع الاستدعاء طوال فترة بعد الظّهيرة، وحين جاء بعد العشاء بقليل، سرت في جسدِه رعدة من الرُّعب.

- «أهذا بخصوص... الدّانكن يا مولاي؟».

- «بالطّبع هذا بخصوص الدّانكن!».

- «قيل لي يا مولاي... إن سلوكه...».

- «سلوكه الذي فيه هلاكه يا مُونِيو».

أحنى مُونِيو رأسه وقال: «لا جدال في أوامرك يا مولاي».

- «كم من الوقت سيستغرق التِليلاكسو قبل تزويدنا بواحدٍ آخر؟».

- «يقولون إنهم يواجهون بعض المشكلات يا مولاي. قد يستغرق الأمر عامين».

- «أتعرف ما الذي قالته لي حارساتي؟».

حبس مُونِيو أنفاسه. لو أن الإمبراطور الإله قد عَلِمَ بهذا الأمر الأخير... مستحيل! فحتّى مُحاورات الأسماك ارتعبن ممّا نُطِق من إهانة. لو أن شخصًا آخر غير دانكن هو الذي نطق بذلك، لتكفّلت النّساء بالقضاء عليه بأنفسهن.

- «لم تردّ يا مُونِيو».

- «قيل لي إنه استدعى قوّة من الحرس وسألهن عن أصولهن. على أيّ كواكب وُلِدن؟ ماذا عن أبويهن؟ وطفولتهن؟».

- «ولم ترضه الإجابات».

- «لقد أخافهن يا مولاي. ظلّ يلحُّ بإصرار».

- «كأن التّكرار سيستنطق الحقيقة، أعرف».

سمح مُونِيو لنفسه بأن يحدوه الأمل بأن يكون ذلك كُلّ همّ مولاه. «لماذا يفعل الدّناكنة هذا دائمًا يا مولاي؟».

- «بسبب تدريبهم المُبكّر، التدريب الآتريديزي».

- «لكن كيف يختلف ذلك عن...».

- «لقد عاش آل آتريديز في خدمة رعيّتهم. كان مقياسهم لحكمهم يكمن في أحوال الرّعيّة. لذلك، يحرص الدّناكنة دومًا على معرفة أحوال رعيّتهم».

- «لقد أمضى اللّيلة في القرية يا مولاي، وزار بعض المُدن. لقد شوهد...».

- «الأمر يتعلّق بكيفية تفسير النّتائج يا مُونِيو. الأدلّة لا قيمة لها دون أحكام».

- «لاحظت أنه يطلق الأحكام يا مولاي».

- «كلنا كذلك، لكن الدّناكنة يميلون إلى الاعتقاد بأن الكون رهينة إرادتي. وهم يعلمون أنه لا يمكن إتيان الباطل باسم الحق».

- «ألهذا يقول إنك...».

- «هذا قولي أنا، وقول كُلّ آتريديزي داخلي. الكون لن يسمح بذلك. الأشياء التي تحاولها لن تدوم إذا كنت...».

- «لكن يا مولاي! أنت لا تأتي الباطل».

- «أيُّها المسكين مُونِيو، ألا ترى أنني قد خلقت وسيلةً تقود إلى الظُّلم؟».

لم يستطع مُونِيو الكلام، إذ أدرك أنه انشغل بعودة الهدوء إلى سلوك إمبراطور الإله، لكنه ها هو ذا يشعر بالتغيُّرات التي تموج في

ذلك الجسد العظيم، ومن هذه المسافة القريبة... أجال مُونِيو بصره في غُرفة السّرداب المركزية، مُذكرًا نفسه بكم الوفيات التي وقعت هنا، ودُفنت هنا.

*هل حان دوري؟*

قال ليتو بنبرة تأمُّليّة: «لا يُمكن للمرء النجاح بأخذ الرهائن. هذا أحد أشكال الاستعباد. لا يُمكن لجماعة من البشر أن تمتلك جماعةً أخرى من البشر. الكون لن يسمح بذلك».

راحت الكلمات تغلي في وعي مُونِيو، في تناقض مرعب مع قرقرة التحوُّل التي شعر بها في مولاه.

*الدُّودة قادمة!*

مرّةً أخرى، أجال مُونِيو بصره في غُرفة السّرداب. هذا المكان أسوأ بكثير من العَليَاء! المأمن هنا بعيد جدًّا.

سأله ليتو: «حسنًا يا مُونِيو، ألديك أيُّ ردٍّ؟».

جرؤ مُونِيو وهمس: «كلمات ربِّي تُنير بصيرتي».

- «تُنير بصيرتك! أنت لست مستنيرًا!».

قال مُونِيو بدافعٍ من اليأس: «لكنني أخدم مولاي!».

- «أتدّعي خدمة الرّب؟».

- «أجل يا مولاي».

- «من خلق ديانتك يا مُونِيو؟».

- «أنت يا مولاي».

- «هذه إجابة رشيدة».

- «شكرًا لك يا مولاي».

- «لا تشكرني! بل أخبرني ما الشّيء الذي تسعى المؤسّسات الدينيّة إلى استمراره!».

تراجع مُونِيو خُطواتٍ أربع إلى الخلف.

قال ليتو آمرًا: «قِف حيث أنت!».

هزّ مُونِيو رأسه في صمتٍ وجسده كله ينتفض. ها هو ذا أخيرًا قد واجه السّؤال الذي لا جواب له. فشله في الإجابة سيُفضي إلى موته. أحنى مُونِيو رأسه وانتظر حدوث الأمر.

قال ليتو: «سأخبرك إذن أيُّها الخادم المسكين».

تجرّأ مُونِيو على الأمل. رفع بصره إلى وجه الإمبراطور الإله، ولاحظ أن عينيه غير مُزجّجتين... وأن يديه لا ترتعشان. رُبّما لم تطف الدُّودة إلى السّطح بعد.

قال ليتو: «المؤسّسات الدينية تحافظ على علاقةٍ مهلكةٍ بين سيّدٍ وعبد. إنها تخلق ساحةً تجذب الباحثين المتغطرسين عن السّلطة بكل تحيُّزاتهم قصيرة النّظر!».

لم يستطع مُونِيو سوى الإيماء برأسه. أتلك رعشة التي تعتري يدي إمبراطور الإله؟ أينسحب الوجه المُريع قليلًا داخل طيّاته؟

قال ليتو: «كشف أسرار الأعمال المَشينة هو ما يسعى إليه الدّناكنة.

إنهم يملكون تعاطفًا مُفرطًا مع رفاقهم، لكنهم يضعون حدودًا صارمة لمفهوم الرِّفقة».

كان قد سبق لمُونِيو أن درس التّسجيلات الهولوجراميّة الخاصّة بديدان الرّمال القديمة على كوكب كثيب: الأفواه العملاقة الملأى بأسنانٍ عاجيّة تحيط بها عواصف ناريّة مُهلكة من غبار. لاحظ مُونِيو توزُّم فصوص جسد ليتو الأسطواني. هل صارت أكثر بروزًا؟ هل سينفتح فمٌ جديد أسفل ذلك الوجه المقلنس؟

قال ليتو: «في أعماقهم، يعلم الدّناكنة أنني قد تجاهلت عامدًا ما وصّى به مُحمّد وموسى. حتّى أنت يا مُونِيو تعلم ذلك!».

كان في نبرته اتّهام. همّ مُونِيو بهزِّ رأسه موافقًا، ثم سرعان ما هزّها من جانبٍ إلى آخر، وهو يتساءل إن كان يجرؤ على محاولة التراجُع مرّةً أخرى. كان يعلم بخبرته أن مثل هذه المحاضرات لا تستمر طويلًا دون أن تظهر الدُّودة.

سأله ليتو وفي صوته نبرة شخرية خفيفة: «ماذا كانت تلك الوصيّة يا مُونِيو؟».

هزّ مُونِيو كتفيه بشكل طفيف.

فجأةً، ارتجّت الغُرفة بهدير ليتو الجهوري؛ ونطق صوتٌ عتيق عبر القرون: «أنتم عبيد الرّب، لا عبيد العباد!».

اعتصر مُونِيو يديه معًا، وصرخ قائلًا: «أنا عبدك يا مولاي!».

قال ليتو بصوتٍ خفيض ذي رنين: «مُونِيو، مُونِيو، لا يمكن لمليون خطأ أن يثمر صوابًا واحدًا. الحقُّ معروف لأنه باقٍ».

لم يسع مُونِيو سوى أن يقف في مكانه يرتجف في صمت.

قال ليتو: «كنت أعتزم أن أجعلك تُجامع هِوي، لكن أوان ذلك قد فات».

أخذت الكلمات لحظةً لتخترق وعي مُونِيو، ثم شعر أن معناها خارج أيّ سياقٍ مفهوم. هِوي؟ هِوي من؟ *آه، عروس الإمبراطور الإله الإيكسيّة المرتقبة. تجامعني... أنا؟*

هزّ مُونِيو رأسه في عدم فهم.

قال ليتو بحزنٍ لا نهائي: «أنت أيضًا سترحل. تُرى، هل ستصبح كل أعمالك غبارًا منسيًّا؟».

ثم فجأةً دون تحذير، وفي اللّحظة التي تحدّث فيها، تشنّج ليتو في حركةٍ مفاجئةٍ شديدةٍ ألقت به من العربة. سرعة التشنّج، وعُنفه الوحشي، ألقيا به على بُعد سنتيمترات قليلة من مُونِيو، الذي صرخ هاربًا إلى ممرّات السّرداب.

- «مُونِيو!».

أوقفت صيحة ليتو القهرمانَ على عتبة المِصعد.

- «الاختبار يا مُونِيو! غدًا سأختبر سيونا!».

يتجلّى إدراكي لذاتي في حالةٍ من الوعي لا تحِدُّها قيود الزّمن، مُنزّهةً تمامًا عن الإثارة والضّلال. إنني أخلق حقلًا لا ذات فيه ولا مركز؛ حقلًا يصبح فيه الموتُ محضَ مجاز. لا أبتغي نتيجةً، إنما أسمح لهذا الحقل -الذي لا غاية له ولا رغبة، لا كمال فيه ولا رؤى للإنجاز- بأن يوجد فحسب. في هذا الحقل، الوعي الكُلّي الوجود الأصلي هو كل شيء؛ هو النّور المنساب عبر نوافذ كوني.

- المذكّرات المسروقة

أشرقت الشّمس وبسطت وهجها القاسي عبر الكثبان الرمليّة. شعر ليتو بلمسة الرّمال النّاعمة تحت جسده كأنها تعانقه. وحدها أُذنه البشرية، التي كانت تسمع خشخشة احتكاك جسده الثّقيل بالرّمال، نفرت. كان هذا صِراعًا حِسّيًا تعلّم أن يقبله.

سمع صوت سيونا تمشي خلفه. كان لخطواتها وقعٌ خفيفٌ، ولانسياب الرّمال وهي تصعد إلى مستواه، أعلى كثيبٍ رملي، وشوشةٌ لطيفةٌ.

فكّر ليتو: *كلّما طال تحفّلي، صرت أوهن.*

كانت هذه الفكرة تلحُّ عليه كثيرًا هذه الأيام حين يخرج إلى صحرائِه. رفع ليتو نظره إلى أعلى. كانت السّماء خاليةً من السُّحُب، وفيها زُرقة كثيفة لم تشهدها أيّام كثيب القديمة قط.

وماذا تكون الصّحراء دون سماءٍ صافية؟ لكن من المؤسف أنها لا تحملُ لونَ سماءِ كثيب الفِضّيّة.

هذه السّماء تتحكّم فيها الأقمار الصّناعيّة الإيكسيّة، ولكن ليس

بالكمال الذي يطمح إليه دائمًا. هذا الكمال المنشود ليس سوى تصوُّر خيالي للآلة، يتعثَّر تحت إدارة البشر. ومع ذلك، فالأقمار الصّناعيّة تحكم قبضتها على الطّقس بما يكفي لتمنحه هذا الصّباح الصّحراوي الهادئ. منح ليتو رئتيه البشريّتين نفسًا عميقًا من هواء الصّباح الباكر، وأصغى إلى اقتراب سيونا، وحين توقّفت، عَلِم أنها تتأمّل جمال المشهد.

شعر ليتو بخياله يعمل كالحاوي، مستدعيًا كلّ ما أسهم في خلق المشهد الطّبيعي لهذه اللّحظة. استشعر الأقمار الصّناعيّة؛ تلك الأجهزة الدقيقة التي تعزفُ موسيقَى ترقص لها الكُتل الهوائيّة الدّافئة والباردة، ولا تنفك عن مراقبة وضبط التيّارات الرّأسيّة والأُفُقيّة القويّة. راق له تذكُّر كيف ظنّ الإيكسيُون أنه سيستخدم هذه الآلات البديعة في نوعٍ جديد من الاستبداد المائي: يمنع فيه الرُّطوبة عمّن يعصي الحاكم، ويُعاقب الآخرين بعواصفَ رهيبة. وكم دهشوا حين اكتشفوا كم كانوا مخطئين!

*أساليبي في التحكُّم أدقُّ وأرهف.*

ببطء وتؤدَة، بدأ يتحرّك سابحًا فوق سطح الرّمال، ثم انزلق نازلًا من أعلى الكثيب، دون أن يلقي نظرةً خلفه على قِمّة بُرجه المستدقّة النّحيلة، عالمًا أنها ستختفي عمّا قريب في غشاوة حرّ النّهار.

تبعته سيونا بانقيادٍ غير معهود منها. ها قد أدّى الشّك دوره على أكمل وجه. لقد قرأت المذكّرات المسروقة، وأصغت إلى تحذيرات أبيها. والآن، ضلّت أفكارها الطّريق.

لقد سألت مُونِيو سابقًا: «ما طبيعة هذا الاختبار؟ ماذا سيفعل

بي؟».

- «ليس له شكلٌ ثابت».

- «كيف إختبرَك أنت؟».

- «سيكون اختبارك مختلفًا. إن حكيت لك عن تجربتي، فلن أجلب لكِ إلّا البلبلة».

لقد أصغى ليتو خلسة فيما كان مُونِيو يُعِدُّ ابنته، ويُلبِسها بذلة تقطير فرمِنية أصليّة، ويضع فوقها عباءة داكنة، ويضبط مضخّات حذاءيها بإتقان. لم ينس مُونِيو شيئًا.

بعدها، رفع مُونِيو نظره من حيث كان منحَنِيًا يضبط حذاءها عالي الرّقبة، وقال: «الدُّودة ستحضر، هذا كل ما أستطيع إخبارك به. عليكِ أن تجدي سبيلًا للنجاة في حضرة الدُّودة».

بعدها نهض، شارحًا لها عمل بذلة التّقطير، وكيف أنها تعيد تدوير إفرازات جسدها. جعلها تسحب الأنبوب من جيب التجميع وامتصاصه، ثم تعيد غلقه بإحكام.

ثم قال لها مُونِيو: «ستكونين وحدك معه في الصّحراء. شَي هُولود دائمًا ما تكون قريبة من المرء في الصحراء».

سألته: «ماذا لو رفضت الذّهاب؟».

- «بل ستذهبين، لكن رُبّما لن تعودي».

دار هذا الحوار في غُرفة الطّابق الأرضيّ في القلعة الصّغيرة، فيما كان ليتو ينتظر في عَليّائه. وقد نزل بعربته منزلقًا على مضادات

الجاذبيّة في عتمة ما قبل الفجر حين علم أن سيونا جاهزة. دخل ليتو بعربته غُرفة الطّابق الأرضيّ بعد خروج مُونِيو وسيونا منها. وبينما قطع مُونِيو السّاحة المستوية إلى الثويتر الرّابضة، وغادر المكان يصحبه خفقان الأجنحة، طلب ليتو من سيونا التأكُّد من أن بوابة الغُرفة الأرضيّة مُغلقة، ثم النظر إلى أعلى نحو ارتفاع البُرج الشّاهق.

وقال: «السّبيل الوحيد للخروج من هنا يقتضي عبور صحراء السّرير».

ثم مضى بها بعيدًا عن البُرج، دون حثّى أن يأمرها باتباعه، معتمدًا على حِسّها السليم، وفضولها، وشكوكها.

سبح ليتو على جانب الكثيب المنحدِر حتّى هبط فوق طبقة صخريّة مكشوفة، ثم صعد بزاويةٍ لطيفة فوق منحدرٍ رملي آخر، ما خلق مسارًا في الرّمال لسيونا لتتبعه. كان الفرمِن يسمُّون مثل هذا المسار المُمهّد: «هبة الرّب للمُنهكين». مضى ليتو ببطء، مانحًا سيونا وقتًا كافيًا لتدرك أن هذا النّطاقَ مملكته، وموطنه الطّبيعي.

بلغ ليتو قِمّة كثيبٍ آخر، واستدار ليراقب تقدُّمها. كانت تتقفّى الأثر الذي خلّفه، وتوقّفت فقط حين بلغت القِمّة. ألقت نظرة سريعة على وجهه، ثم استدارت استدارةً كاملة لتتأمّل الأفق. سمع شهقةً حادّة صدرت عنها وهي تستنشق الهواء. كانت سخونة الهواء قد حجبت قِمّة البُرج، ولم تعد قاعدته تُرى إلّا كنتوءٍ بعيدٍ.

قال لها: «هكذا كانت الأمور في الماضي».

كان يعلم أن في الصّحراء ما يُخاطب روح كل من تسري في عروقه دماء الفرمِن، وقد اختار هذا الموضع بالتّحديد، هذا الكثيب المرتفع قليلًا عن سواه، لما له من تأثيرٍ في النّفس.

قال لها: «ألقي نظرةً جيّدةً على المشهد»، ثم انزلق من جانب الكثيب الآخر ليبعد كتلة جسده عن مجال رؤيتها.

أخذت سيونا دورةً بطيئة أخرى، متطلّعةً أمامها.

كان ليتو يعرف ما يجيش في داخلها مِن أحاسيسَ مِن وقْع ما ترى. فباستثناء تلك النُّقطة الضّبابية التّافهة التي تشكّل قاعدة برجه، لم يكن في الأُفُق أدنى ارتفاع. كان الأُفُق منبسطًا، ومستويًا في كل اتّجاه. لا نباتات، لا حركة تدل على وجود حياة. من موقعها هذا، كان الأُفُق على مسافة تقارب ثمانية كيلومترات، حيث يخفي انحناء الكوكب ما وراءه.

تكلّم ليتو من حيث استقرّ أسفل قِمّة الكثيب: «هذا هو السّرير الحقيقي، قلب الصّحراء الذي لا يدركه المرء حقًّا إلا حين يقف فيه بنفسه. هذا كل ما تبقّى من *البحر بلا ماء**».

همست: «بحر بلا ماء».

ثم استدارت مجدّدًا، وتفحّصت الأُفُق بكامله.

كان الهواء ثابتًا لا ريح فيه، وكان ليتو يعلم أن في غياب الريح، ينهش صمت الصّحراء روح الإنسان. شعرت سيونا بفقدان كل نقاطها المرجعية المألوفة. لقد تُركِت في فراغٍ خطِرٍ موحِش.

ألقى ليتو نظرةً خاطفةً على الكثيب التّالي. بالسّير في ذلك الاتجاه، سرعان ما سيصلان إلى مجموعة من التلال المنخفضة كانت في الأصل جبالًا، لكنها استحالت الآن إلى خَبَثٍ وأنقاض. واصل ليتو استرخاءه بهدوء، تاركًا الصّمت يؤدّي عمله نيابةً عنه. كان من الممتع له تخيّل أن هذه الكثبان تستمر بلا نهاية، تحيط بالكوكب كله، كما كانت في السّابق. لكن حتّى هذه الكثبان القليلة كانت تتدهور، فمع غياب عواصف كثيب الكوريوليسيّة الأصلية، لم يشهد السّرير ظواهر جوّيّة أشدّ من النّسيم القوي، والدّوامات الحراريّة العارضة التي ليس لها سوى تأثيرٍ محلّيٍّ محدود. راحت إحدى «الزّوابع الشّيطانيّة» الصّغيرة تلك ترقص في منتصف المسافة جنوبًا، فتتبّعت سيونا مسارها بعينيها، ثم سألته فجأةً: «هل تدين بديانة؟».

استغرق ليتو لحظةً في صياغة رده. لطالما أدهشه كيف تُثير الصّحراء أفكارًا دينيّة.

سألها بنبرة استنكاريّة حادّة: «أتجرئين على سؤالي إن كنت أدين بديانة؟».

لم تظهر على ملامح سيونا أيّ علامة على المخاوف التي كان يعلم أنها تشعر بها، فقط التفتت وحدّقت إليه. ذكّر ليتو نفسه بأن الجرأة سِمة آتريديزيّة دامغة.

وحين لم تُجب، قال: «لا شك في أنك آتريديزيّة».

سألته: «أهذه إجابتك؟».

- «ما الذي تريدين معرفته يا سيونا؟».

- «أريد أن أعرف: بِمَ تؤمن؟».

- «هاه! تسألين عن إيماني. حسنًا، أنا أومن بأن شيئًا لا يمكن أن ينبثق من العدم دون تدخُّلٍ إلهي».

أربكتها إجابته: «كيف تكون هذه...».

قاطعها قائلًا: «ناتورا نَن فاشيت سالتوس(18)».

هزّت رأسها، إذ لم تفهم الصياغة القديمة التي نطقت بها شفتاه، فترجم ليتو قائلًا:

- «الطّبيعة لا تُسفر عن قفزات».

سألته: «أيُّ لُغةٍ هذه؟».

- «إنها لُغةٌ لم تعد تُستخدم في أيِّ مكان آخر في كوني».

- «لماذا استخدمتها إذًا؟».

- «لحثّ ذكرياتك القديمة».

- «ليس لديّ ذكريات قديمة! فقط أريد معرفة لماذا أتيت بي إلى هنا».

- «لأُعطيك لمحةً عن ماضيك. اهبطي إلى هنا، وتسلّقي ظهري».

تردّدت سيونا في البداية، ثم أدركت عبثيّة المقاومة، فانزلقت من الكثيب وتسلّقت ظهره.

انتظر ليتو حتّى جثت على ظهره. لم يكن الأمر كما كان يحدث في

الأيّام الخالية التي ألفها. لم يكن معها خُطّافا الصّانعة، ولم يكن في استطاعتها الوقوف على ظهره. رفع ليتو فصوص جسده الأمامية قليلاً عن سطح الرّمال.

سألته: «لماذا أفعل ذلك؟»، وأخبرته نبرتها بأنها تشعر بالسّخافة لجلوسها أعلاه.

- «أريدك أن تُجرّبي كيف كان شعبنا يتحرّك بفخر عبر هذه الأرض ذات يوم، على ظهر دودة رمال عملاقة».

بدأ ليتو بالانزلاق على طول الكثيب أسفل القِمّة مباشرةً. كانت سيونا قد شاهدت المقاطع الهولوجراميّة، وتعي هذه التجربة نظريًا، لكن كان لنبض الواقع إيقاعٌ مختلف، وقد عَلِم ليتو أنها ستتجاوب معه.

فكّر ليتو: *آهٍ يا سيونا، كم أنت غافلة عن الكيفيّة التي سأختبرك بها.*

ثم شدّ عزيمته بعدها: *يجب ألّا أتحلّى بأيّ شفقة. إن ماتت، فلتَمُت. إن مات أيٌّ منهم، فذلك حدثٌ لازم، لا أكثر.*

وكان عليه أن يُذكّر نفسه بأن هذا ينطبق حتّى على هِوي نوري. ما يهم هو ألا يموتوا جميعًا.

أدرك ليتو أن سيونا بدأت تستمتع بشعور الرُّكوب على ظهره، إذ شعر بتغيُّر طفيف في وزنها وهي تسترخي على ساقيها لترفع رأسها.

اندفع ليتو نحو الخارج على طول بَرخانٍ منحنٍ، مشاطرًا سيونا لذّة الأحاسيس القديمة، وراح يختلس النّظر إلى سلسلة التّلال

الباقية في الأفق أمامه. بدت كبذرة من الماضي تنتظر في مكانها؛ تذكير بالقوّة الذاتيّة المتنامية التي تعمل في الصّحراء. استطاع ليتو أن ينسى للحظة أن على هذا الكوكب -الذي لم يبقَ من سطحه سوى صحراء محدودة- يمارس نشاط السّرير الصّحراوي عمله في بيئةٍ متداعيةٍ.

لكن وَهْمُ الماضي كان حاضرًا هنا، وقد شعر به وهو يتحرّك. إنه مُجرّد خيال، بالطّبع، هكذا أخبر نفسه، خيال آخذ في التلاشي ما دام هو مستمرًا في فرض هدوئه القسري. حتّى ذلك البَرخان الفسيح الذي يعبره الآن لم يكن بعظمة بَرَاخين الماضي. لم يعُد أيٌّ من الكُثبان بتلك الضّخامة.

شعر ليتو فجأةً بسخافةِ هذه الصّحراء المحميّة. كاد يتوقف على سطحٍ مليءٍ بالحصى بين كثيبين، لكنه تابع سيره ببطء، محاولًا استحضار المتطلّبات التي تُبقي هذا النظام برُمّته يعمل. تخيل دوران الكوكب الذي يُولّد تياراتٍ هوائيةً عظيمةً تُغيّر من مواقع الهواء البارد والحار بأحجامٍ هائلة. كل شيء خاضع للرصد والتحكم من تلك الأقمار الصناعية الصّغيرة، بأجهزتها الإيكسيّة، وأطباقها التي تركّز الحرارة. إذا كانت تلك الأجهزة في الأعلى تدرك ما تراه، فلعلها رأت صحراء السّرير كـ«صمام تنفيس» إلى حدٍّ ما، بما يحيط بها من جدران مادّية وهوائيّة باردة. هذا يؤدي إلى تشكيل الجليد على الأطراف، ما يستدعي مزيدًا من التّعديلات المناخيّة.

لم يكن ذلك بالأمر السّهل، ولهذا كان ليتو يسامح الأخطاء العارضة حين تحدث.

حين بدأ يتحرّك مرةً أخرى على الكثبان، فقد ليتو ذلك الإحساس بالتوازن الرّقيق، ونحّى جانبًا ذكريات الأراضي الحصويّة القاحلة الواقعة خارج نطاق الرّمال المركزي، واستسلم للاستمتاع بـ«مُحيطه المتحجّر» بأمواجه المتجمّدة التي تبدو ثابتة بلا حراك. ثم استدار نحو الجنوب، وتحرّك موازيًا لبقايا التّلال.

كان يعلم أن معظم النّاس يستاؤون من ولعه بالصحراء. كانوا يشعرون بعد راحة وينصرفون عنه. أمّا سيونا، فلم تستطع أن تُدير ظهرها. فأينما نظرت، كانت الصّحراء تُطالبها باعتراف. ظلّت تمتطي ظهره في صمت، لكنه كان يعلم أن عينيها ممتلئتان، وأن الذكريات القديمة بدأت تُخضخض.

في غضون ثلاث ساعات، وصل ليتو إلى منطقة كثبان رملية أسطوانية حدباء كظهور الحيتان، بعضها يتجاوز امتداده مئة وخمسين كيلومترًا، ومنحوتًا بزاوية تُظهر اتّجاه الرياح السائدة. خلفها، امتدّ ممرٌّ صخري بين الكثبان، يصل إلى منطقة كثبان نجمية يبلغ ارتفاعها نحو أربعمئة مترٍ. أخيرًا، دخلا إلى نطاق الكثبان المضفورة في منطقة العِرق المركزية، حيث رفع الضّغط العام المرتفع والهواء المشحون كهربائيًا من معنوياته. كان يعلم أن السّحر ذاته سيفعل الأفاعيل في نفس سيونا.

قال لها: «هذا هو المكان الذي نشأت فيه أغاني ‹الرّحلة الطّويلة›، تلك المحفوظة بدقّة في التّاريخ الشّفهي».

لم تُجبه، لكنه عَلِم أنها سمعته.

أبطأ ليتو من وتيرته وبدأ يتحدّث إلى سيونا، مُخبرًا إياها عن

ماضيهما الفرمِني. شعر باهتمامها يتنامى، حتّى إنها راحت تطرح الأسئلة من حين إلى آخر. لكنه شعر أيضًا بازدياد مخاوفها، فحتّى قاعدة قلعته الصغيرة لم تعد تُرى من هنا، ولم تعُد سيونا تُميز حولها شيئًا من صنع الإنسان. لسوف تظن أنه يتجاذب معها توافه الأمور لتأجيل أمرٍ جلل.

قال لها: «المساواة بين رجالنا ونسائنا بدأت هنا».

قالت له: «حارساتك ينكرن أن الرجال والنّساء متساوون».

كان صوتها، الممتلئ شكًّا وعدم تصديق، أبلج من شعوره بجثوتها على ظهره في تحديد موقعها. توقّف ليتو عند تقاطع كثيبين رمليين مضفورين، وترك الأكسچين المنبعث من جسده نتيجةً للحرارةِ يهدأ.

قال لها: «الأمور اليوم مختلفة. لكن للرجال والنساء مطالب تطوُّريّة مختلفة. أما مع الفرمِن، فقد كان في الأمر اتّكال مُتبادَل، وهذا ما عزّز المساواة هنا، في الصّحراء، حيث تصبح مسائل البقاء مُلِحّة وضروريّة».

سألته في حِدّة: «لِمَ أتيت بي إلى هنا؟».

قال لها: «انظري خلفنا».

شعر بجسدها يستدير، ومرّت لحظات قبل أن تقول: «ماذا يُفترض بي أن أرى؟».

- «هل تركنا أيّ آثار خلفنا؟ أيمكنك معرفة أين كنا؟».

- «بعض الرّياح الخفيفة تهب الآن».

- «هل محت آثارنا؟».

- «أجل... أظن ذلك».

- «هذه الصّحراء هي التي جعلتنا ما كنّا عليه، وما نحن عليه الآن. إنها المتحف الحقيقي لكل تقاليدنا. لم يندثر أيٌ من تلك التقاليد حقًّا».

رأى ليتو عاصفةً رمليّة صغيرةً، ريحًا قِبليّةً* حارّةً، تتحرّك عبر الأفق الجنوبي. لاحظ شرائط الغبار والرّمال الضّيّقة تسبقها نحو الأمام. لا شك في أن سيونا رأتها.

سألته سيونا والخوف بادٍ في صوتها: «لمَ لا تُخبرني لماذا جلبتني إلى هنا؟».

- «لكنني أخبرتك».

- «لم تفعل!».

- «كم قطعنا من مسافة يا سيونا؟».

فكّرت لحظةً ثم قالت: «ثلاثين كيلومترًا؟ عشرين؟»

قال لها: «بل أبعد، فأنا أتحرّك بسرعةٍ كبيرة عبر أرضي. أما شعرتِ بالرّيح على وجهكِ؟»

قالت بتجهُّم: «بلى. لماذا تسألني عن المسافة إذًا؟».

- «ترجّلي وقِفي حيث تتسنّى لي رؤيتك».

- «لماذا؟».

فكّر ليتو: جيّد. *تظن أنني سأنبذها هنا وأهرب أسرع ممّا تستطيع اللّحاق بي.*

- «ترجّلي وسأشرح لكِ».

انزلقت سيونا من فوق ظهره ولفّت إلى حيث يتسنّى لها النّظر إلى وجهه.

قال لها: «يمرُّ الوقت سريعًا حين تمتلئ حواشك. نحن في العراء منذ أربع ساعات. لقد قطعنا ما يقرب من ستّين كيلومترًا».

- «وما أهمّيّة ذلك؟».

قال: «مُونِيو وضع بعض الزّاد الجاف في جعبة ردائك. كُلي شيئًا وسأخبرك».

عثرت في الجُعبة على مكعّبٍ مجفّف من *البروتمور*، فمضغته وهي تراقبه. كان طعامًا فرمِنيًا أصيلًا من عهدٍ قديم، حتّى في احتوائه على قدرٍ يسير من المِزَاج.

قال لها: «ها قد تذوّقتِ ماضيكِ. الآن، عليك أن تصبحي حسّاسةً لمستقبلك، للصّراط الذّهبي».

ابتلعت ريقها: «أنا لا أومن بصِراطِك الذّهبي».

- «إن كُتبت لكِ الحياة، فستؤمنين به».

- «أهذا هو اختبارك؟ الإيمان بالرّبّ العظيم ليتو، أو الموت؟».

- «لستُ في حاجةٍ إلى إيمانك بي. أريدك أن تؤمني بنفسك».

- «ما أهمّية المسافة التي قطعناها إذًا؟».

- «كي تدركي كم تبقّى أمامك لقطعه».

وضعت سيونا يدها على وجنتها وقالت: «لا أ...».

قال: «أنتِ الآن تقفين في قلب لا نهائية واضحة لكل ذي بصيرة. انظري حولكِ وتأمّلي في معناها».

نظرت سيونا ذات اليمين وذات اليسار إلى الصّحراء الممتدّة على مرمى البصر.

قال لها: «سنغادر صحرائي معًا على الأقدام. أنا وأنتِ فحسب».

قالت ساخرةً: «لكنك لا تمشي».

- «تعبير مجازي. أمّا أنت فستمشين. أؤكّد لكِ هذا».

نظرت إلى الاتّجاه الذي جاءا منه وقالت: «لهذا إذًا سألتني عن آثارنا».

- «حتّى لو وُجِدت آثارٌ لنا، فلن تتمكّني من العودة. لا يوجد في قلعتي الصّغيرة ما يستحق بلوغه أو يصلح استخدامه للبقاء على قيد الحياة».

- «لا ماء؟».

- «لا شيء».

تلمّست سيونا أنبوب جيب التجميع عند كتفها، ومصّت منه قطرات ثم أعادته إلى مكانه. لاحظ ليتو الحرص الذي أحكمت به

إغلاق طرف الأنبوب، لكنها لم تسحب القناع الواقي على فمها، مع أن ليتو كان قد سمع والدها يحذِّرها من هذا. كانت تريد إبقاء فمها حرًّا للكلام!

قالت: «أنت تخبرني أنني لا أستطيع الهرب منك».

فأجابها: «اهربي إن شئتِ».

دارت دورة كاملة حول نفسها متفحِصةً الأرض الموات.

قال لها: «يُقال عن الأرض المفتوحة إن جميع الاتِّجاهات فيها سواء. قد يكون هذا صحيحًا إلى حدٍّ ما، لكنني لا أنصح بالاعتماد عليه».

- «لكن هل أنا حُرّة حقًّا في مغادرة جانبك إذا أردت؟».

قال لها: «الحُرِّيّة قد تكون حالًا موحشةً تمامًا».

أشارت سيونا إلى جانب الكثيب المنحدر الذي توقَّفا عليه، وقالت: «لكن بإمكاني النُّزول إلى هناك فحسب و...».

- «لو كنت مكانك لما نزلت إلى حيث تشيرين».

نظرت إليه بحدّة: «لماذا؟».

- «ما لم تتبعي منحنيات جانب الكثيب الطّبيعيّة بدِقّة، قد ينزلق الرّمل فوقك ويدفنك».

نظرت سيونا أسفل المنحدر، وهي تستوعب ما قال.

سألها: «أرأيتِ كم يمكن أن تكون الكلمات جميلة؟».

أعادت انتباهها إلى وجهه وقالت: «ألا ينبغي لنا التّحرُّك؟».

- «هنا تتعلّمين تقدير الهُوَيني... والكياسة. لا عجلة في الأمر».

- «لكننا لا نملك ماءً سوى...».

- «إن استخدمتِ هذه البذلة بحكمة، فستبقيك على قيد الحياة».

- «لكن كم من الوقت سنستغرق حتّى...».

- «هذا النّفاد في صبرك يقلقني».

- «لكننا لا نملك سوى ذلك الطّعام المُجفّف في جعبتي. ماذا سنأكل حين...».

- «سيونا! أما لاحظتِ أنّكِ تُعبّرين عن وضعنا بصيغة المشاركة؟ ماذا سنأكل؟ لا نملك ماءً. هل ينبغي أن نتابع السّير؟ كم سنستغرق من الوقت؟».

أحسّ ليتو بجفاف فمها وهي تحاول البلع.

سألها: «أتظنّين أنّ أحدنا سيتكئ على الآخر؟».

قالت بتردُّد: «لا أعرف كيفيّة النّجاة هنا».

- «وأنا أعرف؟».

أومأت.

سألها: «ولِماذا يجدر بي أن أشاركك هذه المعرفة القيّمة؟».

هزّت سيونا كتفيها. كانت إيماءةً باهتةً لكنها أثّرت فيه. ما أسرع ما تُبدد الصحراءُ سلوك المرء.

قال لها: «سأشاركك معرفتي، لكن عليك أن تجدي شيئًا ذا قيمة تشاركينه معي».

جالت بنظرتها على طول جسده، وتوقّفت لحظةً عند الزُّعنفتين اللتين كانتا يومًا ما ساقيه وقدميه، ثم عادت إلى وجهه.

وقالت: «الاتّفاق الذي يُشترى بالتّهديد ليس اتّفاقًا».

- «لم أُلمّح بأدنى اعتداءٍ عليك».

قالت: «للاعتداء أشكال عِدّة».

- «تقصدين أنني من جلبك إلى حيث قد تقضين نحبك؟».

- «وهل كان لي خيارٌ في الأمر؟».

قال: «أن تُولدي آتريديزيّة ليس بالأمر السّهل. صدّقيني، فأنا أعرف ذلك».

قالت: «لستَ مُضطرًا إلى اختباري بهذه الطّريقة».

- «هنا أنتِ مخطئة».

ثم استدار مبتعدًا عنها، وبدأ ينحدر على الكثيب في منحنًى ثعبانيّ متموّج. سمعها تنزلق وتتعثّر في أثره، فتوقّف بعد أن صار في عُمق ظِلّ الكثيب.

وقال: «سنمكث هنا نهارًا، فالارتحال ليلًا يستهلك ماءً أقل».

إحدى أشنع الكلمات في أيّ لغةٍ هي لفظة «جُنديّ»، بمرادفاتها المتوالية عبر التّاريخ: يوغانِي، خيّال، هوسار، كاريبو، قوزاق، دِرانزيف، فَيلَقِي، ساردوكار، مُحاورة أسماك... أعرفها جميعًا. إنها تصطفُّ في صفوف ذاكرتي لتذكّرني: احرص دومًا على أن يكون الجيش إلى جانبك.

- المذكّرات المسروقة

عثر آيداهو على مُونِيو، بعد لَأْيٍ، في الممرّ الأرضي الطّويل الذي يربط بين جناحي القلعة الشّرقي والغربي. منذ أن بزغ الفجر قبل ساعتين، لم ينفكّ آيداهو عن ذرع أرجاء القلعة بحثًا عن القهرمان. وها هو ذا هناك، بعيدًا في آخر الممر، يتحدّث إلى شخصٍ مختفٍ وراء مدخل باب، لكن مُونِيو كان يسهل تمييزه حتّى من هذه المسافة من وقفته، ومن زِيّه الأبيض الذي لا يفارقه.

كانت جدران الممرّ البِلاستونيّة هنا، على عمق خمسين مترًا تحت السّطح، لها لون الكهرمان، ومضاءةً بشرائط إنارة مضبوطة على التّوقيت النّهاري. كان النّسيم البارد يهب في هذا العُمق عن طريق آلية بسيطة من أجنحةٍ حُرّةِ التأرجح، منصوبةٍ على الأبراج المحيطة بالسّقف كأنها قاماتٌ عملاقة في أرديةٍ طويلةٍ. والآن، بعد أن سخّنت الشّمس الرّمال، كانت جميع الأجنحة تتّجه شمالًا صوب الهواء البارد المتدفّق إلى السّرير. تنفّس آيداهو ذلك النسيم الحادّ الرائحة وهو يواصل سيره.

كان يعلم ما يُفترض أن يُمثّله هذا الممرّ؛ فقد اتّسم ببعض سمات سييتشات الفرمِن القديمة. كان واسعًا بما يكفي ليتّسع لمرور ليتو

على عربته. بدا السّقف المقوّس أشبه بالصّخر، لكن شريطي الإنارة بدوا نشازًا في هذا المشهد. لم يرَ آيداهو أيّ شرائط إنارة قبل مجيئه إلى القلعة، إذ كانت تُعدُّ غير عملية في عصره، إذ تتطلّب طاقة كبيرة لتشغيلها، ولها كُلفة صيانة مرتفعة. كانت كُرات الإنارة أبسط، وأسهل في الاستبدال. لكنه كان قد أدرك أنّ قليلًا جدًا من الأشياء يَعُدُّها ليتو غير عمليّة.

*ما يريده ليتو، يوفّره له شخصٌ ما.*

حملت الفكرة طابعًا مشؤومًا في ذهن آيداهو وهو يخطو في الممرّ نحو مُونِيو.

اصطفّت على جانبي الممرّ غرفٌ صغيرةٌ على طراز السييتشات، بلا أبواب، تحجبها فقط ستائر رقيقة من قماش خمريّ اللون تتراقص مع النّسيم. كان آيداهو يعلم أن هذه المنطقة مُخصّصة لمساكن مُحاورات الأسماك الأصغر سِنًّا. نظر حوله فلاحظ قاعة اجتماعات، وغرفًا لتخزين الأسلحة، ومطبخًا، وقاعة طعام، وورش صيانة. كما لاحظ أشياء أخرى خلف السّتائر التي لا توفّر الخصوصيّة الكافية.. أشياء أجّجت غضبه.

التفت مُونِيو إلى آيداهو مع اقترابه. تراجعت المرأة التي كان مُونِيو يتحدث إليها وتركت السّتار ينسدل، لكن ليس قبل أن يلمح آيداهو وجهًا مُسِنًّا تبدو القيادة في سيماه. لم يتعرّف آيداهو على شخصيّة تلك القائدة بالتّحديد.

أومأ مُونِيو لآيداهو؛ إذ توقّف على بُعد خطوتين منه.

قال مُونِيو: «أخبرتني الحارسات أنك تبحث عني».

- «أين هو يا مُونِيو؟».

- «أين من؟».

ألقى مُونِيو نظرةً من أعلى إلى أسفل على آيداهو، مُلاحظًا الزِّيّ الآتريديزيّ التقليديّ الأسود، الذي تزيّن صدره بشارة الصّقر الأحمر، وجزمته العالية التي تبرق من كثرة تلميعها. بدا على الرجل مسحة طقسيّة غامضة.

أخذ آيداهو نفسًا قصيرًا، وقال ضاغطًا على أسنانه: «لا تبدأ هذه اللُّعبة معي!».

صرف مُونِيو انتباهه عن السّكّين المُعلّقة في غمدها على خصر آيداهو، والتي بدت كأنها قطعةٌ أثريّةٌ بمقبضها المُرصّع بالجواهر. من أين حصل آيداهو عليها؟

قال مُونِيو: «إن كنت تقصد الإمبراطور الإله...».

- «أين هو؟».

حافظ مُونِيو على صوته معتدلًا: «لماذا أنت متشوّقٌ للموت؟».

- «عَلِمت أنك كنت معه».

- «كان هذا في وقتٍ سابق».

- «سأعثر عليه يا مُونِيو!».

- «ليس الآن».

وضع آيداهو يده على سِكّينه، وقال: «أيجب عليّ استخدام القوّة لحثّك على الكلام؟».

- «لا أنصحك بذلك».

- «أقول... أين... هو؟».

- «ما دُمت مُصِرًّا، فهو قد خرج إلى الصّحراء مع سيونا».

- «مع ابنتك؟».

- «أتُوجد سيونا أخرى؟».

- «ماذا يفعلان؟».

- «إنه يختبرها».

- «ومتى سيعودان؟».

هزّ مُونِيو كتفيه، ثم قال: «لِمَ كل هذا الغضب غير اللّائق يا دانكن؟».

- «ما طبيعة هذا الاختبار الذي تخضع...».

- «لا أعرف. الآن أجبني، ما سبب كل هذا الانزعاج؟».

- «لقد سئمت هذا المكان! سئمت مُحاورات الأسماك!»، ثم أدار رأسه وبصق.

ألقى مُونِيو نظرةً سريعةً على الممرّ خلف آيداهو، متذكرًا اقتراب الرجل، وبمعرفته بالدّناكنة، سَهُل عليه إدراك سبب غضبه الحالي.

قال مُونِيو: «دانكن، من الطّبيعي تمامًا أن يشعر المراهقون، سواءً

كانوا إناثًا أو ذكورًا، بانجذاب جسدي تجاه أفراد من جنسهم. بمرور الوقت، يتخلّص معظمهم من هذا الانجذاب».

- «لا بُدّ من القضاء على ذلك!».

- «لكنه جزء من إرثنا».

- «لا بُدّ من القضاء عليه! وذلك ليس...».

- «اهدأ قليلًا. إذا حاولت قمع الأمر، فستزيد من شِدّته فحسب».

نظر إليه آيداهو شزرًا: «ومن ناحيةٍ أخرى تقول إنك لا تعرف ماذا يحدث في الخارج مع ابنتك!».

- «سبق أن أخبرتك أن سيونا تُختبر».

- «وما الذي يُفترض أن يعنيه ذلك؟».

وضع مُونِيو يده على عينيه وتنهّد. ثم أنزل يده، متسائلاً عن سبب تحمُّله لهذا الإنسان الأحمق، الخطير، العتيق.

- «يعني أنها قد تموت هناك».

بوغِت آيداهو بالرّد، ما هدّأ بعضًا من غضبه: «وكيف تسمح بـ...».

- «أسمح؟ أتظن أنني أملك خيارًا؟».

- «كل إنسان يملك الخيار!».

شاعت ابتسامة مريرة على شفتي مُونِيو: «كيف لك أن تكون أكثر حماقة من الدّناكنة الآخرين؟».

قال آيداهو: «الدّناكنة الآخرون! كيف مات أولئك الآخرون يا

مُونِيو؟».

- «كما نموت جميعًا. انتهى أجلهم».

- «أنت تكذب»، قالها آيداهو من بين أسنانه، وقد ابيضّت براجمه من شِدّة إحكامها على مِقبَض السّكّين.

قال مُونِيو وهو ما زال يتحدّث باعتدال: «انتبه لكلامك، فلصبري كذلك حدود، لا سيّما الآن».

قال آيداهو: «هذا المكان عَفِن!»، وأشار بيده الخالية إلى الممرّ من خلفه: «بعض الأشياء لن أقبلها أبدًا!».

حدّق مُونِيو إلى الممرّ الخالي بعينٍ شاردة وقال: «يجب أن تنضج يا دانكن. يجب».

توتّرت يدُ دانكن على السّكّين وقال: «ماذا تعني بذلك؟».

- «نحن في وقتٍ حرج. لذا أيُّ شيءٍ قد يزعجه، أيُّ شيءٍ على الإطلاق... يجب منعه».

تماسك آيداهو بصعوبة على حافة العنف، لا يوقف غضبه سوى شيءٍ غريبٍ في أسلوب مُونِيو. لكن بعض الكلمات التي قيلت لا يمكن التّغاضي عنها.

- «أنا لست طفلًا لعينًا غير ناضج يمكنك أن...».

- «دانكن!». كان ذلك أعلى صوت سمعه آيداهو من مُونِيو الوديع. شلّت المفاجأة يد آيداهو، في حين ما واصل مُونِيو كلامه: «إذا كانت رغبات جسدك تدفعك نحو النّضج، لكن شيئًا ما يُبقيك في مرحلة

المراهقة، فإن سلوكًا شائنًا سيظهر. تخلَّ عنه».

- «هل... تتّهمني... بـ...».

- «كلّا!»، قالها مُونِيو وهو يشير نحو الممرّ: «أعرف ماذا رُبّما تكون قد رأيت هناك، لكنه...».

- «امرأتان تتبادلان قُبلة عاطفيّة! أترى أن هذا ليس...».

- «ليس مهمًا! أجل! الشّباب يستكشف إمكاناته بطرائق عديدة».

وازن آيداهو نفسه على حافّة الانفجار، متأرجحًا على أصابع قدميه: «أنا سعيد بمعرفة المزيد عنك يا مُونِيو».

- «حسنًا، أنا كذلك عرفت عنك الكثير، مرّاتٍ عِدّة».

راقب مُونِيو تأثير كلماته وهي تتلوّى في نفس آيداهو، مُربكةً إياه. لم تستطع الغيلان قط تخطّي الانبهار بمن سبقوهم.

تحدّث آيداهو بهمسٍ أجش: «ماذا تعلّمت؟».

قال مُونِيو: «لقد علّمتني أشياء قيّمة، منها أننا جميعًا نحاول التطوّر، لكن إذا حالت بيننا وبين ذلك عقبة، فقد نحوّل إمكاناتنا إلى ألمٍ... إمّا نسعى إليه وإمّا نُحدثه في الآخرين. المراهقون معرضون لذلك بشكل خاص».

مال آيداهو مقتربًا من مُونِيو: «أنا أتحدّث عن الجنس!».

- «بالتأكيد».

- «أتتّهمني بالمراهقة الـ...».

- «هذا صحيح».

- «حريٌ بي أن أقطع...».

- «أوه، صه!».

لم يكن في ردّ مُونِيو مهارة التّحكُّم في «الصّوت» التي تتقنها نساء البِني چيسيرِت، لكنه كان مدعومًا بغمرٍ كامل من إصدار الأوامر، فلم يجد آيداهو في نفسه سوى الانصياع.

قال مُونِيو: «أنا آسف، لكنني منشغل بحقيقة أن ابنتي الوحيدة...»، ثم بتر عبارته وهزّ كتفيه.

أخذ آيداهو نفسين عميقين، ثم قال: «أنتم مجانين، كلكم! تقول إن ابنتك رُبّما تحتضر في الخارج، ومع ذلك...».

صاح مُونِيو: «يا لك من أحمق! ألديك أدنى فكرة كيف تبدو لي مخاوفك التّافهة؟ أسئلتك الغبيّة وأنانيّتك الـ...»، ثم توقّف وهزّ رأسه.

قال آيداهو: «سأتغاضى عمّا قُلت لأنك تمر بمشكلات شخصيّة، لكن لو...».

- «تتغاضى؟ أنت تتغاضى؟»، قالها مُونِيو وأخذ نفسًا مرتجفًا. كان الأمر قد فاق احتماله!

قال آيداهو بجمود: «بإمكاني أن أسامحك على...».

- «أنت! إنك تهذر عن الجنس والتّسامح والألم و... تظن أنك وهِوي نوري...».

- «دعها خارج هذا الأمر!».

- «آه، صحيح، دعها خارج الأمر. دعك من ذلك الألم! تشاركها الفراش ولا تفكّر لحظةً في الفراق. قل لي أيها الأحمق، كيف تمنحها نفسك وأنت تعلم ما ينتظركما من مصير؟».

شاعرًا بالخزي، تنهّد آيداهو بعمق. لم يكن يظن أن مثل هذا الشّغف مُشتعل في نفس مُونِيو الهادئ، لكن هذا الهجوم، هذا لا يمكن أن يكون...

سأل مُونِيو بحِدّة: «أتظن هذه قسوة؟ أنا فقط أجبرك على التّفكير في أشياء تُفضّل تجنّبها. هاه! لقد ارتُكِبت أفعالٌ أشدُّ قسوة في حقّ الإله ليتو، لا لشيء إلّا للقسوة ذاتها!».

- «أتدافع عنه؟ أنت...».

- «أنا أفضل من يعرفه!».

- «إنه يستخدمك!».

- «لأيّ غاية؟».

- «أخبرني أنت!»

- «إنه أملنا الوحيد في الاستمرار...».

- «المنحرفون لا يستمرّون!».

تكلّم مُونِيو بنبرة مُهدّئة، لكن كلماته صدمت آيداهو: «سأخبرك بالآتي مرّةً واحدةً. لطالما كان المثليّون جنسيًا من بين أفضل المحاربين في تاريخنا. لطالما كانوا البِرسِركيّين(19) الذين يُلجأ

إليهم كحلٍّ أخير. كما كانوا من بين أفضل كهنتنا وكاهناتنا. لم يكن الامتناع عن الزّواج في الأديان محض مصادفة، وليس من قبيل المصادفة كذلك أن يكون المراهقون أفضل الجنود».

- «هذا انحراف!».

- «صحيح تمامًا. منذ آلافٍ مُؤلّفة من القرون، أدرك القادة العسكريون أن الرّغبة الجنسيّة قد تنحرف لتتجلّى في هيئة ألم».

- «أهذا إذًا ما يفعله الإله العظيم ليتو؟».

قال مُونِيو بذات الصّوت الهادئ: «يقتضي العُنف أن تُوقِع الألم وأن تعانيه. ما أيسر التحكُّم في قوّةٍ عسكريّةٍ مدفوعة إلى ذلك الطّريق بأعمق دوافعها».

- «لقد جعل منك وحشًا أنت أيضًا!».

قال مُونِيو: «لقد قُلتَ إنه يستغلُّني. أنا أسمح بذلك لأنني أعلم أن الثّمن الذي يدفعه هو أفدح كثيرًا ممّا يطلبه مني».

- «حتّى ابنتك؟».

- «إنه لا يضرُّ بشيء، فلماذا أضرُّ أنا؟ أظن أنك تعرف هذه الخصلة في الآتريديزيّين. لطالما كان الدّناكنة ماهرين في ذلك».

- «الدّناكنة! تبًّا لك، لن أكون...».

قاطعه مُونِيو: «أنت فقط لا تملك الجرأة لتدفع الثّمن الذي يطلبه منك».

في حركةٍ واحدةٍ خاطفةٍ، استلّ آيداهو سِكّينه من غمدها وقفز

على مُونِيو. لكن على فرط سُرعته، كانت ردّة فعل مُونِيو أسرع، إذ انزاح خُطوةً جانبًا متفاديًا الهجمة، ما جعل آيداهو يتعثّر، ثم طرحه أرضًا على وجهه. تدحرج آيداهو إلى الأمام، ثم همّ بأن يقفز على قدميه، لكنه تردّد، إذ أدرك أن نفسه سوّلت له مهاجمة آتريديزي. كان مُونِيو آتريديزيًا. شلّت الصّدمة حركة آيداهو تمامًا.

وقف مُونِيو ساكنًا ينظر إليه، وارتسمت على وجه القهرمان نظرة حُزن غريبة.

- «إن كنت ستقتلني يا دانكن، فحريٌّ بك أن تفعلها من خلفي خِلسةً».

رفع آيداهو جسده على ركبةٍ واحدةٍ، ووضع قدمه على الأرض، لكنه ظلّ نصف جاثٍ، قابضًا سِكّينه. لقد تحرّك مُونِيو بسرعة ورشاقة بالغين، بمنتهى... الشهولة! تنحنح آيداهو قائلًا: «كيف استطعت...».

- «إنه يُهجّننا منذ زمن طويل يا دانكن، وقد نقّى فينا صفاتٍ عديدة. لقد استولدنا للسُرعة، والذّكاء، وضبط النّفس، والحساسية. أمّا أنتَ... ما أنت إلّا نموذجٌ قديم».

أتعلمون ما يُردّده الثُّوّار عادةً؟ إنهم يدّعون أن ثوراتهم منيعةٌ ضد الحرب الاقتصاديّة لأنهم بلا اقتصاد، لأنهم طُفيليّون يتغذّون على من يسعون إلى الإطاحة بهم. هؤلاء الحمقى ببساطة لا يدركون الثّمن الذي سيُضطرّون إلى دفعه في النّهاية. هذا النّمط لا مفر من إخفاقاته ومن تدهور مآله. تراه مكررًا في أنظمة العبودية، ودول الرّفاهة، والأديان المثقلة بالطبقيّة، والبيروقراطيّات الاشتراكيّة؛ في أيّ نظام يُنشئ التبعيّة ويحافظ عليها. إذا طال أمدك كطُفيلي، فستعجز عن العيش دون مُضِيف.

- المذكّرات المسروقة

استلقى ليتو وسيونا طوال اليوم في ظلال الكثبان، لا يتحرّكان إلّا مع حركة الشّمس. علّمها كيف تحتمي تحت غِطاءٍ من الرّمال في حرارة الظّهيرة، إذ إن درجة الحرارة لا ترتفع أبدًا عند مستوى الصُّخور بين الكثبان.

في فترة بعد الظّهيرة، تسلّلت سيونا مقتربةً من ليتو طلبًا للدفء، وهو دفءٌ يعلم أنه يتمتّع بزيادةٍ فيه هذه الأيام.

تحدّثا بين الحين والآخر. أخبرها عن فضائل الفرمِن التي سادت هذه الأرض ذات يوم، أمّا هي فحاولت تقصّي معلوماتٍ سِرّيّةٍ عنه.

قال لها مرّة: «قد تجدين ذلك غريبًا، لكن هنا، في هذا المكان، أستطيع أن أكون أكثر إنسانية».

لم تفلح كلماته في أن تجعلها تدرك تمامًا هشاشتها الإنسانيّة، وحقيقة أنها قد تموت هنا. إذ حتّى حين لزمت الصّمت، لم تُعِد سيونا

وضع قناع البذلة على وجهها.

ميّز ليتو الدّافع اللّا واعي وراء هذا الفشل، لكنه أدرك عدم جدوى معالجة الأمر بشكل مباشر.

في أواخر عصر اليوم، حين بدأت برودةُ اللّيل تتسلّل إلى الأرض، شرع يُروِّح عنها بأغاني «الرّحلة الطّويلة» التي لم تُحفظ في التّاريخ الشّفهي، وقد راق له أنها أحبّت واحدة من أغانيه المفضّلة: «مسيرة لييت».

قال لها: «اللحن قديمٌ جدًا، من عصر ما قبل الفضاء، من أيّام تيرا القديمة».

- «أيمكن أن تغنّيه مرّةً أخرى؟».

اختار واحدًا من أفضل الأصوات الجهوريّة في داخله؛ فنّانًا رحل منذ زمنٍ بعيد، لطالما صدح صوته في قاعات الحفلات الموسيقية، وبدأ يغنّي:

جدارُ الماضي السّحيق

يحميني من سقوطٍ عتيق

حيث تفيضُ المياهُ وتعترم!

وألاعيبُ زُبدِ السّيل

تنحتُ في الأوحال كهوفًا

وسط هديره المحتدم

حين انتهى، صمتت سيونا للحظة، ثم قالت: «هذه أغنية غريبة للمسير».

قال لها: «لقد أحبّوها لأنه كان بإمكانهم تحليلها».

- «تحليلها؟».

- «قبل أن يصل أسلافنا الفرمِن إلى هذا الكوكب، كانت اللّيالي هي أوقات القصص، والغناء، والشّعر. أما في أيّام كثيب، كل ذلك كان محصورًا في الظّلام الكاذب، أي عتمة السييتش النّهاريّة. كان اللّيل معاشَهم، الوقت الذي يستطيعون فيه الخروج والتّحرُّك بحُرّيّة... تمامًا كما نفعل الآن».

قالت سيونا: «لكنك قلت ‹تحليلها›».

فسألها: «ما معنى تلك الأغنية؟».

- «آه، إنها... مُجرّد أغنية».

- «سيونا!».

سمعت نبرة الغضب في صوته وظلّت صامتةً.

قال لها مُحذِّرًا: «هذا الكوكب ابنٌ للدُّودة، وأنا تلك الدُّودة».

أجابت بلا مُبالاة مُفاجئة: «أخبرني إذًا ماذا تعني».

قال لها: «لا سبيل للحشرة إلى الفرار من خليّتها، كما لا سبيلَ لنا إلى الفكاك من ماضينا. الكهوف هنا، وكلُّ الرّسائل مكتوبة في زُبد السّيل الجارف».

قالت له: «أُفضِّل الأغاني الرّاقصة».

كانت إجابةً ساخرةً، لكن ليتو اختار أن يتعامل معها على أنها انتقال إلى موضوع آخر. حدّثها عن رقصة الزّواج التي تؤدّيها نساء الفرمِن، متقفّيات أثر دوّامات زوابع الغبار. كان ليتو يفتخر بملكته في سرد القصص، وقد بدا من إنصاتها المشدوه أنها ترى النساء يذرنَ بعين الخيال، وشعورهنّ السّوداء الطّويلة تتطاير في مشهدٍ حركيٍّ عتيق، متناثرةً فوق وجوهٍ ماتت منذ زمن بعيد.

وحين انتهى، كان الظّلام قد حل عليهما تقريبًا.

قال لها: «هيّا بنا، فالغسق كما الفجر، وقتٌ للظّلال. لنرَ إن كان أحدٌ يشاركنا صحراءنا».

تبعته سيونا صعودًا إلى قِمّة كثيب، وراحا يحملقان إلى الصّحراء التي بدأت تغرق في عتمة الغروب. لم يكن في السّماء سوى طائرٍ واحدٍ يُحلّق عاليًا، جذبته حركتهما. من تباعد طرفي جناحيه، ومن هيئته، عرف ليتو أنه نسرٌ جارح، فأشار بذلك إلى سيونا.

سألته: «ولكن علامَ يتغذّى؟».

- «على أيّ شيءٍ نافق أو يحتضر».

صدمها هذا فحدّقت إلى آخر ضوء شمسٍ يطلي شعاعُه ريشَ الطّائر الوحيد بالذّهب.

تابع ليتو قائلًا: «لا يزال بعض النّاس يغامرون بدخول سريري. أحيانًا، يضلُّ أحد الفرمِن الأثريّين طريقه في التّيه، ويموت. إنهم لا يُجيدون إلّا الطقوس. كما تُوجد كذلك حدود الصّحراء بما فيها من

حياة، وما يتبقّى من فرائس تُخلّفها ذئابي».

حين قال ذلك، استدارت مبتعدةً عنه في حركةٍ عنيفة، لكن ليس قبل أن يرى الجيشان الذي يأكلها من الدّاخل. كانت سيونا تمرُّ باختبارٍ قاسٍ.

قال لها: «قلّما يتّسم نهار الصّحراء باللُّطف، وهذا سببٌ آخر يجعلنا نسافر ليلًا. لطالما كانت صورة النّهار في نظر الفرمِن رمالًا تَذْريها الرّيح، فتمحو آثار الخُطى».

حين التفتت إليه، كانت عيناها تلمعان بالدموع، لكن ملامحها ظلّت متماسكة.

سألته: «ما الذي يعيش هنا الآن؟».

أجاب: «النُّسور، وبعض مخلوقات اللّيل، وبقايا نباتات من الأيّام الغابرة، وبعض المُتّخذات جحورًا».

- «أهذا كل شيء؟»

- «أجل».

- «لماذا؟».

- «لأنها مخلوقات وُلِدت هنا، وأنا لن أسمح لها بما هو أفضل».

كان الظّلام قد حلّ تقريبًا، ولم تتبقّ سوى تلك الحُمرة الأخيرة الذّابلة التي تكتسبها الصّحراء في مثل هذه اللحظات. تأملها ليتو في تلك اللّحظة المُنيرة السّاحرة، مُدركًا أنها لم تفهم رسالته الأخرى بعد. لكنه عَلِم أن تلك الرسالة ستبقى في داخلها، وستتغلغل في أعماقها.

قالت مُذكِّرةً إيّاه: «الظِّلال. ماذا توقَّعت أن ترى حين صعدنا إلى هنا؟».

- «أناسًا في البُعد زيًّما. لا يمكن الجزم أبدًا».

- «أيُّ أناس؟».

- «سبق أن أخبرتك».

- «ماذا ستفعل لو رأيت أحدًا؟».

- «كان من عادة الفرمِن أن يعاملوا الغرباء على أنهم أعداء، إلى أن يقبض أولئك قبضةً من الرّمال وينثرونها في الهواء».

هبط عليهم الظّلام كالسّتار وهو يتكلّم.

استحالت سيونا ظِلًّا شبحِيًّا في ضوء النُّجوم التي لمعت فجأةً، وسألت: «رمال؟».

- «نثرُ الرّمال إشارة لها دلالة عميقة. إنّها تقول: ‹نحن نتشارك العبء نفسه. الرّمال عدوّتنا الوحيدة. إنها ما نشربه. واليدُ التي تحمل الرّمال لا تحمل السّلاح›. أتفهمين هذا؟».

كذبت في تحدٍّ ساخرةً منه: «كلّا!».

قال لها: «سوف تفهمين».

من دون أن تنبس بكلمة، مضت سيونا تسير على انحناء الكثيب المقوّس مُبتعدةً عنه، وراحت تخطو بخطًى سريعةٍ يغمرها فائضٌ غاضبٌ من الطّاقة. تركها ليتو تتقدّمه بمسافةٍ كبيرة، وقد راقه أن يراها قد مشت في الاتّجاه الصّحيح بفطرتها. ذكريات الفرمِن تَمور

في أعماقها، تكاد تُستشعر.

وصلت إلى نقطة انخفض فيها الكثيب ليعبر كثيبًا آخر، فتوقّفت منتظرةً إياه. لاحظ أن قناع وجه بذلتها لا يزال مفتوحًا ويتدلّى بحُرّيّة. لم يكن الوقت قد حان بعد ليقرّعها على ذلك. يجب أن تأخذ بعض الأمور اللّا واعية مجراها الطّبيعي.

حين اقترب منها، قالت: «هل هذا الاتّجاه خيرٌ من سواه؟».

قال لها: «إن التزمتِه».

رفعت بصرها إلى النّجوم، فرآها تتعرّف على «النّجوم الهاديات»؛ تلك الأسهم الفرمِنية السّماويّة التي قادت أسلافها عبر هذه الأرض. لكنه لاحظ أن تعرُّفها كان نظريًا فحسب، إذ لم تكن قد بدأت بعد بقبول الأشياء الأخرى التي تعتمل في داخلها.

رفع ليتو نصفه الأمامي ليتبيّن الطّريق في ضوءِ النّجوم. كانا يسيران باتّجاه الشمال الغربي تقريبًا، على مسار اعتاد أن يقود سابقًا عبر سلسلة *تلال حبّانية* وكهف *الطّيور* إلى نطاق العِرق الواقع خلف *الجِدار الغربي الواطئ*، والطّريق إلى *ممرّ الرّياح*. لم يكن في الجوار أثرٌ باقٍ لتلك المعالم. عبّ ليتو النّسيم البارد الذي يحمل رائحة الصّوّان المحترق، واستنشق معه رطوبةً أكثر ممّا يجده مريحًا.

انطلقت سيونا مُجدّدًا، لكن هذه المرة أبطأ، متمسكةً بمسارها بالنّظر إلى النّجوم بين الحين والآخر. كانت قد وثقت بليتو ليؤكّد لها الطريق، لكنها الآن ترشد نفسها. شعر ليتو بالجيشان الكامن وراء أفكارها الحذرة، وعرف ماذا يصعد إلى السّطح من أعماقها. كانت قد

بدأت تُكوّن ذلك الولاء الشّديد لرفاق السّفر الذي لطالما وثق به أهل الصّحراء.

فكّر ليتو: *نحن أهل الفلاة نعلم. إذا افترقتَ عن رفاقك، فستضيع بين الكثبان والصخور. المسافر الوحيد في الصّحراء هالك لا محالة. فقط الدُّودة هي من تعيش وحيدةً هنا.*

تركها تبتعد عنه مسافةً كبيرة، حتّى لا يكون لصوت احتكاك جسده السّاعي فوق الرّمال أثرٌ واضح. عليها أن تنسى جسده الدُّودي وتفكّر في ذاته البشريّة. وقد عوّل على أن يَصُبّ الولاء لرفقة السّفر في صالحه. لكن سيونا كانت هشّة، ويغلي في داخلها غضبٌ مكبوت. كانت أشدّ تمرُّدًا من أيّ شخصٍ آخر سبق له أن اختبره.

سعى ليتو خلفها وهو يراجع مُخطّط الاستيلاد، واضعًا في حسبانه القرارات اللازمة لاختيار بديلٍ لها إن هي أخفقت.

مع توغُّل اللّيل، أبطأت سيونا من وتيرتها أكثر فأكثر. حين توقّفت للرّاحة والزّاد، كان القمرُ الأوّل عاليًا في السّماء، والقمر الثّاني قد جاوز الأُفُق.

سُرّ ليتو بهذا التوقُّف، إذ كان الاحتكاك المستمرُّ بالرّمال قد استحثّ الدُّودة، وامتلأ الهواء من حوله بالزّفير الكيميائيّ المنبعث من تعديل جسده المستمر لحرارته. كان ما قد اعتاد تسميته «مُعزِّزَ الأُكسچين» في بدنه يَنفُث بثبات، ما جعله شديد الوعي بمصانع البروتين وموارد الأحماض الأمينيّة التي حازتها ذاته الدُّوديّة لتحتضن العلاقة المشيميّة بينها وبين خلاياه البشريّة. الصّحراءُ تُعجّل مصيره نحو التّحوُّل النّهائي.

توقّفت سيونا قُرب قِمّة كثيبٍ نجمي، وسألته وهو يقترب منها: «أصحيح أنك تأكل الرّمال؟».

- «صحيح».

نظرت إلى الأُفُق المكسي بضياء القمر البارد: «لماذا لم تُحضِر معنا جهاز إشارة؟».

- «أردتك أن تتعلّمي شيئًا عن المتاع».

التفتت نحوه، فشعر بأنفاسها قريبةً من وجهه. كانت تفقد كثيرًا من رطوبة جسدها في الهواء الجاف، لكنها لم تتذكّر تحذير مُونِيو بعد. سيكون درسًا قاسيًا، لا شك في ذلك.

قالت: «أنا لا أفهمك على الإطلاق».

- «ومع ذلك، فأنت مُلزمة بفعل ذلك تحديدًا».

- «حقًّا؟».

- «وإلّا كيف ستُعطِينني شيئًا ذا قيمة مقابل ما أُعطِيك إيّاه؟».

- «وما الذي تُعطيني إيّاه؟». نضح نَفَسَها بمرارة هائلة، مع نفحة من الاسپايس ممّا أكلت من زادٍ مُجفّف.

- «أعطيك هذه الفرصة لتكوني معي بمفردك، لتشاركيني، وأنت تمضين هذا الوقت دون اكتراث. في الواقع، أنتِ تُضيّعينه».

سألته في حِدّة: «ماذا عن المتاع التي ذكرت؟».

سمع الإرهاق في صوتها. ها قد بدأت رسائل الماء تصرخ في

جوفها.

قال: «كم كانوا مُفعمين بالحياة في الأيّام الخالية.. أولئك الفرمِن. كانت نظرتهم للجمال تقتصر على ما هو نافع فحسب. لم أُقابِل فرمِنيًا جشعًا قط».

- «ما الذي يُفترض أن يعنيه ذلك؟».

- «في الأيّام القديمة، لم يكن المرء يحمله معه إلى الصّحراء إلّا الضّرورة، الضّرورة فحسب. لم تخلُ حياتك من المتاع بعد يا سيونا، وإلا لما سألتِ عن جهاز إشارة».

- «وكيف لا يكون جهاز الإشارة ضروريًا؟».

- «لأنه لن يعلّمك شيئًا».

تحرّك ليتو من حولها باتّجاه المسار الذي رسمته النّجوم الهاديات، وقال: «هَيّا، لِنغتنم هذه اللّيلة لصالحنا».

جاءت مُسرعةً لتمشي إلى جوار وجهه المُقلنس، وقالت: «ماذا سيحدث إذا لم أتعلّم درسكَ اللّعين؟».

قال: «على الأرجح ستموتين».

أخرسها ردّه لبعض الوقت. مشت بصعوبة إلى جواره، وألقت عليه نظرة جانبيّة عابرة، متجاهلةً جسده الدّودي، مُركزةً على ما تبقّى من إنسانيته. بعد برهة قالت: «أخبرتني مُحاورات الأسماك أنك من أمرتَ بالنّكاح الذي وُلِدتُ نتيجةً له».

- «هذا صحيح».

- «يقلنَ إنك تحتفظ بسجلّات، وإنك تأمر بهذه الزّيجات الآتريديزية لأغراضك الخاصّة».

- «هذا أيضًا صحيح».

- «إذًا التّاريخ الشّفهي لم يكذب».

قال متسائلًا: «ظننت أنك تؤمنين بالتّاريخ الشّفهي دون ريب؟».

لكنها كانت مُصِرّة على عدم تغيير الموضوع: «ماذا لو اعترض أحدنا، إذ أنت أمرت بالنّكاح؟».

- «أسمح بمساحة كبيرة من الحُرّيّة، ما دام الأطفال الذين آمر بأن يُنجبوا يُولَدون».

صاحت غاضبةً: «تأمر؟».

- «هذا ما أفعله».

- «ليس لك الحقُّ في التّسلُّل إلى كل غُرفة نوم، أو ملاحقة كلٍّ منّا في كُلِّ لحظة من حياته! كيف تعرف أن طلباتك تُطاع؟».

- «أعرف فحسب».

- «إذًا تعرف أنني لن أُطيعك!».

- «أتشعرين بالظّمأ يا سيونا؟».

باغتها السّؤال، فهتفت: «ماذا؟».

- «العطشى يتحدّثون عن الماء، لا عن الجنس».

وحتّى مع ذلك، لم تتذكّر سيونا وضع القناع على فمِها، ففكّر ليتو:

*طالما كانت عواطف الآتريديزيّين جامحة، ولو على حساب العقل.*

في غضون ساعتين، كان قد تركا الكثبان خلفهما ونزلا إلى أرضٍ حصويةٍ بطحاء مشّطتها الرّياح. تقدّم ليتو الطّريق، وظلّت سيونا قريبةً منه، ولم تنفك عن النّظر إلى النّجوم الهاديات. كان القمران قد انخفضا في الأُفُق الآن، وألقى ضوؤهما ظلالًا طويلةً خلف كل صخرة.

كان ليتو يجد أن التنقُّل في مثل هذه الأماكن، من بعض الأوجه، أيسر من اجتياز الرّمال، فالصُّخور الصُّلبة تنقل الحرارة أفضل من الرّمال. كان بوسعه أن يمدّد جسده عليها ويُخفِّف من ضغط مصانعه الكيميائيّة. لم يكن الحصى، ولا حتّى الصُّخور الكبيرة، تعيق حركته.

أمّا سيونا فواجهت صعوبة أكبر هنا، وكادت تلوي كاحلها عِدّة مرات.

كان ليتو يعلم أن البطحاء قد تكون ميدانًا شاقًّا على البشر غير المعتادين عليها. فإذا تنقّلوا سيرًا على الأرض، لم تقع أبصارهم إلّا على فراغٍ هائل في كل اتّجاه: مكانٍ قابضٍ يُورِثُ وحشةً، لا سيّما في ضوء القمر، ومن ورائه كثبان بعيدة في أُفُقٍ يبدو ثابتًا لا يقترب، مهما سار المسافر. عُزلة واستواء يمتدّان في كل اتّجاه، ولا شيء سوى ريحٍ أزليّة تعصف، وبعض الصُّخور. وإذا رفعوا أنظارهم إلى السّماء، قابلتهم نجومٌ جامدة لا تعرف الرّحمة. هذا النّطاق هو صحراء الصّحراء.

قال لها: «هنا اكتسبت موسيقى الفرمِن وِحدتها الأبدية، لا على قِمم الكُثبان. هنا حيث يدرك المرء أن الجنّةَ إنما هي صوت الماء

الجاري، والرّاحة -أيْ راحةٍ- من تلك الرّياح التي لا تنتهي».

لكن حتّى هذا لم يذكّرها بوضع قناع البذلة على وجهها. بدأ ليتو يشعر بالقنوط.

طلع عليهم الصّباح وقد توغّلا بعيدًا في عُمق البطحاء.

توقّف ليتو إلى جوار ثلاثة جلاميد ضخمة مكدّسة بعضها على بعض، يفوق أحدها ارتفاع ظهره. استندت سيونا إليه للحظة، في لفتةٍ أعادت الأمل إلى نفسه، لكنها ما لبثت أن ابتعدت عنه وتسلّقت الجلمود الأعلى. راقب ليتو صعودها إلى القِمّة، حيث وقفت تتفحّص الأُفُق.

من دون أن ينظر، عَلِم ليتو ما الذي وقع بصرها عليه: رمالٌ تهب كالضّباب في الأفق تحجب شروق الشمس. أمّا ما عدا ذلك، فلا يُوجد سوى البطحاء والرّيح.

كان ملمس الصّخرة تحت جسده باردًا من برودة الصّباح الصّحراوي. زاد البرد من جفاف الهواء، فوجده ليتو أمتع. لولا سيونا، لمضى قُدمًا، لكن الإرهاق كان باديًا عليها. استندت سيونا إليه مجدّدًا حين نزلت من الصّخرة، ومرّت دقيقة تقريبًا قبل أن يدرك أنها تُصغي السّمع.

سألها: «ماذا تسمعين؟».

تحدّثت بنعاس: «أنت تدمدم من الدّاخل».

- «النّار لا تنطفئ بالكامل».

أثار هذا اهتمامها. ابتعدت عنه، ثم التفتت لتنظر إلى وجهه: «النّار؟».

- «كل كائن حي في داخله نار، بعضها ضعيف، وبعضها حامٍ. ناري أحمى من معظم النّيران».

احتضنت سيونا نفسها من البرودة: «إذًا أنت لا تشعر بالبرد هنا؟».

- «لا، لكنني أرى أنك بردتِ». قالها ليتو وسحب وجهه جزئيًا إلى طيّات رأسه، صانعًا تجويفًا في القوس السّفلي من فصّ جسده الأمامي، ثم قال وهو ينظر إلى أسفل: «إنه أشبه بالأرجوحة إلى حدٍّ ما. إذا ما تكوّرتِ هنا، فستشعرين بالدفء».

من دون تردُّد، قبلت سيونا دعوته.

وعلى أنه قد هيّأها للأمر، فقد أثّرت فيه تلك الثّقة العمياء التي منحتها له، واضطرّ إلى مقاومة شعورٍ طاغٍ بالشّفقة اجتاحه، شعورٍ أقوى من أيّ إحساسٍ عرفه قبل أن يعرف هِوي. لكنه قال لنفسه إنه لا مكان للشّفقة الآن. كانت سيونا تُظهر علامات واضحة على أنها ستلقى حتفها هنا على الأرجح، وكان عليه أن يُهيّئ نفسه لخيبة أملٍ متوقّعة.

غطّت سيونا وجهها بذراعها، وأغلقت عينيها، وراحت في النّوم.

ذكّر ليتو نفسه: *لم يحظ أحدٌ من الأيّام الخالية بما حظيت به.*

من وجهة النّظر البشريّة الشّائعة، كان يعلم أن الأمور التي ارتكبها لا يمكن أن تبدو إلا قاسيةً ومُتحجرة. كان مُضطرًا الآن إلى الشّد من أزره بالانسحاب إلى ذكرياته، منتقيًا عن عمد *أخطاء الماضي البشري*

*المشترك*، فقد كانت معرفته المباشرة بالأخطاء البشريّة أعظم نقاط قوته حاليًا، إذ علّمته معرفة الأخطاء كيفيّة تصحيح الأمور على المدى الطّويل. كان عليه أن يكون واعيًا دائمًا بالعواقب، فإذا ضاعت العواقب أو أُخفيت، ضاعت معها الدروس.

لكنه كُلّما اقترب من التحوُّل إلى دودة رمال، ازدادت صعوبةُ اتخاذه قراراتٍ قد يسمّيها الآخرون غير بشريّة. في السّابق، كان يفعل ذلك بسهولة. لكن مع انحسار إنسانيّته، وجد نفسه مشغولًا أكثر فأكثر بهمومٍ بشريّة.

في مهد ماضينا البشري، استلقيت على ظهري في كهفٍ ضيّق خانق، لم أستطع دخوله إلّا تمعُّجًا، لا زحفًا. هناك، على ضوء مشعلٍ متراقصٍ مصنوع من عَرَق الشّجر، رسمتُ على الجدران والسّقف صور طرائد بائدة، وأرواح قومي. يا لها من لحظة تجلٍّ تلك التي تنظر فيها! عبر دائرةٍ مكتملة، إلى ذلك الصّراع القديم، كي ترى لمحةً لا لبس فيها للرّوح البشريّة. كلُّ الزّمان يرتجف مردّدًا صدى ذلك النّداء البشري العتيق: «أنا موجود!». وبعقلٍ تشكّل على أيدي عباقرة الفن الذين جاؤوا من بعد، أتأمّل طبعات الأيدي وانسياب العضلات المرسومة على الصّخر بالفحم والأصباغ النّباتية. كم نحن أعمق من أن نُختزل إلى محض أحداثٍ مادّيّة! بَيد أن ذاتي المناهضة للتحضُّر تهتف متسائلةً: «لماذا تأبون مغادرة الكهف؟».

- المذكّرات المسروقة

جاءت الدّعوة إلى آيداهو إلى الاجتماع بمُونِيو في حُجرة عمله في وقتٍ متأخر من بعد الظّهيرة. كان آيداهو قد أمضى النّهار جالسًا على الأريكة المُعلّقة في حجرته، غارقًا في التّفكير. كل فكرة في ذهنه نبعت من السّهولة التي طرحه بها مُونِيو أرضًا ذلك الصباح.

«ما أنت إلّا نموذج قديم».

مع كل فكرة، شعر آيداهو بأنه يتضاءل. شعر بتلاشي رغبته في الحياة، تاركًا خلفها رمادًا يحرق فيه غضبه نفسه.

أنا مُجرّد وعاء لبعض النُّطَف النّافعة، لا أكثر.

كانت فكرةً تدعو إمّا إلى الموت وإمّا إلى الانغماس في الملذّات.

شعر كأنه مُخوزقٌ على شوكةٍ من حظٍّ عاثر، وتتكاثر عليه قوًى مُزعجةٌ من كل جانب.

كانت الرّسول الشّابة، بزيها الأزرق الأنيق، مُجرّد مصدر إزعاج آخر. كانت قد دخلت على أثر ردّه الهادئ الذي تلى طرقها، وتوقّفت في تردّد أسفل مدخل غُرفة الانتظار المقوّس حتّى تُقيّم حالته المزاجيّة.

فكّر آيداهو: *ما أسرع انتشار الكلام.*

رآها هناك، في إطار البوّابة، تجسيدًا لجوهر مُحاورات الأسماك: أكثر فتنةً من بعضهن، لكن دون أن تكون مثيرة بشكلٍ فجٍّ. لم يخفِ الزيّ الأزرق ثمرة الفخذين المتناسقتين، ولا الثّديين المشدودين. نظر آيداهو إلى وجهها اللّعوب تحت شعرها الأشقر ذي قَصّة التّلميذة.

قالت: «أرسلني مُونِيو في طلبك. يريد أن يلتقيك في حُجرة عمله».

كان آيداهو قد شاهد حُجرة العمل تلك عِدّة مرّات، لكنه لا يزال يتذكّرها بأدقّ تفاصيلها من أوّل مرّة رآها فيها، إذ علم حينها أنها المكان الذي يقضي فيه مُونِيو معظم وقته. كان فيها طاولة من خشبٍ بُنّيٍّ داكن، مُجزّعةٌ بعروقٍ ذهبيّةٍ رقيقة، أبعادها متران في متر، تقف على أرجل قصيرة وسط وسائد رماديّة. بدت الطّاولة لآيداهو قطعةً نادرةً ونفيسةً، أختيرت لتكون العنصر البارز الوحيد، وكانت هي والوسائد -التي كان لها ذات لون الأرضيّة والجدران والسّقف الرّماديين- كل ما في الحُجرة من أثاث.

على أهمّيّة قاطنها، كانت الحُجرة صغيرة، لا تتجاوز خمسة

أمتار في أربعة، لكنها ذات سقفٍ مرتفع، يأتيها الضّوء من نافذتين زجاجيتين رفيعتين متقابلتين على الجدارين الأضيقين. كانت النّافذتان تطلّان من ارتفاعٍ ملحوظ، واحدة على أطراف السّرير الشّماليّة الغربيّة والحدود الخضراء المحيطة بالغابة المُحرّمة، والأخرى جنوبَ غربٍ، على الكثبان الرّمليّة المتموّجة.

*تضاد.*

أضافت الطّاولة لمسةً مثيرةً للاهتمام على هذه الفكرة الأولى، إذ بدا سطحها بما عليه من أغراض كترتيب يعكس فكرة الفوضى. تبعثرت أوراقٌ بِلّوريّة رقيقة على سطح الطّاولة، تاركةً لمحات فقط من عروق الخشب تظهر تحتها. كانت بعض الأوراق مُغطّاة بطباعة دقيقة. تعرف آيداهو على كلمات بالجلاكيّة وأربع لغاتٍ أخرى، بما في ذلك لُغة الترانزيت النّادرة على پِرث. كشفت عِدّة أوراق عن رسومات تخطيطيّة، فيما كان بعضها مخطوطًا ببنطٍ أسود يدويٍّ سميكٍ يحمل أسلوب كتابة البِني چيسيرِت الواضح. أمّا الأكثر إثارة للاهتمام من كل شيء هو أربعة أنابيب بيضاء ملفوفة بطول متر تقريبًا؛ نسخٌ ثلاثيةُ الأبعاد مطبوعة من حاسوبٍ محظور. كان قد اشتبه في أن الحاسوب مُخبّأ خلف لوحٍ مطمور في أحد الجدران.

تنحنحت رسول مُونِيو لانتزاع آيداهو من شروده الحالم، وسألته: «ما الرّد الذي أعود به إلى مُونِيو؟».

ركّز آيداهو على وجهها، ثم قال: «أترغبين في أن تحملي مني؟».

- «أيُّها القائد!». بدا أنها صُدِمت، لكن ليس من اقتراحه، بل من الطّريقة المفاجئة التي اقتحمها بها.

قال آيداهو: «آه، أجل. مُونِيو. ماذا سنقول لمُونِيو؟».

- «إنه ينتظر ردّك أيّها القائد».

سألها آيداهو: «أتُوجد جدوى حقيقيّة من ردّي؟».

- «قال لي مُونِيو أن أُعلِمك أنه يرغب في التشاور معك، ومع السّيدة هِوي».

شعر آيداهو باهتمامٍ غامض متزايد: «هل هِوي معه؟».

قالت الرّسول: «لقد استُدعيت أيّها القائد»، ثم تنحنحت ثانيةً وسألت: «هل يرغب القائد في أن أزوره اللّيلة لاحقًا؟».

- «كلّا. شكرًا لكِ على أيّ حال. لقد غيّرت رأيي».

لاحظ آيداهو أنها دارت خيبة أملها جيّدًا، لكن صوتها خرج رسميًا وصارمًا وهي تسأل: «هل أُبلّغ بأنك ستحضر اجتماع مُونِيو؟».

قال: «افعلي ذلك»، وأشار لها بالانصراف.

بعد أن غادرت، فكّر آيداهو في تجاهل الاستدعاء، لكن الفضول تنامى في نفسه. لماذا يريد مُونِيو التحدُّث إليه بحضور هِوي؟ أيظن أن هذا سيجعله يهرع إليه؟ ابتلع آيداهو ريقه، إذ مع تفكيره في هِوي، تعاظم الفراغ في صدره حتّى ملأه، وقد كان في ذلك دلالة لا يمكن تجاهلها. شيءٌ ما كاسح يربطه بهِوي.

نهض آيداهو واقفًا، وقد تيبّست عضلاته من طول الجلوس، مدفوعًا بالفضول وبهذه الرّابطة القويّة. خرج إلى الممر، متجاهلًا نظرات الحارسات الفضوليّة اللاتي مرّ بهنّ، ومشى خلف نداء تلك

القوّة القاهرة حتّى وصل إلى حُجرة عمل مُونِيو.

حين دخل الحُجرة، كانت هِوي هناك بالفعل، تجلس إلى الطّاولة الفوضويّة على الجانب الآخر من مُونِيو، وقدماها في نعلين أحمرين، ومضمومتان خلفًا إلى جوار الوسادة الرّماديّة التي تجلس عليها. لم ير آيداهو سوى أنها ترتدي ثوبًا بُنيًا طويلًا مع حزامٍ أخضرَ مضفور، ثم التفتت إليه، فصار لا يرى شيئًا سوى وجهها. باح فمُها باسمه دون أن ينطق به.

فكّر آيداهو: *حتّى هي قد سمعت.*

بطريقةٍ ما، شدّت هذه الفكرة من عزيمته، وبدأت أفكار اليوم تتّخذ أشكالًا جديدة في ذهنه.

قال مُونِيو: «تفضّل بالجلوس يا دانكن»، وأشار إلى وسادةٍ بجانب هِوي. كان صوته يحمل نبرةً غريبةً متردّدةً، وهو أسلوب نادرًا ما لاحظه أحدٌ فيه غير ليتو. ظل آيداهو مركزًا نظره على سطح الطّاولة المزدحم أمامه، حيث ألقت أشعة شمس العصاري ظلًا متشابكًا على فوضى الأغراض المنتشرة فوقها، آتيًا من ثقّالة أوراق ذهبية على شكل شجرةٍ خيالية، تحمل ثمارًا مُرصّعة بالجواهر، وتستقر على جبلٍ بِلّوريٍّ يتلألأ بألوان اللهب.

جلس آيداهو على الوسادة التي أُشير إليه بها، وعيناه تراقبان نظرات هِوي التي تبعته حتّى استقرّ في مكانه. بعدها التفتت هِوي إلى مُونِيو، وحينها شعر بأنه يلمح في ملامحها شيئًا من الغضب. كان زيُّ مُونِيو المعتاد، الأبيض السّادة، مفتوحًا عند العنق، كاشفًا عن رقبة مجعّدة وبعضٍ من ترهُّل الجلد. حدّق آيداهو إلى عيني الرّجُل،

غير آبه بالانتظار، مُصرًّا أن يترك لمُونِيو افتتاح الحديث.

بادله مُونِيو التحديق، مُلاحظًا أن آيداهو لا يزال يرتدي الزِّيّ الأسود الذي كان قد ارتداه في لقائِهما الصّباحي، حتّى إنّ مقدّمة الزِّيّ كانت تحمل أثرًا بسيطًا من الأوساخ، تذكارًا من أرضية الممر حيث طُرِح. لكن آيداهو لم يكن يحمل السّكين الآتريديزيّة العتيقة، وقد انزعج مُونِيو لذلك.

قال مُونِيو: «ما فعلتُه هذا الصباح لا يُغتفر. لذا أنا لا أطلب منك أن تسامحني، بل أطلب منك فقط أن تحاول الفهم».

لاحظ آيداهو أن هِوي لم تبدِ دهشة لهذه البداية، ما كشف له عن الكثير ممّا كانا يناقشانه قبل وصوله.

وحين لم يرد آيداهو، قال مُونِيو: «لم يكن من حقّي أن أُشعِرك بالنّقص».

وجد آيداهو نفسه يمرُّ بردة فعلٍ غريبة تجاه كلمات مُونِيو وطريقته. كان لا يزال يشعر بأن خصمه فاقه دهاءً وتفوّق عليه، وبأنه بعيدٌ جدًّا عن عصره، لكنه لم يعد يشك في أن مُونِيو يتلاعب به. شيءٌ ما جعل رئيس الخدم يبدو في عينيه أشبه بكتلة صلبة من الصّدق. قادته هذه الحقيقة إلى وضع كَون ليتو بأسره، بما في ذلك شهوانية مُحاورات الأسماك الفتّاكة، وصراحة هِوي التي لا سبيل إلى إنكارها، وكل شيءٍ آخر، في إطارٍ جديدٍ من العلاقات؛ إطارٍ شعر آيداهو بأنه بات يفهمه الآن. بدا الأمر كما لو أن الثّلاثة في هذه الغُرفة هم آخر البشر الحقيقيين في الكَون بكامله. تحدث آيداهو بشيء من الاستخفاف السّاخر بالنفس:

- «كان لديك كل الحقّ في حماية نفسك حين هاجمتك. يُسعدني أنك كنت بهذه الكفاءة».

التفت آيداهو نحو هِوي، لكن قبل أن يتكلم، قال مُونِيو: «لا داعي لأن تتوسّل من أجلي. أرى أن استياءها منّي شديد».

هزّ آيداهو رأسه قائلًا: «هل يعلم الجميع هنا كل ما سأقوله قبل أن أقوله، وكل ما سأشعر به قبل أن أشعر به؟».

قال مُونِيو: «هذه من خصالك الرّائعة. أنت لا تُخفي مشاعرك. أمّا نحن...»، قالها وهو يهز كتفيه: «فبحُكم الضّرورة أكثر تحفظًا».

نظر آيداهو إلى هِوي: «هل يتكلّم بالنيابة عنك؟».

وضعت هِوي يدها في يده وقالت: «أنا أتحدّث عن نفسي».

رفع مُونِيو جسده ليتأمّل اليدين المتشابكتين، ثم غاص في وسادته وتنهّد قائلًا: «يجب ألّا تفعلا ذلك».

شدّ آيداهو على يدها بقوةٍ أكبر، وشعر بردّة فعلها المماثلة.

قال مُونِيو: «قبل أن يطرح أيٌّ منكما السؤال، لم تعُد ابنتي والإمبراطور الإله بعد من الاختبار».

أحسّ آيداهو بالجهد الذي بذله مُونِيو ليبدو هادئًا، وكذلك هِوي.

سألته: «هل ما تقوله مُحاورات الأسماك صحيح؟ أن سيونا ستموت إن فشلت في الاختبار؟».

ظلّ مُونِيو على صمته، بملامحَ في جمود الصّخر.

سأله آيداهو: «أهو شبيهٌ باختبار البِني چيسيرِت؟ لقد قال لي المؤدّب إن الأخويّة تضع المرء في اختبارٍ لتكتشف إن كان إنسانًا».

بدأت هِوي ترتجف. أحس آيداهو بذلك فنظر إليها: «هل اختبرنك؟».

قالت هِوي: «لا، لكنني سمعت فتياتهن يتحدّثن عن الأمر. قُلن إنه عليك اجتياز العذاب دون أن تفقد شعورك بذاتك».

أعاد آيداهو اهتمامه إلى مُونِيو، ولاحظ بداية رعشة خفيفة في جانب عين القهرمان اليُسرى.

شهق آيداهو، وقد باغته إدراكٌ مفاجئ: «مُونِيو... لقد اختبرك!».

قال مُونِيو: «لا أريد مناقشة الاختبارات. نحن هنا لنقرّر ما يجب فعله بشأنكما».

سأل آيداهو: «أليس هذا قرارنا نحن؟». وشعر بيدِ هِوي تُصبح زلقةً في يده من التعرّق.

قال مُونِيو: «إنه قرار الإمبراطور الإله».

سأله آيداهو: «حتّى لو فشلت سيونا؟».

- «بل تحديدًا حينها».

سأله آيداهو: «كيف كان اختباره لك؟».

- «أراني لمحةً صغيرةً ممّا يعنيه أن تكون الإمبراطور الإله».

- «ثم؟».

- «رأيت منه بقدر ما أطيق».

انقبضت يدُ هِوي وتشنّجت في يدِ آيداهو.

قال آيداهو: «إذًا صحيحٌ أنك كنتَ متمرّدًا ذات يوم».

قال مُونِيو: «بدأت رحلتي بالمحبّة والدُّعاء، ثم تحوّلت إلى الغضب والتمرُّد... وصارت ما تراه أمامك الآن. أنا أعرف واجبي، وأُؤدّيه».

ألحّ آيداهو: «ماذا فعل بك؟».

قال مُونِيو بصوتٍ شارد: «لقد ردّد أمامي جُزءًا من دُعائي في الطُّفولة: ‹أُكرّس حياتي لمجد الإله الأعظم›».

لاحظ آيداهو سكون هِوي، ونظرتها الثّابتة على وجه مُونِيو. فيم تفكّر؟

قال مُونِيو: «اعترفت له أن هذا كان دعائي، فسألني: ‹بِمَ سأُضحّي إن لم تكن حياتك كافية؟› ثم صرخ في وجهي: ‹ما قيمة حياتك إذ أنت أحجمت عن العطاء الأعظم؟›».

أومأت هِوي مُصدّقةً لما يقول، أمّا آيداهو فلم يشعر إلّا بالارتباك.

قال مُونِيو: «سمعتُ الحقيقةَ في صوته».

سألته هِوي: «هل أنت عرّاف حقيقة؟».

قال مُونِيو: «في لحظات اليأس، نعم، لكن حينها فقط. أقسم لكما إنه صَدَقَني القول».

غمغم آيداهو: «بعض الآتريديزيّين يتمتّعون بقدرة ‹الصّوت›».

هزّ مُونِيو رأسه نفيًا: «لا، كان يقول الحقيقة. قال لي: ‹كم أريد البكاء وأنا أنظر إليك الآن. غدًا رغبتي كأنها فعل!›».

مالت هِوي إلى الأمام، وكادت تلمس الطّاولة: «أهو عاجزٌ عن البكاء؟».

همس آيداهو: «ديدان الرّمال».

التفتت هِوي إليه، وهتفت: «ماذا؟».

قال آيداهو: «كان الفرمِن يقتلون ديدان الرّمال بغمرها بالماء، ويستخلصون من غرقها خلاصة الاسپايس لاستخدامها في عربدتهم الدّينية الجماعية».

قال مُونِيو: «لكن الإله ليتو لم يصبح دودة رمال كاملة بعد».

عادت هِوي لتتّكئ على وسادتها ونظرت إلى مُونِيو.

زمّ آيداهو شفتيه مُفكّرًا. هل تبنّى ليتو فكرة تحريم الدّموع لدى الفرمِن إذًا؟ لطالما استنكر الفرمِن هذا الإسراف في الرطوبة! *ذرف الماء على الأموات*.

وجّه مُونِيو حديثه إلى آيداهو قائلًا: «كنت آمل أن تتفهّما الأمر. لقد قال الرّب ليتو كلمته. أنت وهِوي يجب أن يبتعد أحدكما عن الآخر وألّا تلتقيا مجددًا».

سحبت هِوي يدها من يد آيداهو: «نعرف ذلك».

قال آيداهو باستسلامٍ مرير: «نعلم قوّته».

قال مُونِيو: «لكنكما لا تفهمانه».

قالت هِوي: «لا أرغب في شيءٍ أكثر من فهمه»، ثم وضعت يدها على ذراع آيداهو لتصمته. «لا يا دانكن. ليس لرغباتنا الدّفينة مكانٌ هنا».

قال له: «رُبّما عليكِ أن تتضرّعي إليه بالدُّعاء».

استدارت في حِدّة وحدّقت إليه بحِدّة، وظلّت تحدّق وتحدّق حتّى خفض آيداهو نظره. وحين تكلّمت، كان لصوتها نغمةٌ لم يسبق لآيداهو أن سمعها: «اعتاد عمّي مالكي أن يقول إنّ الرّب ليتو لا يستجيب للدعاء. كان يقول إنه يَعُدّ الدعاء محاولة للإرغام، شكلًا من العنف ضد الإله المختار، كأننا نقول للحيّ الذي لا يموت: *امنحني مُعجزة يا إلهي، وإلّا لن أومن بك!*».

قال مُونِيو: «الدعاء عجرفة وغرور. شفاعةٌ عند الطّلب».

تساءل آيداهو: «كيف يُمكن أن يكون إلهًا؟ حسب اعترافه هو نفسه، هو ليس خالدًا».

قال مُونِيو: «سأستشهد بقول الرّب ليتو في هذا الأمر: ‹أنا كل ما يحتاج النّاس إلى رؤيته من الرّب. أنا الكلمة التي صارت مُعجزة. أنا كل أسلافي. أوليست تلك مُعجزةً كافيةً؟ ماذا تريدون أكثر من ذلك؟ اسألوا أنفسكم: أتوجد مُعجزةٌ أعظم مني؟›».

سخر آيداهو قائلًا: «كلامٌ فارغ».

قال مُونِيو: «أنا أيضًا سخرت منه، ورميته بكلماته من التّاريخ الشّفهي: ‹فلتمنح حياتك لمجد الإله الأعظم!›».

شهقت هِوي.

قال مُونِيو: «ضحك عليّ وسألني كيف لي أن أمنح ما هو للربّ أصلًا؟».

سألته هِوي: «هل كنت غاضبًا؟».

- «أجل. وقد رأى ذلك وقال إنه سيهديني سبيل العطاء لذلك المجد. قال: ‹لعلّك لاحظت أن كُلّ شيءٍ فيك مُعجزةٌ عظيمةٌ، مثلي تمامًا›»، ثم استدار مُونِيو ونظر من النافذة على يساره وأردف: «أخشى أن غضبي وقتها أعماني فلم أكترث لكلامه. لم أكن مهيّأً على الإطلاق».

قال آيداهو: «أجل، إنه داهية».

نظر مُونِيو إليه وتساءل: «داهية؟ لا أظن ذلك، ليس بالمعنى الذي تقصد. لا أظن أن الإله ليتو أدهى مني بهذا المعنى».

سألته هِوي: «لم تكن مهيّأً لماذا؟».

قال مُونِيو: «للمخاطرة».

قالت هِوي: «لكنك بغضبك خاطرت كثيرًا».

- «ليس بقدر ما خاطر هو. أرى في عينيك يا هِوي أنكِ تدركين ما أقول. هل ينفّركِ جسده؟».

قالت: «لم يعد كذلك».

جزّ آيداهو على أسنانه في غيظ: «إنه يثير اشمئزازي!».

قالت هِوي: «حبيبي، يجب ألّا تتفوّه بمثل هذا الكلام».

قال مُونِيو: «وأنت يجب ألّا تنادينه بحبيبي».

قال آيداهو: «كنت سأفضل يا مُونيو لو أنها تعلّمت أن تحب شخصًا أكثر شرًّا وتقزيزًا من أجمح ما حلم بأن يكونه أيُّ بارونٍ هاركونني».

مطّ مُونِيو شفتيه وضمّهما، ثم قال: «حدّثني الإله ليتو عن ذلك العجوز الشّرير في زمنك. لا أظن أنك فهمت عدوّك حق الفهم يا دانكن».

- «كان مسخًا بدينًا...».

قال مُونِيو: «كان ساعيًا وراء المشاعر، وكانت سمنته أثرًا جانبيًا لذلك. وربّما كانت شيئًا يستمتع به في حدّ ذاته، لأنه كان يخدش مشاعر النّاس بها، وقد كان يستمتع بخدش المشاعر».

قال آيداهو: «لم يستهلك البارون سوى حَفنة من الكواكب، أمّا ليتو فيستهلك الكون بأسره».

صاحت هِوي معترضةً: «حبيبي، أرجوك!».

قال مُونِيو: «دعيه يجعجع. عندما كنت صغيرًا وجاهلًا، مثل سيونا وهذا الأحمق المسكين، كنتُ أقولُ أشياءَ مشابهة».

اقتحمه آيداهو: «ألهذا تركت ابنتك تخرج إلى الصّحراء لتموت؟».

قالت هِوي: «حبيبي، كلامُك قاسٍ».

قال مُونِيو: «دانكن، لطالما كان السّعي وراء الهِستيريا من عيوبك.

أحذّرك من أن الجهل يزدهر بالهستيريا. چيناتك تمنحك عنفوانًا وحيويّةً، وقد تؤثّر في بعض مُحاورات الأسماك، لكنك قائد ضعيف».

قال آيداهو: «لا تحاول إغضابي. أعرف أنه من الأفضل عدم مهاجمتك، لكن لا تبالغ في استفزازي».

حاولت هِوي الإمساك بيد آيداهو، لكنه سحبها بعيدًا.

قال آيداهو: «أنا أعرف حدودي تمامًا. أنا مُجرّد تابع مفيد، بإمكانه حمل راية آل آتريديز. اللّونان الأخضر والأسود محفوران على ظهري!».

قال مُونِيو: «من لا يستحقُّون السُلطة هم من يحافظون عليها باستثارة الهِستيريا. أمّا فنُّ آل آتريديز، فهو فنُّ الحكم دون هستيريا، فنُّ تحمُّل مسؤولية السُلطة، واستخدامها بحكمة».

دفع آيداهو نفسه إلى الخلف ونهض: «ومتى كان إمبراطوركم الإله اللّعين مسؤولًا عن أيّ شيء؟».

وجّه مُونِيو بصره إلى الطّاولة المزدحمة، وقال دون أن يرفع بصره: «إنه مسؤول عمّا فعله بنفسه»، ثم نظر إلى أعلى بعينين باردتين وأردف: «أنت تفتقر إلى الشّجاعة يا دانكن لمعرفة لماذا فعل ذلك بنفسه».

سأله آيداهو: «وأنت تملكها؟».

قال مُونِيو: «حين كنت في أوجِ غضبي، رأى ليتو نفسه بعينيّ، وقال: ‹كيف تجرؤ على أن تشمئزّ مني؟› وحينها...»، ابتلع مُونِيو ريقه: «جعلني أرى الهَول... الذي رآه». فاضت الدُموع من عيني

مُونِيو وانهمرت على وجنتيه: «عندها شعرت بارتياحٍ لأنني لم أُضطَر إلى اتّخاذ القرار الذي اتّخذه... وأنني أستطيع الاكتفاء بأن أكون تابعًا له».

همست هِوي: «لقد لمسته».

سألها مُونِيو: «أنت تعرفين إذًا؟».

قالت: «أعرف، لكن دون أن أرى».

قال مُونِيو بصوتٍ خافت: «كدتُ أموت من الأمر. إني...»، ثم ارتجف ونظر إلى آيداهو: «يجب ألّا...».

هدر آيداهو: «اللّعنة عليكم جميعًا!»، ثم استدار واندفع خارجًا من الغُرفة.

تبعته هِوي بعينيها، وقد استحال وجهها إلى قناعٍ من الألم الحزين، وهمست: «هاهِ يا دانكن».

قال مُونِيو: «أرأيتِ؟ كُنتِ مخطئة. لا أنتِ ولا مُحاورات الأسماك نجحتنّ في تهذيبه. أمّا أنتِ يا هِوي، فقد ساهمتِ فقط في هلاكه».

وجّهت هِوي ما يعتمل فيها من ألم نحو مُونِيو، وقالت: «لن أراه مجدّدًا».

بالنسبة إلى آيداهو، كان طريق العودة إلى حجرته من أصعب اللّحظات في ذاكرته. حاول أن يتخيّل أن وجهَه قناعٌ جامد من البولاذ يخفي ما في داخله من اهتياج عظيم. لم يسمَح لأيٍّ من الحارسات اللاتي مرّ بِهنّ أن يلاحظن ألمه. لم يكن يعلم أن معظمهنّ

خفّن مشاعره بدقّة وأشفقن عليه، فجميعهنّ قد حضرن جلسات إحاطة عن الدّناكنة، وتعلّمنَ كيف يقرأنهم جيّدًا.

في الممرّ القريب من حجرته، مرّ آيداهو بنائلة وهي تسير نحوه ببطء. أوقفه شيءٌ ما في وجهها، نظرةُ تردّدٍ وضياع، وكاد ينتزعه من تركيزه الذّهني.

- «الصّديقة؟»، هكذا سأل هو على بُعد خطواتٍ قليلة منها.

نظرت إليه، وبدا على وجهها المُربّع شعورٌ مفاجئ بالتعرّف عليه.

فكّر آيداهو: *يا لها من امرأة غريبة المظهر!*

قالت: «لم أعُد الصّديقة»، ومضت من جواره في الممرّ.

استدار آيداهو نصف استدارة وحدّق إلى ظهرها المُبتعد؛ إلى الكتفين العريضتين، والمشية البطيئة المُثقَلة بعضلاتٍ مكتنزة.

تساءل آيداهو: *لأيّ غرضٍ هُجّنت؟*

لكن كانت تلك فكرة عابرة، انفردت به همومه بعدها أكثر من ذي قبل. مشي آيداهو بضع خطوات إلى بابه ودخل جناحه.

وبمُجرّد دخوله، وقف للحظة ضامًا قبضتيه إلى جانبيه.

وفكّر: *لم تعد تربطني صلة بأيّ زمنٍ*. والغريب أن هذه الفكرة لم تكن مُحرّرةً. لكنه كان يعلم أن عليه أن يُحرّر هِوي من حُبّها له. لقد بات صغيرًا في عينيها، وقريبًا ستراه مُجرّد أحمق ضئيل؛ رَجُلًا نزقًا لا تُحرّكه سوى مشاعره. شعر بأنه بدأ يتلاشى بالفعل من دائرة اهتمامها.

وذلك المسكين مُونِيو.

أدرك آيداهو ملامح الأشياء التي شكّلت شخصيّة القهرمان الطّيعة: *الواجب والمسؤولية*. يا لهما من ملاذٍ آمن في زمن القرارات الصعبة!

وعاد آيداهو يُفكّر: *كنت كذلك يومًا. لكن كان ذلك في عصرٍ آخر، وفي حياةٍ أخرى.*

يسألني الدّناكنة أحيانًا إن كنتُ أفهم الأفكار الغرائبية في ماضينا البشري. وإن كنتُ أفهمها، فلماذا لا أستطيع شرحها؟ يظنُّ الدّناكنة أن المعرفةَ تكمن في التّفاصيل فحسب. أحاول أن أشرح لهم أن الكلمات كلها مرنةٌ مراوغةٌ، وأن الصّورة الذّهنيّة للكلمة تبدأ بالتشوُّه في لحظة النطق بها، إذ إن الأفكار المُضمنة في أيّ لغةٍ تتطلّب تلك اللُّغة ذاتها للتعبير عنها. هذا هو لُبُّ المعنى الذي تتضمنه كلمة «غرائبي». أرأيتَ كيف تبدأ بالتشوُّه؟ الترجمة ترتبك أمام الشّيء الغرائبي. اللُّغة الجلاكيّة التي أتكلّمها هنا تفرض نفسها على المعنى؛ إنها إطار مرجعي خارجي، نظامٌ خاص بذاته، والمخاطر تكمن في كل الأنظمة، إذ يحمل كل نظام في طيّاته معتقدات مُبتكريه غير المدروسة. إن تبنّيت نظامًا، واعتنقت معتقداته، فقد أسهمتَ في تعزيز مقاومته للتغيير. فهل يفيدني إن أخبرت الدّناكنة أن بعض الأشياء لا توجد لغاتٌ تصفها؟ هاهِ... ليس والدّناكنة يؤمنون بأن كل اللغات ملك يميني.

- المذكّرات المسروقة

على مدار دورتين كاملتين من تعاقب اللّيل والنّهار، عجزت سيونا عن تذكُّر إحكام القناع على وجهها، وراحت تفقد ماءً ثمينًا مع كُلِّ نفس. لم تتذكّر كلمات والدها إلا بعد أن تردّدت في ذهنها وصايا الفرمِن التي تُلقّن للأطفال. وأخيرًا، تحدّث إليها ليتو في صباح اليوم الثّالث البارد من مسارهما، حين استظلّا بظلِّ صخرةٍ في الفلاة، قلب العِرق المكنوس بالرّيح.

قال لها: «حافظي على كُلِّ نَفَسٍ، فإن فيه دفء حياتك ورطوبتها».

كان يعلم أنهما سيمضيان ثلاثة أيّام أخرى في العِرق، وثلاث ليالٍ بعدها، قبل أن يبلُغا الماء. الآن، كان فجر اليوم الخامس منذ مغادرتهما بُرج القلعة الصّغيرة قد بدأ يبزغ. لقد بلغا ليلًا منطقة أكوام رمالٍ ضحلة، ليست كثبانًا حقيقيّة، لكنّ الكثبان الحقيقية كانت تلوح أمامهما في البُعد، بل حتّى أطلال تلال حبّانية لم تكن سوى خيطٍ رفيعٍ متقطّعٍ عند الأُفق.. إن عرفت أين تنظر. الآن، أزالت سيونا قناع الفم المُتّصل ببذلة التقطير لتتكلّم بوضوح، وتحدّثت بشفتين سوداوين نازفتين.

فكّر ليتو وهو يُطلق حواسّه لتستشعر ما حولهما: *إنها تعاني ما يُعرف بظمأ اليأس، سرعان ما ستبلغ اللّحظات الحرجة. أخبرته* حواسّه أنهما ما زالا وحدهما هنا على حافّة الفلاة. كان قد تبقّى على بزوغ الفجر من خلفهما دقائق، وقد نسج الضّوء الشاحب حواجز من انعكاسات الغُبار راحت تتلوّى في تصاعدها وانخفاضها مع تيّارات الرّيح التي لا تهدأ. صفّت حواسّه ضوضاء الرياح لتفسِح له مجال سماع ما هو أدق: أنفاس سيونا المتقطعة، انسياب حفنة من الرّمال عن صخورٍ بجانبهم، صوت احتكاك جسده الثقيل بطبقة الرّمال الرّقيقة.

انتزعت سيونا قناع الفم عن وجهها، لكنها أبقته في يدها لإعادته سريعًا.

سألته: «كم يتبقّى أمامنا حتّى نجد الماء؟».

- «ثلاث ليالٍ».

- «أيوجد اتّجاه أفضل لنقصده؟».

- «لا».

بدأت تُقدّر اقتصاد الفرمِن في الكلام، واقتصارهم على المعلومات المُهمّة فحسب. ارتشفت بنهم بضع قطرات من جيب التجميع.

أدرك ليتو ما تحمله حركاتها من مضمون: إيماءات الفرمِن المألوفة في أوقات الشّدةِ القصوى. سيونا الآن مدركة تمامًا تلك التجربة التي كثيرًا ما خَبِرها أسلافها: البطيح.. ذلك العطش القاتل على حافّة الموت.

نفدت قطرات الماء القليلة المُستعادة في جيب التجميع. سمعها تشفط الهواء، قبل أن تعيد القناع إلى مكانه وتتكلّم بصوتٍ مكتوم: «لن أنجو، أليس كذلك؟».

نظر ليتو في عينيها، فبدا له فيهما جلاء الفِكر الذي يصاحب اقتراب الموت؛ تلك الحالة من الوعي الثّاقب التي نادرًا ما تتحقّق إلّا في مثل هذه اللحظات، ويتلاشى فيها كُلّ شيءٍ، ما عدا الضّروري المحض للبقاء. نعم، لقد دخلت في التِدَاه رِياجريمِي، ذلك العذاب الذي يفتح العقل. قريبًا، سيكون عليها اتّخاذ القرار النّهائي الذي لا تزال تتوهّم أنها اتّخذته بالفعل. كان ليتو يعرف، من العلامات التي يراها عليها، أنه عليه معاملة سيونا الآن بدماثةٍ جمّة. عليه أن يجيب عن كل سؤالٍ تطرحه بصراحة، إذ إن في كل سؤالٍ يكمن تقييم.

ألحّت سيونا: «هل سأنجو؟».

كان لا يزال في يأسها لمحةٌ من الأمل.

قال: «لا شيء مؤكّد».

لكن إجابته جعلتها تقنط.

لم يكن هذا هو قصد ليتو، لكنه كان يعلم أن ذلك يحدث في كثير من الأحيان. الإجابة الدّقيقة، إن كانت غامضة، يراها المرء تأكيدًا لأعمق مخاوفه.

تنهّدت سيونا.

تسلّلت إلى أذنه كلماتها المكتومة من وراء القناع مجدّدًا: «كانت لديك نيّة خاصّة لي ضمن مُخطّطك الاستيلادي».

لم تكن عبارتها سؤالًا.

قال لها: «لكل إنسان نيّاته».

- «لكنك أردت موافقتي الكاملة».

- «هذا صحيح».

- «كيف تتوقّع مني الموافقة وأنت تعلم أنني أكره كُلّ شيءٍ فيك؟ كن صريحًا معي!».

- «أركان الموافقة الثّلاثة هي الرّغبةُ والبياناتُ والشكُّ. أمّا الدقّة والصّدق فلا علاقة لهما بالأمر».

- «أرجوك لا تجادلني، فأنت تعلم أنني أحتضر».

- «أنا أكنُّ لكِ من الاحترام ما يمنعني من الجدال معك».

قالها ليتو ورفع مُقدّمة جسده قليلاً مستشعرًا الرّياح. كانت الرّيح قد بدأت بالفعل في حمل حرارة الصّباح، لكن كان فيها من الرّطوبة

ما يزعجه. تذكّر ليتو أن كلّ محاولة لتشديد قبضته على الطّقس كانت تستدعي مزيدًا من الحاجة إلى التّحكّم. لم يجلب حُلم الكمال معه إلّا الاضطّرابات.

- «تقول إنك لا تجادل، لكنك...».

قال وهو يعود للانخفاض إلى سطح الأرض: «الجدال يغلق أبواب الحواس، ودائمًا ما يضمر العنف. وحين يستمر طويلاً، فهو يؤدي حتمًا إلى العنف، وأنا لا أحمل أيّ نيّةٍ عنيفةٍ تجاهك».

- «ماذا قصدت بالرّغبة والبيانات والشكّ؟».

- «الرّغبة تجمع المُشاركين معًا، والبيانات ترسم حدود حوارهم، والشكّ يُحدّد إطار الأسئلة».

اقتربت منه لتحدّق إلى وجهه مباشرةً من مسافة تقل عن المتر.

فكّر ليتو كم هو غريب أن تمتزج الكراهية بشكلٍ كامل مع الأمل والخوف والرهبة.

- «هل بإمكانك إنقاذي؟».

- «تُوجد طريقة».

أومأت برأسها، فعرف أنها أخطأت في استنتاجها.

اتّهمته قائلةً: «تريد مقايضتي بإنقاذي مقابل موافقتي!».

- «لا».

- «إذا اجتزت اختبارك...».

- «إنه ليس اختباري».

- «اختبار من إذًا؟».

- «إنه مستمدٌ من أسلافنا المشتركين».

غاصت سيونا في وضعية الجلوس على الصّخرة الباردة والتزمت الصّمت، غير مستعدة بعد لطلب مكانٍ للراحة بين طيّات قطاع جسده الأمامي الدّافئ. شعر ليتو بأنه يسمع صرخةً خافتةً محبوسةً في حلقها. الآن، كانت شكوكها تعتمل، وقد بدأت تتساءل إن كان حقًّا يتناسب مع صورتها الذّهنيّة عن الطاغية المطلق. نظرت إليه بذلك الجلاء المريع الذي ميّزه فيها. جلست سيونا فوق الصّخرة الباردة والتزمت الصّمت. لم تكن مستعدة بعد لطلب مأوى داخل دفء القطاع الأمامي من جسده. خُيّل إلى ليتو أنه يسمع الصّرخة الخافتة الحبيسة في حلقها. الشُّكوك تعتمل في صدرها الآن، وها هي ذي قد بدأت تتساءل إن كان يليق فعلًا بالصّورة الذّهنيّة التي رسمتها للطاغية المطلق. رفعت بصرها ناظرةً إليه بتلك الشّفافيّة المُخيفة التي طالما حدّدها فيها.

- «ماذا يدفعك لفعل ما تفعله؟».

كان السّؤال جيّد الصّياغة، فأجاب: «حاجتي إلى إنقاذ البشر».

- «أيّ بشر؟».

- «تعريفي للبشر أشمل بكثير من تعريف أيّ شخص آخر، أشمل حتّى من تعريف البني چيسيرِت، اللاتي يعتقدن أنهنّ حدّدن الصّفات التي تجعل المرء إنسانًا. أنا أشير إلى الخيط الأبدي للبشريّة جمعاء،

مهما كان تعريفها».

همّت بقول: «أتحاول إخباري بأن...»، لكن جفاف فمها التّام منعها. حاولت سيونا تجميع اللُعاب في شدقيها. رأى ليتو حركات فمها من خلال قناعها، لكن سؤالها كان واضحًا، فَلم ينتظر.

- «لولا وجودي، لما بقي بشر أحياء الآن في أيّ مكانٍ، على الإطلاق، ولكان الطّريق إلى ذلك الانقراض أبشع من أشنع تخيّلاتك».

قالت ساخرةً: «قدرتك التبصُريّة المزعومة».

قال لها: «الصّراط الذّهبي لا يزال ممتدًا».

- «أنا لا أثق بك!».

- «هل لأننا لسنا متساويين؟».

- «أجل!».

- «لكننا مُتّكلان أحدنا على الآخر».

- «ما حاجتك إليّ؟».

*آه، صرخة الشّباب غير الواثق بنفسه*. شعر بقوّة رابطة الاعتمادية الخفيّة، فأجبر نفسه على أن يكون قاسيًا. *الاعتمادية تُولّد الضّعف!*

قال لها: «أنتِ الصّراط الذّهبي ذاته».

قالت همسًا: «أنا؟».

قال: «أما قرأتِ تلك المذكّرات التي سرقتِها مني؟ أنا موجود فيها، لكن أين أنتِ؟ انظري إلى صنيعتي يا سيونا. أمّا أنتِ، فلا تستطيعين

خلق شيءٍ سوى نفسك».

- «كلام، مزيد من الكلام الخادع».

- «أنا لا أُعاني من عِبادة النّاس لي يا سيونا، بل من عدم التّقدير الدّائم. رُبّما... لا... لا أجرؤ على الأمل فيكِ».

- «ما الغرض من تلك المذكّرات؟».

- «تُدوّنها آلة إيكسيّة. ولسوف يُعثر عليها في يومٍ بعيد، وستدفع النّاس إلى التّفكير».

- «آلة إيكسيّة؟ أنت بذلك تتحدّى الجهاد».

- «وفي ذلك درس. ما الذي تفعله مثل هذه الآلات حقًّا؟ إنها تُضاعف الأشياء التي يمكننا أن نفعلها دون تفكير. والأشياء التي نفعلها دون تفكير هي الخطر الحقيقي. فكّري في المُدّة التي مشيتِ فيها عبر هذه الصّحراء دون أن تلاحظي قناع وجهك».

- «كان بإمكانك تحذيري!».

- «لأزيد من اتّكالكِ عليّ؟».

حدّقت إليه للحظة، ثم سألت: «لماذا تريد مني تولّي قيادة مُحاورات الأسماك؟».

- «أنت امرأة آتريديزيّة، ذكية وحاذقة، وقادرة على التّفكير المستقل. تملكين الجرأة لقول الحقيقة لمُجرّد أنها الحقيقة في نظرك. لقد وُلدتِ وهُيّئتِ للقيادة، والقيادة تعني التحرّر من الاتّكالية».

أثارت الرّياح حولهما غبارًا ورمالًا وهي تُفكّر في كلماته. «وإذا

وافقت، ستنقذني؟».

- «كلّا».

كانت واثقةً تمامًا بأن إجابته ستكون نقيض ذلك، حتّى إنها احتاجت إلى ثوانٍ لتستوعب الكلمة الوحيدة التي نطق بها. خلال تلك اللّحظات، هدأت الرّيح قليلًا، كاشفةً عن مشهدٍ ممتدٍ بين الكثبان نحو أطلال تلال حبّانية البعيدة. لفحت الهواء برودةٌ مفاجئة، من تلك التي تسلب الجسد رطوبته كما تفعل أشعة الشّمس الحارقة. التقط طرفُ وعي ليتو خللًا في نظام التّحكُّم في الطقس.

هتفت في حيرة وغضب: «كلّا؟».

- «أنا لا أعقد صفقاتٍ دنيئة مع أناسٍ يجب أن أثق بهم».

هزّت رأسها من جانبٍ إلى آخر ببطء، لكن نظرتها ظلّت ثابتةً على وجهه. «ما الذي سيجعلك تنقذني؟».

- «لا شيء سيجبرني على فعل ذلك. لماذا تظنّين أنكِ قادرة على أن تفعلي بي ما لن أفعله بكِ؟ ليست هكذا تكون العلاقات الاعتماديّة».

تراخت كتفاها وهي تقول: «إن لم أستطع مساومتك أو إجبارك...».

- «إذًا عليكِ اختيار مسارٍ آخر».

فكّر ليتو: *ما أروع أن يُشاهد المرء تنامي الإدراك المتسارع*. لم تُخفِ ملامح سيونا المُعبّرة عنه شيئًا. كانت تُركّز نظراتها على عينيه، وتحدّق إليهما كأنها تحاول أن تنفذ إلى صُلب أفكاره. دبّ في صوتها

المكتوم قوّةً جديدة.

- «ستجعلني أعرف كل شيءٍ عنك... حتّى نقاط ضعفك؟».

- «هل ستسرقين ما سأمنحه لك طواعيةً؟».

كان ضوء الصّباح قاسيًا على وجهها: «لا أعدك بشيء!».

- «وأنا لا أريد ذلك».

- «لكنك ستعطيني... الماء إذا طلبته؟»

- «لن يقتصر الأمر على ماءٍ فحسب».

أومأت في فهم، ثم قالت: «وأنا امرأة آتريديزيّة».

لم تكن مُحاورات الأسماك قد أخفين عنها تلك القابلية المتأصّلة في چينات الآتريديزيين. كانت تعرف من أين يأتي الاسپايس وما يمكن أن يفعله بها. لم تُقصّر المعلّمات في مدارس مُحاورات الأسماك في تعليمها. كما أدّت نفحات المِزّاج الخفيفة في زادها المجفف عملها كذلك.

قال لها: «تلك الطيّات الصغيرة المحيطة بوجهي، إذا داعبتِ إحداها برفق بإصبعك، فستنز قطراتٍ من ماء مُشبّع بكثافة بخلاصة الاسپايس».

رأى في عينيها الإدراك. كانت تُحدّثها ذكرياتٌ لم تكن تعرف أنها ذكريات. إنها ثمرة أجيالٍ عديدة ازدادت فيها حساسيّة الآتريديزيّين.

لكن حتّى إلحاح ظمئها لم ينجح في تحريكها بعد.

لكي يُسهِّل عليها اجتيازها الأزمة، أخبرها ليتو عن أطفال الفرمِن الذين يستخدمون العصي لنخز يرقات الرِّمال على حافات الواحات، ويعبثون بها لاستخلاص الرُّطوبة منها لانتعاشٍ سريع.

قالت: «لكنني آتريديزيّة».

قال: «التّاريخ الشّفهي يروي الأمر بصدق».

- «إذًا قد أموت من جراء ذلك».

- «هذا هو الاختبار».

- «ستجعل مني فرمِنيّةً حقيقيّةً!».

- «وبأيّ سبيلٍ غير هذا ستعلّمين أحفادك كيفيّة البقاء هنا بعد رحيلي؟».

خلعت قناعها وحرّكت وجهها حتّى صار على بُعد شبرٍ من وجهه. رفعت إصبعها ولامست إحدى طيّات وجهه المتدلّية.

قال لها: «داعبيها برفق».

تحرّكت يدها لا طاعةً لصوته، بل استجابةً لشيءٍ ينبعث من أعماقها. كانت حركة إصبعها دقيقةً، استثارت فيه ذكرياته، وهي حركة انتقلت من طفلٍ إلى طفلٍ إلى طفل... كما تنتقل أكثر المعلومات والأباطيل. أدار وجهه إلى أقصى ما يستطيع، ونظر بطرف عينه إلى وجهها القريب جدًا من وجهه. بدأت قطراتٌ زرقاء باهتة تتشكّل على حافّة الطيّة، تنبعث منها رائحة قِرفة غنيّة. مالت سيونا نحو القطرات، فرأى المسام بجانب أنفها، والطريقة التي تحرّك

بها لسانها وهي تشرب.

بعدها تراجعت. لم تكن قد ارتوت تمامًا، لكنها تراجعت بدافعٍ من الحذر والشّك، مثلما فعل مُونِيو من قبلها. هذه الشّبلة من ذاك الأسد.

سألته: «كم من الوقت يستغرق قبل أن يبدأ مفعوله؟».

- «مفعوله بدأ بالفعل».

- «أعني...».

- «دقيقة أو نحو ذلك».

- «أنا لا أدين لك بشيء مقابل هذا!».

- «وأنا لن أطلب ثمنًا».

أعادت إحكام القناع على وجهها.

رأى الضّباب اللبنيّ الغائر يستقر في عينيها، ومن دون أن تطلب الإذن، نقرَت على قطاعه الأمامي مطالبةً إيّاه بأن يهيّئ لها أرجوحة جسده الدّافئة، فأطاع. كوّرت نفسها في الثّنية اللّينة. بالنّظر بزاوية حادّة إلى أسفل، استطاع أن يراها. كانت عينا سيونا لا تزالان مفتوحتين، لكنهما لم تعودا تبصران هذا المكان. انتفضت فجأةً وأخذت ترتجف كمخلوقٍ صغير يحتضر. كان يعرف هذه التّجربة، لكن لم يكن بوسعه تغيير شيءٍ فيها. لن يبقى في وعيها أيّ حضورٍ سَلَفي، لكنّها من الآن فصاعدًا ستحمل معها تلك المشاهد والأصوات والرّوائح الواضحة. ستحمل في داخلها جحافل الآلات الباحثة، ورائحة الدّم والأحشاء. والبشر المنكمشون في جحورهم لا يدركون

سوى حقيقة واحدة: لا مهرب... والزّحف الميكانيكي يقترب بلا هوادة... أكثر فأكثر... أعلى... فأعلى!

وأينما ولّت وجهها، فلن تجد سوى المصير نفسه: لا مفرّ في أيّ مكان.

شعر بحياتها تنحسر. *حاربي الظّلام يا سيونا!* ذلك ما يفعله الآتريديزيّون دومًا: يقاتلون من أجل الحياة، وهي الآن تقاتل من أجل حيواتٍ غير حياتها. شعر بانطفائها، وفي الآن ذاته... بفورانٍ رهيبٍ في حيويّتها. غاصت أعمق فأعمق في جوف الظّلام، أعمق ممّا بلغه أيّ شخصٍ آخر. راح يُهدهدُها برفق، جاعلًا من قطاعه الأمامي مهدًا لها. كان ذلك، أو رُبّما حبل عزيمتها الرّفيع المحتدم، أو كلاهما معًا، هو ما انتصر في النّهاية. بحلول باكورة الظّهيرة، أخذ ارتجاف جسدها يخفت رويدًا رويدًا، حتّى اقتربت من حالةٍ تشبه النّوم الحقيقي. فقط شهقة عابرة هي ما كشفت له عن أصداء الرُّؤى التي تعتمل في داخلها. هدهدها ليتو برفق، متمايلًا من جانبٍ إلى آخر.

هل ستعود من تلك الأعماق؟ طمأنته استجابتها الحيويّة. يا لقوّتها!

استيقظت سيونا في وقتٍ متأخّرٍ من العصر، يُغلّفها سكونٌ مفاجئ، مصحوبًا بتغيّرٍ في إيقاع تنفُّسها. انفتحت عيناها بغتةً. حدّقت إليه، ثم انزلقت من الأرجوحة، ووقفت معطيةً ظهرها إليه لنحو ساعة، غارقةً في تفكير صامت.

لقد فعل مُونِيو الشّيءَ نفسه. كان ذلك نمطًا جديدًا في أولئك الآتريديزيين الجُدد. بعضٌ ممّن سبقوهما صرخوا فيه بغضب،

وتراجع آخرون متعثّرين وهم يحدّقون إليه، وأرغموه على اللّحاق بهم زحفًا فوق الحصى. بعضهم قرفص على الأرض شاخصًا إليه. لكن أحدًا منهم لم يُدِر له ظهره، وقد رأى ليتو في هذا التطوّر الجديد بارقةَ أمل.

قال لها: «بدأتِ تدركين إلى أيّ مدى تمتدّ عائلتي».

استدارت نحوه، زامةً شفتيها في خطّ رفيع، لكنّها لم تبادله النّظرة. ومع ذلك، رأى في ملامحها أنها تتقبّل الحقيقة التي لم يُشاطره إيّاها إلّا قِلّة من البشر: أن ذاته الغفيرة تجعل من البشريّة جمعاء عائلته.

قالت بنبرة اتّهام: «كان بإمكانك إنقاذ أصدقائي في الغابة».

- «أنت أيضًا كان بإمكانك إنقاذهم».

ضمّت سيونا قبضتيها وضغطت بهما على صدغَيها وهي تنظر إليه شزرًا: «لكنك تعرف كل شيء!».

- «سيونا!».

همست: «أكان عليّ أن أتعلّم بهذه الطّريقة؟».

ظلّ على صمته، مُجبرًا إيّاها على الإجابة عن السّؤال بنفسها. عليها أن تدرك أن وعيه الأساسي يعمل بطريقة فرمِنيّة، وأن أيّ مفترس -مثل تلك الآلات الرّهيبة في تلك الرّؤى الكابوسيّة- قادر على تتبّع أيّ كائنٍ يترك أثرًا.

همست: «الصّراط الذّهبي. بإمكاني الشّعور به»، ثم أضافت وهي ترمقه شزرًا: «يا لقسوته!».

- «لطالما كان صراع البقاء قاسيًا».

همست: «لم يستطيعوا الاختباء»، ثم قالت بصوت عالٍ: «ماذا فعلت بي؟».

قال لها: «لقد حاولتِ أن تكوني متمرّدةً فرمِنيّةً. كان لدى الفرمِن قدرةٌ لا تكاد تُصدّق على قراءة الآثار في الصحراء. كانوا يقرؤون حتّى الآثار الباهتة التي ذرتها الرّياح من الرّمال».

رأى إرهاصات النّدم في ملامحها، وذكريات رفاقها الموتى التي تطفو في وعيها. تحدّث ليتو بسرعة، عالمًا أن سرعان ما سيتبع الشّعور بالذّنب ذلك، والغضب من بعده: «هل كنتِ لتصدّقيني لو أني جلبتُكِ إلى هنا وأخبرتكِ فحسب بما أعرف؟».

كاد النّدم يغمرها تمامًا. فتحت فمها من خلف القناع وشهقت.

قال لها: «أنتِ لم تنجي من الصّحراء بعد».

ببطء، بدأ ارتجافها ينحسر. أدت الغرائز الفرمِنيّة التي استحقّها فيها عملها المعتاد دورًا في تهدئتها.

قالت له: «سأنجو»، ثم بادلته النّظرة: «أنت تقرؤنا عن طريق مشاعرنا، أليس كذلك؟».

- «المشاعر محفّزات الفِكر. بإمكاني تمييز أدقّ التغيّرات السلوكيّة من أصولها الشعوريّة».

رآها تتقبّل غُريها أمامه كما تقبّلهُ مُونِيو من قبلها، بخوفٍ وكراهية. لم يكن لذلك أهمّيّة تُذكر. سبر ليتو الزّمن المُقبل بحاسّته. نعم، سوف

تنجو من صحرائه لأن آثارها موجودةٌ على الرّمال بجانبه... لكنه لم يرَ ما يُشير إلى جسدها في تلك الآثار. ولكن خلف آثارها مباشرةً، برزت فتحةٌ مفاجئةٌ تُخفي وراءها أشياء. تردّد صدى صرخة احتضار أنتياك في وعيه المستبصر... وهجوم حشد من مُحاورات الأسماك!

فكّر ليتو: *مالكي قادم. أنا ومالكي سنلتقي مجدّدًا.*

فتح ليتو عينيه ورأى سيونا ما زالت تحملق إليه. قالت: «ما زلت أكرهك!».

- «أنت تكرهين قسوة المفترس الضروريّة».

قالت بنشوةٍ سامّة: «لكنني رأيتُ شيئًا آخر! أنت عاجز عن تتبُّع آثاري!».

- «لهذا يجب أن تتناسلي وتحافظي على هذه الصّفة».

وبينما كان يتكلّم، بدأ المطر يهطل دون سابق إنذار. فجأة، حلّت عليهما غيمةٌ داكنةٌ وانهمر المطر منها على الفور. وعلى الرّغم من أنه شعر سابقًا بتذبذب في نظام التّحكُّم في الطقس، صُدِم ليتو من شِدّة السّيل. كان يعلم أن السّماء تُمطر أحيانًا في السّرير، لكنه كان مطرًا عابرًا، سرعان ما يتبدّد مع جريان الماء واختفائه، ومع عودة الشّمس بعدها، تتبخّر البِرك الصّغيرة التي تكوّنت. كما أن في أغلب الأحيان لا يمسّ المطر الأرض، بل يكون مطرًا شبحيًا، يتبخّر عند اصطدامه بطبقة الهواء شديدة الحرارة الجاثمة فوق سطح الصّحراء مباشرةً، قبل أن تُبدّده الرّياح. أمّا هذا السّيل فغمره بالكامل.

نزعت سيونا القناع عن وجهها، ورفعت رأسها بنهمٍ إلى الماءِ

المنهمر، دون أن تلاحظ ما فعله المطر بليتو.

مع تسلُّل مياه الغمرة الأولى بين طيّات يرقات الرّمال وخلفها، تصلّب جسد ليتو وانكمش في كرةٍ من العذاب. ولّدت دوافع يرقات الرّمال ودودة الرّمال المتضادّة معنًى جديدًا لكلمة ألم. شعر كأنّه يتمزّق إربًا. أرادت يرقات الرمال الاندفاع نحو الماء وتطويقه، أمّا الدّودة فشعرت بالمطر كأنه غُسل الموت. انبعثت خيوطٌ من دُخانٍ أزرق من كلّ موضعٍ مسّه المطر بسياطه، وبدأت أعضاؤه الدّاخليّة تنتج خلاصة الاسپايس الحقيقيّة. تصاعد الدُّخان الأزرق من كل مكانٍ حوله حيث تمدّد جسده في برك الماء المتناثرة يتلوّى ويئن.

انقشعت الغيوم، ومرّت لحظات قبل أن تشعر سيونا باضطرابه.

- «ما خطبك؟».

لم يقو على الرّدّ. لقد تلاشى المطر، لكن الماء بقي على الصخور، وفي البرك المحيطة به، وتحته. لم يكن أمامه مفر.

رأت سيونا الدُّخان الأزرق يتصاعد من كل موضع في جسده مَسّه الماء. صرخ ليتو قائلًا: «الماء!».

كان إلى يمينه حدبة أرضيّة مرتفعة قليلًا عمّا حولها لم يتجمّع الماء فيها. شقّ ليتو طريقه نحوها بألمٍ شديد، متأوّهًا مع كل بركة جديدة يمر بها. كانت الحدبة جافةً تقريبًا حين بلغها. هدأ الألم المُعذِّب بالتدريج، وأدرك أن سيونا تقف أمامه مباشرة، تطمئن عليه بكلمات قلق زائف.

- «لماذا يؤذيك الماء؟».

يؤذيني؟ يا لها من كلمة قاصرة! لكن لم يكن ثمّة مهرب من أسئلتها، فقد باتت تعرف ما يكفي لتبدأ البحث عن الجواب بنفسها، وهذه الإجابة من الممكن العثور عليها. بتردُّد، شرع يشرح لها علاقة يرقة الزّمال ودودة الزّمال بالماء، فأنصتت إليه صامتةً حتّى النهاية.

بعدها قالت: «لكن الماء الذي منحتني إيّاه...».

- «الاسپايس يحجب عنّي أذاه، ويخفّف من تأثيره».

- «إذًا لماذا تخاطر بالخروج إلى هنا دون عربتك؟».

- «لا يمكن للمرء أن يصير فرمِنيًا داخل قلعة، أو فوق عربة».

أومأت سيونا في تفهُّم.

رأى بريق التمرُّد يعود إلى عينيها. لم تعُد مضطرّة إلى الشُّعور بالذّنب أو الاتّكال عليه. لم تعُد قادرةً على إنكار إيمانها بصِراطه الذّهبي، لكن ما قيمة ذلك أمام ما ارتكب؟ قسوته لا يُمكن أن تُغتفر! بإمكانها أن تتبرّأ منه، أن تنفيه من عائلتها. إنه ليس إنسانًا، ولا يشبهها في شيء. والآن صارت تملك سرّ هلاكه! الغمر بالماء، تدمير صحرائه، شلُّ حركته في خندقٍ مائي من العذاب! هل توهّمت أن بوسعها إخفاء أفكارها عنه بأن تُدير ظهرها له فحسب؟

تساءل ليتو: *ماذا عساي أن أفعل حيال ذلك؟ يجب أن تعيش، وعليّ أن أمتنع عن اللُّجوء إلى العنف.*

والآن، بعد أن أدرك شيئًا عن طبيعة سيونا، كم سيسهل عليه الاستسلام، والغوص في أفكاره بلا اكتراث. كان إغراء الاكتفاء بالعيش في ذكرياته قويًّا، لكن أبناءه ما زالوا بحاجة إلى درسٍ آخر،

درس يكون قدوةً لهم فيه، إذا أرادوا النّجاة من تهديد الصّراط الذّهبي الأخير.

فكّر ليتو: *إلى الثّغرة مرّةً أخرى أيّها الأصدقاء الأعزّاء*(20)، ثم كبح ابتسامةً ساخرةً من أسلوبه المسرحيّ.

بمرور الوقتِ الكافي لتطوُّر الأجيال، يُوقع المُفترس ضغطًا على فرائسه، فيستحدث فيها تكيُّفات بقاء مُعيَّنة. تلك التكيُّفات تنعكس على المفترس نفسه، فيتغيَّر، ويعود فيُغيِّر بها الفريسة... وهكذا دواليك، في دورةٍ لا تنتهي. قوى كثيرة في المجتمعات تفعل الشَّيء ذاته، يمكن عدُّ الأديان من بينها.

- المذكَّرات المسروقة

«أمرني المولى بإخبارك أن ابنتك نَجت». أوصلت نائلة الرِّسالة إلى مُونِيو بصوتٍ رتيبٍ وهي تنظر إليه عبر طاولة العمل، حيث يجلس وسط فوضى من الملاحظات والأوراق وأجهزة الاتصال.

ضم مُونِيو راحتي يديه معًا بقوَّة، وحدَّق إلى الظِّلِّ الطَّويل الذي ألقته أشعة شمس العصاري على طاولته وهي تمرُّ عبر ثقَّالة الأوراق الشَّجريَّة المُرصَّعة بالجواهر.

سأل مُونِيو دون أن يرفع بصره إلى نائلة، التي وقفت أمامه بجسدها الضَّخم في وضعية انتباه: «هل عاد كلاهما إلى القلعة؟».

- «أجل».

نظر مُونِيو إلى يساره عبر النَّافذة، شاردًا عن خطِّ التَّلال المظلم الذي يحدُّ أُفُق السَّرير، وعن الرِّيح الجشعة التي تجمع حبَّات الرِّمال من قِمم الكثبان.

سألها: «ماذا عن تلك المسألة التي ناقشناها سابقًا؟».

- «انتهى ترتيبها».

قال: «حسنٌ جدًا»، ثم أشار لها كي تنصرف، لكن نائلة ظلّت ماثلةً أمامه. متفاجئًا، أمعن مُونِيو في النّظر إليها للمرّةِ الأولى منذ دخولها.

ابتلعت ريقها وقالت: «هل عليّ شخصيًا حضور هذا... الزّفاف؟».

- «هكذا أمر المولى. ستكونين الوحيدة المُسلّحة ببُندقيّة ليزر. إنه شرفٌ عظيم».

ظلّت نائلة على ثباتها، ونظرتها شاخصةٌ إلى نقطةٍ فوق رأس مُونِيو.

استحثّها بسؤاله: «أثقة خطب؟».

اختلج فك نائلة المُربّع الضّخم بانفعال، ثم قالت: «هو إله، وأنا بشر»، ثم نكصت على عقبيها وغادرت حُجرة العمل.

تعجّب مُونِيو للحظة من الذي يُزعج مُحاورة الأسماك العملاقة تلك، لكن سرعان ما عادت أفكاره كإبرة البوصلة إلى سيونا.

*لقد نجت، مثلما نجوت*. سيونا الآن تملك يقينًا داخليًا يخبرها بأن الصّراط الذّهبي مُمتدٌ بلا انقطاع، *مثلي تمامًا*. لم يجد في الفكرة عزاء المشاركة، ولا ما يشعره بالقُرب من ابنته. إنه لعِبءٌ ثقيل، وسينجح لا محالة في كبح جماح طبيعتها المتمرّدة، إذ لا آتريديزي يستطيع معارضة الصّراط الذّهبي. لقد تكفّل ليتو بضمان ذلك!

تذكّر ليتو أيّام ما كان مُتمرّدًا: المبيت كل ليلة في فراشٍ جديد، والحاجة المُلِحّة إلى الفرار. لا تزال خيوط الماضي العنكبوتيّة عالقةً في ذهنه، ملتصِقةً به، مهما حاول تبديد الذّكريات المُضنية.

*ها قد قُيِّدت سيونا.. كما قُيِّدتُ أنا من قبل.. كما قُيِّد المسكين ليتو.*

قطع رنين جرس المغيب أفكاره، وفَعَّل أضواء حُجرة العمل. نظر مُونيو إلى مهام استعدادات زفاف الإمبراطور الإله على هِوي نوري التي لم تُنجز بعد. ما أكثر العمل! في تلك اللحظة، ضغط زِرّ الاتِّصال وطلب من مُحاورة الأسماك الشّابة التي ظهرت استجابةً لاستدعائه أن تُحضِر له كوبًا من الماء، ثم تدعو دانكن آيداهو للانضمام إليه هنا.

عادت الفتاة سريعًا بالماء، ووضعت الكوب على الطّاولة بالقرب من يده اليُسرى. لاحظ أصابعها الطّويلة الشبيهة بأصابع عازفي الوتريّات، لكنه لم ينظر إلى وجهها.

قالت له: «أرسلت إحداهن لاستدعاء آيداهو».

أومأ مُونيو لها وتابع عمله، وحين سمعها تغادر الحُجرة رفع بصره ليشرب الماء.

وفكّر: *يعيش البعض حياةً كحياةِ عثّ الصّيف. أمّا أنا، فأعبائي لا تنتهي.*

كان الماء عديم المذاق، أثقل حواسّه، وأشعره بالخمول. نظر إلى ألوان الغروب في سماء صحراء السّرير وهي تتلاشى إلى سواد الليل، ظانًّا أن من المفترض به أن يُميّز فيها الجمال بالمعنى المألوف، لكن كل ما استطاع التفكير فيه هو أن الضوء يُغيِّر أنماطه. *إنه لا يتبدّل لمرآي.*

بحلول الظّلام، ازداد مستوى إضاءة الحُجرة تلقائيًا، جالبًا لذهنه

صفاءً في التّفكير. شعر بأنه في كامل استعداده للقاء آيداهو. لا بُدّ من تعليمه الضّروريّات، وبسرعة.

انفتح باب الحُجرة، ودخلت منه المُساعدة مجدّدًا: «أتريد تناول الطّعام الآن؟».

- «لاحقًا»، ثم رفع يده وهي تهمُّ بالمغادرة: «اتركي الباب مفتوحًا».

قطبت الفتاة جبينها.

قال: «ويمكنكِ التدرُّب على موسيقاكِ، أريد الاستماع».

كانت الفتاة ذات وجهٍ ناعم، مستدير، يحمل براءة الطفولة، ويشعُّ نورًا حين تبتسم. استدارت مبتعدةً، والابتسامة لا تزال مرتسمةً على شفتيها.

بعد لحظات، سمع نغمات أوتار البيوا(21) آتية من المكتب الخارجي.

تلك المتدرّبة الشابّة موهوبة بالفعل. راحت الأوتار الرّخيمة تدوي كنقر المطر على سطح منزل، ومن تحتها تهمس الأوتار الوُسطى. رُبّما تتمكّن يومًا من العزف على الباليسِت. ميّز مُونِيو الأغنية. كانت دندنةً شجيّةً عن ذكرى رياح خريفية تهبُّ على كوكب بعيد لم يعرف الصحراء يومًا. كان اللّحن حزينًا، تعيسًا، لكنه رائع.

فكّر مُونِيو: *إنها صرخة المسجون. ذكرى الحُرّية*. بدت له هذه الفكرة غريبة. هل الحُرّيّة تتطلّب التمرُّد دائمًا؟

سكت صوت البيوا، وسمع مُونِيو همهمة منخفضة. دخل آيداهو

إلى الحُجرة، وراقبه مُونِيو. في زاوية سقوط الضّوء الخادعة، بدا وجه آيداهو كقناعٍ عابسٍ غائر العينين، لكن ما إن جلس قبالته دون دعوة، حتى تبدّد الوهم. *إنه مُجرّد دانكن آخر*. كان آيداهو قد بدّل ملابسه إلى زيٍّ أسود بسيط بلا شارة.

قال آيداهو: «أنا سعيد لأنك استدعيتني، إذ كنت أسأل نفسي سؤالًا غريبًا، وأريد طرحه عليك. ما الأمر الذي لم يتعلّمه سابقي يا مُونِيو؟».

تصلّب عود مُونِيو من الدّهشة، فاعتدل في جلسته. يا له من سؤال غير مُعتاد من الدّناكنة! أهو مختلف فعلًا عن غيره، بفعل مكيدة من مكايد التِليلاكسو؟

سأله مُونِيو: «ما الذي دفعك إلى طرح ذلك السّؤال؟».

- «كنت أُفكّر مثل الفرمِن».

- «لكنك لم تكن فرمِنيًا».

- «كنت أقرب إليهم ممّا تظن. ذات مرّة قال النّائب ستيلجار إنني على الأرجح وُلدت فرمِنيًا دون أن أدري، إلى أن وصلت إلى كثيب».

- «ماذا يحدث حين يُفكّر المرء كالفرمِن؟».

- «يتذكّر أنه لا ينبغي له مصاحبة من لا يرغب في الموت معهم».

وضع مُونِيو راحتي يديه أسفل سطح الطّاولة، فتلاعبت ابتسامةٌ ماكرةٌ على ثغر آيداهو.

سأله مُونِيو: «ماذا تفعل هنا إذًا؟».

- «أظن أنك قد تكون صاحبًا طيّبًا يا مُونِيو. وأسأل نفسي لماذا اختارك ليتو رفيقه الأقرب؟».

- «لأنني اجتزت الاختبار».

- «نفس الاختبار الذي اجتازته ابنتك؟».

*لقد سمع إذًا بعودتهما*. هذا يعني أن بعض مُحاورات الأسماك ينقلن الأخبار إليه... ما لم يكن الإمبراطور الإله قد استدعى الدّانكن للقائه... *لا، كنت سأعلم بذلك*.

قال مُونِيو: «اختبارات ليتو لا تتطابق أبدًا. لقد أُجبرتُ على دخول متاهة من الكهوف وحدي، لا أملك سوى كيس طعام وقنينة من خلاصة الاسپايس».

- «وأيُّهما اخترت؟».

- «ماذا؟ أوه... ستعرف إذا اختُبرت».

قال آيداهو: «في ليتو جانبٌ لا أعرفه».

- «أولم أخبرك بهذا؟».

أضاف آيداهو: «وفي ليتو جانبٌ لا تعرفه».

قال مُونِيو: «لأنه أوحد شخصٍ عرفه الكون».

قال آيداهو: «لا تمارس ألاعيبَ مزاجيّة لمحاولة إثارة تعاطفي».

أومأ مُونِيو: «ألاعيب مزاجيّة.. وصفٌ موفّق. إن مزاج الإمبراطور الإله كالنّهر: هادئ ما لم يعترضه شيء، هائج ومتفجّر مع أدنى عائق.

لا يجوز اعتراض طريقه».

أجال آيداهو بصره في حُجرة العمل المُضاءة جيّدًا، ثم حوّل نظره إلى الظّلام الخارجي، وفكّر في نهر آيداهو المروّض الذي يجري في مكانٍ ما في الخارج، قبل أن يعيد انتباهه إلى مُونِيو ويسأل: «ماذا تعرف عن الأنهار؟».

- «في شبابي، سافرتُ كثيرًا في خدمة ليتو، حتّى إنني أمنت على حياتي على متن قارب أشبه بقوقعة طافية، في البداية على صفحة ماء نهر، ثم في بحرٍ ضاعت شواطئه في عبوره».

وبينما هو يتحدّث، شعر مُونِيو بأنه لامس طرفَ خيطٍ يقود إلى حقيقةٍ عميقةٍ في الإله ليتو. هذا الإحساس ألقى بمُونِيو في شرودٍ طويل، تذكّر فيه ذلك الكوكب البعيد الذي عبر فيه بحرًا من شاطئٍ إلى آخر. في اللّيلة الأولى من الرّحلة، هبّت عاصفةٌ هوجاء، ومن أعماق السفينة، من كُلّ اتّجاه، صدر عن كدّ المحرّكات المنهكة صوتٌ غريبٌ مُزعج: «شج.. شج.. شج.. شج...». وقف مُونِيو حينها على سطح السّفينة إلى جوار القبطان، وظلّ ذهنه منصبًا على صوت المُحرّك الذي يبتعد، ثم يعود، كما تموج جبال الماء الخضراء القاتمة في مجيءٍ ورواحٍ مُتكرّرٍ بلا نهاية له. مزّق كُلّ ارتطامٍ لعارضة السّفينة بالبحر بدن الماء كأنه قبضةٌ تهوي عليه. كانت حركةً جنونيّة، كدوارٍ مُثقلٍ بالمياه.. صعودًا.. صعودًا.. ثم هبوطًا! آلمته رئتاه من فرط كتمان الخوف. السّفينة تندفع، والبحر يحاول ابتلاعها. انفجارات وحشيّة من ماءٍ صلب، ساعةً تلو الأخرى، بثور بيضاء تنسكب من على ظهر السفينة، ثم موجة أخرى، فموجة

أخرى...

كلُّ ذلك دليل على حقيقة الإمبراطور الإله.

*إنه العاصفة والسّفينة معًا.*

أعاد مُونِيو انتباهه إلى آيداهو الجالس قبالته في ضوء الحُجرة البارد. لم تبدُ على ملامح الرّجُل خلجةٌ واحدةٌ، لكن بدا عليه جوعٌ لشيءٍ ما.

قال آيداهو: «إذًا أنت لن تساعدني على معرفة ما لم يتعلّمه الدّناكنة الآخرون».

- «بل سأساعدك».

- «ما الذي فشلت في تعلُّمه دومًا إذًا؟».

- «كيفيّة الثّقة».

دفع آيداهو بنفسه مبتعدًا عن الطّاولة وحدّق إلى مُونِيو بنظرةٍ ناريةٍ. وحين خرج صوته، كان خشنًا أجشّ: «أظنّ أنني وثقت به أكثر من اللّازم».

كان مُونِيو عنيدًا: «لكن كيف وثقت؟».

- «ماذا تعني؟».

وضع مُونِيو يديه في كَتِفِه وقال: «أنت تختار رفاقك الذُّكور وفقًا لقدرتهم على القتال والموت في صفِّ الحقِّ كما تراه من منظورك، وتختار الإناث ممّن يُكملن هذه النّظرة الذكورية إلى نفسك. أنت لا تسمح بأيِّ اختلاف معك قد يكون بحُسن نيّة».

تحرّك ظلٌّ عند مدخل حُجرة مُونِيو، الذي رفع بصره في الوقت المناسب ليرى سيونا تدخل من الباب، قبل أن تتوقّف، وتضع يدًا على خاصرتها.

- «حسنٌ يا أبي، أراك تعود إلى ألاعيبك القديمة».

التفت آيداهو بحِدّة ليحدّق إلى المتحدّثة.

تفحّص مُونِيو ابنته باحثًا عن علامات تغييرٍ فيها. كانت قد استحمّت وارتدت زيًّا أسود وذهبيًّا جديدًا، زيّ قيادة مُحاورات الأسماك، لكن وجهها ويديها كانا لا يزالان يفضحان المحنة التي مرّت بها في الصّحراء. لقد فقدت وزنًا، وبرزت عظام وجنتيها، وكذا عروق يديها، ولم يفلح المرهم في إخفاء تشقُّقات شفتيها. بدت عيناها ذابلتين، وفي سيمها تعبيرٌ من ذاق مرارة شديدة.

قالت سيونا: «كنتُ أستمع إليكما»، ثم أنزلت يدها من خاصرتها وتقدّمت عبر الحُجرة: «كيف تجرؤ على التحدُّث عن حُسن النّيّة يا أبي؟».

لاحظ آيداهو الزّيّ الذي ترتديه، وزمّ شفتيه مفكّرًا: *قائدة مُحاورات الأسماك؟ سيونا؟*

قال مُونِيو: «أعرف المرارة التي في حلقك، فقد شعرت بشعورٍ مماثل ذات يوم».

- «حقًّا؟»، قالتها واقتربت، متوقّفةً إلى جوار آيداهو، الذي واصل النّظر إليها بنظرةٍ تكهُّنيّة.

قال مُونِيو: «كم تسعدني رؤيتك على قيد الحياة».

قالت: «كم هو مُرضٍ لك أن تراني أدخل في خِدمة الإمبراطور الإله بسلام! لقد انتظرت طويلًا لتحظى بطفلٍ، وها أنا ذي! انظر كم أنا ناجحة»، واستدارت ببطء لتستعرض زيّها الرّسمي: «قائدة مُحاورات الأسماك. أينعم قائدة لفصيلة واحدة، لكنها تظلُّ قيادة بأيّ حال».

أجبر مُونِيو نفسه على التحدُّث بصوتٍ بارد ورسمي: «اجلسي».

قالت: «أفضّل الوقوف»، ثم نظرت إلى آيداهو الجالس، وأردفت: «آها، دانكن آيداهو، ذَكَري المرتقب. ألا تجد هذا مثيرًا للاهتمام يا دانكن؟ يقول لي ليتو الإله إنني سأُدمج في هيكل قيادات مُحاورات الأسماك في الوقت المُناسب. أمّا حاليًا، فلي تابعة واحدة. أتعرف تلك المرأة المدعوّة نائلة يا دانكن؟».

أومأ دانكن بالإيجاب.

- «أحقًّا؟ لا أظن أنني أعرفها»، ثم نظرت إلى مُونِيو: «هل أعرفها يا أبي؟».

هزّ مُونِيو كتفيه.

قالت سيونا: «لكنك تتحدّث عن الثّقة يا أبي. تُرى، بمن يثق الوزير القوي مُونِيو؟».

التفت مُونِيو ليرى أثر تلك الكلمات في القهرمان. بدا وجه الرّجُل متصدّعًا ممّا يكتم من انفعال. *أهو غضب؟ كلّا... بل شيءٌ آخر.*

قال مُونِيو: «أنا أثق بالإمبراطور الإله. وبما أن أملًا يحدوني بأن

تتعلّما من هذا شيئًا، فأنا هنا لأنقل إليكما رغباته».

سخرت سيونا: «رغباته؟ أتسمع هذا يا دانكن؟ أضحت أوامر الإمبراطور الإله رغبات الآن».

قال آيداهو: «هات ما عندك. أعلم أن لا خيارَ حقيقيًا لنا في الأمر، أيًا كان».

قال مُونِيو: «الخيار موجود دائمًا».

قالت سيونا: «لا تنصت إليه، فجرابه مليء بالحيل. إنهما يتوقّعان منا أن يرتمي أحدنا في أحضان الآخر، كي ننجب له مزيدًا على شاكلة أبي. أبي... الذي هو من نسلك يا دانكن!».

شحب وجه مُونِيو، ثم أمسك حافّة طاولة العمل بكلتا يديه، ومال إلى الأمام: «كلاكما أحمق! لكنني سأحاول إنقاذكما. رغم أنفكما، سأحاول إنقاذكما!».

رأى آيداهو وجنتي مُونِيو ترتجفان، والحِدّة في نظرة الرّجل، وشعر بشيءٍ غريب يُحرّك مشاعره: «أنا لست فحله، لكنني سأنصت إليك».

قالت سيونا: «خطأ نموذجي».

قال آيداهو: «صه يا امرأة».

حدّقت سيونا شزرًا إلى رأس آيداهو، وقالت: «لا تكلّمني بهذه الطّريقة، وإلّا لففت عنقك حول كاحليك!».

اشتدّ ظهر آيداهو، وبدأ يتلفت نحوها.

قطب مُونِيو جبينه ولوّح بيده لآيداهو ليبقى جالسًا: «أُحذِّرك يا دانكن أنها رُبّما تستطيع فعل ذلك. أنا لستُ ندًّا لها، ولا بُدّ أنك تتذكّر ما حدث في محاولة اعتدائك عليّ، أليس كذلك؟».

أخذ آيداهو نفسًا عميقًا سريعًا، وزفره ببطء، ثم قال: «هات ما عندك».

تحرّكت سيونا لتجلس على طرف طاولة مُونِيو ونظرت إليهما: «هنا أفضل كثيرًا»، ثم أردفت: «دعه يلقِ بقوله، لكن لا تُصغِ».

زمّ آيداهو شفتيه بحزم.

أفلت مُونِيو قبضته عن حافّة مكتبه، واسترخى في جلسته، دون أن يحيد بصره عن آيداهو وسيونا: «لقد أوشكتُ أن أنتهي من ترتيبات زفاف الإمبراطور الإله على هِوي نوري. خلال تلك الاحتفالات، لا أريدكما أن تظهرا في الصُّورة».

نظرت سيونا إلى مُونِيو بتساؤل: «أهذه فكرتك أم فكرته؟».

بادل مُونِيو ابنته النّظرة النّارية، وقال: «فكرتي! ألا تملكين حِسًّا بالشّرف والواجب؟ ألم تتعلّمي شيئًا من مرافقتك له؟».

- «أوه، بل تعلّمت ما تعلّمتهُ يا أبي. وقد أعطيته كلمتي، التي سأحافظ عليها».

- «ستتولّين إذًا قيادة مُحاورات الأسماك؟».

- «متى ائتمنني على القيادة؟ أتعلم يا أبي، إنه أمكر منك بكثير».

سأله آيداهو: «إلى أين سترسلنا؟».

قالت سيونا: «على افتراض أننا سنوافق».

قال مُونِيو: «عند حافّة صحراء السّرير قريةٌ صغيرةٌ يقطنها الفرمِن الأثريُون، اسمها تيونو. قرية لطيفة نسبيًا، تقع في ظلّ الجدار، والنّهر على بُعد خطوات منه. توجد فيها بئرٌ، والطّعام هناك لذيذ».

تعجّب آيداهو: *تيونو؟* بدا الاسم مألوفًا. ثم قال: «في الطّريق إلى سييتش تابر كان هناك مكان يُدعى حوض تيونو».

قالت سيونا: «وقطعًا اللّيالي هناك طويلة، ولا ترفيه فيها».

ألقى آيداهو نظرةً حادّةً نحوها، فبادلته النّظر: «يريد منا أن نتكاثر لترضى الدُودة. يريد أن يملأ رحمي بأطفال، أن تُولد حيواتٌ جديدةٌ ليُفسدها ويُشوّهها. ذلك لن يكون إلّا على جُثّته!».

عاد آيداهو ينظر إلى مُونِيو والارتباك على ملامحه: «وإن رفضنا الذّهاب؟».

قال مُونِيو: «أظن أنكما ستذهبان».

ارتعشت شفتا سيونا: «دانكن، هل رأيتَ قط إحدى هذه القُرى الصّحراويّة الصّغيرة؟ ليس بها وسائل راحة، لا...».

- «رأيت قرية تابر».

- «أنا واثقة بأن تابر أقرب إلى عاصمة إذا ما قورنت بتيونو؛ فإمبراطورنا الإله لن يحتفل بغرسه في تجمّع حقير من الأكواخ الطّينيّة، قطعًا لا. أما تيونو، فستكون محض أكواخ طينيّة بلا مرافق، أشبه بمساكن الفرمِن الأوائل».

أبقى آيداهو اهتمامه مُنصبًا على مُونِيو وهو يتحدّث: «الفرمِن لم يسكنوا أكواخًا طينيّة».

قالت بازدراءٍ ساخر: «ومن يهتم أين كانوا يمارسون طقوسهم الطّائفيّة؟».

قال آيداهو وهو لا يزال ينظر إلى مُونِيو: «الفرمِن الحقيقيّون لم يكن لهم إلا عقيدةٌ واحدةٌ، جوهرها الصّدق. أنا أهتمُّ أكثر بالصّدق، لا بالرّاحة».

صاحت قائلة: «لا تنتظر الرّاحةَ منّي!».

قال آيداهو: «أنا لا أنتظر شيئًا منك. متى سنرحل إلى تلك القرية يا مُونِيو؟».

سألته: «أستذهب إلى هناك؟».

قال آيداهو: «أنا أُفكّر في قبول عرض والدك اللّطيف».

- «لطيف!»، قالتها ونقلت بصرها من آيداهو إلى مُونِيو.

قال مُونِيو: «ستغادران على الفور. لقد خصّصتُ فرقةً من مُحاورات الأسماك بقيادة نائلة لمرافقتكما والعناية بكما في تيونو».

سألت سيونا: «نائلة؟ حقًّا؟ هل ستقيم معنا هناك؟».

- «حتّى يوم الزّفاف».

أومأت سيونا ببطء وقالت: «إذًا نحن نقبل».

فصاح آيداهو: «اقبلي عن نفسك لا عني!».

ابتسمت سيونا وقالت: «معذرةً، هل لي أن أطلب رسميًا من دانكن آيداهو العظيم أن ينضمّ إليّ في تلك الحامية البدائيّة، وأن يُبقي يديه بعيدًا عن جسدي؟».

نظر إليها آيداهو من تحت حاجبيه، وقال: «لا تخشي شيئًا بشأن موضع يديّ»، ثم نظر إلى مُونِيو وأردف: «أتحاول التصرُّف بدافعٍ من اللُّطف يا مُونِيو؟ ألهذا السّبب تُبعدني؟».

قالت سيونا: «إنها مسألة ثقة. في رأيك، بِمَن يحق؟».

ألحّ آيداهو في سؤاله: «هل أنا مجبور على الذّهاب برفقة ابنتك؟».

وقفت سيونا وقالت: «إمّا أن نقبل، وإمّا ستقيّدنا القوّات وتحملنا إلى هناك بأعنف الطرائق. هذا واضحٌ على وجهه».

قال آيداهو: «إذًا لا خيار لي بالفعل».

قالت سيونا: «لديك الخيار الذي يتمتّع به الجميع: مُت الآن، أو لاحقًا».

واصل آيداهو تحديقه إلى مُونِيو: «ما دوافعك الحقيقيّة يا مُونِيو؟ ألن تُشبع فضولي؟».

قال مُونِيو: «الفضول نجّى الكثيرين حين خذلتهم كل الوسائل الأخرى. أنا أحاول إنقاذ حياتك يا دانكن، وأنا لم أفعل ذلك من قبل قط».

استغرق الأمر نحو ألف عامٍ قبل أن يهبط غبار صحراء كثيب القديمة، الشّاسعة بعرض الكوكب، من الغلاف الجوي ويُقيّد بالتُّربة وبالماء. لم يشهد أرّاكس الرّيحَ المُسمّاة «المِعجاج» منذ نحو ألفين وخمسمئة عام، تلك العواصف التي كانت تحمل في طيّاتها ما يصل إلى عشرين مليار طنٍّ من الغبار. كثيرًا ما كان للسّماء حينها أن تتّسم بلونٍ فضيٍّ. كان الفرمِن يقولون: «الصّحراء جرّاحٌ يَشُقُّ الجلد ليكشف ما تحته». كان للكوكب وللنّاس وقتها طبقات، يمكنك رؤيتها. أمّا صحراء سريري فليست إلّا صدًى ضعيفًا لما كان. لا بُدّ أنني مِعجاج اليوم.

- المذكّرات المسروقة

«أأرسلتهما إلى تيونو دون مشاورتي في الأمر؟ يا للعجب يا مُونِيو! لم تُقدم على أمرٍ كهذا بنفسك منذ أمدٍ بعيد».

كان مُونِيو يقف على بُعد عشر خطوات من ليتو في قلب السّرداب الكئيب، محنيّ الرّأس، مستخدمًا كل ما أوتي من حيل لمنع نفسه من الارتعاش، مدركًا أن حتّى هذا الفعل لن يخفى على الإمبراطور الإله، بل وسيُؤَوِّله. كانت السّاعة تقترب من منتصف الليل، وقد ترك ليتو قهرمانه ينتظر وينتظر قبل اللّقاء.

قال مُونِيو: «أرجو ألّا أكون قد أغضبت مولاي».

- «لقد أبهجتني، لكن لا يغُرّنك هذا. فأنا في الآونة الأخيرة لم أعد أميّز بين البهجة والحُزن».

همس مُونِيو: «اغفر لي يا مولاي».

- «ما هذا الغفران الذي تسأل؟ أأنت دومًا في حاجة إلى حُكم رَبِّك؟ أما يمكن لذاتك أن تُوجد فحسب؟».

رفع مُونِيو بصره إلى ذلك الوجه المقلنس الشّنيع. *إنه العاصفة والسّفينة معًا. الغروب موجود لذاته لا لمرآي.* شعر مُونِيو بأنه يقف على شفير تجلّيات مرعبة. اخترقته عينا الإمبراطور الإله، وأحرقته النّظرة التي تسبر غوره: «مولاي، ماذا تُريد مني؟».

- «أن يكون لك إيمانٌ بنفسك».

قال مُونِيو إذ شعر أن شيئًا في داخله قد ينفجر: «إذًا مسألة أنني لم أشاورك قبل أن...».

- «كم أنت مُتبصّر يا مُونِيو! النُّفوس الضّئيلة التي تسعى للسّيطرة على الآخرين تُدمّر أوّل ما تُدمّر إيمانهم بأنفسهم».

كانت الكلمات مزلزِلةً لمُونِيو. استشعر فيها اتّهامًا، واعترافًا في آنٍ واحد. شعر بأن قبضته على شيءٍ مهيبٍ ومرغوب بلا حدود بدأت تضعف. حاول أن يجد كلماتٍ يعيد بها استدعاء هذا الشيء، لكن ذهنه لم يسعفه. رُبّما لو سأل الإمبراطور الإله...

- «مولاي، لو تخبرني فقط بأفكارك عن...».

- «أفكاري تختفي لحظة مخالطتها!».

قالها ليتو وحدّق إلى مُونِيو الوقف أسفله. كم كانت عينا القهرمان الجاثمتان فوق أنفه الآتريديزي الصّقري الحاد غريبةً: عينان أشبه بقصيدةٍ حُزّة في وجهٍ مضبوط الإيقاع كالبندول. تُرى، هل يسمع مُونِيو ذلك النّبض الإيقاعي: *مالكي قادم! مالكي قادم! مالكي قادم!؟*

أراد مُونِيو أن يصرخ من الأسى. ذلك الشّيء الذي شعر به.. لقد اختفى بالكامل! لكنه وضع يديه على فمه كاتمًا صرخته.

قال ليتو مُتّهمًا: «حياتك ساعة رملية ثنائيّة الأبعاد، فلماذا تحاول كبح الرّمال؟».

أنزل مُونِيو يديه وتنهّد قائلًا: «أترغب في معرفة تفاصيل تحضيرات الزّفاف يا مولاي؟».

- «لا تكن مُملًا؟ أين هِوي؟».

- «مُحاورات الأسماك يجهّزنها للـ...».

- «هل أخذت رأيها بخصوص ترتيبات الزّفاف؟».

- «أجل يا مولاي».

- «وهل وافقت عليها؟».

- «أجل يا مولاي، لكنها اتّهمتني بأنني أهتمُ بكمّ الأنشطة، لا بكيفها».

- «أوليست مُدهشةً يا مُونِيو؟ هل لاحظت التوتُّر بين مُحاورات الأسماك؟».

- «أظن ذلك يا مولاي».

- «فكرة زواجي تزعجهن».

- «لهذا أرسلت الذّانكن بعيدًا يا مولاي».

- «بالطبع، وسيونا معه كي...».

- «مولاي، أعرف أنك أخضعتها للاختبار وأنها...».

- «إنها تستشعر الصّراط الذّهبي بعمق استشعارك له يا مُونِيو».

- «لماذا أخشاها إذًا يا مولاي؟».

- «لأنك تُغلّب العقل على كل شيءٍ سواه».

- «لكنني لا أعرف سببًا لخوفي!».

ابتسم ليتو. كان الأمر أشبه بلعبة نرد خياليّة، في وعاءٍ بلا قرار. مشاعر مُونِيو مسرحية رائعة تُؤدّى على هذا المسرح لا غيره. كم يسير قُرب الحافة دون أن يراها!

سأله ليتو: «مُونِيو، لماذا تُصرُّ على اقتطاع أجزاءٍ من سلسلةٍ متّصلة؟ حين ترى طيفًا، أترغب في أن يغلب لونٌ واحد على بقيّة ألوانه؟».

صاح مُونِيو: «مولاي، أنا لا أفهمك!».

أغلق ليتو عينيه، متذكّرًا المرّات التي لا تحصى التي سمع فيها هذه الصّيحة. امتزجت الوجوه في عجينٍ شائه، ففتح عينيه ليمحوها.

- «لو لم يتبقَّ من البشر سوى إنسانٍ واحد يبصر الألوان، فلن يصيبها الموَات الخَطّي، حتّى لو مُتَّ أنت يا مُونِيو».

- «ماذا تقصد بمثال الألوان يا مولاي؟».

- «الاستمراريّة، اللّا نهائيّة، الصّراط الذّهبي».

- «لكنك ترى أشياء لا نراها يا مولاي!».

- «لأنكم ترفضون رؤيتها!».

غاص ذقن مُونِيو في صدره وهو يقول: «مولاي، أعلم أنك تطوّرت أكثر منّا جميعًا. لهذا السّبب نعبدك و...».

- «تبًا لك يا مُونِيو!».

رفع مُونِيو رأسه سريعًا وحملق إلى ليتو في فزع.

قال ليتو: «الحضارات تنهار حين تسبق شلطاتها أديانها! لماذا تعجز عن إدراك ذلك؟ هِوي تدركه».

- «إنها إيكسيّة يا مولاي، رُبّما تكون...».

- «إنها مُحاورة أسماك! لطالما كانت منذ أن وُلِدت، وقد وُلدت لخدمتي...»، ثم رفع إحدى يديه الصّغيرتين وصاح: «كلّا!»، حين حاول مُونِيو الكلام، وأردف: «مُحاورات الأسماك مُستاءات لأنني منحتهن لقب عرائسي، والآن هُنّ يرَين امرأةً غريبةً لم تتدرب على طقس السِيانوق، لكنها تفهمه أكثر منهن».

- «كيف ذلك يا مولاي، ومُحاورات الأسماك...».

- «ماذا تقول أنت؟ كلٌّ منا يأتي إلى الوجود وهو يعلم من هو وماذا عليه أن يفعل».

فتح مُونِيو فمه للكلام، لكنه أغلقه دون أن ينطق.

قال ليتو: «حتّى الأطفال يعلمون، إنما يُضلّهم الكبار، فيُخفي الأطفال ذلك الإدراك حتّى عن أنفسهم. نقّب في ذاتك يا مُونِيو!».

- «لا أستطيع يا مولاي!» انتزِعت الكلمات من فم مُونِيو انتزاعًا وجسده يرتعش من شِدّة الكرب: «أنا لا أملك قواك، ولا معرفتك بـ...».

- «كفى!».

خرّ مُونِيو صامتًا، لا ينفك جسده عن الارتعاش.

تحدث ليتو إليه بهدوء: «لا عليك يا مُونِيو. لقد طالبتك بالكثير، وأرى مدى إرهاقك».

ببطء، هدأ ارتجاف مُونِيو، وراح يعبُّ الهواء عبًّا بأنفاسٍ عميقة.

قال ليتو: «سيطرأ بعض التّغيير على زفافي الفرمِنيّ. لن نستخدم حلقات الماء الخاصّة بأختي غنيمة، بل حلقات أمّي».

- «السّيدة تشاني يا مولاي؟ لكن أين حلقاتها؟».

دار ليتو على العربة بجسده الضّخم وأشار إلى تقاطع ممرّين غائرين إلى يساره، حيث يكشف بصيص ضوء عن أقدم مدافن آل آتريديز على أرّاكس، وقال: «في قبرها، ذاك الضّريح الأوّل. أنت من ستُخرِج تلك الحلقات يا مُونِيو، وتأتي بها إلى المراسم».

رنا مُونِيو عبر عتمة السّرداب الطّويلة، وقال: «مولاي... ألا يُعدُّ ذلك تدنيسًا لـ...».

- «أنت تنسى من يعيش في داخلي يا مُونِيو»، ثم تحدّث بصوت تشاني: «لي أن أفعل ما أريد بحلقات الماء التي أملك».

انكمش مُونِيو مرتعدًا وقال: «أجل يا مولاي. سأحملها معي إلى

قرية تابر حين...».

قاطعه ليتو بصوته المعتاد سائلًا: «قرية تابر؟ لقد غيّرت رأيي. سنتزوّج في قرية تيونوا».

تقوم مُعظم الحضارات على الجُبن. من السّهل جدًا جعل النّاسِ متحضّرين بتعليمهم الجُبن. تُميّع المعايير التي تقود إلى الشجاعة، تُكبّل الإرادة، تُقيّد الشّهوات، تُسيّج الآفاق، تَسُنُّ قانونًا لكل حركة، تُنكر وجود الفوضى، تُعلّم الأطفال أنفسهم أن يتنفّسوا ببطء. تُدجّن.

- المذكّرات المسروقة

وقف آيداهو مبهوتًا مع أوّل نظرة قريبة له على قرية تيونو. أتلك ما كانت موطنًا للفرمِن؟

كانت قوّات مُحاورات الأسماك قد أقلعت بهما من القلعة مع بزوغ الفجر. وُضِع آيداهو وسيونا معًا في أورنيثوپترٍ كبيرةٍ، ترافقها سفينتا حراسة صغيرتان. كانت الرّحلة بطيئة، استغرقت ما يقارب ثلاث ساعات، هبطوا بعدها في حظيرة ثوپترات دائريّة، مرصوفة بالپلاستون، تبعد قرابة كيلومتر عن القرية، وتفصلها عنها كثبان عتيقة حُوفِظ عليها عن طريق زراعة أسطحها بحشائش تتحمّل التُّرب الفقيرة، مع بعض الشجيرات الهزيلة. حين بدؤوا الهبوط، بدا الجدار الواقع خلف القرية مباشرة كأنه يزداد عُلوًّا شيئًا فشيئًا، فيما تتقزّم القرية تحت وطأة شموخه الهائل.

- «بشكلٍ عام، نُبقي على الفرمِن الأثريّين بمنأى عن مخالطة التّقنيّات الوافدة من خارج الكوكب»، هكذا شرحت نائلة لهما في الوقت الذي أمّنت فيه الحراسة المرافقة الأورنيثوپترات داخل الحظيرة المنخفضة. أرسلت نائلة إحدى أفراد الفرقة مُسرِعةً إلى تيونو لإبلاغهم بوصولهم.

ظلّت سيونا صامتة تقريبًا طوال الرّحلة، لكنها لم تنفك عن مراقبة

نائلة من كثب دون أن تدري.

لبُرهة، وهم يسيرون عبر الكُثبان المُستَحِمّة في أشعة الصباح، تخيّل آيداهو أنه عاد إلى أيّامه الخالية. كانت الرّمال ظاهرة بين الغرسات، وفي الوديان بين الكثبان، حيث الأرض جافة، والعشب أصفر، والشجيرات أشبه بالعصِيّ. حلّقت ثلاثة نسور فاردةً أجنحتها على اتّساعها في قُبّة السّماء. هذا هو «البحث من علٍ» كما كان يُسمّيه الفرمِن. حاول آيداهو أن يشرح لسيونا وهي تسير بجانبه أنه لا ينبغي للمرء أن يقلق بشأن آكلات الجيف إلا حين تبدأ بالهبوط.

ردّت عليه بنبرةٍ باردةٍ: «حُكِي لي عن النُّسور».

لاحظ آيداهو العرق على شفتها العليا. كان الهواء مُشبّعًا برائحة العرق اللّاذعة من الفرقة المحيطة بهما.

لم يستطع خياله تجاوز الفروق بين الماضي والحاضر. كان الغرض من بذلات التقطير الحديثة التي ترتديها النّسوة الاستعراض أكثر منها لجمع ماء الجسم بكفاءة. ما كان أيُّ فرمِني حقيقي ليأمن على حياته في واحدةٍ منها، ولا حتّى في مثل هذا المكان، حيث يحمل الهواء رائحة الماء القريب. كما لم تكن مُحاورات الأسماك في فرقة نائلة يمشين مشي الفرمِن الصّامت، بل كُنّ يثرثرن فيما بينهن كديدن الأطفال.

جرّت سيونا قدميها إلى جواره في انطواءٍ كئيب، وانتباهها مُنصبّ أغلب الوقت على ظهر نائلة العضلي العريض التي تتقدّم الفرقة في مشية واسعة.

تعجّب آيداهو: ماذا بين هاتين المرأتين؟ بدت نائلة مُخلصةً لسيونا، تصغي إلى كل كلمة تنطق بها، وتنفّذ كل نزوة تُبديها... بيد أنها لن تَحيد عن الأوامر التي جاءت بهم إلى قرية تيونو. ومع ذلك، كانت تذعن لسيونا، وتُناديها بـ«القائدة». كان بين الاثنتين شيءٌ عميق، شيءٌ يوقظ في نائلة مزيجًا من الإجلال والخوف.

في النّهاية بلغوا منحدرًا يهبط نحو القرية، والجدار الذي ينتصب خلفها. من الجوّ، بدت تيونو كمجموعة مستطيلات متلألئة عند أطراف ظلّ الجدار. أمّا من هذا القرب، فقد تضاءلت إلى مجموعة من الأكواخ المتداعية، زادتها بؤسًا محاولات تزيين المكان. برزت قطعٌ من معادنَ لامعة، وصِرمٌ من صُلب كزخارف حلزونيّة تُزيّن جدران الأبنية، ورفرفت راية خضراء ممزّقة على سارية معدنية أعلى سطح أكبر مبنى في المكان. حمل النّسيمُ المتقطّع رائحة القمامة والبالوعات المكشوفة إلى أنف آيداهو. امتدّ أمام الفِرقة شارع القرية الرّئيس، عبر الرّمال المزروعة بزُقعٍ من حشائش متفرّقةٍ، وانتهى بحافة بلاطٍ مكسور خشنة.

وقف وفدٌ في استقبالهم بالقرب من المبنى الذي يرفرف عليه العلم الأخضر، يرتدون أرديةً طويلةً وينتظرون في ترقُّب مع مبعوثة نائلة التي سبقتهم إلى هناك. أحصى آيداهو ثمانية أفراد في الوفد، جميعهم رجال يرتدون ما بدا أنها عباءات فرمِنيّة أصليّة ذات لونٍ بُنيٍّ داكن. لاحت عصابة رأس خضراء من أسفل غِطاء رأس أحدهم. لا بُدّ أنه النّائب. على الجانبين وقف أطفالٌ يحملون الزهور، ومن أزِقّة جانبيّة في الخلفيّة، أطلّت نساءٌ متّشحات بالسّواد بأعينٍ مترقّبة. وجد آيداهو المشهد بُرمّتِه مُحزنًا.

قالت سيونا: «لننتهِ من هذا سريعًا».

أومأت نائلة برأسها وتقدّمت الطّريق النّازل عبر المنحدر إلى الشّارع، وظلّ آيداهو وسيونا على بُعد خطواتٍ قليلة منها. أما بقيّة نساء الفرقة فتبعنَهم ببطء، وقد خيّم عليهن الصّمت الآن وزُحن يتلفّتن حولهن بفضولٍ واضح.

مع اقتراب نائلة من الوفد، تقدّم ذو العصابة الخضراء وانحنى. كانت حركته أشبه بحركةِ شيخٍ طاعنٍ، لكن آيداهو لاحظ أنه ليس شيخًا، بل بالكاد في مطلع كهولته. كانت وجنتاه ناعمتين خاليتين من التّجاعيد، وأنفه القصير يخلو من نُدبة أنبوب التنفُّس، أمّا عيناه فكشفتا عن بؤبؤين واضحين، لا تطمسهما زُرقة إدمان الاسپايس. كانت عيناه بُنّيتين. أعينا فرمِني بُنّيّتان؟!

قال الرّجل مع اقتراب نائلة ووقوفها أمامه: «أنا جارون، نائب هذا المكان. بترحاب الفرمِن، أُرحّب بكم في تيونو».

أشارت نائلة من فوق كتفها إلى سيونا وآيداهو اللذين وقفا خلفها مباشرةً: «هل جُهّزت منازل الضُّيوف؟».

قال جارون: «نحن الفرمِن معروفون بكرم ضيافتنا. كل شيء جاهز».

استنشق آيداهو روائح المكان الكريهة، وأنصت إلى أصواته، وألقى نظرةً عبر نوافذ المبنى الذي تعلوه الرّاية إلى يمينه. أراية آل آتريديز تُرفرف فوق هذا؟ كانت النّافذة تُطِلُّ على بهوٍ منخفض السّقف، في طرفه البعيد قاعة موسيقى مُقبّبة تتوسّطها مِنصّة صغيرة.

رأى آيداهو صفوفًا من المقاعد، وسَجّادًا كَستنائيًا على الأرض. كان المكان يبدو كمسرح؛ مكانٍ لتسلية السياح.

أعاد صوت حفيف الأقدام انتباه آيداهو إلى جارون. بدأ الأطفال يلتفُّون حول الوفد، ويَمُدُّون أيديهم المُتّسخة بزهورٍ حمراء صارخة الألوان إليهم. كانت الزُّهور ذابلة.

وجّه جارون كلامه إلى سيونا، إذ ميّز ما في زيِّها الرّسمي من خطوطٍ ذهبيّة تشير إلى أنها إحدى قائدات مُحاورات الأسماك.

سألها: «أترغبين في رؤية عرضٍ لطقوسنا الفرمِنيّة. الموسيقى زَبّما؟ أو الرّقص؟».

أخذت نائلة باقة من الزُّهور من أحد الأطفال وشمّتها، فعطست.

مدّ طفلٌ مُشرّد آخر باقة زهور نحو سيونا وهو يحدّق إليها بعينين واسعتين. أخذت سيونا الزُّهور دون أن تنظر إليه، أمّا آيداهو فاكتفى بالتلويح للصغار كي يبتعدوا عنه. تردّد الأطفال لحظة وهم يحدّقون إليه، ثم داروا من حوله ملتفّين حول باقي أفراد الفِرقة.

تحدّث جارون إلى آيداهو: «إذا أعطيتهم بعض العُملات، فسيكفُّون عن إزعاجك».

سرت قشعريرةٌ في آيداهو. أهذا هو تدريب أطفال الفرمِن؟

أعاد جارون انتباهه إلى سيونا. باشر جارون، يشرح تخطيط قريته، ونائلة منصتة.

ابتعد آيداهو عنهم وتقدّم عبر الشّارع، ولاحظ كيف راحت الأنظار

تتّجه نحوه ثم تتحاشى نظرته على الفور. شعر بإهانة عميقة من الزّخارف السّطحيّة على المباني، إذ لم يخفِ أيٌّ منها آثار التداعي والاضمحلال. حدّق آيداهو عبر مدخلٍ مفتوحٍ إلى بهو المسرح. كان في تيونو خشونة ما، شيءٌ خفيٌّ يعاني خلف الزُّهور الذّابلة ونبرة جارون المتذلّلة. في زمنٍ آخر، وعلى كوكبٍ آخر، كانت هذه قرية بدائية تعج شوارعها بالحمير، ويتدافع فيها فلّاحون يَشُدّون بطونهم بالأحزمة، يتوسّلون الإحسان. لقد سمع نبرة التّوسّل في صوت جارون. هؤلاء ليسوا فرمِنًا! بل مساكين يعيشون على الهامش، يحاولون التشبّث ببقايا كيانٍ قديمٍ مُكتمل كالبدر في تمامه. وفي أثناء محاولتهم، يتفلّت ذلك الواقع المفقود شيئًا فشيئًا من بين أصابعهم. ما الذي خلقه ليتو هنا؟ لقد حُرِم هؤلاء الفرمِن الأثريّون من كل شيء، إلّا من وجودٍ فارغ، ومن ترديد لكلماتٍ قديمة لا يفهمونها ولا حتّى ينطقونها بشكلٍ سليم!

عاد آيداهو أدراجه إلى سيونا، وانحنى ليفحص تصميم رداء جارون البنّي، فلاحظ فيه ضيقًا فرضته الحاجة إلى توفير القماش. رأى أسفله غشاء بذلة التقطير الرّمادي مكشوفًا لأشعة الشمس، التي ما كان لفرمِنٍ حقيقيٍّ أن يسمح لها بأن ترى بذلته بهذه الطّريقة. نظر آيداهو إلى باقي أفراد الوفد، ولاحظ الشُّحّ نفسه في استخدام القماش، وكشف له ذلك عن ميلهم النّفسي. لم تكن تلك الملابس تسمح بأيّ نشاطٍ فيه سِعة، ولا بخُرّيّة في الحركة. كانت الأثواب ضيّقة وخانقة، كما هي حال جميع النّاس هنا!

مدفوعًا بالاشمئزاز، اندفع آيداهو فجأةً إلى الأمام، وشقّ رداء جارون ليتفحّص بذلة التقطير. وكما توقّع! كانت البذلة زائفةً لا أكمام

لها، ولا مضخّات في الحذاء!

تراجع جارون، واضعًا يده على مِقبض السّكّين الذي كشفه آيداهو عند حزام الرجل. صاح جارون مُبرطقًا: «مهلًا! ماذا تفعل؟ لا أحد يلمس فرمِنيًا هكذا!».

قال آيداهو في حِدّة: «أأنت فرمِني؟ لقد عشت بين الفرمِن! وقاتلت في صفوفهم ضدّ الهراكنة! وقضيت نحبي معهم! أنت؟ أنت عار!».

اشتدّت قبضة جارون على السّكّين حتّى ابيضّت براجمه، ثم وجّه كلامه إلى سيونا: «من هذا الرّجل؟».

قالت نائلة: «هذا دانكن آيداهو».

- «الغول؟»، قالها جارون واستدار ناظرًا إلى وجه دانكن: «لم نرَ من هم على شاكلتك هنا من قبل».

شعر آيداهو برغبةٍ عارمةٍ في تطهير هذا المكان، حتّى لو كلّفه ذلك حياته. تطهير هذه الحياة الضّئيلة التي يُكرّرها أناس لا يُبالون به حقًّا. *أجل، أنا نموذجٌ قديم!* لكن هذا ليس فرمِنيًا.

قال آيداهو: «استلّ هذه السّكّين، أو ارفع يدك عنها».

أبعد جارون يده عن السّكّين وقال: «ليست هذه سكّينًا حقيقيّةً، بل مُجرّد حلية»، ثم تحفّس صوته: «لكن لدينا سكاكين حقيقيّة، بل حتّى سكاكين عاجيّة! لكنها في حاويات عرضٍ للحفاظ عليها».

لم يستطع آيداهو كبح نفسه أكثر من ذلك، فأرجع رأسه إلى الخلف

وانفجر ضاحكًا. ابتسمت سيونا، وبدا على نائلة شيء من التفكُّر، فيما أحكمت بقيّة فرقة مُحاورات الأسماك التفافها حولهم في دائرةٍ ضيّقةٍ يقظة.

كان للضحك تأثيرٌ غريب في جارون، إذ خفض رأسه وشبّك يديه بإحكام، لكن ليس قبل أن يلاحظ آيداهو أنهما ترتعشان. وحين عاد جارون ورفع بصره إلى الأعلى، كان ذلك لينظر إلى آيداهو من تحت حاجبيه الكثّين. بُهت آيداهو فجأةً إذ وَعِي شيئًا. بدا الأمر كأن حذاءً فظيعًا سحق غرور جارون وحوّله إلى خضوعٍ رعديد. رأى آيداهو في عيني الرّجُل انتظارًا حذرًا، جعله يتذكّر -دون سببٍ يستطيع تفسيره- آيةً من الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي، ويسأل نفسه: *أهؤلاء هم الخانعون الذين سيتجاوزوننا بالصّبر ويرثون الكون؟*

تنحنح جارون وقال: «لعلَّ الغول دانكن آيداهو سيشهد طقوسنا وعاداتنا، ويحكم عليها؟».

شعر آيداهو بالخزي من هذا الرّجاء البائس، فنطق دون تفكير: «سأعلّمكم كلّ ما أعلمه عن الفرمِن». ثم رفع بصره فرأى نائلة عابسةً في وجهه، فأردف قائلًا: «سيُساعِدنا هذا على تمضية الوقت... ومَن يدري؟ لعلّه يُعيد شيئًا من جوهر الفرمِن الحقيقيّ إلى هذه الأرض».

قالت سيونا: «لا داعي لممارسة ألعابٍ طائفيّةٍ قديمة! خُذونا إلى غُرَفنا».

أحنت نائلة رأسها خجلًا، وقالت دون أن تنظر إلى سيونا: «ثقة أمرٌ لم أجرؤ على إخبارك به أيّتها القائدة».

قالت سيونا: «أنه عليك ضمان بقائنا في هذا المكان القذر».

قالت نائلة وهي تنظر إلى وجه سيونا: «أوه، لا! وأين ستذهبان؟ الجدار لا يمكن تسلُّقه، ولا يُوجد خلفه سوى النّهر على أيّ حال. وعلى الجهة الأخرى، تمتدُّ صحراء السّرير. كلّا... إنها مسألةٌ أخرى». أنهت نائلة كلامها وهزّت رأسها.

صاحت سيونا: «تكلّمي!».

قالت نائلة: «أنا تحت أوامر مُشدّدة أيّتها القائدة ولا أجرؤ على عصيانها»، ثم نقّلت بصرها بين أفراد الفرقة، قبل أن تعود إلى سيونا: «أنتِ والـ... أنتِ ودانكن آيداهو ستقيمان معًا».

- «أتلك أوامر والدي؟».

- «سيّدتي القائدة، قيل لي إنها أوامر الإمبراطور الإله نفسه، ونحن لا نجرؤ على عصيانها».

نظرت سيونا إلى آيداهو بحِدّة وقالت: «أتتذكّر تحذيري يا دانكن حين تحدّثنا آخر مرة في القلعة؟».

زمجر آيداهو قائلًا: «يداي ملكي لأفعل بهما ما أشاء. لا أظن أنك تشكّين لحظةً في رغباتي!».

أدارت سيونا وجهها عنه بعد إيماءةٍ مقتضبةٍ، ونظرت إلى جارون: «من يهتم أين سنبيت في هذا المكان المقزّز؟ خذنا إلى غُرفِنا».

وجد آيداهو ردّ جارون مثيرًا للاهتمام، إذ استدار برأسه نحو الغول، وأسدل غِطاء رأسهِ على وجهه، ثم غمز غمزةً خاطفة توحي

بالتآمُر. بعدها تحرّك جارون وتقدّمهم عبر الشّارع القذر.

ما أخطر تهديد مباشر لحُكمي؟ سأخبركم: إنّه المتبصّر الحق، ذاك الذي يقف في حضرة الرّبّ وهو مُدرك تمامًا لمكانته. إن نشوة البصيرة تطلق طاقات شبيهةً بطاقات الجنس؛ طاقات لا تعبأ بشيء سوى الخلق. وقد يتشابه فعلٌ من أفعال الخلق مع غيره، فكلُّ شيءٍ يتوقّف على البصيرة.

- المذكّرات المسروقة

استلقى ليتو دون عربته في الشُّرفة العالية المُظلّلة أعلى بُرجِه في القلعةِ الصُغرى، كاتمًا ضيقًا في نفسه يعلم أن سببه الضرورات التي أرجأت موعد زفافه إلى هِوي نوري. كان يُحدّق نحو الجنوب الغربي. في مكانٍ ما خلف الأفق الذي يزداد عتمةً مع كل دقيقة، أمضى دانكن وسيونا ورفاقهما سِتّة أيّام في قرية تيونو.

فكّر ليتو: *التأجيل حدث بسببي. أنا من غيّرتُ مكان الزّفاف، ما اضطر المسكين مُونِيو إلى إعادة ترتيب كل استعداداته.*

والآن، بالطّبع، برزت مسألة مالكي.

لم يكن بالإمكان شرح أيٍّ من هذه الضّرورات لمُونِيو، الذي كان يَسمع تحرُّكه القَلِق داخل حُجرة العَليَاء المركزيّة، لغيابه عن مركز القيادة حيث يشرف على استعدادات الزّفاف. يا له من قلوق!

نظر ليتو نحو الشّمس الغاربة الطافية قُرب الأُفُق بلونٍ برتقالي خافت شاحب بفعل عاصفة حديثة. ربضت الأمطار داخل غيومٍ منخفضة خلف السرير باتّجاه الجنوب. وفي صمتٍ ممتدٍّ بلا بداية ولا نهاية، راقب ليتو تلك الأمطار في عُلُوّها هناك، حيث تنبت الغيوم

من سماءٍ رماديّةٍ قاسيةٍ، وينهمر المطر في خطوطٍ مرئية. شعر ليتو كأنه يرتدي عباءةً من ذكرياتٍ أتته دون دعوة. كان من الصّعب التخلّص من تلك الحالة المزاجيّة، فتمتم دون وعيٍ بأبياتٍ قديمة تذكّرها.

جاء صوت مُونِيو من مقربة: «أتقول شيئًا يا مولاي؟». أدار ليتو عينيه، فرأى كبير الخدم المُخلص واقفًا ينتظر باهتمام.

ترجم ليتو ما اقتبس من أبيات إلى الجلاكيّة: «ها قد عشّشت العندليلة في شجرةِ البرقوق، ولكن ماذا ستفعل حيال الرّيح؟».

- «أهذا سؤال يا مولاي؟».

- «إنه سؤال قديم، والإجابة سهلة. فلتلزم العندليلة أزهارها».

- «لا أفهم يا مولاي».

«كُفّ عن ترديد البديهيات يا مُونِيو، فهذا يُزعجُني».

- «اغفر لي، يا مولاي».

تأمّل ليتو ملامح مُونِيو المُنكّسة وقال: «وماذا عساي أن أفعل غير ذلك؟ أنا وأنت يا مُونِيو، كلُّ ما نصنعه في النّهاية ليس سوى عرضٍ مسرحيٍّ بديع».

حملق مُونِيو إلى وجه ليتو في غير فهم: «مولاي؟».

- «طقوس عيد باخوس الدّيني كانت البذرة التي أنبتت المسرح الإغريقي يا مونيو. كثيرًا ما يفضي الدّين إلى المسرح. وسيحظون منّا بعرضٍ مسرحيٍّ رائع»، قالها ليتو ثم استدار وعاد يُحدّق إلى

الأُفُق الجنوبي الغربي.

بدأت الرِّيحُ تدفع السُّحب البعيدة. ظنَّ ليتو أنَّه يسمع زوابع الرِّمال وهي تعصف فوق الكثبان، لكن لم يكن في عَليَّة البُرج سوى سكونٍ رنَّان، سكونٍ لا يُسمع فيه سوى هسيسِ الرِّيح الخافت.

همس ليتو: «الغيوم.. أودُّ لو آخُذ كأسًا أخرى من ضوء القمر، مع قاربٍ عتيقٍ تحت قدميّ، وسحبٍ رقيقة تتشبَّث بسمائي المُعتمة، وعباءةٍ زرقاء رماديَّة حول كتفيّ، وخيولٍ تصهل في الجوار».

قال مُونِيو: «مولاي قَلِق». كان في صوته من الشَّفقة ما اعتصر قلب ليتو.

قال ليتو: «أطياف الماضي السَّاطعة لا تتركني أهنأ بالسَّلام. أنصتُّ إلى صوتٍ مُهدِّئ، جرسِ بلدةٍ ريفيَّةٍ يَدُقُّ عند المغيب، فأخبرني بأنني صوت هذا المكان وروحه».

أطبق الظَّلام على البُرج وهو يتحدَّث، فأضاءت الأنوار الأوتوماتيَّة حولهما. ظلَّ بصر ليتو مُعلَّقًا بالأُفُق البعيد، حيث انجرفت شريحةٌ رقيقةٌ من القمر الأوَّل فوق الغيوم، يُغلِّفها ضوء الكوكب البرتقالي كاشفًا عن استدارته الكاملة.

سأل مُونِيو: «مولاي، لِمَ أتينا إلى هنا؟ لماذا لا تخبرني؟».

قال ليتو: «أردتُ استغلال أثرَ المفاجأةِ فيك. ستَحُطّ إحدى سفن النقابة بجوارنا عمَّا قليل. مُحاورات الأسماك يجلبن مالكي إليّ».

أخذ مُونِيو نفسًا سريعًا وحبسه للحظة قبل أن يزفره قائلًا: «أتقصِد مالكي، عمَّ هِوي؟».

قال ليتو: «فوجئت لأنني لم أُنبئك بهذا مُسبقًا، أليس كذلك؟».

شعر مُونِيو بقشعريرة تسري في جسده: «مولاي، حين تريد إخفاء الأمور عنـ...».

قال ليتو بنبرة هادئة فيها إقناع: «مُونِيو؟ أعلمُ أن مالكي أغراك بوعودٍ أعظم من أيّ إغراءٍ آخر...».

- «مولاي! لم يحدث أن...».

واصل ليتو بالنبرة الهادئة نفسها: «أعلمُ يا مُونِيو، لكن المفاجأة قد أيقظت ذكرياتك، وأنت الآن جاهزٌ لفعل أيّ شيءٍ قد أطلبه منك».

- «ما الذي يريده مولاي...».

- «قد نُضطرُّ إلى التخلُّص من مالكي، فوجوده مُشكلة».

- «أنا؟ تريدني أن...».

- «رُبّما».

ابتلع مُونِيو ريقه، وقال: «الأُمُّ الموقَّرة...».

- «أنتياك ماتت. لقد خدمتي بإخلاص، لكنها ماتت. فقد اندلع عُنفٌ شديد حين هاجمت مُحاورات الأسماك... *المكان* الذي كان يختبئ فيه مالكي».

قال مُونِيو: «نحن أفضل حالًا دون أنتياك».

رد ليتو: «أُقدِّر عدم ثقتك بالبِني چيسيرِت، لكنني كنت أتمنّى لو غادرتنا أنتياك بطريقةٍ أخرى. كانت مخلصة لنا يا مُونِيو».

- «تقول إن أمًّا مُوقَّرةً...».

- «كُلٌّ من بَني تِليلاكس والنّقابة أرادا سِرّ مالكي. وحين رأوا تحرُّكنا ضد الإيكسيّين، بادروا بالضّربة قبل أن تصل إليه مُحاورات الأسماك. لم تستطع أنتياك إلّا أن تؤخّرهما قليلًا، وكان ذلك كافيًا. اقتحمت مُحاورات الأسماك المكان...».

- «تقول سِرّ مالكي يا مولاي؟».

قال ليتو: «حين يختفي شيءٌ من الوجود، ففي ذلك دلالة لا تقل شأنًا عن ظهور شيءٍ فجأةً من العدم. المساحات الفارغة تستحقُّ منّا إمعان النّظر دائمًا».

- «ما الذي يعنيه مولاي بالمساحات الفارغـ...».

- «مالكي لم يمُت! كنت سأعرف قطعًا. أين ذهب إذًا حين اختفى؟».

- «أتقول إنه اختفى... عنك أنت يا مولاي؟ أتقصد أن الإيكسيّين...».

- «لقد عملوا على تطوير جهازٍ أهدوني إيّاه منذ زمن. حسّنوه ببطء ودقة، حتّى صار أشبه بظُلُماتٍ متراكبة، طبقاتٍ من أغلفة مخفية داخل أغلفة أخرى. لكنني لاحظت الظّلال، وفوجِئت، وشرِرت».

فكّر مالكي في الأمر. *جهاز إخفاء... آها!* لقد ذكر الإمبراطور الإله من هذا القبيل في مناسباتٍ عِدّة، تحدّث عن طريقة لإخفاء الأفكار التي دوّنها. قال مُونِيو:

- «ومالكي يجلب معه سِرّ...».

- «أجل. لكن ذلك ليس سِرّ مالكي الحقيقي، فهو يُضمر شيئًا آخر لا يظنُّ أنني أشكُّ فيه».

- «شيءٌ آخر... لكن يا مولاي، إن كانوا قادرين على الاحتجاب حتّى عنك...».

- «كثيرون باتوا قادرين على ذلك الآن يا مُونِيو، ويتفرّقون حين تهاجمهم مُحاورات الأسماك. لقد تسرّب سِرُّ الجهازِ الإيكسيّ وانتشر على نطاق واسع».

اتّسعت عينا مُونِيو من المفاجأة: «مولاي، لو أن أيّ شخص...».

قال ليتو: «إن تعلّموا الدّهاء، فلن يتركوا خلفهم أثرًا. حدّثني يا مُونِيو، ماذا أخبرتك نائلة عمّا يدور مع الدّانكن؟ وهل هي مُستاءة من رفع تقاريرها إليك مباشرةً؟».

قال مُونِيو بعد أن تنحنح: «ما يأمر به مولاي...»، دون أن يفهم لماذا يجمع الإمبراطور الإله بين الحديث عن الآثار الخفيّة ودانكن ونائلة في آنٍ واحد.

قال ليتو: «بالطبع. كل ما آمُر به تمتثل له نائلة. بِمَ أخبرتك عن الدّانكن؟».

- «قالت إنه لم يحاول بعد التّزاوُج مع سيونا، إن كان ذلك ما يقصده مولاي...».

- «لكن ماذا يفعل مع دُميتي، النّائب جارون، وباقي الفرمِن

الأثريّين؟».

- «يُحدّثهم عن الطرائق القديمة. عن الحرب مع الهراكنة، وعن أوّل آتريديزي يطأ بقدمه أرض أزّاكس».

- «أرض كثيب!».

- «أجل، كثيب».

قال ليتو: «إذ حين لم يغد لكثيب وجود، لم يغد للفرمِن وجود»، ثم أضاف: «هل نقلت رسالتي إلى نائلة؟».

- «مولاي، لماذا تزيد من المخاطر المحيطة بك؟».

- «هل نقلت رسالتي؟».

- «أرسلتُ الرّسول إلى تيونو، لكن بإمكاني استدعاؤها إذا أردت».

- «لن تستدعيها!».

- «لكن يا سَيِّدي...».

- «وبِمَ ستُبلغ رسولك نائلة؟».

- «بأنك تأمرها بالاستمرار في طاعة ابنتي طاعةً عمياء غير مشروطة، إلّا بقدر... لكن يا مولاي، هذا خطر!».

- «خطر؟ نائلة مُحاورة أسماك ولن تخرج عن طاعتي».

- «لكن سيونا... أخشى أن ابنتي يا مولاي لا تخدمك بكل جوارحها. ونائلة...».

- «يجب ألّا تحيد».

- «لنقِم حفل الزّفاف في مكانٍ آخر».

- «كلّا!».

- «مولاي، أعرف أن رؤيتك كشفت لك...».

- «الصّراط الذّهبي صامد يا مُونِيو. أنت تعلم ذلك بقدر علمي أنا».

تنهّد مُونِيو: «الأبديّة ملك يمينك يا مولاي. أنا لا أُشكّك في...»، ثم قطع كلامه حين اهتزّ البُرجُ بهديرٍ هائل، أخذ يزداد شيئًا فشيئًا.

التفت كلاهما إلى مصدر الصّوت. هبط عمودٌ من الضّوء الأزرق البرتقالي فوق الصّحراء مصحوبًا بموجات صدمة مُدوّية على بُعد أقل من كيلومترٍ واحد نحو الجنوب.

قال ليتو: «ها قد وصل ضيفي. انزل إلى السّطح بعربتي يا مُونِيو، ولا تعُد إلّا بمالكي. وأخبِر أعضاء النقابة بأن هذه الخدمة أكسبتهم عفوي، ثم اصرفهم».

- «عفو... أمرك يا مولاي. ولكن إن كان لديهم سِرٌّ...».

- «هم يخدمون غايتي يا مُونِيو. وعليك أن تفعل المثل. أحضِر لي مالكي».

مُطيعًا، توجّه مُونِيو إلى العربة الرّاقدة في الظّلّ على الجانب البعيد من العَليَاء. ثم ركبها وجلس يراقب الجدار الخارجي ينشقُّ عن ظلامٍ دامس. امتدّ المهبط من تلك الفجوةِ المظلمة، وانزلقت العربة إلى الخارج بخِفّة الريشة، وراحت تسري بمَيلٍ حتّى استقرّت على الرّمال إلى جوار ناقلة النّقابة المنتصبة كأنها نسخة مُصغّرة مُشوّهة

من بُرجِ القلعة الصُّغرى.

راقب ليتو المشهد من موقع في الشُّرفة، وقد ارتفعت فصوص جسده الأماميّة قليلًا لتتيح له زاوية رؤية أفضل. حدّد بصرهُ الحادُّ حركة مُونِيو الواقف على العربة في زيِّه الأبيض في ضوء القمر. خرجت مجموعة من خدم النّقابة طويلي الأرجل يحملون محفّةً وضعوها على العربة، ووقفوا لحظات يتحدّثون مع مُونِيو. وحين غادروا، بعث ليتو بإشارةٍ تغلق غِطاء العربةِ الفُقّاعيّ، فرأى ضوء القمر ينعكس عليه. وبإشارةٍ ذهنيّةٍ منه عادت العربة بحمولتها إلى المهبط. ارتفعت ناقلة النّقابة مصحوبةً بهديرٍ صاخب في أثناء ما كان ليتو يُدخل العربة إلى ضوء الغُرفة ويغلق المدخل خلفها. فتح ليتو غِطاء الفُقّاعة، واحتكّ جسده بالرّمال وهو يزحف نحو المحفّة ويرفع فصوص جسده الأماميّة لينظر إلى مالكي الرّاقد عليها كما النّائم، تَشُدّه إليها أربطةٌ مطّاطيّةٌ رماديّةٌ عريضة. كان وجه الرجل شاحبًا تحت شيبٍ داكنٍ يخالطه السّواد.

فكّر ليتو: *كم شاخ!*

ترجّل مُونِيو من العربة ونظر خلفه إلى الرّاقد على المحفّة وقال: «إنه مصاب يا مولاي. يريدون إرسال طبيب...».

- «بل يريدون إرسال جاسوس».

تأمّل ليتو ملامح مالكي: بشرته الداكنة المُجعّدة، وخدّيه الغائرين، وأنفه الحاد المتنافر مع استدارة وجهه البيضاوي، وحاجبيه الكثّين اللذين كادا يشيبان تمامًا. لولا حياة مُشبّعة بالتستوستيرون، لكنت أنا هذا الرجل... تلك هي الحقيقة.

فتح مالكي عينيه. يا لها من صدمة أن يرى الشّرّ في هاتين العينين البُنّيّتين الوادعتين كأعين الظّباء! اختلجت ابتسامةٌ على شفتي مالكي.

- «مولاي ليتو». لم يكن صوت مالكي يتجاوز الهمس الأجش، ثم مال بعينيه إلى اليمين ناظرًا إلى القهرمان. «ومُونِيو أيضًا. اغفر لي عَجزي عن النُّهوض أمام هذا المقام».

سأله ليتو: «هل تشعر بألم؟».

- «أحيانًا»، ثم أجال بصره فيما حوله، وأردف: «أين الحُوريّات؟».

- «أخشى أنني سأحرمك هذه المتعة يا مالكي».

تمتم مالكي بصوتٍ مبحوح: «لا بأس بذلك. لستُ في حالٍ تسمح لي بتلبية مطالبهن على أيّ حال. أولئك من أرسلتهن خلفي لم يَكُنّ حورياتٍ يا ليتو».

قال ليتو: «كُنّ محترفات في طاعة أوامري».

- «بل صيّادات لعينات».

- «أنتياك هي الصّيّادة، أمّا مُحاورات الأسماك فهُن فريق التّنظيف ليس إلّا».

نقل مونيو بصره بين المتحدّثين ذهابًا وإيابًا. كان في نبرة الحديث شيءٌ خفيٌ مقلق. وعلى بحّة صوته، بدا مالكي ساخرًا متطاولًا... لكنه كان دائمًا كذلك: هذا رجلٌ خَطِر الجانب!

قال ليتو: «قبل وصولك بقليل، كنت أتناقش مع مُونِيو عن اللّا

نهائيّة».

قال مالكي: «يا لمُونِيو المسكين!».

ابتسم ليتو قائلًا: «أتذكُر يا مالكي؟ ذات مرّةٍ طلبت مني أن أستعرض لك مفهوم الأبديّة».

- «وقتَها قُلت لي إنه لا تُوجد أبديّة لاستعراضها»، ثم نقل بصره إلى مُونِيو وأردف: «كم يُحبُّ ليتو اللّعب بالمفارقات اللُّغويّة، فهو يُتقن جميع الحيل الكلاميّة التي اكتشفت على الإطلاق».

قمع مُونِيو موجة غضبٍ اجتاحته، إذ شعر بأنه مُستبعدٌ من هذا الحوار، وبأنه مُجرّد أداة للتسلية بين كائنين أسمى. بدا مالكي والإمبراطور الإله أقرب إلى صديقين قديمين يسترجعان مُتَع الماضي المشترك.

قال ليتو: «يتّهمني مُونِيو بأنني المهيمن الوحيد على الأبديّة، ويأبى أن يُصدق أن له منها نصيبًا كنصيبي تمامًا».

رفع مالكي بصره إلى ليتو: «أترى يا مُونيو كم هو بارع في التلاعب بالكلام؟».

قال ليتو: «أخبرني عن ابنة أخيك، هِوي نوري».

- «أصحيح ما يُقال يا ليتو؟ أحقًّا ستتزوّج بالزّقيقة هِوي؟».

- «أجل، صحيح».

ضحك مالكي حتّى التوت قسماته من شِدّة الألم، ثم همس: «لقد ألحقن بي أذًى بالغًا يا ليتو»، وصمت لحظةً ثم أردف: «أخبرني أيُّها

الدُودة العجوز...».

شهق مُونِيو مصدومًا.

أخذ مالكي لحظةً ليتعافى من الألم ثم أكمل: «أخبرني أيُها الدُودة العجوز، هل يُخفي هذا الجسد الهائل قضيبًا هائلًا كذلك؟ يا له من صدمة مُريعة لِهوي!».

قال ليتو: «لقد أخبرتك بحقيقة هذا الأمر منذ زمنٍ طويل».

قال مالكي بصوتٍ مشروخ: «لا أحد يقول الحقيقة».

قال ليتو: «لقد أخبرتني بالحقيقة كثيرًا، حتّى حين لم تكن تعلمها».

- «هذا لأنك أذكى من بقيّتنا».

- «ألن تحدّثني عن أمر هِوي؟».

- «أظن أنك تعرف بالفعل».

قال ليتو: «أريد سماع الأمر منك. هل تلقّيتم مساعدة من التِليلاكسو؟».

- «زودونا بالمعرفة لا أكثر. كل ما عدا ذلك فعلناه بأنفسنا».

- «لم أظن أن هذا من صنيع التِليلاكسو».

لم يستطع مُونِيو السيطرة على فضوله أكثر من هذا، فصاح: «مولاي، ما علاقة هِوي بالتِليلاكسو؟ لماذا...».

قال مالكي وهو يدير بصره نحو القهرمان: «هدّئ من روعك يا صديقي القديم، ألا تعرف ماذا فعل...».

صاح مُونِيو مقاطعًا: «لم أكن صديقك قط!».

قال مالكي: «رفيقي بين الخوريّات إذًا».

قال مُونِيو ملتفتًا إلى ليتو: «مولاي، لماذا تتحدّث عن...».

قاطعه ليتو: «صه يا مُونِيو، إننا نرهق رفيقك القديم، ولا يزال لديّ ما أودّ معرفته منه».

سأل مالكي: «هل تساءلت يومًا يا ليتو لماذا لم يحاول مُونِيو قط أن يسلبك العرنكسَ كلّه؟».

سأله مُونِيو: «ماذا؟».

قال مالكي: «إنها كلمة أُخرى من كلمات ليتو العتيقة. نصفها الأوّل *عَرَن، أي لحم*، والثّاني *كُس*: عرنكس(22). كم هي رائعة! لِمَ لا تُعيد تسمية إمبراطوريّتك، يا ليتو، لتكون: العرنكس الأكبر؟».

رفع ليتو يده ليُخرس مُونِيو وقال: «ألن تُحدّثني عن هِوي يا مالكي؟».

- «لقد خلّقوها من بضع خلايا من جسدي... ثم نمت وتعلّمت في كنف عناية بالغة. إنها النّقيض التّام من مالكي، صديقك القديم. فعلنا ذلك كلّه في *اللّا غُرفة*، حيث تعجز بصيرتك عن النفاذ».

قال ليتو: «لكنني ألاحظ حين يتلاشى شيءٌ من نطاق رؤيتي».

سأل مُونِيو: «لا غُرفة؟»، ثم قال وقد أدرك معنى كلام مالكي. «أنت؟ أنت وهِوي...».

قال ليتو: «ذلك هو الشّيء الذي رأيت الظّلال تكتنفه».

نظر مُونِيو إلى وجه ليتو مباشرةً، وقال: «مولاي، سألغي الزّفاف. سأقول إن...».

- «لن تُقدِم على فعل شيءٍ من هذا!».

- «لكن يا مولاي، إن كانت هِوي ومالكي...».

قال مالكي بصوته المبحوح: «مُونِيو، إلهك يأمرك ويجب أن تطيعه».

يا للنّبرة الهازِئة! حملق مُونِيو إلى مالكي شزرًا.

قال ليتو: «إنها النّقيض التّام من مالكي، ألم تسمع ما قاله؟».

قال مالكي: «وهل يُوجد ما هو أفضل من هذا؟».

- «لكن يا مولاي، الآن وقد عرفت أن...».

قال ليتو: «مُونِيو، لقد بدأت تزعجني».

خزّ مُونِيو مُحرجًا في صمتٍ.

قال ليتو: «هذا أفضل. أتعلم يا مُونِيو، ذات مرّة منذ عشرات الآلاف من السنين، حين كنتُ شخصًا آخر، ارتكبتُ خطأً».

سخر مالكي قائلًا: «أنت ارتكبت خطأً؟».

اكتفى ليتو بالابتسام، وقال: «لقد تفاقم خطئي من الطّريقة الجميلة التي عبّرتُ بها عنه».

سخر مالكي: «تلاعب بالكلمات».

- «بالفعل! إليك ما قلته: ‹الحاضر لهوٌ، والمستقبل حُلمٌ، والذكريات وحدها كفيلة بكشف معنى الحياة›. أليست هذه كلمات جميلة يا مالكي؟».

- «بديعة أيُّها الدُّودة العجوز».

وضع مُونِيو يده على فمِه.

قال ليتو: «لكن كلماتي كانت محض كذبة سخيفة. عرفت ذلك حينها، لكنني كنت مفتونًا بمعسول الكلام. الذّاكرة لا تكشف عن معانٍ حقيقيّة، فمن دون عذاب الرُّوح، وهي تجرِبة مُعجزةٌ للكلمات لا سبيل إلى وصفها، فلا وجود للمعنى على الإطلاق».

قال مالكي: «لا أرى أيّ معنًى للعذاب الذي أنزلته بي حارساتك اللّعينات».

- «أنت لا تعاني أيّ عذاب».

- «لو كنت في هذا الجسد، لكنت...».

قال ليتو: «هذا مُجرّد ألمٍ جسدي، وسينتهي قريبًا».

سأله مالكي: «متى إذًا سأعرف العذاب؟».

- «رُبّما لاحقًا».

أشاح ليتو بفصوصه الأماميّة عن مالكي ليواجه مُونِيو، وسأله: «هل أنت مخلص للصّراط الذّهبي حقًّا يا مُونِيو؟».

قال مالكي هازئًا: «آها، الصّراط الذّهبي».

قال مُونِيو: «تعلم أنني كذلك يا مولاي».

قال ليتو: «إذًا يجب أن تعدني بأن ما عرفته هنا لن يتجاوز شفتيك أبدًا، وبأنك لن تبوح بكلمة أو بإشارة عنه».

- «أعدك يا مولاي».

كرّر مالكي ساخرًا: «إنه يعدك يا مولاي».

أشارت إحدى يدي ليتو الصّغيرتين نحو مالكي، الذي كان مستلقيًا على ظهره يحدّق إلى جانب وجه ليتو الفظّ الغائر في طيّاته الرّماديّة: «لأسباب تتعلّق بإعجابي القديم به... ولأسبابٍ أخرى عديدة، لا أستطيع قتل مالكي. ولا أستطيع حتّى أن أطلب منك ذلك... ومع ذلك، يجب التّخلّص منه».

قال مالكي: «أوّاه، يا لدهائك!».

قال مُونِيو: «مولاي، إن تكرّمت بالانتظار على الطّرف الآخر من الغُرفة، لعلّك حين تعود، لن يكون مالكي مصدر إزعاج».

قال مالكي بصوته المبحوح: «سوف يفعلها، أقسم بالآلهة السّفليّة إنه سوف يفعلها!».

زحف ليتو إلى طرف الغُرفة المُظلم، صابًا انتباهه على قوسٍ باهت رفيع يمكن أن يغدو فتحةً في جوف اللّيل لو حوّل ليتو مشيئته إلى أمرٍ ذهني. كم سيكون السّقوط مُريعًا إذ هو زَلّ وانزلق من حافّة المهبط! كان يشك في قدرة جسده على النّجاة من مثل هذه السقطة. ومع أن الرمال المحيطة ببُرجِه جافّة لا ماء فيها، شعر ليتو بأن الصّراط الذّهبي يومض متلاشيًا لمُجرّد أنه سمح لنفسه بالتّفكير

في هذا المصير.

صاح مالكي من خلفه: «ليتو!».

سمع ليتو المحفّة تحتكّ بالرّمال التي تحملها الرّيح وتنثر حُبيباتها على أرضيّة عَليّائه.

صاح مالكي مرّةً أخرى: «ليتو، أنت الأعظم! ما من شرٍّ في هذا الكون يمكن أن يفوق...».

أخرسته ضربة مكتومة مصحوبة بحشرجةٍ يشوبها بلل. فكّر ليتو: *إنها ضربة إلى الحنجرة. لا عجب، فمُونِيو بارع في تلك الضّربة.* تلى ذلك صوت انزلاق درع الشُّرفة الشّفاف، ثم صرير المحفّة على الحاجز... ثم سكون.

فكّر ليتو: *سيتعيّن على مُونِيو مواراة الجُثّة في الرّمال لاحقًا، إذ لا توجد دودةٌ بعدُ لتأتي وتلتهم الدّليل.* استدار ليتو ونظر عبر الغُرفة. كان مُونِيو يقف منحنيًا فوق الحاجز، ويحدّق إلى الهاوية في الأسفل... الأسفل... الأسفل...

فكّر ليتو: *لا أستطيع أن أدعو لك يا مالكي، ولا لك يا مُونِيو. قد أكون الوعي الدّيني الوحيد في الإمبراطوريّة، لأنني بالفعل وحيد... لذا أنا عاجزٌ عن الدّعاء.*

لا يمكنكم فهم التّاريخ إلّا إذا فهمتم مجراه، وتيّاراته، والأساليب التي يتحرّك بها القادة وسط هذه القوى. يحاول القادة إدامة الظّروف التي تستدعي وجودهم في منصب القيادة. ومن ثمّ، يحتاج القائد إلى الغريب، إلى ذلك الآخر الخارج عن النّسق. أُحذّركم من أن تنظروا إلى مسيرتي بسطحية، بل تأمّلوها بعناية. أنا قائد... وغريب في آنٍ واحد. لا تظنوا أن دوري اقتصر على إنشاء الكنيسة، التي هي جوهر الدولة؛ فهذا كان واجبي كقائد، وقد وجدتُ في التّاريخ نماذج لا تُحصى أسترشد بها. ولكي تدركوا دوري كغريب، انظروا إلى فنون عصري، تجدوا الفنون همجيّة. الشّعر المفضّل؟ الملاحم. القالب الدّرامي المفضّل للعامّة؟ البطولة. الرّقص؟ مهجور تمامًا. لم يكن مُونِيو مخطئًا حين عدّ ذلك أمرًا خطرًا، فهو يُحرّك الخيال، ويُشعِر النّاس بقدر ما سلبتُه منهم. تسألون: وماذا سلبتُ منهم؟ أقول حقّهم في المشاركة في التّاريخ.

- المذكّرات المسروقة

كان آيداهو مستلقيًا على سريره النّقّال مُغمَض العينين حين سمع هَبدًا على السرير الآخر. اعتدل جالسًا في ضوء الظّهيرة السّاقط إلى الغُرفة بزاويةٍ حادةٍ عبر النّافذة الوحيدة، منعكسًا على بلاط الأرضية الأبيض، ومنه إلى الجدران الصّفراء الفاتحة. رأى أن سيونا دخلت الغُرفة وتمدّدت على سريرها، وبدأت على الفور قراءة أحد الكتابين اللذين تحملهما معها في حقيبةٍ قماشيّة خضراء.

تعجّب آيداهو: *ما المثير في هذين الكتابين؟*

أرجح آيداهو قدميه فوق الأرض وأجال بصره في أرجاء الغُرفة.

كيف يمكن لهذا الصُّندوق الفسيح عالي السقف أن يُعدّ -ولو من باب التّخيُّل- فرمِنيًا؟ كانت تفصل بين السّريرين طاولة عريضة من بلاستيك محلّي داكن اللّون تصلح مكتبًا، وكان للغُرفة بابان: أحدهما يفضي مباشرة إلى الخارج عبر حديقة، والآخر يقود إلى حمّامٍ فاخرٍ يلمع بلاطه الأزرق الشّاحب أسفل ضوء كوّة سقف عريضة. كان الحمّام يحتوي -إلى جانب مرافقه الأخرى العديدة- على حوضِ غائرٍ ومِغطَس، كلٌّ منهما لا تقل مساحته عن مترين مربّعين. ظلّ الباب المؤدّي إلى تلك المساحة المترفة مفتوحًا، ولم ينفكّ آيداهو عن سماع صوت الماء المنساب من المِغطَس. بدت سيونا مُغرمة بشكلٍ غريب بالاستحمام في فيضٍ من الماء.

كان ستيلجار، نائب آيداهو من أيّام كتيب الخالية، لينظر إلى تلك الغُرفة بازدراء ويقول: «عارٌ! انحلال! ضعف!» كان ليُفرغ سيلًا من الكلمات المُحتقِرة في وصف هذه القرية التي تجرؤ على تشبيه نفسها بسييتشِ فرمِنيّ حقيقي.

قلبت سيونا الصّفحة فأصدر الورق حفيفًا خافتًا. كانت مستلقيةً ورأسها مسنود إلى وسادتين، وثوبها الأبيض الرّقيق يغطّي جسدها الذي ما زالت عليه آثار البلل من استحمامها.

هزّ آيداهو رأسه متعجبًا. ما الذي يَشُدّ انتباهها إلى تلك الصّفحات بهذا الشكل؟ منذ وصولهم إلى تيونو وهي تقرأ وتعيد القراءة، بلا كلل. كان المجلّدان رقيقين، لكن أوراقهما كثيرة، وكلٌّ منهما لا يحمل على غلافه سوى رقم. وقد لاحظ آيداهو الرّقم تسعة على أحدهما.

أنزل آيداهو قدميه إلى الأرض، ونهض، ثم سار نحو النّافذة. رأى

على مسافةٍ بعيدةٍ في الخارج شيخًا يرعى الزُّهور. كان البُستان مُحاطًا بالمباني من ثلاث جهات، والزُّهور فيه لها أوراق كبيرة حمراء من الخارج، لكنها إذا انفتحت تكشف عن قلبٍ أبيض. بدا شعرُ الشيخ الأشيب، على رأسه العاري، كزهرةٍ أخرى تتماوج بين البياض الزهري والبراعم المتلألئة. شمّ آيداهو رائحة الأوراق المتحلّلة والتُّربة المُقلّبة حديثًا تختلط بعطرٍ زَهريٍّ قويٍّ يخترق الأنفاس.

فرمِني يعتني بالزُّهور في الهواء الطّلق!

لم تُفصح سيونا عن شيءٍ يخص مادّة القراءة الغريبة التي تلتهمها بنهم، ففكّر: *إنها تمتحن صبري. تريدني أن أبادر بالسؤال.*

حاول آيداهو ألّا يُفكّر في هِوي، وكاد الغضب يستحوذ عليه حين فعل ذلك. تذكّر الكلمة التي تصف ذلك الشُّعور الحامي في لغة الفرمِن؛ «الكاناوا»: طوق الغيرة الحديدي. *أين هِوي؟ ماذا تفعل في هذه اللحظة؟*

انفتح البابُ المُفضي إلى الحديقة دون طَرْق، ودخل منه تيشار، معاون جارون. كان وجه تيشار شاحبًا كوجوه الموتى، ومليئًا بتجاعيدَ داكنةٍ، ويحيط بحدقتي عينيه الغائرتين صفارٌ باهت. كان يرتدي جلبابًا بُنيًا، وشعره أشبه بعُشبٍ قديم تُرك ليتعفّن. بدا قبيحًا أزيد من اللّازم، كروحٍ بُدائيّة ظلاميّة خرجت من صُلب العناصر. أغلق تيشار الباب، ووقف يرمقهما بصمت.

جاء صوت سيونا يسأل من خلف آيداهو: «حسنٌ، ما الأمر؟».

لاحظ آيداهو أن تيشار بدا متحمّسًا بشكلٍ غريب، يكاد جسده

يرتجف من فرط الحماسة.

قال تيشار: «الإمبراطور الإله...»، ثم تنحنح وبدأ مُجدّدًا: «الإمبراطور الإله قادم إلى تيونو».

اعتدلت سيونا على فراشها وضمّت ثوبها الأبيض على رُكبتيها. رمقها آيداهو بنظرةٍ سريعة، ثم عاد ينظر إلى تيشار.

قال تيشار: «سيُعقد قرانه هنا، في تيونو! وعلى الطريقة الفرمِنيّة العتيقة! سينزل الإمبراطور الإله وزوجه ضيفين على تيونو».

حدّق آيداهو إليه بنظرةٍ ناريةٍ بقلبٍ تعتصره قبضة الكاناوا، وقبض كفّيه. أومأ تيشار برأسه، ثم استدار وخرج مغلقًا الباب خلفه بقوّة.

قالت سيونا: «دعني أقرأ عليك شيئًا يا دانكن».

استغرق آيداهو لحظةً ليفهم ما تقول، ثم استدار ونظر إليها وقبضتاه لا تزالان مشدودتين إلى جانبيه. كانت سيونا جالسةً على طرف سريرها، والكتاب في حجرها، وقد عَدّت انتباهَه موافقةً.

فقرأت: «يؤمن بعضهم بأن على المرء أن يلطّخ يديه بشيءٍ من العمل القذر قبل أن يُوظَّف عبقريته. يقولون إن التّنازل يبدأ لحظةَ خروجك من حرمك المُقدّس عازمًا على تحقيق مُثُلك العليا. أمّا مُونِيو، فيرى أن خلاصي في أن أظلّ داخل حرمي، وأُوكِل إلى الآخرين أداء أعمالي القذرة».

ثم رفعت بصرها إلى آيداهو وقالت: «هذا نصّ كلام الإمبراطور الإله بالحرف».

ببطء، أراح آيداهو قبضتيه. كان يعلم أنه في حاجة إلى مثل هذا الإلهاء، وقد أثار اهتمامه أن سيونا قد خرجت من صمتها.

سألها: «ما هذا الكتاب؟».

بإيجازٍ، أخبرته كيف سرقت هي ورفاقها خرائط القلعة ونسختين من مذكّرات ليتو.

ثم أنهت كلامها قائلة: «قطعًا عَلِمتَ بالأمر، إذ أوضح أبي أن الجواسيس كشفوا أمرَ غارتنا».

رأى الدُموع تملأ عينيها، فسألها: «تسعةٌ منكم قتلتهم الذِّئاب؟».

أومأت برأسها أي نعم.

قال لها: «أنت قائدةٌ رديئة».

انتفضت غاضبة، لكن قبل أن تنبس بكلمة، بادرها بسؤالٍ: «من الذي ترجم المُجلّدين لكِ؟».

- «هذان المُجلّدان من إيكس. يقولون إن النقابة وجدت المفتاح».

قال آيداهو: «نعلم سلفًا أن الإمبراطور الإله يتّخذ النفعيّة مذهبًا. أهذا كُلُّ ما وجد ليُسطّره في مذكّراته؟».

«اقرأ بنفسك». ثم مدّت يدها إلى حقيبتها الملقاة إلى جوار السّرير وأخرجت المُجلّد الأول المُترجم وألقته على سريره. وحين عاد آيداهو إلى السرير، سألته: «ماذا قصدت بقولك إنني قائدة رديئة؟».

- «هذا ما تكونين حين تهدرين حياة تسعة من رفاقك بهذه الصورة».

- «أنت أحمق!»، ثم هزّت رأسها وأردفت: «من الواضح أنك لم ترَ تلك الذّئاب من قبل».

رفع آيداهو الكتاب ووجده ثقيلًا، ليكتشف حينها أنه طُبع على ورقٍ بِلّوري. قال وهو يفتح المُجلّد: «كان ينبغي لكم التسلُّح لمواجهة الذّئاب».

- «بأيّ سلاح؟ أيّ سلاحٍ كنّا سنجده لم يكن لينفع بشيء!».

سأل وهو يقلب الصّفحة: «بنادق ليزر؟».

- «إذا لمست بُندقيّة ليزر على أزّاكس، فستعرف الدُّودة!».

قلب صفحةً أخرى وقال: «لكن أصدقاءك حصلوا على أسلحة ليزر في النّهاية».

أجابت: «وانظر ماذا جلب ذلك عليهم!».

قرأ آيداهو سطرًا، ثم قال: «كانت أمامكم السّموم».

ابتلعت سيونا ريقها بصعوبة.

نظر آيداهو إليها: «لقد سمّمتم الذّئاب في النّهاية، أليس كذلك؟».

كان صوتها أقرب إلى الهمس وهي تقول: «أجل».

سألها: «ولِمَ لم تفعلوا ذلك من قبل إذًا؟».

- «لم... نكن... نعلم... أننا... نستطيع».

قال آيداهو: «لكنك لم تحاولي حتّى»، ثم عاد إلى المُجلّد المفتوح، وأردف: «قائدة رديئة».

- «إن مكره لفاحش!».

قرأ آيداهو فقرةً من المُجلّد قبل أن يُعيد انتباهه إلى سيونا. «هذا الكلام لا يصفه بدِقّة. هل قرأتِ كل هذا؟».

- «كلمة كلمة! وأعدت قراءة بعضها مرّاتٍ عِدّة».

نظر آيداهو إلى الصّفحة المفتوحة وقرأ بصوتٍ عالٍ: «لقد خلقتُ ما عزمت عليه. خلقتُ توتُّرًا روحيًا قويًا في كل أرجاء إمبراطوريتي. قليلون من يدركون قوّة هذا التوتُّر الرُّوحي. تسألون بأي قُدرة أنشأتُ هذا الوضع؟ أنا في الحقيقة لستُ بتلك القوّة. القوّة الوحيدة التي أملُك هي التّحكُّم في رخاء الأفراد. هذا هو مُجمل ما أفعل. لماذا إذًا يسعى النّاس للمثول بين يديّ لأسباب أخرى؟ ما الذي قد يدفعهم إلى الموت المحتوم في محاولة عبثية للمثول بين يديّ؟ أيطمحون في أن يكونوا قِدّيسين؟ أيظنون بأن الرّب سيمنُّ عليهم بنظرته بفعلهم ذلك؟».

قالت سيونا والدُّموع بادية في صوتها: «إنه السّاخر الأكبر».

سألها آيداهو: «كيف اختبرك؟».

- «جعلني أرى... صِراطه الذّهبي».

- «هذا سهل...».

- «إنه حقيقي تمامًا يا دانكن»، ثم رفعت بصرها إليه والدُّموع المحبوسة تتلألأ في عينيها: «لكن حتّى لو كان الصّراط هو الدّافع لكل ما فعله الإمبراطور الإله، فهو لا يُسوّغ ما آل إليه!».

تنفّس آيداهو بعمق ثم قال: «بئس مآل آل آتريديز!».

قالت سيونا: «الدُّودة يجب أن تموت!».

قال آيداهو متسائلًا: «تُرى متى سيصل؟».

- «الجرذ الصّغير صديق جارون لم يخبرنا بذلك».

قال آيداهو: «يجب أن نسأل».

قالت سيونا: «ليست معنا أسلحة».

قال: «نائلة معها بُندقيّة ليزر. ونحن معنا سكاكين... ومعنا حبل. رأيت حبلًا في أحد مخازن جارون».

سألته: «أهذا كل ما سنستخدم ضد الدُّودة؟ حتّى لو تمكّنا من الحصول على بُندقيّة نائلة، أنت تعلم أنها لن تُجدي نفعًا معه».

سألها: «ولكن هل عربته منيعة ضدها كذلك؟».

ردّت سيونا: «أنا لا أثق بنائلة».

- «ألا تطيعك؟».

- «بلى، لكن...».

قال آيداهو: «دعينا نسِز خطوة بخطوة. اسألي نائلة أوّلًا إن كانت ستوافق على استخدام بندقيّتها ضد عربة الدُّودة».

- «وإذا رفضت؟».

- «اقتليها».

نهضت سيونا، وطوّحت كتابها جانبًا.

سألها آيداهو: «كيف ستصل الدُّودة إلى تيونو؟ إن حجم ليتو ووزنه يفوقان طاقة أيّ ثوپتر عاديّة».

قالت سيونا: «سنعرف من جارون. لكنني أظنُّ أنه سيأتي كما اعتاد أن يفعل»، ثم رفعت بصرها إلى السّقف الذي يُخفي الجدار الذي يُطوّق السّرير: «سيأتي في ركبٍ مع كامل حاشيته، سيسلك الطّريق الملكيّة، ويهبط إلى هنا على مضادّات الجاذبية». ثم نظرت إلى آيداهو وسألته: «ماذا عن جارون؟».

قال آيداهو: «إنه رَجُلٌ غريب. يطمح إلى أن يكون فرمِنيًا حقيقيًا، لكنه يدرك أنه بعيد كل البُعد عمّا كان عليه الفرمِن في زمني».

سألت سيونا: «وكيف كانوا في زمنك يا دانكن؟».

قال آيداهو: «كان لديهم قول يصف ذلك. ‹لا ينبغي للمرء مصاحبة من لا يرغب في الموت معهم›».

سألته: «أقُلت هذا لجارون؟»

قال: «نعم».

سألت: «وماذا كان ردُّه؟».

قال: «قال إنني الشّخص الوحيد الذي قابله ويملك هذه الصِّفة».

قالت: «رُبّما يملك جارون من الحِكمة ما يفوق أيًّا منا».

أتظنّون أن أكثر الإنجازات البشريّة هشاشةً هي السّلطة؟ ماذا عن تلك الاستثناءات الواضحة للهشاشة المتأصّلة في طبيعة السّلطة؟ بعض العائلات تصمد في الحُكم. ومن المعروف أيضًا أن البيروقراطيات الدينية القوية تصمد. فكّروا في العلاقة بين الإيمان والسلطة. هل يتنافى وجودهما معًا، إن اعتمد أحدهما على الآخر؟ لقد عاشت جماعة البِني چيسيرِت بأمان نسبي في كنف جدران الإيمان الحامية لآلاف السنين. ولكن إلى أين انتهت سُلطتهم؟

- المذكّرات المسروقة

قال مُونِيو بنبرةٍ فيها ضيق: «مولاي، أتمنّى لو منحتني مزيدًا من الوقت».

كان يقف خارج القلعة في ظِلال الظّهيرة القصيرة. كان ليتو يرقد أمامه مباشرة على العربة الإمبراطوريّة، وقد طوى الغِطاء الفُقّاعي. كان قد جالَ حول القلعة برفقة هِوي نوري، التي جلست على مقعدٍ جديدٍ رُكّب في العربة داخل حيّز الغِطاء الفُقّاعي، وبالقرب من وجه ليتو. لم يبدُ على هِوي سوى بعض الفضول تجاه كل النّشاط الصّاخب الذي بدأ يتزايد حولهما.

فكّر مُونِيو: يا لهدوئها! ثم قمع رجفةً لا إراديّة اعترته ممّا عرفه من مالكي عنها. كان الإمبراطور الإله مُحِقًّا، إذ كانت هِوي كما تبدو تمامًا: إنسانة شديدة الرّقّة والتعقّل. تساءل مُونِيو: *أكانت ستتزاوج معي حقًّا؟*

صرفت الفُشّتات المحيطة به انتباهه عنها. في الوقت الذي طاف فيه ليتو بهِوي حول القلعة بعربته المُعلّقة بمضادّات الجاذبيّة، كانت

مجموعة كبيرة من رجال البلاط ومُحاورات الأسماك قد احتشدت هنا. ارتدى جميع أفراد حاشية البِلاط ملابس فاخرة مبهرجة، يغلب عليها الأحمر الزّاهي والذّهبي اللّامع. أما مُحاورات الأسماك فارتدين أجمل ما لديهن من أزياء زرقاء داكنة، لا يميّزهن إلّا اختلاف ألوان الشرائط، وشارات الصُقور على الصُدور. وقفت عربة حقائب على زلّاجات مضادّة للجاذبيّة في المؤخّرة، وأمامها رهطٌ من مُحاورات أسماك لسحبها. امتلأ الهواء بالغبار، وبأصواتٍ وروائح حماسيّة. تصرّف معظم أفراد الحاشية بهلع حين أُخطِروا بوجهتهم الجديدة، فاشترى بعضهم خيامًا وشرادقات لأنفسهم على الفور، وأُرسِلت مسبقًا مع أغراضٍ أخرى تتراكم الآن فوق الرّمال على مشارف قرية تيونو. لم تتعامل مُحاورات الأسماك مع الأمر بمزاجٍ احتفالي، بل رفعن أصواتهن بالشكوى حين أُخبِرن أنهن لن يحملن معهن بنادق اللّيزر.

كان مُونِيو يقول: «فقط القليل من الوقت يا مولاي. ما زلت لا أعرف كيف سوف...».

قال ليتو: «لا بديل للوقت في حلّ مشكلات عِدّة. ومع ذلك، قد يُفرط المرء في الاعتماد عليه. لن أقبل بأيّ تأخيرٍ آخر».

اشتكى مُونِيو: «الوصول إلى هناك وحده سيستغرق ثلاثة أيّام».

فكّر ليتو في قدر الوقت المطلوب: الارتحال بين مشيٍ وهرولةٍ... لِمئة وثمانين كيلومترًا. نعم، ثلاثة أيام.

قال ليتو: «أنا واثق بأنك رتّبت محطّات التوقّف بعناية. هل وفّرت ما يكفي من الماء السّاخن لعلاج تقلّصات العضلات؟»

فأجابه مُونِيو: «سنكون مرتاحين بما فيه الكفاية، لكن لا يروق مغادرة القلعة في هذا التوقيت! وأنت تعرف السّبب!».

- «لدينا أجهزة اتّصال، ومساعدون أوفياء، وقد نالت النّقابة ما تستحق من تأديب. اهدأ يا مُونِيو».

- «بإمكاننا إقامة الحفل في القلعة!».

أجابه ليتو بإغلاق الغِطاء الفُقّاعي حوله، عازلًا هِوي معه.

سألته هِوي: «أفي الأمر خطورة يا ليتو؟».

- «الخطورة قائمة دائمًا».

تنهد مُونِيو ثم استدار وهرول إلى حيث تبدأ الطّريق الملكيّة صعودها الطّويل شرقًا قبل أن تنعطف جنوبًا حول السّرير. دفع ليتو عربته خلف كبير الخدم، وسمع ركبهم المتنوع يتّخذ مواقعه وراءهم بخُطًى متناسقة.

سأل ليتو: «هل تحرّك الجميع؟».

نظرت هِوي خلفها من وراء جسده وقالت: «أجل»، ثم عادت تنظر إلى وجهه: «لماذا يتصرّف مُونِيو بهذا التّعنّت؟».

- «لأنه اكتشف أن شيئًا كان من نصيبه صارَ بعيدًا عن متناوله إلى الأبد».

- «إنه مُشتّت ومُتعكّر المزاج منذ عودتكما من القلعة الصغيرة. لم يعد كما كان إطلاقًا».

- «إنه آتريديزي يا حبيبتي، وأنت خُلِقتِ لإرضاء الشّخصيّة الآتريديزية».

- «ليس الأمر كذلك. كنت سأعلم إن كان الأمر كذلك».

- «حسنًا، أظن أن مُونِيو اكتشف حقيقة الموت».

سألته: «كيف يبدو المكوث في القلعة الصغيرة برفقة مُونِيو؟».

- «إنها أكثر الأماكن وحشةً في الإمبراطوريّة».

قالت: «أشعر بأنك تتجنّب أسئلتي».

- «لا يا حبيبتي، بل أشاطرك القلق على مُونِيو، لكن لا جدوى الآن من أيّ تفسير. مُونِيو محبوس في مأزقه. لقد أدرك أن الحاضر عبء، والمستقبل بلا جدوى، والماضي سرابٌ لا يُطال».

- «أظن أنك أنت من حبسته يا ليتو».

- «لكن عليه أن يُحرِّر نفسه».

- «ولِمَ لا تُحرِّره؟».

- «لأنه يظنُّ أن ذكرياتي هي المفتاح لحريته. يظن أنني أبني مستقبلنا من ماضينا».

- «أليست هذه هي طبيعة الأشياء يا ليتو؟».

- «لا يا عزيزتي هِوي».

- «كيف هي إذًا؟».

- «يَظُنُّ معظم النّاس أن المستقبل المنشود يقتضي عودةً إلى

ماضٍ مثاليٍّ مُتوهَّم، ماضٍ لم يوجد في الواقع قط».

- «وأنت بما تحمله من ذكريات تعلم خلاف ذلك».

أدار ليتو وجهه بين طيّاته ليتأمّلها، مستقصيًا الماضي... متذكّرًا. من بين الحشود التي تحيا في داخله، استطاع ليتو أن يصوغ صورةً مُركّبةً لِهوي، لمحةً چينيةً لها، لكنها كانت لمحةً قاصرة، بعيدةً تمامًا عن جسدها الحيّ أمامه. تلك هي الحقيقة، بالطّبع. صار الماضي صفوفًا تلو الصُّفوف من الأعين الواسعة المُحدّقة، كأعين أسماك تختنق على اليابسة، أمّا هِوي فظلّت حياةً نابضةً مكتفيةً بذاتها. كان فمها مرسومًا بمنحنيات إغريقيّة جديرة بنُطق ترانيم العرّافات في معبد دلفي، لكنها لم تكن تهمس بالنبوءات. كانت قانعة بالعيش فحسب؛ زهرة دائمة التفتُّح، لا تبخل بعبيرها الفوّاح.

سألته: «لماذا تنظر إليّ هكذا؟».

- «أتشمّس في حُبّك».

ابتسمت قائلة: «على ذِكر الحُب، بما أننا لا نستطيع أن نتشارك في حُبّ الجسد، فَلْنتشارك في حُبّ الرُّوح. هل تقبل أن تشاركني ذلك يا ليتو؟»

أخِذ ليتو وقال: «أتسألينني عن مكنون روحي؟».

- «قطعًا قد سألك عنها آخرون».

قال باقتضاب: «روحي تهضم تجاربها، لا أكثر».

سألته: «هل غاليت في طلبي منك؟».

- «لا أظن أن أيًّا ما تطلبين يُمكن أن يُعدّ مُغالاةً».

- «إذًا، سأستغل ما بيننا من حُبّ لأُخالفك الرأي. لقد حدّثني عَمّي مالكي عن روحك».

عجز ليتو عن الرّدّ، فعدّت هِوي صمته دعوةً إلى الاستمرار: «قال إنك أبرع من أتقن فنّ سبرِ أغوار الرُّوح، وإنك بدأت بروحك».

- «لكن عمّكِ مالكي أنكر أنه يمتلك روحًا!».

سمعت القسوة في صوته، لكن ذلك لم يردعها: «ومع ذلك، أظن أنه كان محقًّا. أنت عبقريّ الرُّوح وجهبذها».

قال: «كلُّ ما يحتاج إليه المرء هو المثابرة الدّؤوبة على مرّ الزمن، لا الجهبذة».

كانوا قد قطعوا شوطًا طويلًا الآن في الصُعود إلى قمة الجدار المُحيط بالسّرير. خفّض ليتو عجلات عربته وأوقف نظام مضادّات الجاذبيّة.

همست هِوي بصوتٍ خفيض بالكاد يعلو على صرير العربة وضوضاء الأقدام المهرولة من حولهما: «على العموم، أيجوز لي أن أناديك بحبيبي؟»

قال ليتو وهو يتذكّر غصّة في حلقه لم تعُد إنسانيّة بالكامل: «أجل».

قالت هِوي: «لقد وُلِدت إيكسيّة يا حبيبي، فكيف لا أشاركهم نظرتهم الميكانيكيّة للكون؟ أتعرف منظوري للحياة يا ليتو؟».

حملق ليتو إليها لا أكثر.

قالت: «أشعر بالخوارق في كل منعطف».

قال ليتو بصوتٍ أجش بدا غاضبًا حتّى لنفسه: «كل شخص يخلق خوارقه الخاصّة».

- «لا تغضب مني يا حبيبي».

قال بذات النّبرة الخشنة الكريهة: «من المستحيل أن أغضب منك».

قالت: «لكن شيئًا ما وقع بينك وبين مالكي في وقتٍ ما. لم يخبرني ما هو قط، لكنه كثيرًا ما تساءل لماذا رحمته».

- «بسبب ما علّمني إيّاه».

- «ماذا حدث بينكما يا حبيبي؟».

- «أُفضّل عدم الحديث عن مالكي».

- «أرجوك يا حبيبي. أشعر بأنه من المُهم لي أن أعرف».

- «ألمحت إلى مالكي أن بعض الأشياء لا ينبغي للبشر اختراعها».

- «أهذا كل شيء؟».

- «كلّا»، ثم أردف متردّدًا: «أغضبه كلامي، فقال: ‹أتظن أنه في عالم بلا طيور، لن يخترع البشر الطّائرات! يا لك من أحمق! البشر قادرون على اختراع أيّ شيءٍ›».

قالت هِوي مصدومةً: «أوصفك بالأحمق؟».

- «كان مُحقًّا. ومع أنه أنكر ذلك بعدها، فقد نطق بالحقيقة. علّمني

مالكي أن في الهروب من الاختراعات حِكمةً».

- «أنت تخشى الإيكسيّين إذًا؟».

- «قطعًا أخشاهم! فقد يخترعون كارثةً».

- «إذًا ماذا عساك أن تفعل؟».

- «سأسابقك خطاهم. التّاريخ سباقٌ مستمرٌ بين الاختراعات والكوارث. التّعليم يساعد، لكنه لا يكفي أبدًا. أنتِ أيضًا يتحتّم عليك الرّكض في السّباق».

قالت: «ألا تدري أنك تشاركني الآن مكنون روحك يا حبيبي؟».

أشاح ليتو ببصرِه عنها وركّز على ظهر مُونِيو، متابعًا حركة جسده، وتصنُّعه الواضح لإخفاء ما تفضحه تصرفاته. كانت القافلة قد تجاوزت أول المنحدرات السهلة، ثم انعطفت لتبدأ تسلُّق الحلقة الغربية من الجدار. واصل مُونِيو هرولته المعتادة، خطوة بعد أخرى، منتبهًا إلى موضع قدمه في كل مرة، لكن كان يلوح في سلوك القهرمان أمرٌ جديد. شعر ليتو بأن الرّجُل يبتعد عنه تدريجيًا، بأنه لم يعد راضيًا بالمشي إلى جانب وجه مولاه المقلنس، ولم يعد يسعى لربط مصيره بمصير سيّده. إلى الشرق، تنتظر صحراء السرير. وإلى الغرب، ينتظر النّهر والمزارع. لكن مُونِيو لم يلتفت لا إلى اليمين ولا إلى اليسار. لقد أدرك وجهةً جديدةً.

قالت هِوي: «أنتَ لا تُجيبني».

- «لأنك تعرفين الإجابة بالفعل».

قالت: «أجل، بدأت أفهم شيئًا عنك. بدأت أشعر ببعض مخاوفك. وأظنُّ أنني بِتُّ أعرف بالفعل طبيعة المكان الذي تسكنه روحك».

نظر إليها بدهشةٍ، وشعر بنفسه كأنّه محبوس في عينيها. لقد أذهله الأمر، فلم يستطع أن يرفع نظره عنها. اجتاحت أوصاله مشاعر خوفٍ عميق، وشعر بأن يديه بدأتا تختلجان.

قالت: «أنت تسكن حيث تجتمع خشية الوجود مع حُبّ الوجود، في شخصٍ واحد».

لم يجرؤ ليتو على أن يطرف له جفن.

قالت: «أنت متصوّف، لطيف مع نفسك فقط لأنك قابعٌ وسط هذا الكون، وترنو بعيدًا، بطريقةٍ يعجز الآخرون عنها. تخشى أن تشارك هذا، ومع ذلك ترغب في مشاركته أكثر من أيّ شيءٍ آخر».

همس قائلًا: «ماذا رأيتِ؟».

قالت: «لا أملك عينًا مُبصرةً، ولا أصواتًا باطنيّة. لكنني رأيتُ مولاي ليتو، الذي أُحبُّ روحه، وأعرفُ الشّيءَ الوحيد الذي يفهمه حقًّا».

صرف نظرته عنها، خائفًا ممّا قد تقوله، وقد بدأ يشعر بارتعاش يديه ينتشر في كل أنحاء نصفه الأمامي.

قالت هِوي: «الحُبُّ، هذا ما تفهمه، الحُبُّ وحده. هذا كل شيء».

كفّت يداه عن الارتعاش، وسالت دمعة من عينيه على كل وَجنة. وحين لامست الدمعتان طيّاته، انبعثت خيوط من دُخانٍ أزرق. أحس بالألم يحرقه، وكان شاكرًا لذلك.

قالت هِوي: «لديك إيمانٌ بالحياة. وأنا أعلم أن القدرة على الحُبّ لا يمكن أن تسكن إلّا في هذا الإيمان».

مدّت يدها اليُسرى ومسحت الدّمعتين عن خَدّيه. دُهش ليتو إذ لم يصدر عن طيّات القلنسوة ردّة الفعل المعتادة لمنع اللّمسة.

قال: «أتعلمين، منذ أن صرت هكذا، أنتِ أوّل من يلمس وجنتيّ؟».

قالت: «لكنني أعرف ما أنتَ عليه الآن، وما كنتَ عليه».

قال: «آهٍ يا هِوي... لم يتبقَّ ممّا كنتُ عليه إلّا هذا الوجه، أمّا الباقي فضاع بين ظلال الذّاكرة... اختبأ... انتهى».

قالت: «لكنه ليس مختبئًا عني يا حبيبي».

نظر إليها مباشرةً، غير هياب من أن تأشرهُ عيناها بعد الآن: «أيمكن أن يكون الإيكسيُون على عِلمٍ بصنيعتهم فيكِ؟».

قالت: «أؤكّد لك يا حبيب روحي، أنهم عن ذلك غافلون. أنتَ الشّخص الأوّل والوحيد الذي عرّيت نفسي أمامه كُلّيًا».

قال: «إذًا لن أحزن على ما كان يمكن أن يكون. أجل يا حبيبتي، سأشاركك مكنون روحي».

فكّروا في تلك القوّة الكامنة فيكم، التي تدفعكم أنتم وأقرانكم إلى الانجذاب نحو الأنماط القَبَليّة، كأنّ داخلكم ذاكرة لَدِنَة، تتأقلم مع التغيّرات، لكنها تسعى دومًا إلى الارتداد إلى شكلها: المجتمع القَبَلي. إنها تحاصركم من كل جانب: في الحُكم الإقطاعي، في الأبرشيّة، في المؤسّسات، في الفصائل العسكريّة، في نوادي الرّياضة، في فرق الرّقص، في خلايا التمرّد، في مجالس التّخطيط، في جماعات الصّلاة... في كُلٍّ منها السّيد والخدم، العائل وطُفيليّاته. حتّى الأجهزة التكنولوچيّة التي تُفرّق بين النّاس تُستخدم لتسويغ الحنين إلى «تلك الأيّام الخالية». لقد يئست من تعليمكم طرائق أخرى. أفكاركم مُربّعات جامدة، تأبى الاستدارة.

- المذكّرات المسروقة

وجد آيداهو أنه قادرٌ على التسلّق دون التفكير في ما يفعل. هذا الجسد الذي أنماه التِليلاكسو يتذكّر أمورًا لم يشتبه التِليلاكسو أنفسهم في وجودها. رُبّما ضاع شبابه الأصلي عبر الدهور، لكن عضلاته الآن شابّة، وقد نجح آيداهو في دفن ذكريات طفولته بين طيّات النسيان وهو يتسلّق. في تلك الطفولة، كان قد تعلّم النجاة بتسلّق مرتفعات كوكبه الأمّ. لم يكن يهم أن الصُخور التي أمامه الآن وضعها بشرٌ هنا، فقد شكّلتها كذلك عصورٌ طويلة من عوامل التّعرية.

لفحت شمس الصّباح ظهر آيداهو بحرارتها، وبلغ سمعه محاولات سيونا للوصول إلى نقطة ارتكاز ضيّقة، يسهل بلوغها نسبيًا، تقع أسفل منه بكثير. لم يكن لذلك الموقع فائدةٌ تُذكر لتسلّق آيداهو، لكنه كان السبب الذي جعل سيونا في النهاية توافق على أن يخوضا معًا

تجربة التسلُّق.

*كلاهما.*

إذ اعترضت على أن يقدم على ذلك وحده.

كانت نائلة، وثلاث من مساعداتها، وجارون، وثلاثة مختارين من الفرمِن الأثريِّين، ينتظرون على الرِّمال عند سفح الجدار الحاجز الذي يُطوِّق السّرير.

لم يُفكِّر آيداهو في ارتفاع الجدار. كان يُفكِّر فقط في موضع يده التّالي، وموطئ قدمه التّالي، وفي لفّة الحبل الخفيف حول كتفيه. كان الحبل بارتفاع الجدار. لقد قاس طوله على الأرض، في مُثلّثٍ على الرِّمال، دون أن يشغل نفسه بعدّ الخطوات. الحبل بطول الجدار، والجدار بطول الحبل، وأيُّ تفكيرٍ آخر سيُشوِّش ذهنه.

تلمّس آيداهو طريقه أعلى الجدار العمودي، متحسّسًا ركائزَ لا يراها. لم يكن الجدار عموديًّا تمامًا في الحقيقة، إذ نحتته الرِّياح برمالها، وتقلُّبات البرد والحرارة، بل وحتّى زخات المطر النّادرة، على مدار أكثر من ثلاثة آلاف عام. لقد جلس آيداهو عند سفح الجدار ليومٍ كامل يتدبّر ما أنجزه الزّمن، وراح يُثبِّت في ذهنه بعض أنماطه: ظلًّا مائلًا، خطًّا رفيعًا، نتوءًا متداعيًا، شفة صخريّة بارزةً هنا، وأخرى هناك.

دسّ آيداهو أصابعه في شقٍّ حادٍّ فوق رأسه، واختبر وزنه برفق على الرّكيزة. أجل، ستتحمّل ثِقله. استراح قليلًا، واضعًا وجهه على الصّخر الدّافئ، دون أن يمُدّ بصره إلى الأعلى أو إلى الأسفل. إنه

هنا، وهنا يكفي. الأمر كلُّه يتعلّق بالوتيرة. يجب ألا يسمح لكتفيه بأن يتعبا مبكرًا، وعليه توزيع وزنه بالقِسط بين قدميه وذراعيه. حتمًا ستتعرّض أصابعه للأذى، لكن ما دامت عظامه وأوتاره صامدة، من السّهل تجاهُل ما يُصيب الجلد.

استأنف آيداهو تسلُّقه زحفًا. انفصلت قطعة صخر وسقطت من يده، فتناثرت الشظايا والأتربة على خده الأيمن، لكنه لم يشعر بها. كل ذرّة في وعيه تركّزت على يده المتحسّسة، وعلى توازن قدميه على أصغر النُّتوءات. كان محض قذية، جُسيمًا يتحدّى الجاذبية... مُستمسك يدٍ هنا، وموطئ قدم هناك، وأحيانًا يتشبّث بسطح الصُّخور بقوّة إرادته.

كان أحد جيوبه منتفخًا بتسعة أوتاد تسلُّق، لكنه قاوم الرغبة في استخدامها. تدلّت كذلك مطرقة تسلُّق من حزامِه بحبلٍ قصير عُقدته محفوظة في ذاكرة أصابعه.

لقد تعنّتت نائلة، ورفضت التخلّي عن بندقيتها اللّيزريّة. لكنها مع ذلك أطاعت أمر سيونا المُباشر بمرافقتهما. يا لها من امرأة غريبة! غريبة في انصياعها لها.

هتفت فيها سيونا: «ألم تقسمي على طاعتي؟».

فاختفى تردد نائلة على الفور.

لاحقًا قالت له سيونا: «لم يسبق لها أن عَصت أمرًا مباشرًا مني».

فقال لها آيداهو: «رُبّما نضطرُّ إلى قتلها إذًا».

- «لا أُفضّل محاولة ذلك. لا أظنُّ أنك تدرك مدى قوّتها وسرعتها».

كان جارون، الفرمِني الأثري الذي يحلم بأن يُصبح «نائبًا حقيقيًا على الطّريقة القديمة»، هو من مهّد لهذا التسلُّق حين أجاب عن سؤال آيداهو له: «كيف سيأتي الإمبراطور الإله إلى تيونو؟».

إذ قال: «بالطّريقة نفسها التي اختار القدوم بها حين زار القرية أيّام جدّي الأكبر».

سألته سيونا: «وما تلك الطريقة؟».

كانوا وقتها جالسين في الظّل خارج دار الضّيافة، مُتّقين حرّ شمس عصر اليوم الذي أُعلن فيه أن الإله ليتو سيعقد قرانه في تيونو. اجتمع عددٌ من رجال جارون، جالسين القرفصاء في نصف دائرة عند عتبة الباب، حيث تجلس سيونا وآيداهو معه، في حين جلست محاورتا أسماك غير بعيدتين، تصغيان في هدوء. وكانت نائلة على وشك الوصول.

أشار جارون إلى الجدار العالي خلف القرية، الذي تلمع حافّته الذّهبية البعيدة في ضوء الشمس، وقال: «الطريق الملكيّة تمرُّ من هناك، ولدى الإمبراطور الإله جهازٌ يهبط به برفق من الأعلى».

قال آيداهو: «إنه مدمج في عربته».

وأضافت سيونا: «نعم، مضادّات الجاذبيّة. لقد رأيتها».

قال جارون: «قال جدّي الأكبر أنهم جاؤوا على الطريق الملكي في موكبٍ عظيم، وأن الإمبراطور الإله انزلق هابطًا إلى ساحة قريتنا بجهازه، أمّا الآخرون فنزلوا بالحبال».

قال آيداهو مُفكّرًا: «حبال».

سألته سيونا: «ولماذا أتوا؟».

قال جارون: «ليؤكّدوا أن الإمبراطور الإله لم ينسَ الفرمِن، هذا ما قاله جدّي. كانت الزيارة شرفًا عظيمًا، لكنها ليست بشرف هذا الزّفاف».

نهض آيداهو وجارون لم يزل يتحدّث. كان الجدار الشاهق يلوح بوضوح من نهاية الشّارع الرّئيس، من سفحه الجاثم فوق الرّمال، إلى قمّته المغمورة بضوء الشمس. سار آيداهو بخطّى واسعة إلى زاوية دار الضّيافة وخرج إلى الشّارع الرّئيس. ثم وقف هناك، واستدار، ونظر إلى الجدار. كانت النّظرة الأولى كافية لفهم لماذا يقول الجميع إنه من المستحيل تسلّق ذلك الجدار. وقتها، أجبر نفسه على ألّا يُفكّر في تقدير الارتفاع. قد يكون خمسمئة متر، وقد يكون خمسة آلاف، لا فرق. ما كان يعنيه حقًّا هو ما كشفته نظراته المتفحّصة التالية: شقوق عرضيّة دقيقة، ومواضع مكسورة هنا وهناك، بل وحافّة ضيّقة على ارتفاع نحو عشرين مترًا فوق الرّمال المتراكمة عند القاعدة، وأخرى أعلى، عند نحو ثلثي المسافة إلى قِمّة الجدار الصّخري.

كان يعلم أن جزءًا من وعيه الباطن، جزءًا قديمًا ومستقلًّا، قد تولّى مهمّة حساب القياسات وتقدير المسافات بمقارنة كل شيء بطول جسده: تُرى، كم قامة تفصلني عن تلك الحافة؟ قبضة هنا، وأخرى هناك. يداه تعرفان مسبقًا ما ينبغي فعله. كان يشعر بنفسه قد بدأ التّسلّق بالفعل.

أتاه صوت سيونا من قُرب كتفه اليمنى حيث وقف يتأمّل الجدار ويفحصه للمرّة الأولى: «ماذا تفعل؟». كان قد اقتربت في صمت، وراحت تنظر إلى حيث ينظر.

قال آيداهو: «أستطيع تسلُّق هذا الجدار. لو أخذتْ معي حبلًا خفيفًا، لسحبتُ من أعلى حبلًا أثقل. عندها سيتسنّى للباقين التّسلُّق دون عناء».

انضم جارون إليهما في الوقت المناسب لسماع ما يقول: «لماذا تريد تسلُّق الجدار أيا دانكن آيداهو؟».

أجابت سيونا بالنيابةِ عنه وهي تبتسم إلى جارون: «لاستقبال الإمبراطور الإله استقبالًا لائقًا».

كان ذلك قبل أن تتسلّل الشُّكوك إلى نفسها، وقبل أن يُضعِف جهلُها بصعوبة هذا التّسلُّق، وما رأته عيناها لاحقًا، يقينها بالنجاح.

في خِضم تلك النّشوة الأولى، سأل آيداهو: «كم يبلغ عرض الطّريق الملكيّة في الأعلى؟».

قال جارون: «لم تسبق لي رؤيتها، لكن يُقال إنها عريضةٌ جدًّا، حتّى إن فرقة كاملة يمكنها السّير فيها جنبًا إلى جنب. كما أن فيها جسورًا، ومطلّات على النّهر و... و... أوه، إنها بحق أعجوبة!».

سأله آيداهو: «لماذا لم تصعد إلى الأعلى لترى بنفسك؟».

اكتفى جارون بهزّ كتفيه والإشارة إلى الجدار.

حينها وصلت نائلة، وبدأ الجدال حول مسألة التّسلُّق. أخذ آيداهو

يُفكِّر في ذلك الجدال وهو يتسلّق. ما أعجب العلاقة بين نائلة وسيونا! كانتا أشبه بمُتآمرتين... لكنهما ليستا بمتآمرتين. كانت سيونا تُصدر الأوامر، فتنصاع نائلة. لكن نائلة كانت مُحاورة أسماك، إنها «الصّديقة» التي وثق بها ليتو لتكون أوّل من يفحص غُوله الجديد. لقد اعترفت نائلة بأنها التحقت بالشُّرطة الملكيّة منذ طفولتها. يا للقوّة التي تسري فيها! وبوضع تلك القوّة في الحُسبان، كان في انقيادها لمشيئة سيونا ما يُثير الرّهبة، كأنها تُنصت إلى أصواتٍ خفيّة تُخبرها بما يجب أن تفعل. عندها فقط تُطيع.

تحسّس آيداهو موضعًا آخر ليمسك به وهو يتسلّق. تسلّلت أصابعه إلى أعلى الصّخر وانحرفت يمينًا حتّى وجدت شقًّا خفيًا يتسنّى لها الانغراز فيه. أملت عليه ذاكرته مسار التسلُّق الطبيعي، ولكن جسده وحده كان القادر على تعلُّم الطّريق من خلال اتّباعه فعليًا. وجدت قدمه اليسرى موطئًا يرتكز عليه... وراح يصعد... ويصعد... ببطء، وبحرصٍ شديد. الآن رفع يدهُ اليُسرى إلى الأعلى... لم تجد شقًّا هذه المرّة بل حافّة صخريّة. ارتقت عيناه، ثم ذقنه، أعلى الحافّة التي رآها من الأسفل. بعدها دفع جسده فوقها بمرفقيه، وتدحرج ليأخذ قسطًا من الرّاحة، ناظرًا إلى الأُفُق وحده، لا إلى الأعلى ولا إلى الأسفل. كان الأُفُق رمالًا ممتدّة، والنّسيمُ مُحمّلًا بغُبارٍ يعيق الرؤية. لقد رأى من هذه الآفاق الكثير في أيّام كثيب الخالية.

بعدها بقليل، استدار ليواجه الجدار. جلس على رُكبتيه، وتحسّست يداه الصُّخور أعلاه، وواصل تسلُّقه. ظلّت صورة الجدار عالقة في ذهنه كما رآها من الأسفل. كان عليه فقط أن يغلق عينيه، ليتجلّى له النّمط، كما تعلّم أن يفعل حين كان طفلًا يختبئ من هجمات

عبيد الهراكنة. وجدت أنامله شقًّا يمكن أن تندمج فيه، وراح يزحف صعودًا مُنشبًا أظافره في الصّخر.

بدأت نائلة تشعر بانجذابٍ شديد نحو المُتسلّق وهي تراقبه من الأسفل. لقد صار آيداهو، بسبب المسافة، شكلًا صغيرًا وحيدًا على الجدار. لا بُدّ أنه يعرف معنى الوحدة التي يقضيها المرء مع قراراتٍ مصيريّة.

فكّرت نائلة: *أودُّ أن أحمل منه طِفلًا. سيكون طفلنا قويًّا وماهرًا. ماذا ينتظر الرّب من طفلٍ يأتي من سيونا وهذا الرّجل؟*

كانت نائلة قد استيقظت قبل الفجر، وسارت إلى قِمّة كثيبٍ مُنخفِض على حافّة القرية لتُفكّر في الأمر الذي اقترحه آيداهو. كان الفجر ليمونيّ اللّون، تغشاه سحابة الغبار المألوفة في الأُفُق، ثم حلّ بعده نهارٌ فولاذي الحرارة على صحراء السّرير المُهلِكة. عرفت نائلة حينها أن كل ما دار قد أبصره الرّب بلا شك، فلا شيء يخفى عن الرّب، ولا حتّى هيئة دانكن آيداهو الذي يتلمّس مسارًا يقوده إلى حافّة السّماء.

وفيما استمرّت نائلة تُراقب آيداهو في تسلُّقه، مارس عقلها عليها خُدعة، فأمال الجدار حتّى بدا لها أُفُقيًا. صار آيداهو طفلًا يزحف فوق سَطحٍ مُتكسّر. كم بدا صغيرًا! ويصغر أكثر فأكثر.

قدّمت إحدى المساعدات بعض الماء إليها، فشربَته. أعاد لها الماء منظور الجدار الحقيقي.

قرفصت سيونا على الحافّة الأولى، ومالت إلى الخارج ناظرةً إلى

الأعلى. كانت سيونا قد وعدت آيداهو قائلةً: «إن سقطت، فسأحاول من بعدك». رأت نائلة في ذلك وعدًا غريبًا. ما الذي يدفع كليهما إلى محاولة المُستحيل؟

وقد فشل آيداهو في إقناع سيونا بالعدول عن الوعد المستحيل.

فكّرت نائلة: *إنه القدر. إنها إرادة الرّب.*

كانا من الطّينة نفسها.

سقطت قطعة صخرٍ من حيث تشبّث آيداهو. لم تكن تلك المرّةِ الأولى. راقبت نائلة الصّخرة السّاقطة. لقد استغرقت وقتًا طويلًا وهي تضرب وجه الجدار وترتدّ عنه، مُثبتةً أن العين كذبت حين زعمت أن الجدار عموديّ الانحدار.

فكّرت نائلة: قد ينجح وقد يخفق. *بغضّ النّظر عن النتيجة، فكلُّها إرادة الرّب.*

ومع ذلك، شعرت بقلبها يخفق بقوّة. شعرت بأن مغامرة آيداهو تشبه الإثارة الجنسيّة. لكنها لم تكن إثارة جنسيّة سلبيّة، بل أقرب إلى سحرٍ نادر استحوذ عليها، وكان عليها أن تُذكّر نفسها بلا انقطاع أن آيداهو ليس لها.

*إنه من نصيب سيونا، هذا إن نجا.*

وإذا فشل، فستحاول سيونا من بعده. وقد تنجح أو تخفق. لكن هذا لم يمنع نائلة من التساؤل إن كانت ستبلغ النّشوة الجنسيّة إذ وصل آيداهو إلى القِمّة، التي صار قريبًا جدًّا منها الآن.

أخذ آيداهو أنفاسًا عِدّة عميقة بعد أن أسقط الصّخرة. كانت لحظة عصيبة، وقد استغرق وقتًا ليتعافى منها، مُتشبثًا بثلاث نِقاط على الجدار. ارتفعت يده الحُرّة إلى الأعلى تتحسّس الصُخور من تلقاء نفسها تقريبًا، وتجاوزت الموضعَ الفاسدَ إلى شَقٍّ رفيعٍ آخر. ببطء، نقل وزنه إلى تلك اليد ببطء.. ببطء. تحسّست رُكبته اليُسرى موطئ القدم الضّيق الذي قد يدسّ فيه أصابع قدمه. رفع قدمه إلى ذلك المكان، وجرّب. أخبرته ذاكرته أن القِمّة باتت قريبة، لكنه نحّى عمل الذّاكرة جانبًا. لم يشغله الآن إلّا التسلُّق، وعِلمه بأن ليتو سيصل غدًا.

*ليتو وهِوي.*

لم يكن ينبغي له التفكير في ذلك أيضًا، لكن الفكرة أبت أن تفارقه.

*القِمّة ... هِوي... ليتو... غدًا...*

كانت كُلُّ فكرة تُغذّي يأسه، وتدفعه إلى استدعاء ذكريات تسلُّقه في صِغره. لكنه كُلّما استسلم لتلك الذّكريات، ازداد ارتباكه وضعف أداؤه. وجد نفسه مضطرًا إلى التوقف، والتنفُّس بعمق في محاولة لاستعادة رباطة جأشه، والعودة إلى ذلك النّهج الطّبيعي الذي كان يسلكه في ماضيه.

لكن، أكان ذلك النّهج طبيعيًا حقًّا؟

إن في عقله شدّة. إنه يشعر بتداخُلات، وبنهاية حتمية... بانقضاء ما كان يمكن أن يكون، ولن يكون أبدًا.

غدًا، سيصل ليتو إلى هناك، في الأعلى.

شعر آيداهو بالعرق يسيل على وجهه ومنه إلى البُقعة التي ضغط

فيها خَدّه على الصّخرة.

*ليتو.*

*سأدحرك يا ليتو. سأدحرك من أجل نفسي، لا من أجل هِوي، من أجل نفسي فحسب.*

بدأ يغمره شعورٌ بالتطهير. كان الأمر أشبه بما حدث ليلة ما هيّأ نفسه ذهنيًا لهذا التّسلّق. ليلتها شعرت سيونا بأرقه، وبدأت تُحدّثه، وتُخبره بأدقّ تفاصيل هروبها اليائس عبر الغابة المحرمة، والقسم الذي أقسمته على حافّة النّهر.

قالت سيونا: «والآن ها أنا ذي أقسمت على أن أقود مُحاورات الأسماك. ولسوف أفي بذلك القسم، لكنني آمل ألّا يحدث الأمر على النّحو الذي يريد».

سألها: «وماذا يريد؟».

- «لديه دوافع كثيرة أعجز عن فهمها جميعًا. من ذا الذي يستطيع فهمه؟ كل ما أعرفه أنني لن أغفر له أبدًا».

أعادت هذه الذّكرى إلى ذهن آيداهو شعوره بالصّخرة الفلامسة لخَدّه. كان عرقه قد جفّ في النّسيم الخفيف، بدأ يشعر بالقشعريرة. لكنه استعاد رباطة جأشه.

*لن أغفر أبدًا.*

شعر آيداهو بأشباح كُلّ ذواته الأخرى، بكل الغيلان الذين لقوا حتفهم في خدمة ليتو. هل يصح أن يُصدّق ما يراود سيونا من

شكوك؟ نعم. ليتو قادر على القتل بجسده، وبيديه. الشّائعة التي روتها سيونا تبدو صادقة. وسيونا مثله، آتريديزيّة. كلّا، لم يَعُد ليتو آتريديزيًا، ولا حتّى إنسانًا، بل صار شيئًا آخر. لم يعُد مُجرّد كائنٍ حيّ، بل قوّة من قوى الطّبيعة الغاشمة، قوّة مُصمتة لا سبيل إلى اختراقها، وجميع تجاربه حبيسة ذاته لا تغادرها. سيونا هي من تقف ضده. أمّا الآتريديزيّة الحقّة فقد نأت بنفسها عنه.

*وأنا كذلك.*

قوّة من قوى الطّبيعة الغاشمة، لا أكثر. مثل هذا الجدار.

تحسس آيداهو الجدار بيده اليُمنى فوجد حافّة حادّة. لم يشعر بشيءٍ فوق تلك الحافّة، فحاول أن يتذكّر وجود شَقٍّ واسع في هذا المكان في النّمط المطبوع في ذهنه. لم يجرؤ على تصديق أنه بلغ القِمّة... ليس بعد. قطعت الحافّة الحادّة أصابعه وهو يتّكئ بوزنه عليها. رفع يده اليسرى إلى ذلك المستوى، فوجد موضعًا ثابتًا، وبدأ يسحب نفسه ببطء إلى الأعلى. وصلت عيناه إلى مستوى يديه، فوجد نفسه يُحدّق إلى مساحة مستوية تمتد بعيدًا... بعيدًا نحو أُفُقٍ أزرق. كان السّطح الذي تشبّث به يداه يُظهِر تشقُّقات قديمة بفعل عوامل الزّمن. أنشب آيداهو أصابعه في ذلك السّطح وزحف اليد تلو الأخرى، متلمّسًا الشُّقوق، ثم سحب صدره إلى الأعلى.. فخصره.. فوركيه. بعدها دحرج جسده، وتلوّى وزحف حتّى ترك حافّة الجدار بعيدًا خلفه. حينها فقط وقف وقال لنفسه ما كانت حواسّه تؤكّده.

*إنها القِمّة*. وقد بلغها دون أن يحتاج إلى أوتادِ تسلُّق أو مِطرقة.

ترامى إلى سمعه صوتٌ خافت. أهو هتاف؟

عاد أدراجه إلى الحافّة ونظر إلى الأسفل ولوّح لهم بيده. أجل، كانوا يهتفون. استدار آيداهو وعاد بخطًى واثقةٍ إلى منتصف الطّريق، سامحًا للانتشاء بإنجازه أن يُذهِب عنه ارتجاف عضلاته، ويُسكِّن له ألم كتفيه. ثم استدار دورةً كاملةً ببطء، مُتفحِّصًا القِمّة، تاركًا لذكرياته أخيرًا تقدير عِظَم ذلك التسلُّق.

تسعمئة متر... على الأقل.

أثارت الطريق الملكيّة اهتمامه. لم تكن تشبه ما رآه في طريقه إلى أونْ. كانت مديدة، شديدة الاتّساع، عرضها خمسمئة مترٍ على الأقل، وأرضيّتها رماديّة متجانسة ملساء، يبعد جانباها مِئة متر عن حافّتي الجدار، وتنتصب على طرفيها أعمدةٌ صخريّةٌ بارتفاع قامات الرّجال، كأنها حرس مُصطف على طول المسار الذي سيسلكه ليتو.

مشى آيداهو إلى جانب الجِدار البعيد المقابل لصحراء السّرير، وألقى نظرةً إلى الأسفل. في القاع السحيق، كان تيّار النهر الأخضر يندفع بعُنف، مصطدمًا بالصُّخور الحاصرة فيتحوّل ماؤه إلى زُبدٍ. نظر آيداهو إلى اليمين. سيأتي ليتو من هناك. كان الطريق والجدار ينحنيان بلطف إلى اليمين، وتبدأ تلك الانحناءة على بُعد ثلاثمئة متر تقريبًا من المكان الذي يقف فيه الآن. عاد آيداهو إلى الطّريق وسار بمحاذاة حافّتها، مُتتبِّعًا المنحنى الثُّعباني الذي يتلوّى أمامه حتّى ضاق وانحدر برفق. وقف آيداهو ينظر إلى ما تكشّف له، متأمّلًا النّمط الجديد الذي يتّضح أمام ناظريه.

على بُعد نحو ثلاثة كيلومترات أسفل المنحدر اللّطيف، تضيق الطّريق لتعبر مضيق النّهر فوق جسرٍ بدت دعاماته الرّقيقة من هذه

المسافة ضعيفة واهنة، بالكاد تحمله. تذكّر آيداهو جسرًا مشابهًا على الطّريق إلى أونْ، وتذكّر ذلك الشُّعور الغامر تحت قدميه. وَثَقَ بذاكرته، وأخذ يُفكّر في الجسور كما يُفكّر فيها أيُّ قائدٍ عسكريٍّ مُحنّك: معابر أو كمائن.

تحرّك آيداهو إلى اليسار، وألقى نظرةً إلى الأسفل ثم إلى البُعد، فرأى جدارًا آخر عاليًا ينتصب عند نهاية الجسر المُقوّس ذي الطّابع الخُرافي. كانت الطريق تمتدُّ هناك، ثم تنعطف بانسيابية قبل أن تستقيم وتتّجه شمالًا. وكان هناك جداران آخران يمتدّان على جانبي الطّريق، وبينهما يجري النّهر منزلقًا إلى هوّة صناعيّة، ورطوبته محصورة وموجّهة نحو تيّارٍ هوائيٍّ يندفع شمالًا، فيما يتدفّق الماء ذاته جنوبًا.

تجاهل آيداهو النّهر -فهو موجود، وسيظل موجودًا في مكانه غدًا- وركّز انتباهه على الجسر، تاركًا لغريزته العسكريّة مهمّة فحصه بعين الخبير. أومأ برأسه إقرارًا لنفسه، ثم استدار عائدًا أدراجه وهو ينزع الحبل الخفيف عن كتفيه في سيره.

ولمّا أبصرت الحبل ينساب ملتويًا كالثُّعبان من قِمّة الجدار، بلغت نائلة نشوتها الجِنسيّة.

تسألون ما الذي أسعى لاجتثاثه؟ ذلك التعلّق البرجوازي الآسن بالماضي، والرّغبة في الحفاظ عليه. إنه قوّة تشدُّ البشريّة وتُبقيها في وِحدةٍ هشّة، على الرّغم من الظّن بأن فراسخ الفضاء الشّاسعة قد فرّقتها. فما دُمت أستطيع العثور على فُتاتهم المتناثر، سيستطيع آخرون العثور عليه أيضًا. حين تكونون مُجتمعين، يسهل أن تهلككم كارثةٌ واحدة. يُمكن أن تُبادوا معًا. لهذا أُريكم الخطرَ الرّهيب الكامن في حياة راكدة عديمة الشّغف، أقرب إلى الجمود منها إلى الحركة، لا هدف لها ولا طموح. أُريكم كيف يمكن أن تنزلقَ حضارات كاملة إلى هذا المسار. أستعرض لكم دُهورًا من الحياة تنحدر بهدوء نحو الموت، دون ضجيج أو حراك، بل دون حتى أن تسأل: «لماذا؟». أُبيّن لكم السّعادة الزّائفة، والكارثة المُقنّعة التي تُدعى ليتو، الإمبراطور الإله. فهل ستتعلّمون بعدها معنى السّعادة الحقّة؟

- المذكّرات المسروقة

قضى ليتو اللّيل بأسرِه دون نوم باستثناء غفوةٍ قصيرةٍ، لذا كان مُستيقظًا حين خرج مُونِيو من دار الضّيافة عند الفجر. كانت العربة الملكيّة متوقّفة في منتصف فناءٍ ثلاثي الجوانب، وقد ضُبِط غطاؤها على وضع التّعتيم أُحاديّ الاتّجاه، حاجبًا شاغليها عن الأنظار، مانعًا عنهما الرّطوبة. أنصت ليتو إلى خفقان مراوح التهوية التي تضخُّ هواء جسده عبر دورة تجفيف مستمرّة.

احتكّت قدما مُونِيو بأرضيّة الفناء المرصوف بالحجارة وهو يقترب من العربة. كان ضوء الفجر قد بدأ يرسم حدود سطح دار الضّيافة فوق رأس القهرمان بلونٍ بُرتقالي دافئ.

فتح ليتو غِطاء العربة مع توقُّف مُونِيو أمامه. كان الهواء مُشبّعًا بعبق التُّربة المُتخمّرة، وكان تراكُم الرُّطوبة في النّسيم مؤلمًا.

قال مُونِيو: «سنصل إلى تيونو ظُهرًا تقريبًا. كنت أتمنّى لو سمحتَ لي بإحضار ثوبترات لحراسة السّماء».

قال ليتو: «لا حاجة إلى الثوبترات. سنهبط إلى تيونو بمُضادّات الجاذبيّة، وبالحبال».

دُهش ليتو من حيويّة الصُّور الذّهنية التي أثارها هذا الحوار القصير. لم يُحبّ مُونِيو التّرحال يومًا، إذ أورثته أيّام التمرُّد في شبابه شكًّا في كل ما لا يعجز عن رؤيته أو تصنيفه، وظلّ مُنذئذٍ كُتلةً من الأحكام المُضمرة.

قال مُونِيو: «أنت تعرف أنني لم أرغب في الثوبترات للنقل، بل للحراسة...».

- «أعرف يا مُونِيو».

نظر مُونِيو من خلف ليتو إلى الطّرف المفتوح من الفناء المُطلّ على وادي النّهر. كسا ضوء الفجر شبُورة الرّذاذ المُتصاعد من أعماق الوادي بطبقة باهتة كالصّقيع. فكّر مُونِيو في مدى عمق ذلك الوادي... وكيف قد يتلوّى الجسد ويتمعّج إذ هوى عبره. لم يستطع مُونِيو في الليلة الماضية أن يقترب من حافة الوادي ليرنو إلى قعره. كان السُّقوط إلى الهاوية... إغراءً لا يُقاوَم.

وبتلك البصيرة النّافذة التي طالما ملأت مُونِيو بالرّهبة، قال ليتو: «في كلّ إغراءٍ درسٌ وعبرة يا مُونِيو».

مبهوتًا، التفت مُونِيو لينظر إلى عيني ليتو مُباشرةً.

- «هل ترى العِبرة في حياتي يا مُونِيو؟».

نطق مُونِيو همسًا: «مولاي؟».

- «يُغووننى أوّلاً بالشّرّ، ثم بالخير. كل إغواء مُصمّم بعناية لاستغلال نقاط ضعفي. أخبرني يا مُونِيو، إذا اخترتُ طريق الخير، أسيجعلني ذلك خَيِّرًا؟».

- «بالطبع يا مولاي».

قال ليتو: «رُبّما لن تفقد أبدًا عادة الحُكم على الأمور».

أشاح مُونِيو بنظره عنه مُجدّدًا وحدّق إلى حافّة الهاوية. أدار ليتو جسده لينظر إلى حيث ينظر مُونِيو. كانت حافّة الوادي مزروعة بأشجار صنوبر قِزمة، تدلّت من أورقها الرّطبة المُدبّبة كالمحاقن قطرات النّدى.. كلُّ قطرة تعد ليتو بالألم. تمنّى لو أغلق غِطاء العربة، لكن كان في رِقّة تلك اللآلئ الصّغيرة وقِصر عمرها ما جذب ذكرياته، في نفس الوقت الذي كانت تُنفّر فيه جسده، وقد كان في هذا التعارض ما يُهدّد بأن يملأ نفسه باضطرابٍ عظيم.

قال مُونِيو: «أنا فقط لا أُحبُّ التّرحال سيرًا».

قال ليتو: «كان ذلك ديدن الفرمِن».

قال مُونِيو: «سيجهز الآخرون خلال دقائق. رأيت هِوي تتناول فطورها حين خرجت».

لم يزدْ ليتو عليه. كانت أفكاره قد ضلّت طريقها في ذكريات

اللّيل... اللّيل الذي مضى أمس وآلاف اللّيالي الأخرى التي يزدحم بها ماضيه: الغيوم والنجوم، الأمطار والديجور الشّاسع المليء بشظايا لامعة من كونٍ ممزق، كونٍ غاصٌ باللّيالي يفيض إناؤه بها، كما يفيض ليتو بنبضات قلبه.

سأله مُونِيو فجأةً: «أين حارساتك؟».

- «أرسلتهن لتناول فطورهن».

- «لا أُحب أن يتركنّك هكذا بلا حراسة!».

تردّد صوت مُونِيو واضحًا شفّافًا في جنبات ذكريات ليتو، بائحًا بأشياء لم يصُغها في كلمات. كان مُونِيو يخشى الكون إذا لم يكن فيه الإمبراطور الإله.. كان يؤثر الموت على أن يرى مثل هذا الكون.

سأل مُونِيو بحِدّة: «ما الذي سيحدث اليوم؟».

لم يكن سؤالًا موجّهًا إلى الإمبراطور الإله، بل إلى النّبي المتنبّئ به.

قال ليتو: «البذرة التي تحملها الرّياح اليوم قد تُصبح شجرةً صفصافٍ غدًا».

قال مُونِيو وهو على شفا الهِستيريا: «أنت تعلم مستقبلنا! فلِمَ لا تشاركني إيّاه؟»، رافضًا كلّ ما لا تنقله إليه حواسّه المُباشرة.

استدار ليتو وحدّق إلى قهرمانه بنظرةٍ غاصّةٍ بالمشاعر المكبوتة، نظرةٍ جفل مُونِيو منها وتراجع من شِدّتها.

- «تولّ مسؤوليّة وجودك فقط يا مُونِيو!».

أخذ مُونِيو نفسًا عميقًا مرتجفًا، ثم قال: «مولاي، لم أقصد أيّ

إساءة. كل ما سعيت له هو...».

- «انظر إلى الأعلى يا مُونِيو».

أطاع مُونِيو لا إراديًا وحدّق إلى السّماء الصّافية التي يتزايد فيها ضوء الصّباح: «ما الأمر يا مولاي؟».

- «لا سقف فوق رأسك يُطمئنك يا مُونِيو، بل سماء مفتوحة تَعُجُّ بالتغيُّرات. أحسِن استقبالها. كلُّ حاسّةٍ تمتلكها لهي أداة تستجيب للتغيُّر. أما يُعلّمك ذلك شيئًا؟».

- «مولاي، أنا لم آتِ إليك إلّا لأستعلم متى تريد استئناف المسير».

- «مُونِيو، أتوسّلُ إليك أن تكون صادقًا معي».

- «أنا صادق يا مولاي!».

- «إن عشتَ بسوء نيّة، فستبدو لك الأكاذيب صادقةً».

- «مولاي، إن كنت أكذب... فأنا غافلٌ عن ذلك».

- «كلامك يلوح فيه صدى الصّدق، لكنني أعرف ما تخشاه ولن تبوح به».

بدأ مُونِيو يرتجف. كان الإمبراطور الإله في أسوأ حالاته، وكل كلمة من كلامه تحمل تهديدًا رهيبًا.

قل ليتو: «أنت تخشى استعمار الوعي، وأنت مُحق في خوفك هذا. أرسل هِوي إلى هنا فورًا!».

استدار مُونِيو وفرّ عائدًا إلى دار الضّيافة. كان دخوله أشبه

بقلقلة مُستعمرة حشرات. إذ خلال ثوانٍ، خرجت مُحاورات الأسماك وانتشرن حول العربة الملكيّة. أطلّ رجال الحاشية من نوافذ دار الضِّيافة أو خرجوا منه ليقفوا أسفل سقيفتها العريضة يخشون الاقتراب منه. على النّقيض من هذا الاضطراب، خرجت هِوي من المدخل المركزي الواسع تاركةً الظِّلّ خلفها، واتّجهت ببطء نحو ليتو، بذقنٍ مرفوعٍ، وبنظرةٍ تسعى إلى وجهه.

شعر ليتو بالهدوء يتسلّل إلى روحه وهو ينظر إليها. كانت ترتدي ثوبًا ذهبيًا لم يرَه من قبل، مزخرفًا بالفِضّة واليشم عند العُنُق، وعند أساور أكمامه الطويلة. كانت حاشية الثّوب، التي تكاد تلامس الأرض، مشغولة بتطريزٍ أخضر ثقيل ثُبرز أهدابه الحمراء الدّاكنة.

ابتسمت هِوي حين توقّفت أمامه.

ثم قالت بصوتٍ ناعم: «صباح الخير يا حبيبي، ماذا فعلت لتُزعج المسكين مُونِيو هكذا؟».

غمر وجودها وصوتها نفسه بالسّكينة، فابتسم: «فعلت ما أرجو فعله دائمًا. أحدثتُ تأثيرًا».

- «حقًّا فعلت. لقد ذهب ليُخبر مُحاورات الأسماك أنك في مزاجٍ غاضب مُرعب. هل أنت مُرعب يا حبيبي؟».

- «فقط لمن يرفضون العيش معتمدين على قوّاهم الخاصّة».

- «آها، فهمت»، ثم دارت حول نفسها من أجلِه، مستعرضةً ثوبها الجديد: «أيعجبك ثوبي؟ أهدته لي مُحاورات الأسماك. لقد زيّنّه بأنفسهن».

قال وفي صوته نبرةٌ مُحذِّرةٌ: «أفرحة أنت بالزِّينة يا حبيبتي! هكذا تُعدُّ القرابين».

اقتربت هِوي من حافَة العربة، ومالت مُستندةً إليها أسفل وجهه مباشرة، وعلى شفتيها يتلاعب تعبيرٌ ساخر في جدِّيّته: «هل سيضحينَ بي إذًا؟».

- «بعضهن يرغبن في ذلك».

- «لكنك لن تسمح لهن».

قال: «مصيرنا واحد».

- «إذًا لن أخشى شيئًا»، ثم مدّت يدها ولمست إحدى يديه فِضِّيّة القشرة، لكنها سحبتها سريعًا حين بدأت أصابعه ترتجف.

قالت: «اعذرني يا حبيبي. نسيت أن ارتباطنا روحي، لا جسدي».

قال ليتو وجلد يرقات الرِّمال ما زال يرتجف من لمسة هِوي: «رطوبة الهواء تجعلني شديد الحساسية». ثم هدأ ارتجافه تدريجيًا.

همست هِوي: «أرفض أن أشعر بالنّدم على ما لا يمكن أن يكون».

- «كوني قويّة يا هِوي، فروحك لي».

استدارت مع صدور صوت من دار الضِّيافة، وقالت: «مُونِيو عائد. أرجوك يا حبيبي، لا تُخِفه».

- «هل مُونِيو أيضًا صديقك؟».

- «نحن صديقان فيما تُملي البطون. كلانا يُحبُّ الزِّبادي».

ظلّ ليتو يقهقه حتّى أتى مُونِيو ووقف بجوار هِوي. تجرّأ مُونِيو على الابتسام، وألقى نظرةً حائرة على هِوي. كان في سلوك القهرمان امتنانٌ ظاهر، وقد وجّه بعض التّواضع الذي اعتاد إبداءه أمام ليتو إلى هِوي.

قال مُونِيو: «هل أنتِ بخير يا سيّدتي هِوي؟».

- «أنا بخير».

قال ليتو: «في زمن البطون، يجدر رعاية الصّداقات المبنيّة على الطّعام وتنميتها. هيا بنا يا مُونِيو، فتيونو تنتظر».

استدار مُونِيو وأعطى أوامرَه إلى مُحاورات الأسماك والحاشية المُرافقة بالتحرُّك.

ابتسم ليتو لِهوي ابتسامةً عريضةً، وقال: «ألا ألعب دور العريس المتلهّف بأسلوبٍ لا يخلو من أناقة؟».

قفزت هِوي بخفّة إلى داخل العربة، جامعةً تنّورتها في يدٍ واحدة. فَرَدَ لها ليتو مقعدها، لكنها لم تُجبه إلّا بعد أن جلست، وصارت عيناها في مستوى عينيه، وكان ردُّها حينها بصوتٍ خافت لا يسمعه سواه.

- «يا حبيبي الرُّوحي، لقد اقتنصت سِرًّا آخر من أسرارك».

قال مازحًا في هذا الجوّ الجديد من الأُلفة بينهما: «أفرجي شفتيك عنه».

قالت: «نادرًا ما تحتاج إلى الكلمات. أنت تخاطب الحواسّ مباشرةً بجوهر حياتك ذاتها».

سرت رعشة بطول جسده، ومرّت لحظة قبل أن يقوى على النُّطق، وحين فعل نطق بصوتٍ شديد الخفوت جاهدت لسماعه وسط ضجيج الموكب المُتزاحم.

وقال: «بين ما هو فوق البشر وما هو غير بشري، لم يتبقَّ لي إلّا حيّزٌ ضئيلٌ لأكون بشريًا. أشكرك، يا هِوي الرّقيقة الجميلة، على هذا الحيّز الصّغير».

في جميع أرجاء كوني، لم أرَ قانونًا طبيعيًا ثابتًا لا يتغيّر. هذا الكون ليس فيه سوى علاقات متغيّرة، يتوهّم وعينا قصير الأجل أحيانًا أنها قوانين. هذه الحواس الجسديّة التي نسمّيها «ذواتنا» ليست إلّا حالًا زائلةً لا تلبث أن تذوي في وهج اللّا نهائيّة؛ مُجرّد إدراك عابر لظروف مؤقّتة تُقيّد أنشطتنا وتتغيّر بتغيُّرها. إن اضطُررت إلى تسمية المُطلق، فاستعمل اسمه الصّحيح: «مؤقّت».

- المذكّرات المسروقة

كانت نائلة أوّل من لمحت الموكب المُقترب. كانت واقفة تتصبّب عرقًا في حرّ الظّهيرة قرب أحد الأعمدة الصّخريّة التي تُحدّد طرفَي الطريق الملكيّة، حين لفت انتباهها وميضٌ مفاجئٌ من انعكاسٍ بعيد. رنت إلى ذلك الاتّجاه، مُضيّقةً عينيها، فأدركت بدهشةٍ حماسيّة أنها ترى بريق الشّمس على غِطاء عربة الإمبراطور الإله.

صاحت بعلو صوتها: «لقد جاؤوا!».

وعندئذٍ، انتابها الجوع. ففي غَمرة حماستهم وتركيزهم على هدفٍ واحد، لم يجلب أيٌّ منهم طعامًا. وحدهم الفرمِن من جلبوا الماء، وذلك لأن «الفرمِن لا يبرحون الشّييتش دون ماء». إنهم يفعلون ذلك بالسّليقة.

لمست نائلة بإصبعها مقبض بُندقيّة اللّيزر المتدلّية من الغمد على وركها. لم يكن الجِسر يبعد عنها أكثر من عشرين مترًا، وهيكله الرّقيق مُعلّقٌ فوق الهوّة كأنّه خيالٌ غريب يصل بين سطحين مُقفرين.

فكّرت نائلة: *هذا جنون.*

لكن الإمبراطور الإله كان قد شدّد على أوامره لها، وألزمها طاعة سيونا في كُلّ شيء.

كانت أوامر سيونا صريحة، لا تترك مجالًا للمراوغة. ولم تكن نائلة تملك الوسيلة هنا لتسأل إلهها الإمبراطور. لقد أخبرتها سيونا: «ما إن تأتي عربته إلى منتصف الجِسر... افعليها!».

- «ولكن لماذا؟».

وقتها، كانت كلتاهما واقفة على مبعدة من الآخرين في هواء الفجر البارد أعلى الجدار الحاجز، وقد شعرت نائلة بعُزلةٍ غير مأمونة في هذا المكان، وشعرت بأنها نائيةٌ وضعيفة.

لم يكن من الممكن إنكار ملامح سيونا المتجهّمة، وصوتها الخفيض المشحون بالتوتُّر، حين قالت: «أتظُنّين أنك قادرة على إلحاق أذًى بالرّب؟».

قالت نائلة: «أنا...»، لكنها بترت عبارتها، ولم تقوَ إلّا على هزّ كتفيها.

- «طاعتك لي واجبة!».

وافقتها نائلة: «أجل».

راقبت نائلة اقتراب الموكب البعيد، ولاحظت ألوان ملابس رجال الحاشية الزّاهية، والتكتُّلات الزّرقاء السّميكة التي تُميّز أخواتها مُحاورات الأسماك... وسطح عربة مولاها اللّامع.

قرّرت نائلة أن هذا اختبارٌ آخر. والإمبراطور الإله سيعرف.. سيعرف قدر الإخلاص في قلب نائلة. هذا اختبار. عليها طاعة

الإمبراطور الإله في كُلّ ما يأمر به. كان ذلك أوّل درس تعلّمته في نشأتها بين ظهراني مُحاورات الأسماك. لقد أمرها الإمبراطور الإله بطاعة سيونا. وهذا اختبار. فماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟

نظرت نائلة نحو الفرمِن الأربعة. كان دانكن آيداهو قد وَضَعهم في منتصف الطريق ليسدّوا جزءًا من طرف الجِسر القريب. كانوا يجلسون معطين ظهورهم لها ويرنون إلى ما وراء الجِسر، كأنهم أربع أكوام متدثّرةٍ بأردية بُنّيّة. كانت نائلة قد سمعت الأوامر التي أعطاها آيداهو لهم.

- «لا تبرحوا هذا المكان. رَحِّبوا به من هذا المكان، وانهضوا حين يقترب منكم، وانحنوا أمامه بشِدّة».

*رحِّبوا به، هذا كل ما في الأمر.*

أومأت نائلة مُطمئنةً نفسها.

كانت مُحاورات الأسماك الثلاث الأخريات اللواتي تسلّقن الجدارَ معها قد أُرسلن إلى منتصف الجسر، لا يعرفن إلّا ما أمرتهن به سيونا في حضور نائلة. عليهنّ الانتظار حتّى تصبح العربة الملكيّة على بُعد خطوات قليلة منهنّ، عندها عليهن أن يستدرن ويرقصن مُبتعدات عن العربة، ويقدنها مع الموكب إلى المشهد المُطل على قرية تيونو كما يُرى من تلك القِمّة الشّاهقة.

فكّرت نائلة: *إذا أصبت الجِسر ببندقيّتي اللّيزريّة، فستموت ثلاثتهن، كما سيحدث لجميع من أتى مع الإله ليتو.*

مدّت نائلة عُنُقها لتنظر إلى الأسفل نحو الوادي. لم تستطع رؤية

النّهر من هنا، لكن كان بإمكانها سماع هديره البعيد الصّاخب بين الصُّخور.

سيموتون جميعًا!

*ما لم يأتِ الرّب بمُعجزة.*

لا بُدّ أن هذا هو التّفسير. لقد أعدّت سيونا المسرح لمُعجزةٍ إلهيّة مقدّسة. فما الذي يمكن أن تنويه غير ذلك؟ خصوصًا الآن، بعد أن اجتازت الاختبار، بعد أن ارتدت زيّ قيادة مُحاورات الأسماك. لقد أقسمت يمين الولاء للإمبراطور الإله. لقد اختبرها الرّب بنفسه، حين كانا وحدهما في السّرير.

أدارت نائلة عينيها إلى اليمين، تتفحّص التّخطيط لهذا الاستقبال. كانت سيونا وآيداهو يقفان كتفًا لكتف في حرم الطّريق على بُعد عشرين مترًا تقريبًا إلى يمينها، وكانا مستغرقين في الحديث، وينظر أحدهما إلى الآخر كثيرًا، ويهزّان رأسيهما.

الآن، لمس آيداهو ذراع سيونا في لَفتةٍ غريبة تنمُّ عن التملُّك، ثم أومأ برأسه وأسرع الخُطى نحو الجِسر ليتوقّف عند زاوية الدّعامة المقابلة لنائلة مباشرةً. ألقى نظرة إلى الأسفل، ثم عبر إلى زاوية الجِسر الأخرى، وكرّر النّظر إلى الأسفل، ثم وقف هناك بضع دقائق قبل أن يعود إلى سيونا.

يا له من مخلوق غريب، هذا الغول! هكذا فكّرت. بعد ذلك التسلُّق الهائل، لم تعد نائلة تراه بشريًا. لقد غدا شيئًا آخر، قوّةً خلّاقةً تقابل الرّبّ.. لكنه قادرٌ على التناشل.

استرعى انتباهَ نائلةِ هتافٌ بعيد. استدارت ونظرت عبر الجِسر. كان الموكب يتقدّم بالهرولة المألوفة التي تُميّز المسير الملكي، لكنه أبطأ من إيقاعه حتّى غدا سيره هادئًا متأنّيًا حين لم يعد يفصله عن الجِسر سوى دقائق معدودة. ميّزت نائلة مُونِيو في المُقدّمة، في زيّه ناصع البياض، وبخطواته الثّابتة المنتظمة التي لا تحيد، ونظره المشدود إلى الأمام. أما عربة الإمبراطور الإله، فقد أُحكِم غطاؤها وتلألأ كأنه مرآة معتمة وهي تتقدّم خلف مُونِيو على عجلاتها.

غمر نائلة ما يَلف المشهد من غموض. ثقة مُعجزة على وشك الحدوث!

ألقت نائلة نظرة سريعة إلى اليمين نحو سيونا. بادلتها سيونا النّظرة وأومأت برأسها مرّة واحدة. سحبت نائلة بُندقيّة اللّيزر من غمدها، وأسندتها إلى العمود الصّخري مستخدمةً إيّاه ركيزةً للتصويب. الكابل الأيسر أوّلًا، ثم الأيمن، ثم تعريشة البولاذ الرّقيقة إلى اليسار. شعرت نائلة ببُندقيّة اللّيزر باردةً وغريبةً في يدها، فأخذت نفسًا مرتعشًا لاستعادة هدوئها.

*يجب أن أنصاع. هذا اختبار.*

رأت مُونِيو يرفع بصره عن الطّريق، ومن دون أن يُغيّر وتيرة خطاه، التفت ليصيح بشيءٍ ما إلى العربة أو من خلفها. لم تتبيّن نائلة الكلمات. عاد مُونِيو يواجه حرم الطّريق. ثبّتت نائلة نفسها حتّى صارت جزءًا من العمود الصّخري الذي يخفي معظم جسدها.

*اختبار.*

لاحظ مُونِيو الواقفات على الجِسر، والأخريات عند طرفه البعيد، وتَعرّف فيهن على زيّ مُحاورات الأسماك، وكان أوّل ما خطر بباله هو التساؤل عمّن أمر بإرسال هؤلاء المُستقبلين. التفت وصاح بسؤالٍ إلى ليتو، لكن غِطاء عربة الإمبراطور الإله ظلّ مُعتِمًا، مُخفيًا هِوي وليتو خلفه.

خطا مُونِيو على الجِسر، وتبعته العربة ساحقةً تحت عجلاتها طبقة الرّمال التي فرشتها الرّيح، قبل أن يلاحظ سيونا وآيداهو الواقفين على مسافة بعيدة من الطّرف الآخر. كما لاحظ كذلك أربعة فرمِن أثريّين جالسين على الطريق. بدأت الشكوك تتسلّل إلى ذهنه، لكنه لم يجرؤ على تغيير المسيرة. غامر بإلقاء نظرةٍ على النّهر في الأسفل، فرأى العالم الفِضّي الأبيض المتلألئ يموج في ضوء الظهيرة. كان صوت العربة عاليًا خلفه. جريان النهر، ومسيرة الموكب، وتلك الأمور الجِسَام التي يلعب دورًا فيها.. سيطر كل ذلك على عقله، وأصابه بدوارٍ جارف يُغلّفه شعورٌ بالمحتوم.

فكّر مُونِيو: *نحن لسنا مُجرّد عابرين في هذه الطّريق، بل نحن عناصر أوليّة، تربط بين شطرٍ من الزّمن وآخر. وحين نعبر، سيسقط كلُّ ما خلفنا إلى «اللا صوت»، إلى مكان يشبه «اللا غُرفة» التي اخترعها الإيكسيُون، لكنه لن يعود أبدًا كما كان قبل مجيئنا.*

ترددّت في ذاكرة مونيو مقطوعة من إحدى أُغنيات عازف البيوا، فشرد بصره وهو يسترجع الذّكرى. كان يعرف تلك الأُغنية بما تحمله من تمنٍّ؛ تمنٍّ بأن ينتهي كلُّ الحاضر، وكلُّ ما مضى، تمنٍّ بأن تتبدّد الشُكوك، وتعود السّكينة. انسابت الأُغنية الحزينة في وعيه كالدُخان،

تتراقص في أعماقه وتأسِره:

«صرير الحشرات في جذور أعشاب الپامپا»

دندن مُونِيو الأغنية لنفسه:

صرير الحشرات يؤذِن بالنّهاية

وأُغنيتي والخريف،

بلون آخر الأوراق الباقية

في جذور أعشاب الپامپا

ثم راح يُحرّك رأسه مع إيقاع اللّازمة:

مضى النهار

وغادر الزُّوّار..

مضى النهار

في سييتشنا..

مضى النهار

ورياح العاصفة تعوي..

مضى النهار

وغادر الزُّوّار

شعر مُونِيو بأن أغنية عازف البيوا لا بُدّ أن تكون قديمة جدًّا. أغنية فرمِنيّة عتيقة، لا شك في ذلك، وقد كشفت له شيئًا عن

نفسه. تمنّى مُونِيو لو غادر الزُّوّار حقًّا، وانتهى كل هذا الحماس، وعادت السّكينة. كانت السّكينة قريبةً جدًّا... ومع ذلك، لم يكن يستطيع التّخلّي عن واجباته. فكّر مُونِيو في متاعِ السّفر المتراكم على الرّمال خارج نطاق الرُّؤية من تيونو. قريبًا سيرون كل شيء: الخيام، والطّعام، والطّاولات، والأطباق الذّهبيّة، والسّكاكين المُرصّعة بالجواهر، وكُرات الإنارة المزخرفة بالأرابيسك كالمصابيح العتيقة... كل ما هو غني ومرغوب فيه من حيواتٍ مختلفة تمامًا.

*لن يعودوا كما كانوا في تيونو.*

سبق لمُونِيو أن قضى ليلتين في تيونو خلال جولة تفتيشيّة. كان لا يزال يذكر روائح نيران الطّهو؛ تلك الشجيرات العطريّة التي تُشعل وتتّقد في الظلام. كانوا يرفضون استخدام المواقد الشّمسية لأنها «ليست الطّريقة الأقدم».

*الطّريقة الأقدم.*

كانت رائحة المِزّاج خفيفة في تيونو، إذ غلبت عليها روائحُ حُلوة لاذعة، وعبقُ زيوتٍ مسكيّةٍ مستخرجةٍ من شجيرات الواحات. وبالطبع روائح خُفر الصّرف الصّحي والقُمامة المتعفّنة. تذكّر مُونِيو تعليقَ الإمبراطور الإله حين انتهى من إعداد تقريره عن تلك الجولة.

«أولئك من يسمُّون أنفسهم فرمِنًا لا يُدرِكون أهمّيّة ما فُقِد من حيواتهم. يظنّون أنهم يُحافِظون على جوهر الطّرائق القديمة، وهذا ما تفشل فيه كُلُّ المتاحف. شيءٌ ما يخبو في الآثار، ويَجِفُّ من المعروضات ذاهبًا بلا رجعة. قِلّة من القائمين على المتاحف، وقِلّة من الزُّوّار المُنحنين فوق الصّناديق الزُّجاجيّة لتأمُّل ما تحويه، هم

من يشعرون بغياب ذلك الشّيء الذي كان المُحرّك وقلب الحياة النّابض في الأزمنة الغابرة. وحين تنتهي تلك الحياة، يضيع معها ذلك الجوهر إلى الأبد».

ركّز مُونِيو على مُحاورات الأسماك الثّلاث الواقفات على الجِسر أمامه مباشرة، إذ رفعن أذرعهن عاليًا وبدأن يرقصن ويدُرن مبتعدات عنه خطوات قليلة.

فكّر: *يا للغرابة! لقد رأيتُ أُخريات يرقصن في العراء، لكنني لم أرَ مُحاورات الأسماك يفعلن ذلك قط، فهُن يرقصن في خصوصية غرفهن فحسب، وفي حميميّة صُحبتهن.*

كان ذلك الخاطر لا يزال في ذهنه حين سمع أوّل أزيز شعاع ليزر بغيض، وشعر بالجِسر تحت قدميه يهتزّ.

أخبره عقله في ذهول: *هذا لا يحدث.*

سمع مُونِيو العربة الملكيّة تحتكّ بالأرض وهي تميل على سطح الجِسر، ثم فرقعة الغِطاء وهو يُصفّق مفتوحًا. تعالى جنونُ الصُّراخ والعويل من خلفه، لكنه لم يستطع أن يلتفت. كان سطح الجِسر قد مال بشِدّة إلى الجهة اليُمنى، فأطاح به على وجهه وراح ينزلق على السّطح في اتّجاه الهاوية. تشبّث مُونِيو بحبلٍ مقطوعٍ ليوقف انزلاقه، لكن الحبل انسحب معه، وراح كلُّ شيءٍ يَحتكّ بطبقة الرّمال المتساقطة التي كانت تُغطّي سطح الجِسر. تشبّث مُونِيو بالحبل بكلتا يديه، ودار معه، وعندها رأى العربة الملكيّة. كانت قد انحرفت جانبًا نحو حافّة الجِسر وغطاؤها مفتوح. رأى هِوي واقفة هناك، تتشبّث بيدٍ واحدة بالمقعد القابل للطّيّ لتثبّت نفسها، وعيناها

شاخصتان إلى ما خلف مُونِيو.

امتلأ الهواءُ بصرير التواء المعدن المروَّع، وأخذ سطح الجسر ينحدر أكثر فأكثر. رأى أناسًا من الموكب يهوون، بأفواهٍ فاغرة وأذرعٍ تتخبّط في الهواء. كان شيءٌ ما قد علق بالحبل الذي يتدلّى به مُونِيو، وكانت ذراعاه ممدودتين فوق رأسه وهو يدور مرّةً أخرى ملتويًا. شعر بيديه -وقد بلّلهما عرقُ الخوف- تنزلِقان على طول الحبل.

دارت نظرته مرّة أخرى نحو العربة الملكيّة، فإذا بها عالقة عند بقايا عوارض مُحطّمة. وبينما كان مُونِيو يُحدّق، رأى يدي الإمبراطور الإله الهزيلتين تمتدّان في عجزٍ نحو هِوي نورِي، لكنهما لم تَبلُغاها. سقطت هِوي من طرف العربة المفتوح في صمت، وارتفع ثوبها الذهبيُّ مع الهواء كاشفًا عن جسدٍ مشدودٍ كالرُّمح في سقوطه.

خرج من جوف الإمبراطور الإله أنينٌ عميقٌ مُزلزل.

تساءل مُونِيو مذهولًا: *لِمَ لا يُفعَّل مضادّات الجاذبيّة؟ لسوف تدعم وزنه ووزن العربة إن فعّلها.*

لكن أزيز بندقيّة الليزر كان لا يزال يئنُّ في الهواء، وحين انزلقت يدا مُونِيو عن طرف الحبل المقطوع، رأى لهيبًا خاطفًا يخترق فُقّاعات مضادّات الجاذبيّة في العربة، واحدةً تلو الأخرى، مُفجِّرًا كلًّا منها في سحابةٍ من الدُّخان الذّهبيّ. مدّ مُونِيو يديه إلى الأعلى وهو يهوي.

الدُّخان! الدُّخان الذّهبيّ!

خفق رداء مُونِيو إلى الأعلى، ودار به حتى انقلب وجهه نحو الهاوية. ومع اتّجاه عينيه نحو الأعماق، رأى اضطراب الماء في تلاطمه العنيف بالصخور، وبدا أشبه بمرآةٍ لحياته: تيّاراتٌ رعناء، وانحداراتٌ عميقة، كلُّ حركةٍ فيها تكتسح ما حولها من مواد طافية. دارت كلمات لِيتو في ذهنه مع خيوط الدخان الذّهبيّ: «*الحذر يقود إلى الوسطية، وتلك الوسطية الخالية من الشّغف هي أقصى ما يظنُّ معظم الناس أنهم قادرون على تحقيقه*». بعدها سقط مُونِيو بحريةٍ في نشوةٍ من الوعي. انفتح الكون أمامه كأنه يراه عبر زجاجٍ شفاف، حيث كلُّ شيءٍ يتدفّق في «اللّا زمن».

*الدُّخان الذّهبيّ!*

صرخ مُونِيو: «ليتوا سِيانوق! أنا أومن».

تمزّق الرّداء عن كتفيه في تلك اللحظة، فدار في الهواء تعبث به رياح الوادي، ولمح لمحةً أخيرة لعربة الإمبراطور الملكيّة وهي تميل... تميل ساقطةً من سطح الجِسر المُحطّم، ثم سرعان ما انزلق الإمبراطور الإله من طرفها المفتوح.

اصطدم جسمٌ صلب بظهر مُونِيو.. وكان ذلك آخر ما شعر به.

أحسّ ليتو بجسده ينزلق خارج العربة. لم يكن في وعيه سوى صورة هِوي وهي ترتطم بالنّهر في تلك النّافورة اللُّؤلؤيّة البعيدة التي وسمت سقوطها في أساطير النّهاية وأحلامها. تردّدت كلماتها الأخيرة، الهادئة الثّابتة، في كُلِّ ركنٍ من أركان ذكرياته: «سأمضي قبلك يا حبيبي».

وبينما كان ينزلق خارج العربة، لمحت عينا ليتو قوس النّهر المنحني، كأنما هو شفرة سيف معقوفة؛ نصلٌ فضيٌ الحافات يتلألأ بين الظّلال المرقّطة، كأن النهر لم يتوقف عن شحذ نصله الرذيل منذ الأزل، منتظرًا اللحظة ليتلقّفه في عذابه.

فكّر ليتو: *لا أستطيع البكاء، ولا حتّى الصُّراخ. الدُّموع لم تعد ممكنة، فالدُّموع ماء... وسأجد من الماء ما يكفيني بعد لحظات. لا أملك الآن سوى أن أئنّ من الحزن. كم أنا وحيدا وحيد أكثر من أي وقت مضى.*

تلوّى جسده الهائل ذو الفصوص وهو يهوي، فقلّب وجهه في الهواء حتّى كشف له بصره الحاد سيونا الواقفة عند حافّة الجِسر المُحطّمة.

فكّر ليتو: *الآن ستتعلّمين الدّرس!*

استمرّ جسد ليتو الهائل في التلوّي، وهو يراقب النّهر يقترب. بدا له الماء خُلقًا، خُلقًا تتراءى له فيه لمحات خاطفة لأسماك أحيَت في داخله ذكرى قديمة لمأدبة كانت تُقدّم بجوار بركة من الجرانيت؛ المأدُبة فيها لحمٌ ورديٌ لامع يُثير شهيّته.

سأنضم إليك يا هِوي، في مأدُبة الآلهة.

فجأةً، غاص وسط فُقّاعات تفجّرت من حوله، وغُمِرَ بألمٍ لا يُطاق. راح الماء، بتيّاراته الهوجاء، يضربه من كلّ صوب. شعر بالصُّخور تقرض جسده وهو يكافح ليطفو وسط الشلّال الجارف، فمضى يتلوّى في نوبة عارمة من التشنُّجات اللّا إراديّة. تسارع جدار الوادي

الأسود الفبتل أمام ناظريه المذعورين. انفصلت شظايا ممّا كان يومًا جلده، وتناثرت حوله كمطرٍ فِضّي: رقائق هشّة كأنها ترتر تنتفض في حلقة من الحركة المسعورة. كانت هذه حراشف يرقات الرّمال اللّامعة التي تغادره لتبدأ حيواتها الاستعماريّة الخاصّة.

واستمرّ العذاب. تعجّب ليتو من أنّه لا يزال واعيًا.. من أنّ له جسدًا بعد يستطيع أن يشعر.

مدفوعًا بالغريزة، تشبّث بصخرةٍ حيث لفظهُ التيّار، وشعر بإصبعٍ تُنتزع من يده قبل أن يتمكّن من إفلات قبضته، غير أن هذا لم يكن سوى نغمةٍ خافتةٍ في معزوفة العذاب.

انحنى مجرى النّهر يسارًا حول نتوءٍ صخري في جوف الوادي، كأنما ليقول إنه قد طفح كيله به، أرسله النّهر يتدحرج على حافّة رمليّة منحدرة. استلقى ليتو هناك للحظة، تنزف من جسده صِبغة خلاصة الاسپايس الزّرقاء منجرفةً مع التيّار. نخزه الألم بوحشيّة، فأجبر جسده الدّودي على الزّحف بعيدًا عن حافّة الماء. اختفت عنه آخر يرقات الرّمال، فصار يشعر بكلّ لمسةٍ شعورًا مباشرًا، كأن حاسّةً ضائعةً قد عادت إليه، لكن كلّ ما عادت به كان الألم. لم يستطع رؤية جسده، لكنه أحسّ بتلك الكتلة التي كانت ستصير دودة يومًا ما، تزحف وتتلوّى خارجةً من الماء. رفع عينيه فرأى العالم عبر ستائر من لهبٍ، تندمج فيها الأشكال من تلقاء ذاتها. وأخيرًا، أدرك أين هو. لقد جرفه النّهر إلى المنعطف الذي يغادر منه صحراء السّرير إلى الأبد. خلفه ترقد قرية تيونو، وعلى بُعد مسافة قليلة، مع امتداد الجدار الحاجز، يقع كلُّ ما تبقّى من سييتش تابر، مملكة ستيلجار،

المكان الذي أخفى فيه ليتو كُلّ مخزونه من الاسپايس.

تلوّى جسده المُعذَّب وهو يشقُّ طريقه بجلبة عالية فوق رُقعة حصويّة من الشّاطئ، يجُرُّ خلفه نزيفه الأزرق عبر جلاميدَ مُحطّمة، حتّى بلغ فجوةً رطبةً لعلّها كانت يومًا جزءًا من السييتش القديم، لكنها غدت الآن كهفًا ضَحلًا مدخله مسدودٌ بانهيارٍ صخري. كانت رائحة التُّربة المُبتلّة تملأ المكان، ممزوجة بعبق خلاصة الاسپايس.

تسلّلت أصواتٌ غريبة إلى خلوة عذابه. التفت ليتو في ضيق الكهف فرأى حبلًا يتدلّى، ما لبث أن انزلقت عليه هيئةٌ بشريّة عرف في الحال أنها نائلة. هبطت المرأة فوق الصُّخور وقرفصت هناك، تحدّق إليه من وراء الظّلال. انفرج اللّهب الكاوي الذي تتكوّن منه رؤيته عن هيئةٍ بشريّة أُخرى تهبط على الحبل: سيونا. زحفت المرأتان نحوه وسط خشخشة الحصى، إلى أن توقّفتا قبالته تحدّقان إليه بصمتٍ ثقيل. بعدها تدلّت هيئة ثالثة من الحبل: كان هذا آيداهو، الذي تقدّم بغضبٍ عارف، وألقى بنفسه على نائلة صارخًا:

- «لماذا قتلتِها! لم يكن من المُفترض أن تقتلي هِوي!».

طرحته نائلة أرضًا بحركةٍ عابرة من ذراعها اليُسرى، كأنها تدفع غبارًا عن ثوبها، ثم تقدّمت زحفًا فوق الصُّخور، وجثمت على أربع ترمق ليتو بنظرةٍ ثابتة.

- «مولاي؟ هل أنت حيٌّ؟».

كان آيداهو خلفها مباشرة، ينتزع بُندقيّة اللّيزر من الغمد المُعلّق

في خاصرتها. استدارت نائلة مذهولة، لكنه كان قد صوّب السّلاح وضغط الزّناد. بدأ الاحتراق من قِمّة رأسها. شطرها اللّيزر نصفين، فانفرط جسدها وتهاوى. تدحرجت سكّينٌ عاجيّة لامعة من زيّها المحترق وارتطمت بالصّخور فتهشّمت. لكن آيداهو لم يرها، إذ ظلّ -بوجهٍ يعلوه عبوسٌ غاضب- يُمطر بقايا نائلة بأشعة اللّيزر الحارقة، يُمطر ويُمطر حتّى خمد السّلاح في يده وقد نضب شحنه. اختفى القوس المتوهّج، ولم يبقَ سوى نسائل لحمٍ مُبلّل، وذخان، وثيابٍ محترقة مُمزّقة بين الصّخور المتوهّجة.

كانت تلك اللّحظة التي تنتظرها سيونا. زحفت بسرعة نحوه وانتزعت بُندقيّة اللّيزر الفارغة من يدي آيداهو. استدار الغول نحوها بعنف، فتهيّأت لقهره إن لزم الأمر، لكن الغضب كان قد تلاشى من ملامحه.

همس: «لماذا؟».

قالت: «قُضي الأمر».

استدار كلاهما ونظرا عبر ظلال الكهف إلى ليتو.

لم يكن في وسع ليتو ولو حتّى تخيُّل ما الذي يراه الاثنان أمامهما الآن. كان يعلم أن قشرة يرقات الرّمال قد زالت عنه، ولا شك أن ما تبقّى تحتها قد صار منخورًا من ثقوب الأهداب التي كانت تغطّيه. أمّا هو، أو ما تبقّى منه، فلم يكن يملك إلّا أن يُراقب هاتين الهيئتين الرّابضتين أمامه بعينين ذابلتين، كأنما ينظر إليهما من وراء عالمٍ مُثقلٍ بالأسى. وعبر ألسنة اللّهب التي تغشي بصره، رأى سيونا على هيئة شيطانة، وقد جاء اسم الشّيطانة إلى وعيه الجمعي من تلقاء

نفسه دون استدعاء، فنطق به بصوتٍ جهير ردّده الكهف، وجعله رجع الصّدى أعلى ممّا توقّع:

- «هانميا».

- «ماذا؟»، قالتها سيونا واقتربت منه خطوة.

وضع آيداهو كلتا يديه على وجهه.

قال ليتو: «انظري ماذا فعلتِ بالمسكين دانكن».

قالت: «سيجد حُبًّا آخر». كم بدت قاسية وهي تقول ذلك، كأنها صدّى لغضبه في شبابه.

قال: «أنتِ لا تعرفين ما الحبُّ، فماذا أعطيتِ يومًا؟»، ولم يجد بُدًّا من أن يهزّ يديه -هاتين الصورتين الممسوختين لما كانتا يديه يومًا- ثم صرخ: «أيّتُها الآلهة السُفليّة! ماذا أعطيتُ أنا؟!»

اقتربت سيونا منه، ومدّت يدها نحوه، ثم تراجعت.

- «أنا الواقع يا سيونا. انظري إليّ. أنا موجود. بإمكانك لمسي إن جرؤتِ. مدّي يدكِ. افعليها!».

ببطء، مدّت سيونا يدها نحو ما كان يُمثّل فضّه الأمامي، المكان الذي احتضن نومها في صحراء السّرير. اصطبغت يدها باللّون الأزرق حين سحبتها.

قال: «لقد لمستِني وشعرتِ بكامل جسدي. أليس هذا أغرب من أيّ شيءٍ آخر في هذا الكون؟».

بدأت تستدير مبتعدةً عنه.

فقال: «كلّا! لا تشيحي بوجهِكِ عني! انظري إلى ما جنته يداك يا سيونا! كيف تستطيعين لمسي ولا تستطيعين لمس نفسك؟»

استدارت بعُنف مبتعدةً عنه.

قال: «هنا يكمن الفارق بيننا، أنتِ الإله مُجسّدًا. تسيرين في هذا الكون بأعظم مُعجزة فيه، ومع ذلك ترفضين لمسها، أو رؤيتها، أو الشُعور بها، أو الإيمان بها».

قالها ليتو ثم شرد وعيه في حيّزٍ يكتنفه الظّلام، مكانٍ خُيّل إليه فيه أنه يسمع أنشودة حشراتٍ معدنيّة؛ أصوات طابعاته المُخبّأة التي تُطقطق دون كلل في غرفتِها المُعتمة. كانت الغُرفة مكانًا خاليًا تمامًا من الإشعاع، «لا شيء»، حجابًا إيكسيًا مستورًا، ما جعله حيّزًا يبعث على القلق والاغتراب الروحي، لأنه لا يَمُتُّ بصلة إلى بقيّة هذا الكون.

لكن سوف تكون لها صِلة.

شعر بعدها أن طابعاته الإيكسيّة قد بدأت عملها، وبدأت تُسجّل أفكاره من تلقاء نفسها، دون أمرٍ منه.

*تذكّروا ما فعلت! تذكّروني! سأعود بريئًا من جديد!*

انفرج لهب الرُؤية الذي يَلِفُّ بصره، فكشف له آيداهو واقفًا حيث كانت سيونا قبل لحظة. لمح حركة شبحيّة في مكانٍ ما غير واضحٍ خلف آيداهو... آه، أجل: سيونا تُلوّح بتعليماتٍ لشخصٍ ما يقف فوق الجدار الحاجز.

سأله آيداهو: «أما زلت حيًّا؟».

خرج صوت ليتو لاهثًا متقطّعًا: «دعهم يتشتّتوا يا دانكن، دعهم يهربوا ويختبئوا حيثما شاؤوا في أيّ عالمٍ يختارون».

- «تبًّا لك! ما الذي تقوله؟ كنتُ لأُفضّل أن أدعها تعيش معك!».

- «تدع؟ أنا لم *أدع* شيئًا يحدث!».

تأوّه آيداهو: «لماذا تركت هِوي تموت؟ لم نكن نعلم أنها معك في العربة».

ثم انحنى رأسه إلى الأسفل.

قال ليتو بصوتٍ مبحوح: «سنعوّض يا دانكن. مُحاورات الأسماك سيفضّلنك على سيونا. كُن طيّبًا معها يا دانكن... فهي أكثر من مُجرّد آتريديزيّة، وتحمل في خلاياها بذرة نجاتك».

عاد ليتو يغوص في ذكرياته، التي غدت الآن أساطير هشّة، لا يقتنصها وعيه إلا للحظات عابرة. أحسّ بأنه ربّما سقط في زمنٍ وجوده في حدّ ذاته كفيلٌ بتغيير الماضي. سمع أصواتًا... وحاول جاهدًا تبيّنها. *أحدهم يتسلّق الصخور؟* ثم انفرجت ألسنة اللّهب لتكشف له عن سيونا الواقفة بجوار آيداهو. كانا متشابكي الأيدي كطفلين يُطمئن أحدهما الآخر قبل أن يخطوا إلى عالمٍ مجهول.

همست سيونا: «كيف له أن يعيش هكذا؟».

انتظر ليتو حتّى وجد في نفسه قوّة للرّدّ، ثم قال: «هِوي تُعينني. كان بيننا شيءٌ نادر، شيءٌ لا يختبره كثيرون. لقد جمعتنا مواطن

قوّتنا، لا نقاط ضعفنا».

سخرت سيونا قائلة: «وانظر ماذا جنيت من ذلك!».

قال بصوتٍ مبحوح: «خير ما جنيت، ادعي أن تنالي مثل ما كان بيننا... لعلّ الاسپايس يمنحكِ الوقت».

سألته بحِدّة: «أين مخزونك من الاسپايس؟».

قال: «في أعماق سييتش تابر. دانكن سيعثر عليه. أنت تعرف المكان يا دانكن. يدعونه تابور الآن. لا تزال معالمه موجودة».

همس آيداهو: «لماذا فعلت ما فعلت؟».

قال ليتو: «إنها هديّتي للبشريّة. لا أحد سيتمكّن من العثور على أحفاد سيونا. العرّافة تعجز عن رؤيتها».

قالا في نفسٍ واحد: «ماذا؟»، ثم انحنيا ليُنصتا إلى صوته الآخذ في التلاشي.

قال: «سأمنحكم زمنًا جديدًا لا نظير له. سيكون دائم التفرُّع، ولن تُوجد في منحنياته أيُّ نقاطٍ متزامنة. سأمنحكم الصّراط الذّهبي. هذه هي هديّتي للبشريّة. من الآن فصاعدًا، لن يُوجد تزامُن مثلما كان في السّابق».

عادت النيران تغشى بصره. كان الألم يتلاشى، لكنه لا يزال يشمُّ الرّوائح ويسمع الأصوات بحِدّة مروِّعة. كان آيداهو وسيونا يتنفسان أنفاسًا سريعةً متلاحقة. بدأت أحاسيس حركية غريبة تتسلّل إلى ليتو؛ أصداء عظام ومفاصل يعلم أنه لم يعد يمتلكها.

قالت سيونا: «انظرا».

- «إنه يتفسّخ». كان ذلك آيداهو.

سيونا: «كلّا، الطبقة الخارجيّة تسقط. انظرا الدُّودة!».

شعر ليتو بأجزاء من جسده تستقر في نعومةٍ دافئةٍ، وانقشع العذاب.

سيونا: «ما تلك الثُّقوب في جسده؟».

- «أظن أنها كانت يرقات الرِّمال. أترين الأشكال؟».

قال ليتو (أو هذا ما ظن أنه قال، وهو الشَّيء نفسه من منظور مُذكّراته): «أنا هنا لأثبت خطأ أحد أسلافي. لقد وُلدتُ إنسانًا، لكنني لن أموت إنسانًا».

قالت سيونا: «لا أستطيع النّظر!».

سمع ليتو صوتها وهي تستدير مُبتعدةً، والحصى يُخشخش تحت قدميها.

- «دانكن، أما زلت هنا؟».

- «نعم».

*ما زال صوتي مسموعًا إذًا.*

قال ليتو: «انظر إليّ. لقد كنتُ مُضغة في رحمٍ بشري، لا يزيد حجمي على حبّة الكرز. أقول لك انظر إليّ!».

قال آيداهو بصوتٍ خافت: «إني أنظر».

قال ليتو: «لقد توقّعت عملاقًا، فإذا بك تجد قزمًا. الآن بدأت تُدرك حجم المسؤوليّات التي تجلبها الأفعال. ماذا ستفعل بقدرتك الجديدة يا دانكن؟».

ساد صمتٌ طويل، ثم جاء صوت سيونا: «لا تُنصت إليه! لقد كان مجنونًا!».

قال ليتو: «بالتأكيد، وحين يكون الجنون جنون المنهج، فتلك عبقريّة».

سأل آيداهو: «سيونا، أتفهمين ما يقول؟». يا له من صوتٍ مكروب، صوت هذا الغول!

قال ليتو: «قطعًا تفهم. من الطّبيعي أن تُواجه روحك أزمةً لم تتوقعها. هذه هي الحال دائمًا مع البشر. لقد فهم مُونِيو الأمر أخيرًا».

قالت سيونا: «أتمنّى أن يُنجز ويموت!».

قال ليتو: «أنا الإله المُجزّأ وأنت من ستجعلني كاملًا. دانكن؟ من بين جميع الدّناكنة الذين حظيت بهم، أنت أكثر من رضيت عنهم».

عاد شيءٌ من الغضب إلى صوت آيداهو وهو يقول: «رضيت؟».

قال ليتو: «في رِضَاي عنك سحرٌ، وفي الكون السحري، كل شيءٍ ممكن. لقد خضعت حياتك لقدريّة نبوءة العرّافة، لا لمشيئتي أنا. الآن، بعد أن رأيتَ النّزواتَ الغامضة، تطلب مني تبديد السّحر؟ ما أردتُ إلّا أن أزيده».

بدأت الذّوات الكامنة في ليتو تُعيد فرض وجودها. ومع غياب

تضامن المُستعمرة اليرقيّة التي طالما دعمت هويّته، بدأت مكانته بينها تتآكل. راحوا يتكلّمون مُستخدمين «لو» الامتناعيّة: «لو أنك فقط... لو كنّا فقط...»، وأراد ليتو أن يصرخ فيهم ليُسكتهم.

- «الحمقى وحدهم من يُفضّلون الماضي!».

لم يكن ليتو يعلم إن كان يصرخ بصوتٍ مسموع أم أن ما يحدث مُجرّد صياحٍ في ذهنه. كان الرّدُّ صمتًا داخليًا عابرًا، قابله صمتٌ خارجي، وشعر ليتو أن بعض خيوط هويّته القديمة لا تزال سليمة. حاول أن يتكلّم، وأدرك أنه يتكلّم فعلًا لأن آيداهو قال: «اسمعي، إنه يحاول أن يقول شيئًا ما».

قال ليتو وسمع صوته لا يعدو الهمس الخافت: «لا تخشوا الإيكسيّين. بإمكانهم صنع الآلات، لكنهم لم يعودوا قادرين على صنع الأرَافِل. أعرف ذلك، فقد كنت هناك».

صمت ليتو، محاولًا جمع قواه، لكنه شعر بالطّاقة تتفلّت منه. عاد الهرج والمرج يعلو في داخله، وراحت الأصوات تناشد وتصرخ.

صاح فيهم قائلًا: «كُفّوا عن تلك الحماقة!»، أو ظنّ أنه صاح.

لم يسمع آيداهو وسيونا سوى هسيسٍ لاهث.

في النّهاية قالت سيونا: «أظن أنه مات».

قال آيداهو: «وقد ظنّ الجميع أنه خالد».

سألته سيونا: «أتعرف ماذا يقول التّاريخ الشّفهي؟ ‹إن أردت الخلود، فتخلّ عن الصّورة، فكُلُّ ما له صورة إلى زوال. أمّا ما تنزّه

عن الصورة فهو اللّا محدود، هو الباقي الخالد».

اتّهمها آيداهو: «هذا يُشبه كلامه».

أجابت سيونا: «أظن أنه كذلك».

سألها آيداهو: «ماذا قصد حين قال عن أحفادك إنهم... يختبئون، ولا يُهتدى إليهم؟».

قالت: «لقد خلق نوعًا جديدًا من التنكُّر الإحيائي، مُحاكاة بيولوچيّة جديدة. لقد عَلِمَ أنه نجح، إذ عجز عن رؤيتي فيما يبصر من المُستقبل».

سألها آيداهو بحِدّة: «ما أنتِ؟».

- «أنا الآتريديزية الجديدة».

- «آتريديزيّة!». نطق آيداهو بالكلمة كمن ينطق بلعنةٍ.

حدّقت سيونا في الكُتلة العظيمة المتحلّلة التي كانت يومًا ما ليتو آتريديز الثّاني... كما كانت شيئًا آخر. ذلك «الشّيء الآخر» كان ينسلخ ويتلاشى في خيوطٍ خفيفة من دُخانٍ أزرق تفوح منه رائحةُ مِزّاج كثيفة. تكوّنت بركٌ من سائلٍ أزرق بين الصُخور أسفل الجسد الذائب، الذي لم يتبقَّ منه سوى بقايا غامضة رُبّما كانت يومًا ذات هيئة بشريّة: كتلة ورديّة رغويّة، وجزء من عظمة تُغلّفها مُضغ لحمٍ حمراء، رُبّما كانت وجنتين وجبينًا...

قالت سيونا: «أنا مختلفة، لكنني في الوقت نفسه مثله».

قال آيداهو في همسٍ خافت: «تقصدين جميع الأسلاف...».

- «أجل، الحشود في داخلي، لكنني أسير صامتةً بينهم، لا أحد يراني. لقد ذهبت الصُور القديمة، ولم يبقَ إلا الجَوهَر ليُنير صِراطه الذّهبي».

قالتها سيونا واستدارت، ثم أمسكت يد آيداهو الباردة في يدها، وقادته بحِرصٍ من عتمة الكهف إلى النّور، حيث يتدلّى الحبل في دعوة صامتة من قِمّة الجدار الحاجز، حيث ينتظر الفرمِن الأثريُون المذعورون.

*يا لسوء هذه المادّة لبناء الكون الجديد!* هكذا دار في خُلدها، لكن لا خيار أمامها سواها. أمّا آيداهو، فلا بُدّ له من إغواءٍ رقيق، ورعاية تُمهّد لنشوء الحُبّ في قلبه.

نظرت سيونا إلى مجرى النهر حيث يخرج من واديه الصّناعي لينبسط فوق الأراضي الخضراء، وأبصرت ريحًا تهبُّ من الجنوب تسوق سُحُبًا داكنةً نحوهما.

سحب آيداهو يده من يدها، لكنه بدا أهدأ، وقال: «نظام التحكُّم في الطّقس يزداد اضطرابًا. كان مُونِيو يظنُّ أن النقابة هي المسؤولة».

قالت: «نادرًا ما كان والدي يُخطئ في مثل هذه الأمور. سيتعيّن عليك التحقيق في الأمر».

استعاد آيداهو فجأةً ذكرى أشكال يرقات الرّمال الفِضّيّة وهي تغادر جسد ليتو في النّهر.

قالت سيونا: «لقد سمعتُ ما قالته الدُودة. مُحاورات الأسماك

سوف يتبعنك أنت، لا أنا».

مُجدّدًا، شعر آيداهو بالإغواء الذي شعر به في طقس السِيانوق، فقال: «سنرى»، ثم التفت ونظر إلى سيونا، وسألها: «ماذا كان يقصد حين قال إن الإيكسيّين عاجزون عن صُنع الأرَافِّل؟».

قالت: «أنت لم تقرأ المذكّرات كلّها بعد، سأُطلعك عليها حين نعود إلى تيونو».

- «لكن... ما معنى كلمة أرَافِّل؟».

- «عتمة غمام يوم الدّينونة المُقدّس. إنها من حكاية قديمة. كُلُّ شيءٍ ستجده في مُذكّراتي».

*مُقتطف من المُلخّص السّريّ الذي قدّمته هادية بِنوتو عن اكتشافات دار البلاط:*

مُرفق هنا التّقرير الصادر عن أقلّيتنا. سنلتزم، بطبيعة الحال، قرار الأغلبيّة القاضي بإخضاع المُذكّرات المُستخرجة من دار البلاط للفحص الدّقيق وللتّحرير وللرّقابة، بيد أن حُججنا يجب أن تُسمع. ندرك اهتمام «الكنيسة المقدّسة» بهذه المسائل، ولم تغب عن أذهاننا المخاطر السياسيّة المُحتملة. إننا نشارك الكنيسة الرّغبة في ألّا يتحوّل كوكب راكِس، و«محميّة الإله المُجزّأ»، إلى «مَقصَدٍ للسيّاح الفضوليّين».

لكن الآن، وبعد أن باتت جميع المذكّرات بين أيدينا، موثّقةً ومُترجمةً، يتجلّى أمامنا بوضوح شكل «الخطّة الآتريديزية». بصفتي امرأة تدرّبت على يد البِني چيسيرِت لفهم سلوك أسلافنا،

فإن لديّ رغبةً فطريّةً في مشاركة هذا الشّكل الذي كشفنا عنه، والذي يتجاوز بكثير مُجرّد تحوُّل كوكب كئيب إلى أرّاكس، ثم إلى كئيب مرّةً أخرى، ليصبح في النّهاية راكِس.

لا بُدّ من تحقيق مصلحة التّاريخ والعِلم. فهذه المُذكّرات تُلقي ضوءًا جديدًا ثمينًا على مجموعة الذّكريات الشّخصيّة والسّيَر المتراكمة من «عهد دانكن»، والمعروفة بـ«إنجيل الحرس». كما لا يمكننا تجاهُل تلك الأيمان المألوفة: «*بحقّ أبناء آيداهو الألف!*» و«*بحقّ بنات سيونا التّسع!*». أيضًا «طائفة الأخت تشنويه» المُستمرّة تكتسب أهمّيّةً جديدةً بفضل ما كشفته المُذكّرات، ولا شك أن وصف الكنيسة ليهوذا/ نائلة يستحقُّ إعادة تقييم دقيقة.

علينا نحن، الأقليّة، أن نُذكّر الرقباء السياسيّين بأنّ ديدان الرّمال المسكينة، القابعة في محميّتها على راكِس، لا تستطيع أن تُقدّم لنا بديلًا عن «آلات الملاحة الإيكسيّة»، كما أن الكميّات الضئيلة من المِزّاج التي تتحكّم فيها الكنيسة لا تُشكّل تهديدًا تجاريًا حقيقيًا لمنتجات أحواض التِليلاكسو. كلّا! نحن نجادل بأن الأساطير، والتّاريخ الشّفهي، و«إنجيل الحرس»، بل وحتّى «كُتُب الإله المُجزّأ المُقدّسة»، يجب أن تُقارَن جميعها بالمُذكّرات المستخرجة من دار البلاط. يجب استخراج كُلّ إشارةٍ تاريخيّةٍ إلى «الشّتات» و«زمن المجاعة» وإعادة فحصها! مِمّ نخشى؟ فلا تُوجد آلة إيكسيّة تستطيع أن تفعل ما فعلناه، نحن أحفاد دانكن آيداهو وسيونا. كم من كونٍ سكنّا؟ لا يمكن لأحدٍ أن يُخمّن. ولن يعلم أحد يومًا. هل تخشى الكنيسة من ظهور نبي بين الحين والآخر؟ نحن نعلم أن المُستبصرين لا يستطيعون رؤيتنا، ولا التنبُّؤ بقراراتنا. لا يمكن

لكارثة مُهلكة أن تطال البشريّة جمعاء. هل علينا، نحن معشر الأقليّة، أن نلتحق بإخوتنا من أهل «الشّتات» كي يُسمَع صوتُنا؟ هل نترك نواة البشريّة الأصليّة ترزح في الجهل؟ إذا حدث وطردتنا الأغلبيّة، فأنتم تعلمون أنه لا سبيل إلى العثور علينا مرّةً أخرى!

نحن لا نُريد الرّحيل، فنحن مربوطون هنا بتلك «اللّآلئ» التي في الرمال. لقد أُعجبنا بوصف الكنيسة للُؤلؤة بأنها «شمس الفهم»، وبالتأكيد لا يُمكن لأيّ عاقلٍ تجاهُل ما تكشفه السِجلّات بشأن هذا الموضوع. لا بُدّ من إفساح المجال لاستخدامات علم الآثار التي قد تكون عتيقة، لكنها ضرورية. وكما أن الآلة البِدائيّة التي استخدمها ليتو الثاني لإخفاء مذكراته تُعلّمنا الكثير عن تطوُّر آلاتنا، يجب السّماح للوعي القديم بالتحدث إلينا. سيكون من الجُرم في حقّ الدّقّة التاريخيّة والعِلم التخلّي عن محاولات التواصُل مع تلك «اللّآلئ الواعية» التي حدّدت أماكنها المُذكّرات. هل ليتو الثّاني غارقٌ في حلمه الأبدي أم يمكن إيقاظه في عصرنا واستعادة وعيه لكونه مصدرًا للدّقة التّاريخيّة؟ كيف يمكن للكنيسة المقدسة أن تخشى هذه الحقيقة؟

بالنسبة إلينا، نحن معشر الأقلّيّة، فلا شك لدينا في أن المؤرخين يجب أن يصغوا إلى ذلك الصّوت الآتي من بداياتنا. إذا كانت المُذكّرات هي كل ما تبقّى، فعلى الأجيال أن تنصت إليها. علينا أن نستمع بتركيز شديد إلى سنواتٍ عديدة في المستقبل تعادل على الأقل السّنوات التي ظلّت فيها المُذكّرات مخفيّة في ماضينا. لن نحاول التنبُّؤ بالاكتشافات التي لم تُكتشف بعد في تلك الصفحات، بل نقول فقط إنه يجب إتمام تلك الاكتشافات. كيف لنا أن نُدير

ظهورنا لأهمّ إرثٍ لدينا؟ ونحن، كما قال الشّاعر لون براملِس: «نبع المفاجآت!».

# مسرد المصطلحات المستخدمة في الإمبراطوريّة(23)

## (أ)

### اتّحاد كواكب دان Planets of Dan

نظام كوكبي مُتّحد يتركّز حول كوكب كالادان السّابق.

### أحواض الاستنساخ Axlotl Tanks

أحواض يستخدمها بنو تليلاكس لخلق نسخٍ متطابقة جينيًا من أشخاص ماتوا بعد أخذها من خلايا جُثثهم، منتجين بذلك نوعًا من المستنسخين يُعرف بـ«الغيلان»، كما تُستخدم في تخليق مُغتالين مُعدّلين وراثيًا يُعرفون باسم «راقصي الوجوه». تُعدُّ أحواض الاستنساخ من أكثر التّقنيات غموضًا وتقدُّمًا في عالم «كتيب»، وقد استلهِم المُصطلح الإنجليزي لها من أحد أنواع السّلمندر الفريدة، يعيش في المكسيك ويُعرف بعِدّة أسماء منها «عفريت الماء» و«وحش الماء»، ويتميّز بقدرة استثنائية على تجديد أطرافه وأعضائه التالفة، ويُعد موضع اهتمام في أبحاث الطبّ التجديدي. من هذه الخِصّيصة البيولوجيّة اللّافتة، استُمدّ الاسم للدلالة على وظيفة هذه الأحواض في «إعادة الخلق» أو «إنتاج الحياة» من بقايا مَن فُقِدوا.

(راجع: غول؛ راقصو الوجوه؛ بنو تليلاكس)

### أرَافِل Arafel

كلمة عبريّة (עראפל) تعني في العبريّة الحديثة «ضباب»، لكنّها تحظى في النّصوص المقدّسة بدلالة أعمق وأكثر رهبة؛ إذ تشير إلى ما يُمكن ترجمته بـ«عتمة الغمام» أو «الغمام المعتم»، وترتبط في سياقها التّوراتي بالحضور الإلهي، لا سيّما في لحظات القضاء، فهي تصف غلالة كثيفة من الغيوم الدّاكنة تُحيط بالمُقدّس. تُستخدم الكلمة عمومًا للإشارة إلى إرهاصات نهاية العالم، وتُستخدم توراتيًا للدلالة على الحُضور الإلهي في لحظات القضاء. غير أنّها تحمل في النّصوص المقدّسة دلالة أعمق وأكثر رهبة؛ إذ تشير إلى ما يُترجم بـ«ظلام الغمام» أو «شحب الظُّلمة»، وتُستخدم للدلالة على الحضور الإلهي المخيف، لا سيّما في لحظات القضاء. تصف الكلمة غلالة كثيفة من الغيوم الدّاكنة تُحيط بالرّب، وكثيرًا ما تقترن في اللّاهوت التّوراتي بإرهاصات «نهاية العالم»، ومن هنا جاء معناها في الرّواية.

الأقلّيّة The Minority

قِلّة من البشر الذين ينحدرون من نسل سيونا آتريديز وغول دانكن آيداهو. هؤلاء لا يمكن رؤيتهم أو العثور عليهم، إذ يتمتّعون بمناعة ضد الاكتشاف ممّن يتمتّعون بالقدرات الاستبصاريّة.

آلات الملاحة الإيكسيّة Ixian Navigation Machines

بديلٌ ميكانيكيٌ متقدّم حلّ محلّ ملّاحي نقابة الفضاء واستُخدم في جميع «اللّا شفن»، وكذلك في بعض نواقل النّقابة في المستقبل البعيد بعد حُكم ليتو الثّاني، إذ لم تعد السّفن الفضائيّة تحتاج إلى قدرات الملّاحين التنبؤيّة لتحديد المسارات الآمنة وتجنّب الاصطدام بالأجرام الفضائيّة في أثناء السّفر بين النّجوم.

الإله المُجزَّأ The Divided God

أحد الألقاب التي أطلقها كهنة راكِس على ليتو الثّاني، ويشير إلى ليتو نفسه وإلى آلاف يرقات الزّمال التي انبثقت من جسده في أثناء احتضاره، إذ عندما لامس جسد ليتو الماء مع سقوطه في نهر آيداهو، تفتّت جسده مطلقًا آلافًا من تلك اليرقات التي أعادت لاحقًا عهد الدّيدان على كوكب أزّاكس، وكانت كلٌّ منها تحمل جزءًا من وعيه. ومن هنا عُرف بـ«الإله المُجزَّأ» لأنه تفرّق بين تلك الكائنات.

أمبيل Ambiel

قماش خفيف يستخدم في صناعة الملابس الفاخرة.

إنجيل الحرس The Guard Bible

نصّ مقدّس محفوظ في أرشيف جماعة البِني چيسيرت.

أونّ Onn

إحدى أكبر المدن على أزّاكس، والمدينة التي تحتضن مهرجان أو عيد السِيانوق كل عشر سنوات. عُرِفت سابقًا بـ«أزّاكين»، ولاحقًا بـ«كين». يُنطق اسمها بتشديد النون وإضفاء نغمةٍ أنفيّةٍ عالية وغريبة.

إيكس Ix

الكوكب التّاسع في النّظام النّجمي كالوروپس، والأبرز في ثقافة الآلة. تحكمه تكنوقراطيّة اقتصادها مبنيٌ على تصنيع الآلات المتطوّرة، متجاوزًا أحيانًا محرّمات الجهاد البَطلري، والمحظورات

القانونيّة والأخلاقيّة التي رسمتها المعاهدة الكُبرى. الاسم نشأ من خطأ في قراءة الرقم الروماني (9) ix.

(ب)

باشار Bashar

رُتبة عسكريّة عُليا في جيش محاورات الأسماك، وكانت كذلك في قوّات السّاردوكار الإمبراطوريّة في العصور السّابقة. تعلو رتبة العقيد في التّصنيف العسكري الموحّد، وتمنح لحاملتها صلاحيّات ميدانيّة واسعة ومسؤوليّات قياديّة على مستوى الفيالق. الاسم مُستوحى من الاسم العربي «بَشّار».

پارادان Paradan

سلالة من البطيخ تنمو على كوكب كلادان.

پاريلا Parella

أحد الكواكب الثّانويّة في إمبراطوريّة ليتو الثّاني.

بحر بلا ماء Bahr bela ma

الاسم القديم الذي كان يُطلق على صحراء أزّاكس الشّاسعة. يُترجم الاسم، أو معناه، في الإنجليزيّة إلى «مُحيط بلا ماء Ocean without water».

بحر كاينز Kynes Sea

محيط شاسع على أزّاكس بعد إعادة تشكيله مناخيًا، يقع وراء صحراء السّرير.

«بحقِّ أبناء آيداهو الألف!» By the Thousand Sons of Idaho!

قسم اشتهر في حقبة «الشّتات» بعد وفاة ليتو الثّاني بنحو 1500 سنة.

«بحقِّ بنات سيونا التّسع!» By the Nine Daughters of Siona!

قسم اشتهر في حقبة «الشّتات» بعد وفاة ليتو الثّاني بنحو 1500 سنة.

پِرث Perth

مكان، يُرجّح أنّه كوكب، ورد ذكره بوصفه موقعًا استُخدِمت فيه لغة «الترانزيت» النادرة.

برخان Barracan

أو "Barchan": كثيب هلالي الشّكل يتميّز بجانب منحدر يدلُّ على اتّجاه الريح.

البروتمور Protomor

زادٌ صحراوي فرمِني مُجفَّف معروف من أيّام كثيب، يحمل نفحة من المِزاج.

البطيح Patiyeh

مرحلة الظّمأ الأخيرة التي تفضي إلى الموت ما لم يُسقَ المرء. قد

تكون محرّفة عن الكلمة العربية «بطيحة»، أي المكان الواسع الذي فيه دِقاقُ الحصى، ومنه بَطحاءُ مكة.

پلاستون Plastone

مركّبٌ صناعيٌ من البوليمر العضوي وأشباه المعادن يُستخدم في البناء.

پُنچي Punji

نوع من القطن يُزرع على كوكب كلادان، ويُعدُّ من أفخر الأقمشة المستخدمة في صناعة الملابس.

پولاذ Plasteel

فولاذ فائق الصّلابة مُدعّم بألياف الاستراڤيديم التي تنمو ضمن بنيته البِلّوريّة.

(ت)

التّاريخ الشّفهي The Oral History

مصطلح يُطلق على مجموعة من المصادر المتنوّعة التي، إلى جانب التّاريخ الرّسمي، تُشكّل مجموع المعارف المُتاحة عن حُكم آل آتريديز، وذلك قبل اكتشاف المكتبة الإمبراطوريّة على راكِس وما تحويه من مُذكّرات ليتو الثّاني. وعلى أهمّيّة هذا المصدر، فإن قلة من غير المختصّين بالتاريخ يمكنهم تحديد ما المقصود بالتّاريخ الشّفهي، إذ لا يشير المصطلح إلى مصدرٍ واحدٍ يُعرف باسم «التّاريخ الشّفهي»، بل يُطلق على مجموعة متنوعة من المواد، بعضها -بخلاف

التّسمية- لم يُنقل شفهيًا من راوٍ إلى راوٍ.

تِدَاه رِياجريمِي Tedah Riagrimi

حالة من نشوة العذاب يُقال إنها تفتح أبواب العقل على رؤًى ومعارف لا تُدرَك في الحالة العاديّة.

التّقيّة Taquiyya

ممارسةٌ أو فنٌّ إخفاء الهويّة في الحالات التي قد يكون الكشف عنها فيها ضارًا أو خطرًا. تُعرف بين الفرمِن بـ«الكتمان».

تِليلاكسو أو بنو تِليلاكسTleilaxu or Bene Tleilax

أهل كوكب تليلاكس؛ حضارة تشتهر بتقدُّمها في علوم الاستنساخ والهندسة الجينيّة.

تنزروفت Tanzerouft

صحراء العطش في أعماق كوكب كثيب، والمعروفة بـ«أرض الرُّعب». الاسم مأخوذ من سهل تنزروفت، وهو قطاع من الصّحراء العربيّة الكُبرى يقع على الحدود بين الجزائر ومالي، غرب جبال الهقار.

(ج)

چاكوروتو Jacurutu

(راجع: شولوك؛ جويجوا).

الجدار الحامي Shield Wall

سلسلة جبلية هائلة قديمة تقع في ربوع أزّاكس الشّماليّة لم يتبقّ منها الآن سوى خط هزيل من التلال.

الجلاكيّة GALACH

اللّغة الرّسميّة في الإمبراطورية، وهي خليطٌ من اللغات الأنجلوسلافية، وتحمل آثارًا بارزة من المصطلحات الثّقافيّة المتخصّصة التي تراكمت عبر سلسلة طويلة من الهجرات البشريّة.

جويجوا Goygoa

قرية رعوية صغيرة مبنية على أطلال سييتش چاكوروتو الأسطوري، الذي يُقال إن أهله طُردوا من مجتمع الفرمِن قديمًا لكونهم لصوص ماء.

(راجع: شولوك).

جيدي پرايم Giedi Prime

موطن الهراكنة، وأحد كواكب النّجم 36 أوفيوتشي بي. كوكب متوسّط القابليّة لإيواء الحياة، ومُعدّل التمثيل الضّوئي عليه ضعيف.

(ح)

حبل الإلاكة Elacca Robe

ألياف تُستخلص من خشب الإلاكة الأحمر الخُبيبي، وهو شجر ينمو على كوكب عِكاظ، وتُستعمل في صناعة السّياط. يُرجّح أن التسمية تمثّل تحريفًا غربيًا لكلمة «عِلاقة» العربيّة.

## (د)

### دار البلاط Dar-es-Balat

موقعٌ أثريٌ قديم، يُعدُّ من أوائل «اللّا غُرف» المعروفة، وهو مُستودعُ حفظ «رحلة الإمبراطور الإله المفقودة»، أو مُذكّرات ليتو آتريديز الثّاني. تحوّل الموقع لاحقًا، في رواية «هراطقة كثيب»، إلى متحفٍ تحت رعاية كهنة «الإله المُجزّأ». فضّلت تعريب الاسم (ذي الأصل العربي في الأساس) إلى «دار البلاط» لا نَقحرته «دار-إس-بِلات» لارتباطه بالبلاط الإمبراطوري، وهو ما يبدو أن فرانك هربرت أراد الإشارة إليه عند اختياره التسمية الإنجليزيّة. يُحتمل أن يكون قد استوحى الاسم من مدينة «دار السّلام» "Dar es Salaam"عاصمة تَنزانيا، دون أن يُدرك الفرق الدّقيق بين اللّام الشمسيّة والقمريّة في العربية، وأن «أل» التّعريف في كلمة «البلاط» قمريّة لا شمسيّة، عكس «السّلام»، لذا كان يُفترض أن تُرسم "al-Balat" لا "es-Balat". للاسم تعريب آخر مُحتمل، مُختلط المعنى غريبُه، هو «دار حزب اللّات»، يتّسق شكليًا مع الرسم الإنجليزي، لكنني أستبعده لبُعد معناه.

(راجع: لا غُرفة؛ المذكّرات المسروقة).

## (ذ)

### ذِئاب داليّة D-Wolves

ذئابٌ هجينةٌ عملاقة، مُعدّلة وراثيًا، نصّبها ليتو الثّاني حُرّاسًا لسريره الصّحراوي. قيل إن الإمبراطور الإله انتقى منذ البداية

أضخم أنواع الذِّئاب المتاحة له، وهجَّنَها بسلالات من الكلاب الحادّة البصر لتقوية أبصارها، ثم راح يُحسّن سلالتها جيلًا بعد جيل بانتقاء الأفراد الأكبر حجمًا، حتّى ارتفع متوسّط ارتفاع الكتف باطراد. وبحلول نهاية النّصف الأوّل من البرنامج الذي استمر قرنًا من الزمان، كان قد نجح في إنتاج ذئابٍ يفوق حجمها حجم كل الأنواع المعروفة الأخرى. لا أحد يعلم بالتّحديد ما الذي قصده فرانك هربرت بالحرف "D" البادئ الذي نعت به ذئابَه. أرجح الظّن أنه قَصَد به كوكب Dune، ليكون المعنى Dune Wolves أي «ذئاب كثيب». رأي آخر يقول إنه استوحى الاسم من الذِّئب الرّهيب Dire Wolf، وهو ذئب مُنقرض -ولا يزال مُنقرضًا، على ما شيع من إعادة إحيائه- يقارب في الحجم الذِّئاب التي وصفها هربرت في الرّواية. فضّلت هنا عدم تأويل ما لا دليل عليه، وعرّبت الاسم إلى «ذئاب داليّة»، ولم أترجمه إلى «ذئاب كافيّة» نسبةً إلى «كثيب»، إذ لا مصدر مُوثّق يربط التسمية بـ«كثيب»، ولم تُشِر إليها موسوعة «كثيب» ولا غيرها على وجه التحديد.

## ذكريات الأسلاف Ancestral Memories

مفهوم في عالم «كثيب» يفترض أن ذكريات الأسلاف يمكن أن تُتاح للأحفاد، إذ تنطبع معارف السّابقين وخبراتهم الحياتيّة في الجينات المُورّثة إلى الأجيال التالية. غير أن الوصول إلى هذه الذاكرة يتطلّب قدرة استبصاريّة خاصّة، ومادّة المِزاج التي توسّع نطاق الإدراك، بالإضافة إلى تدريبٍ مُكثّف. وحتّى مع ذلك، يبقى الوصول إليها صعبًا، وحِكرًا على خاصّة الخاصّة.

## (ر)

### راقصو الوجوه Face Dancers

شلالة عقيمة من البشر المتحوّلين، طوّرهم بنو تليلاكس في أحواض الاستنساخ. ولأنهم غير قادرين على التكاثر، فإن منزلتهم الاجتماعيّة أدنى من سادة تليلاكس. بيد أن قدرتهم على تغيير هيئتهم وشخصيّاتهم ببراعة جعلتهم مرغوبين بشدّة في مختلف أنحاء الكون، لا سيّما في مجالات التّرفيه، فيما خُصّصت قِلّةٌ منهم لأدوار التّجسّس والاغتيال.

### راكِس Rakis

الاسم الذي أُطلِق على كوكب «كتيب» في المستقبل بعد أن تغيّر من «أرّاكس» عقب موت ليتو الثّاني.

## (ز)

### زمن المجاعة Famine Times

القرون التي تلت وفاة ليتو الثّاني، والتي اتّسمت بالفوضى وانتشار المجاعات في عوالم عديدة، وأدّت في النّهاية إلى «الشّتات» العظيم. حدثت المجاعة نتيجةً لـ«سلام ليتو»، الذي ألزم قاطني الكواكب البقاءَ على كواكبهم وقيّدهم بها، ومن ثم عانت شعوب الإمبراطوريّة من مجاعة عُظمى بعد وفاته، إذ كانوا يعتمدون على الإمبراطوريّة في كُلّ شيءٍ. أدى اليأس الذي شعر به من عايشوا زمن المجاعة في النّهاية إلى انفجار البشريّة في جميع أرجاء الكون، وهو ما عُرِف بـ«الشّتات»، وكان هذا جزءًا من «الصّراط الذّهبيّ»

الذي يهدف إلى إنقاذ البشرية من الرُّكود والفناء.

(راجع: الشّتات؛ الصّراط الذّهبي).

## (س)

السّادة الإيكسيُّون Ixian Masters

الطّبقة الحاكمة أو النُّخبة التكنوقراطيّة في الاتّحاد الإيكسيّ.

السّرير Sareer

الصّحراء الأخيرة الباقية على كوكب كثيب بعد تحوُّله إلى جنّة خضراء في غياب ديدان الرّمال وعمليّات التحويل الكوكبيّة.

سلام ليتو Leto's peace

المرحلة الأولى من الصّراط الذّهبي، التي فرض فيها الإمبراطور الإله السّلم بالقوّة والهيمنة المطلقة.

(راجع: الصّراط الذّهبي؛ الشّتات).

سيدرِت Cidrit

عصير حمضي سائغ، لاذع المذاق.

سيانوق Siaynoq

أعظم طقوس الإمبراطور الإله، ليتو الثّاني، ويُجسّد لحظةً خاصّةً جدًّا من التّواصل والتّشارك مع جيش محاورات الأسماك. يُقام الطقس كل عشر سنوات في أونْ، مدينة المهرجان.

(راجع: أونْ).

## (ش)

### شادوات Shadout

لقبٌ شرفيٌ عند الفرمِن يحمل معنى «الغارفة من البئر». أغلب الظّن أن اللّفظة مُحرّفة عن شواديف العربيّة: جمع شادوف.

### الشّتات The Scattering

حدثٌ تاريخيٌ جلل وقع في الحقبة الفوضوية التي أعقبت مقتل ليتو الثّاني، حين غادر مليارات البشر عوالم الإمبراطورية القديمة المستقرة، متّجهين إلى أعماق الفضاء المجهول. أدّى موت ليتو إلى انهيارٍ تدريجي في إمبراطوريّته، واندلاع مجاعات شديدة في عوالمَ شتّى، وظهور الشفن الإيكسيّة غير القابلة للكشف (اللّا شفُن). غير أن كل ذلك كان جزءًا من مخطّط «الصّراط الذّهبي» الذي صمّمه ليتو بعناية حين رأى أن نجاة البشريّة يتوقّف على تشتُّتِها وتفرُّقِها في أرجاء الكون، لردع أيّ تهديدٍ وجوديٍّ مُحتمل، وضمان خفائها عن أعين المستبصرين كافّة، وتحفيز تنوُّعها وتطوُّرها بما يكفل نجاتها على المدى البعيد.

(راجع: الصّراط الذّهبي؛ سلام ليتو).

### شولوك Shuloch

سييتش صحراوي قديم يقع في عُمق نطاق تنزروفت على أزّاكس. يُقال إنه كان موطنًا لقبيلة الإدوالي، التي يُترجم اسمها إلى «حشرات الماء». يُظنُّ أنه مرتبط بسييتش چاكوروتو، ويرجّح أن يكون اسمًا آخر له. الاسم يعني «المكان المسكون»، أمّا حاليًا، فقرية

جويجوا تحتلُّ هذا المكان.

## (ص)

## الصِّراط الذَّهبي The Golden Path

المسار المستقبلي الوحيد الذي فيه نجاة البشريَّة من بين كل المسارات المستقبليَّة المحتملة. يُمثِّل المسار تصورًا استبصاريًّا بالغَ التَّعقيد، لا يقدر على إبصاره سوى الكويزاتس هاديراك وقِلَّة من أُمَّهات البِني چيسيرت الفوقَّرات، إذ يتطلَّب قدرة استثنائيَّة تستطيع سبر شبكةٍ هائلةٍ من الأسباب والنتائج لتحديد المسار الأمثل عبرها. كان پول المؤدَّب أوَّل من رآه، لكنه أحجم عنه لِما فيه من فظائع، في حين قَبِلَ به ابنه ليتو الثَّاني وتحمَّل عبئه الكامل، مرتضيًا التَّحوُّل الشَّنيع إلى كائنٍ هجين بين الإنسان ودودة الرِّمال، وأن يصير الطَّاغية الأعتى في التَّاريخ البشري، من أجل ضمان استمراريَّة هذا المسار. يُعرف كذلك بـ«سلام ليتو» أو «سلام ليتو القسري»، وهذا الاسم يعكس المرحلة الأولى من الصِّراط الذَّهبي التي فرض فيها ليتو السِّلم بالقوَّة والهيمنة المطلقة، لقمع القوى المارقة والحيلولة دون انهيار الحضارة، ومن ثم إعداد البشر للقفزة القادمة في تطوُّرهم، التي لم تكن ممكنة من دون موته الشنيع، والشَّتات العظيم الذي تلاه. يمكن تشبيه هذا المفهوم بما ظهر في فيلم Avengers: Infinity War، حين تَقصَّى د. سترنج ملايين المسارات المستقبلية بحثًا عن السيناريو الذي سيُهزم فيه ثانوس، ولم يجده إلَّا في سبيلٍ واحد فحسب، ينتصر فيه العدو في البداية ويتسبَّب في فناء نصف الكون. وكما سلَّم د. سترنج «حجر الزَّمن» لثانوس تضحيةً حتميةً

في سبيل النّصر النهائي، ارتضى ليتو الثاني أن يتحوّل إلى طاغيةٍ بغيض في ذاكرة البشر، ملعون من الجميع، ليضمن نجاة البشريّة في حقبة «الشّتات» التي مهّدها لها.

(ع)

عتمة غمام يوم الدّينونة المُقدّس The cloud-darkness of holy judgment

(راجع: أرَافِّل).

العرّافة The Oracle

نورما سينڤا. امرأة وُلِدت عام 218 قبل تأسيس النقابة، وعُرفت لاحقًا بألقاب عِدّة منها: «العرّافة» و«عرّافة الزمن» و«عرّافة الأبديّة». تُعدُّ من أهمّ الشّخصيات ضمن عالم «كثيب» الأوسع خارج الرّوايات السّتّ الأصليّة، إذ رُويَ أنها كانت المُهندسة التي ابتكرت أوّل سفينة تطوي الفضاء، وأوّل من شغل منصب ملّاح فضائي. شاركت في تأسيس نقابة الفضاء، قبل أن تتطوّر لاحقًا إلى كيانٍ يتجاوز الحدود البشريّة، وتغدو العرّافة المُطلقة التي تُرشد رجال النّقابة وتوجّههم عبر العصور.

العِرق Erg

منطقة كثبان شاسعة؛ بحر من الرّمال.

عقل الصّحوة الأولى Mind of First Awakening

الإدراك الأوّلي الذي يتجلّى في أوّل لحظات الوعي عند الولادة.

## (غ)

### غول Ghola

المُستنسخ الذي ينمو في أحواض الاستنساخ التِليلاكسويّة من مادةٍ وراثيةٍ مُستخرَجةٍ من خلايا شخصٍ ميت. في أساطير الفرمِن، هو شيطانٌ ميّتٌ حيٌ، أو «غول». يختلف الغول عن المُستنسخ المألوف في وجوهٍ عِدّة: فبينما يُخلَق المستنسخ العادي من خلايا كائنٍ حيٍ دون أن يحمل وعي الأصل ولا ذكرياته، يُستنسخ الغول من خلايا مأخوذة بعد موت الشّخص، ويُعاد إنتاجه لا في هيئته الجسديّة فحسب، بل بكامل وعيه وذكرياته. كانت الغيلان الأولى تمتلك أعينًا معدنيّة صناعيّة بسبب خللٍ في تقنيّة التّخليق، وقد عُولِج هذا لاحقًا، فصار لها أعينٌ طبيعيّة. فضّلت ردّ مصطلح «غولا» أو «غولة» إلى أصله: «غول»، لما في ذلك من سهولة اتّباع قواعد التّذكير في العربيّة، لأن كل الغيلان الوارد ذكرهم في الأحداث ذكورًا.

## (ف)

### فجوة المؤدّب Muad'Dib's Gap

الشقُّ العميق في الجدار الحامي النّاتج عن هجوم المُؤدّب قديمًا بالأسلحة الذّريّة.

### الفرمِن الأثريُّون Museum Fremen

فئة من المواطنين الأدنى شأنًا على كوكب أرّاكس خلال عهد إمبراطوريّة ليتو الثاني. هم أحفاد أقل شأنًا للفرمِن الأصليّين، عاشوا

في بقاعٍ من الكوكب قُطِعت عن المَدّ التكنولوچي، ليكونوا بمنزلة متاحف حيّة تحفظ ثقافة الفرمِن القديمة لعرضها على الزّائرين، جاهلين تمامًا بالأسباب الحقيقيّة وراء أفعالهم.

فُقّاعات مِجهريّة Microbubble

نظام عتيق يُستخدم لتخزين التّسجيلات الصّوتيّة.

(ق)

قبلي Ghibli

ريح صحراويّة عنيفة وجافّة، تأتي من الصّحراء الكبرى وتهبّ على مدن شمال إفريقيا وجنوب أوروبا بسرعة قد تصل أحيانًا إلى سرعة الأعاصير. تُعرف بأسماء محلّيّة عِدّة، منها الشهيلي في تونس وشرق الجزائر، والقِبلي في ليبيا، والشرقي في المغرب، والخماسين في مصر. انتقل الاسم اللّيبي للريح إلى الإيطالية، وتحوّل من النطق العربي «قِبلي» إلى «جيبلي»، حين اتُّخِذَ لقبًا للطائرة الإيطاليّة كاپروني كا.309، ثم شاع عالميًا بفضل «استوديو جيبلي» الياباني، حين وقع عليه اختيار المخرج هايوا ميازاكي تعبيرًا عن رغبته في أن يُحدِث الاستوديو «حراكًا عاصفًا في عالم الأنمي».

(ك)

الكِتمان Ketman

(راجع: التّقيّة).

كَرْمة تُنيون Tunyon vine

كرمةٌ عامرة بالغة الطُّول، ذات لونٍ أرجوانيٍّ مخضَّرٍ، وأوراق ضخمة تُشبه أذُن الفيل. لا يتذكَّر أصلها سوى ليتو الثاني، وتتميَّز بكونها عديمة الرَّائحة.

كُرة إيكسيّة Ixian Globe

جهاز ميكانيكي طوّره الإيكسيّون، يصدر الإشعاعات ويمتصُّها ليُحاكي البيئة خصائص المحيطة به محاكاةً تامّة، حتّى يغدو غير مرئيٍّ. تُعدُّ الكُرةُ الإيكسيّة سلفًا لـ«اللّا غرفة».

(راجع: لا غُرفة).

(ل)

لا غُرفة No-room

أو «الحيّز اللّا مرئي». بُنية هندسيّة طوّرها الإيكسيّون تُخفي كلَّ ما بداخلها عن الرُّؤيةِ والإدراكِ الاستبصاريِّ، فضلًا عن وسائل الكشف الأخرى.

اللآلئ Pearls

أو «لآلئ الوعي Pearls of Awareness»: وعي ليتو الذي تفرَّق بين أعدادٍ لا حصر لها من يرقات الرِّمال، والذي ظلَّ يحلم بلا انقطاع بعدها في انتظار أن يُوقَظ من جديد.

(م)

مُحاورات الأسماك Fish Speakers

جيشٌ مُسلَّح يتكوَّن بالكامل من النِّساء، أنشأه ليتو آتريديز

الثاني لفرض سلطانه على أطراف الكون المعروف. يعود مصطلح «مُحاورات الأسماك» إلى حقيقة أن الكاهنات الأوائل، اللاتي شكّلن نواةَ جيشِ ليتو، كُنّ يتحدّثن مع الأسماك في أحلامهن، ومن هذه المُحاورات تعلّمن أمورًا ذات أهمية.

## المُذكّرات المسروقة The Stolen Journals

مجموعة ضخمة من الكتابات التي دوّنها الإمبراطور الإله ليتو الثّاني خلال فترة حكمه التي امتدّت إلى ثلاثة آلاف وخمسمئة عام. شرقت هذه المذكرات من قلعة ليتو في صحراء السّرير في العام 13728 من تأسيس النقابة، على يد سيونا آتريديز وعشرة أفراد من رفاقها المتمرّدين. تتضمّن المُذكّرات عديدًا من المعلومات التّاريخيّة القديمة، التي استقاها ليتو وجمعها عبر «ذكريات الأسلاف»، إلى جانب إشارات غامضة إلى أفعاله ومسعاه لتحقيق «الصّراط الذّهبي». عُثِرَ لاحقًا على كامل المُذكّرات في اكتشافات دار البلاط بعد نحو 1500 عام من وفاته.

(راجع: الصّراط الذّهبي؛ ذكريات الأسلاف؛ دار البلاط).

## مُقطّرات الموتى Deathstills

تُعرف أيضًا باسم «هوانوي». أجهزة تُستخدم لاستخلاص الماء من جثث الموتى، طوّرها واستخدمها حصرًا الفرمِن، بوصفها جزءًا من استراتيجيّات البقاء في بيئة صحراويّة قاحلة. لم تُعرَف أيّ محاولات مماثلة في أيّ مكانٍ آخر في الإمبراطوريّة، إذ لم يضطرّ أحدٌ إلى البقاء في بيئة بمثل هذه الضّراوة. تُجسّد التقنيّة، بما تحمله من طابعٍ طقسيٍّ جنائزيٍّ، مدى أهمّيّة الماء في ثقافة الفرمِن.

مُكبِّرات الصَّوت الإيكسيّة Ixian amplifier

مُضخِّمات صوتٍ مجهريّة إيكسيّة الصُّنع، استخدمها ليتو الثّاني في عربته الملكية لتضخيم صوته في أثناء المواكب والظُّهورات العامّة.

مكتب الإيمان Bureau of the Faith

اسم محاكم التّفتيش الإمبراطوريّة في عهد ليتو الثّاني، التي أُنيط بها ملاحقة المتمرّدين وأعداء الإمبراطوريّة، وتديرها مُحقِّقات من صفوف محاورات الأسماك.

مُملاة Dictatel

طابعة مجهريّة تُسجِّل الصّوت والأفكار، وتَطبَعها على ورقٍ بِلّوريٍّ رِديولي.

(ن)

نقاب غشائي Cibus Mask

قناع أسود مرن قابل للتشكُّل صمّمه الإيكسيُّون وتستخدمه قائدات محاورات الأسماك لإخفاء هويّاتهن. عند وضعه على الوجه، يُخفي جميع الملامح، ولا يصدر عنه أيُّ إشعاعات يمكن التقاطها.

نهر آيداهو Idaho River

نهر على كوكب أزّاكس يشقُّ طريقه عبر موقع جبل آيداهو القديم.

(هـ)

هانميا Hanmya

يُرجّح أن الاسم مشتقٌ من الكلمة اليابانيّة هانّيا (般若)، وهو اسم قناع ياباني فُلكلوري يُستخدم في المسرح الياباني التّراثي لتجسيد شيطانة يابانية غَيْورة ومُنتقِمة. يتميّز القناع بقرنين حادّين يشبهان قرني الثّور، وعينين معدنيّتين، وفمٍ ملتوٍ يزمجر بازدراء. يُستخدم القناع لتجسيد شخصيّات نسائية تملؤها مشاعر الغيرة والغضب، ويتغيّر شكل القناع تبعًا لشِدّة المشاعر السلبية التي تستبدُّ بالشّخصية. تُعدُّ الهانّيا تجسيدًا لروح الأونريو، الرُّوح النّاقمة المنتقمة، التي تفوق في حِقدها الناماناري، المرأة التي على حافّة التّحوُّل إلى شيطانة.

(و)

ورق بِلّوري رِديولي Ridulian Crystal Paper

ورقٌ ثقيل، بالغُ الرِّقّة، يُصنَع من تشكيل الرِديولَيت على هيئة بُنًى بِلّوريّةٍ، لا يتجاوز سُمك الورقة منه جُزيئًا واحدًا، ويُستخدم لطباعة كَمّيّات هائلة من المعلومات.

ورق مِمراز Memerase paper

نوعٌ من الورق الفاخر مُصمّم لاحتواء كميات ضخمة من المعلومات المُصغّرة بدقّة عالية.

# فرانك هربرت

مؤلف سلسلة «كثيب» الأعلى مبيعًا. وُلد في مدينة تاكوما في ولاية واشنطن، وتلقّى تعليمه في جامعة واشنطن في سياتل. عمل في وظائف عديدة ومتنوّعة، منها: مُصوّر تليفزيوني، ومُعلّق إذاعي، وصائِد لآلئ، ومُدرّب أساليب بقاء في الأدغال، ومُحلّل نفسي مُستقِل، ومُعلّم كتابة إبداعيّة، ومُراسل، ومُحرّر في عددٍ من الصُحُف التي تُنشر في السّاحل الغربي، قبل أن يتفرّغ نهائيًا للكتابة. في عام 1952، استهل هربرت النّشر في مجال الخيال العلمي بقِصّة «هل تبحث عن شيءٍ ما؟»، في مجلة ستارتلينج ستوريز. لكن انطلاقته الحقيقيّة لم تحدث إلّا عام 1965، مع نشر رواية «كثيب»، التي تلتها أجزاؤها السّتة: «مسيح كثيب»، و«ذُرّية كثيب»، و«الإمبراطور الإله»، و«هراطقة كثيب»، و«بيت الأخويّة: كثيب»، مُتمّمات هذه السّلسلة الأعلى مبيعًا. ألّف هربرت كذلك نحو عشرين كتابًا آخر، من بينها: «الطّاعون الأبيض»، و«تجربة دوسادي»، و«الوجهة: الفراغ». تُوفِيَ عام 1986.

## نادر أسامة

مترجم وكاتب مصري وُلِد في المدينة المنوّرة عام 1985. درس الإخراج في المعهد العالي للسينما، قبل أن يتركه ويتخرّج في كلّيّة التّجارة جامعة القاهرة. عَمِل كاتبًا في مجلّة «جود نيوز سينما»، وأسّس فيها قسمين عن المؤثّرات البصريّة والسّينما الصّامتة، كما كتب عشرات المقالات السّينمائيّة والمراجعات النّقديّة في أكثر من مطبوعة وموقع إلكتروني، منها «قاعدة بيانات الأفلام العربية». تفرّغ للترجمة الأدبيّة منذ عام 2015، وترجم عددًا كبيرًا من الأعمال ينتمي أغلبها إلى الأدب الخيالي، تحديدًا الخيال العلمي والرّعب. من ترجماته: «الحديقة الچوراسيّة» لمايكل كرايتون، و«اتّصال» لكارل سيجان، و«كتيب» لفرانك هربرت، و«الشّيء» لستيفن كينج، و«طارد الأرواح» لوليم پيتر بلاتي، و«آرتميس» لآندي وير، و«وزارة الحقيقة» لدوريان لينسكي. هاوٍ ودارس حُر في علوم الحفريّات والأحياء القديمة، وله اهتمامات بالفلك والمؤثّرات البصريّة والتّصوير السّينمائي وتبسيط العلوم. يعيش في الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

---

(1) بمرور الوقت، تغيّر اسم كوكب كتيب الرّسمي من «أرّاكِس» إلى «راكِس» (في اللّغة العربيّة «راقص»، من «النّجم الرّاقص»).

(2) نسبةً إلى كوكب إيكس.

(جميع الهوامش في الرّواية من وضع المترجم).

(3) خيمة دائريّة متنقّلة، تُكسى وتُعزل بالجلود أو اللُّبد، وتستخدمها جماعات رُحّل عِدّة في نطاق السهوب الأوراسيّة وجبال آسيا الدّاخليّة مَسكنًا ومأوًى.

(4) كلاب حادّة البصر Gazehounds سلالة من كلاب الصّيد تعتمد بشكل أساسي على حِدّة البصر والسرعة في الإمساك بالطريدة، عكس كلاب الصّيد التي تعتمد في صيدها على الرّائحة والقدرة على التحمل.

(5) في النّص الأصلي Siona Ibn Fuad al-Seyefa. لاحظ أنه كتب ابن أو بن، وليس بنت. هذا يرجع على الأرجح إلى عدم قدرة فرانك هربرت على التمييز بين المؤنّث والمذكّر في اللُّغة العربية، مثلما حدث مع مصطلح بِني چيسيرِت في الكتاب الأوّل.

(6) چكوب بروم (1752-1810): رجل أعمال وسياسي أمريكي، وأحد الآباء المؤسّسين للولايات المتّحدة. شارك في اجتماع فلادلفيا عام 1787، وكان من ضمن الموقّعين على الدُّستور الأمريكي.

(7) كوكب الأرض.

(8) اقتباس من القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية رقم 14.

(9)"E pur si muove.": مقولة نُسبت إلى جاليليو بعد أن حاكمته الكنيسة بسبب تبنّيه نموذج كوپرنيكوس القائل بمركزيّة الشمس، لكنها في الحقيقة أقرب إلى الأسطورة منها إلى القول الموثّق. تُجسّد العبارة إيمانه الرّاسخ بدوران الأرض حول الشّمس، حتّى بعد إجباره على التراجع عن آرائه بضغطٍ من محاكم التّفتيش، إذ يُروى أنه تمتم في ختام المُحاكمة: «لكنها تتحرّك». صارت العبارة رمزًا لصمود الحقيقة العلميّة في وجه القمع.

(10)سهلتنزروفت Tanezrouft: قطاع من الصّحراء الكُبرى يقع على الحدود بين الجزائر ومالي، غرب جبال الهقار. تُعد من أشد مناطق الصّحراء

الكبرى قحولةً وجفافًا، وتُعرف بدرجات حرارتها شديدة الارتفاع وانعدام الموارد الأساسيّة فيها كالماء والغذاء، ما أكسبها لقب «أرض الرُّعب».

(11) استخدم هربرت مُصطلح (سوك Suk) في الرِّواية الأولى للإشارة إلى كُلّيّة الطب الشهيرة التي تخرّج فيها الدُّكتور ولينجتون يُوي، ثم عاد في هذا الجزء ليستخدمه بمعنى «السُّوق» المعروف في اللُّغة العربية. تجدر الإشارة إلى أن كلمة أخرى هي Sook كانت قد ظهرت في الكتاب الأوّل بمعنى «السُّوق»، وذلك في نداء باعة الماء على كتيب: «Soo-soo sook!»، ولا يُعلَم إن كان هذا التّغيير مقصودًا أم سهوًا.

(12) Thorses: حيوانات يُفترض أنها انحدرت من الخيول أو أنها ذات صلة بها، نظرًا إلى الاسم.

(13)كلمة يونانيّة تأتي بمعنى «ورثة الرّب» أو «سُلالة الرّب».

(14) نوح أركرايت Noah Arkwright: اسمٌ مُركّب ذو دلالة؛ فكلمة wright تعني «صانع»، فيما تشير Ark إلى «فُلك نوح» في العهد القديم، ليُصبح معنى الاسم: «نوح صانع الفُلك».

(15) يانوس Ianus: إله البدايات والنّهايات، والبوّابات والمداخل والطُّرُق، في الميثولوچيا الرومانيّة. يُصوَّر بوجهين: وجه ينظر صوب المستقبل، ووجه ينظر صوب ماضي. يُعدُّ في الأساطير مشرفًا على بداية ونهاية النّزاعات، ومن ثمّ الحروب والسّلام. سُمّي شهر يناير تيمُّنًا بيانوس.

(16) مفهوم زرادشتي يشير إلى الرُّوح الحارسة أو روح الفرد، سواء كان يتًا، أم حيًا، أم لم يولد بعد. ترسل الفاڤراشي روح الفرد (أو الأورڤان) إلى العالم المادي لخوض معركة الخير ضد الشّرّ. في كتيب، الفاڤراشي هي الجوهر الرُّوحي الذي يجسد وعي الأسلاف وحكمتهم المتوارثة.

(17) الصّمادي Samhadi: مُصطلح مشتق من Samadhi في الفلسفات الهندية (حالة من التّأمُّل القصوى تصل بالمرء إلى النّرڤانا)، ويشير في كتيب

إلى حالة اندماج وعي ليتو بأسلافه.

(18) "Natura non facit saltus."

(19) بِرسِركيُون Berserkers: محاربون نورديّون ذُكروا في عديدٍ من المصادر الإسكندنافيّة القديمة، ويُعدُّون قوّات النُّخبة بين محاربي الڤايكنج. شيع عنهم أنهم كانوا يقاتلون في حالة من الهياجِ أقرب إلى النّشوة، وهي السّمة التي أدّت فيما بعد إلى ظهور الصّفة الإنجليزية الحديثة berserk بمعنى «هائج» أو «مسعور».

(20) اقتباس من مسرحية «هنري الخامس» لوليَم شِكسبير، يَحُثُّ فيه الملك جنوده على اقتحام ثغرةٍ في تحصينات الفرنسيّين. معنى العبارة: «لنُعاود الكَرّة»، وإن كانت تُستعمل اليوم مجازًا بمعنى «مواصلة السّعي حتّى النّجاح»، وقد تأتي أيضًا بمعنى «سدّ الفراغ» عند غياب شخص عن أداءِ مهمّته. الفراد هنا هو المعنى العسكري الأصلي في النّصّ الشِكسبيري.

(21) عود خشبي ياباني قصير العنق، جرت العادة أن يُستخدم في سرد القصص.

(22) في اللُّغة العربية، عَرَكَس الشّيء: أي جَمَع بعضه على بعض، ويُقال شعرٌ عرنكس ومُعرَنكِس: أي كثيرٌ متراكب. في النّصّ الإنجليزي، استخدم فرانك هربرت اللفظة العاميّة Shebang التي تأتي بمعنى «كُلُّ شيء» أو «الجمل بما حمل»، م عمد إلى تفكيكها إلى She وBang، في تلميحٍ جنسيٍّ ساخرٍ، مُختلقًا أصلًا للكلمة ليس فيها. اتّبعت في التّرجمةِ نهجًا مماثلًا، فاخترت لفظةً عربيةً غريبةِ الوقع، تحمل شيئًا من معنى الكُلّيّة والشُّمول المقصود، ثم قسمتها للخروج منها بأقرب إيحاءٍ جنسيٍّ مُمكن للحفاظ على روح النّكتةِ الأصليّة قدر المستطاع.

(23) فاتني أن أذكر في المقدّمة أن المسرد لم يقف عند تقديم تفسيرٍ للمصطلحات الواردة فحسب، بل يتجاوز ذلك أحيانًا إلى شرح بعض الأمور

التي لم ترد صراحةً في الرّواية، أو وردت غامضة دون تفسيرٍ مُشبِع. هذا الشّرح مُستقًى من المصادر الآنف ذكرها، ويعتمد أحداث الرّوايتين التاليتين، لذا وجب التّنويه.